

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَافِرِ

أسباب وعلاج  
التمزق في ميزان  
الشريعة الإسلامية

جمع وإعداد/

محمد نعمان محمد علي البعداني

غفر الله له ولوالديه ونزوجه ووالديهم وإخوانه وذريتهم والمسلمين جميعاً آمين.

١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين الهادي إلى سواء السبيل، أحمدده وأستعينه وأستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ربي لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد فإن جمع الكلمة ووحدة الصف وتحقيق الأخوة وتأليف القلوب وتوحيد المسلمين من أسمى المطالب وأغلاها وأجلها وأشرفها وأثمنها؛ لما ينتج عن ذلك من قوة ضاربة للمجتمع المسلم لا يجزئ أعداؤه من التسلط عليه، ولهذا امتن ربنا جل في علاه على عباده بتأليف قلوبهم وجمع شتاتها وتمزقها فقال جل شأنه وتقدس أسماءه وصفاته: ﴿وَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣]، وقد أدرك حبيبنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام هذا الأمر وأهميته فبادر في أول تأسيسه للدولة الإسلامية في المدينة النبوية إلى المواجهة بين المهاجرين والأنصار وجمع كلمتهم وتوحيد صفهم وإزالة الفخر بالأنساب والعشائر والعصبية، فجمعت هذه الأخوة في صدرها الرحب والواسع بين علي القرشي وبلال الحبشي وسلمان الفارسي وصهيب الرومي، فتكون مجتمع واحد صفه واحد فقويت بذلك شوكتهم واستعصوا على عدوهم، فما استطاع مد أقوى وأعظم امبراطوريتين -فارس والروم- من الوقوف أمام زحفهم لنشر نور الحق والهداية لجميع الخلائق بل سقطت تلك الامبراطوريتان أمام هذا المجتمع الموحد القوي، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعهد هذه الأخوة ويقوي روابطها ويزيل كل دخن ولبس وما من شأنه أن يكدر صفوها، ويعيد الفضل في كل ذلك كله إلى الله الواحد الأحد لا لحنكته ولا لسياسته ولا لخبرته ولا لإنجازاته، ولما وجد الأعداء أن الدولة الإسلامية دولة قوية نظروا في مصدر قوتها فوجدوا أن وحدتها وجمع كلمتها وصفها هو السبب الرئيس لذلك، فجعلوا يكيدون المؤامرات لتفريقهم وتمزيقهم، ونجحوا عندما أسقطوا الخلافة العثمانية ومزقوا دولة الإسلام إلى دويلات صغيرة لكل دولة حدودها التي تفصلها عن غيرها، ومن ثم قاموا بغرس الدولة اليهودية الخبيثة في قلب دولة الإسلام، وفي خضم هذه الأحداث الأليمة أشرق شعاع الوحدة اليمنية

وظهر بصيص الأمل في توحيد جميع الممزقات الإسلامية، إلا أن أصواتاً ظهرت تنادي بتمزيق البلاد كان لها محاولة فاشلة عام ١٩٩٤م إذ أشعلوا فتيل حرب أطفالها الله تعالى ورد كيدهم في نحورهم، إلا أن هذه الأصوات قد كثرت في الآونة الأخيرة وهذه المرة وجدت لها تأييداً شعبياً من مجموعة من الناس الذين استُغلوا في ظل الظروف السيئة التي يعيشونها بل تعيشها البلاد برمتها، كذلك الوضع في جنوب السودان وما فيه من مطالبة لاستقلال إقليم دار فور والحرص الغربي المريب في هذا الإقليم، وما يحصل في أرض الصومال من فتنة وحروب، وما شابه ذلك من مطالبات لتمزيق بعض بلاد الإسلام من قبل جماعة من أبنائها لسبب أو لآخر، فأحببت من خلال هذا البحث أن أتطرق إلى بيان مجموعة من الأسباب الحقيقية التي أدت وتؤدي إلى ظهور مثل هذه المطالبات والاضطرابات والقلقل والفتن، وسأقسم هذه الأسباب على ستة مباحث:

#### **المبحث الأول: المخالفة والذنوب، وفيه مطلبان:**

المطلب الأول: وفيه السبب الأول وهو مخالفة الشريعة

المطلب الثاني: وفيه السبب الثاني وهو الذنوب والمعاصي

**المبحث الثاني: وفيه السبب الثالث وهو انتشار الجهل**

**المبحث الثالث: وفيه السبب الرابع وهو الظلم**

**المبحث الرابع: التفرق والعصية، وفيه مطلبان:**

المطلب الأول: وفيه السبب الخامس وهو التنازع وتفرق جماعة المسلمين

المطلب الثاني: وفيه السبب السادس وهو إثارة العصية

**المبحث الخامس: الخروج والإعراض، وفيه مطلبان:**

المطلب الأول: وفيه السبب السابع وهو الخروج بالسلاح

المطلب الثاني: وفيه السبب الثامن وهو الإعراض عن شكر النعمة

**المبحث السادس: وفيه السبب التاسع وهو التآمر الخارجي**

## المبحث الأول: المخالفة والذنوب

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:

وفيه السبب الأول وهو مخالفة الشريعة

المطلب الثاني:

وفيه السبب الثاني وهو الذنوب والمعاصي

## المطلب الأول: وفيه السبب الأول وهو مخالفة الشريعة

إن كل شر يحدث في مجتمعاتنا إنما هو بسبب مخالفة الشريعة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم من عند ربه عز وجل، والمقصود بالمخالفة هنا الذهاب إلى خلاف أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم ومضادة أمرهما والخروج عنه<sup>(١)</sup>، فإن في هذه المخالفة عين الهلاك والخسران، قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

قال الإمام الشوكاني: «أي: يخالفون أمر النبي صلى الله عليه وسلم بترك العمل بمقتضاه، وعدى فعل المخالفة بعن مع كونه متعدياً بنفسه؛ لتضمنينه معنى الإعراض أو الصد»<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام ابن كثير: «أي: عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله فما وافق ذلك قبل وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائناً من كان»<sup>(٣)</sup>.

فهذا تهديد أكيد ووعيد شديد من الله تعالى للمعرضين عن منهجه القويم الذي أرسل به رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم بأن: ﴿تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: محنة في الدنيا، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن معنى قوله: ﴿فِتْنَةٌ﴾ قتل، وعن عطاء: زلازل وأهوال، وعن جعفر بن محمد: يسلط عليهم سلطان جائر، ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة<sup>(٤)</sup>.

إنما كان الإعراض عن الشريعة الغراء ومخالفتها هو السبب الرئيسي للتمزق؛ لأن هذه الشريعة المباركة مبناها وأساسها على مراعاة مصالح العباد في المعاش والمعاد، فهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، ولهذا فإن كل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن أُدخلت فيها بالتأويل ونحوه، فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله صلى الله عليه وسلم أتم دلالة وأصدقها، وهي نوره سبحانه وتعالى الذي به أبصر المبصرون، وهداه الذي به اهتدى المهتدون، وشفأؤه التام الذي به دواء كل عليل، وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل، فهي قرة العيون، وحياة القلوب، ولذة الأرواح، وهي التي بها الحياة والغذاء والدواء والنور والشفاء والعصمة<sup>(٥)</sup>، وكل خير في الوجود فإنما هو مستفاد

١- انظر: المصباح المنير ١/١٧٩، ولسان العرب ٩/٩٠، والمعجم الوسيط ١/٢٥١.

٢- فتح القدير ٤/٥٨.

٣- تفسير ابن كثير ٣/٣٠٨.

٤- الكشف ٣/٢٦٥.

٥- العصمة: الحفظ والوقاية والمنعة، أي أن التمسك بالشريعة يحفظ ويقي ويمنع العباد من الوقوع في الهلاك أو الأسباب المؤدية إليه، انظر لمعنى العصمة: لسان العرب ١٢/٤٠٣، والمعجم الوسيط ٢/٦٠٥.

منها وحاصل بها، وكل نقص في الوجود فسببه من إضاعتها، ولولا رسوم<sup>(١)</sup> قد بقيت لخربت الدنيا، وطوي العالم، وهي العصمة للناس، وقوام العالم، وبها يمسك الله السموات والأرض أن تزولا، فإذا أراد الله سبحانه وتعالى خراب الدنيا وطوي العالم رفع إليه ما بقي من آثارها، فالشريعة التي بعث الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم هي عمود العالم، وقطب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة<sup>(٢)</sup>.

إن ما نحن فيه من فتنه ومحنة، ومن حكومات غشومة<sup>(٣)</sup> جائرة، متغطسة جاهلة، مترددة حائرة، لشعوبها قاهرة، وللأعداء ذليلة صاغرة، وما سلط على كل من حاشية فاسدة مفسدة تعيث في الأرض الفساد، نهبوا الخيرات، وأشاعوا المنكرات، يحمون الفساد والمفسدين، ويعرضون عن هدي رب العالمين، الكذب شعارهم، والنفاق دثارهم، من قال كلمة الحق أحرس، ومن تزلف أبرز، أسعار تحرق البيوت، ومنكرات تدمر الشعوب، أصبح الربا رجاء، وفشا الزنا، وطفف المكيال والميزان، وحُكِمَ بغير الحق -إلا من رحم الله تعالى من الحكام وبطاناتهم-، فقطع الرزق، وتسلب العدو، وظهرت الفتن، وتمزقت الصفوف، وتقاتلت الشعوب مع حكامها أو فيما بينها، وما كل ذلك إلا بالإعراض عن شريعة الله رب العلمين الهادي إلى سواء السبيل وهدية المبين، والخروج عن هذا السبيل القويم إلى سبيل الشياطين، لا نخرج من سبيل إلا وتلقفنا آخر؛ جزاء وفاقاً؛ لتركنا الأخذ بهدي رب العالمين القائل سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

لقد صار حال جماعة منا بل الكثير الإعراض عن شرع رب العلمين القائل: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤]، وعن هدي رسوله صلى الله عليه وسلم القائل: "فمن رغب عن سنتي فليس مني"<sup>(٤)</sup>، نقدم القوانين الوضعية الوضعية وكلام البشر على هدي رب البشر وسنة رسوله الأغر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من اشترط شرطاً ليس في كتاب الله فهو باطل وإن اشترط مائة شرط، شرط الله أحق وأوثق"<sup>(٥)</sup>.

لقد أثمر هذا الإعراض ذلاً وصغاراً وتمزقاً ودماراً وفتنة لا تتوارى، فصدق فينا قول الله ربنا تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة: ٢٠]، وقول رسوله صلى الله

١- الرسم بقية الأثر، انظر: العين للخليل بن أحمد ٢٥٢/٧، مادة: رسم.

٢- انظر: إعلام الموقعين لابن القيم ٣/٣.

٣- الغشوم: الذي يخبط الناس ويأخذ كل ما قدر عليه، ويقال للحرب غشوم؛ لأنها تنال غير الجاني، والغشم: الظلم والغصب، انظر: لسان العرب ١٢/١٤٣٧، والمعجم الوسيط ٢/٦٥٣.

٤- رواه البخاري ٥/ ١٩٤٩ برقم: ٤٧٧٦، ومسلم ٢/ ١٠٢٠ برقم: ١٤٠١.

٥- رواه البخاري ٢/ ٧٥٦ برقم: ٢٠٤٧.

عليه وسلم فيما رواه عنه ابن عمر: "إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد"<sup>(١)</sup> سلط الله عليكم ذلاً لا يترعه حتى ترجعوا إلى دينكم"<sup>(٢)</sup>، والقائل: "وما لم تحكم أنتمهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم"<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام المناوي: «سلط الله عليكم ذلاً» بضم الذال المعجمة وكسرهما ضعفاً واستهانةً، "لا يترعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم" أي: إلى الاهتمام بأمور دينكم، جعل ذلك بمنزلة الردة والخروج عن الدين لمزيد الزجر والتهويل<sup>(٤)</sup>.

قال الإمام الزرقاني في شرح "بأسهم بينهم": «أي: الحرب والفتن والاختلاف»<sup>(٥)</sup>.

### ● الأمن والنجاة في ظلال الشريعة

إن السبيل إلى الخلاص من الفتن والتمزق والتفرق والهلاك هو بالعودة الصادقة إلى دين الله تعالى، وامتنال أمره، واجتناب نهيه، وتحكيم الشريعة في الواقع حقيقة لا مجرد حبر على ورق، والرد إليها في جميع الأحوال عموماً وفي مثل هذه القلاقل والفتن والاضطرابات خصوصاً: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥]، وقال سبحانه: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] حتى تنتزل الرحمات فيرفع البلاء ويعم الخير: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، ونفوز بمحبة الله تعالى القائل: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، ونسلم من طريق الزيغ والضلال والهلاك والتفرق والفتن فقد قال صلى الله عليه وسلم: "وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله"<sup>(٦)</sup>، وقال: "قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعيش منكم فسيروا اختلافاً كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين"<sup>(٧)</sup>

١- قال الإمام المناوي: «إذا تبايعتم بالعينة» بكسر العين المهملة وسكون المثناة تحت ونون وهو أن يبيع سلعة بثمن معلوم لأجل ثم يشترها منه بأقل ليبقى الكثير في ذمته... «وأخذتم أذناب البقر»: كناية عن الاشتغال عن الجهاد بالحرق، "ورضيتم بالزرع" أي: بكونه همتمكم وغمتمكم، "وتركتكم الجهاد" أي: غزو أعداء الرحمن ومصارعة الهوى والشيطان»، فيض القدير ٣١٣/١، ٣١٤.

٢- رواه أبو داود ٢٩٦/٢ برقم: ٣٤٦٢، صحيحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٧٠/٢ برقم: ١٣٨٩.

٣- أخرجه ابن ماجه ١٣٣٢/٢ برقم: ٤٠١٩، حسنه الألباني في صحيح ابن ماجه ٢/٣٧٠ برقم: ٣٢٤٦.

٤- التيسير بشرح الجامع الصغير ٨٤/١، وقال محمد شمس الحق: «أي: صغاراً ومسكنةً، ومن أنواع الذل الخراج الذي يسلمونه كل سنة لملاك الأرض، وسبب هذا الذل والله أعلم أنهم لما تركوا الجهاد في سبيل الله الذي فيه عز الإسلام وإظهاره على كل دين عاملهم الله بنقيضه وهو إنزال الذلة بهم فصاروا يمشون خلف أذناب البقر بعد أن كانوا يركبون على ظهور الخيل التي هي أعز مكان»، عون المعبود ٢٤٢/٩.

٥- شرح الزرقاني ٥٨/٢.

٦- رواه مسلم ٨٨٦/٢ برقم: ١٢١٨.

٧- أخرجه أحمد في المسند ١٢٦/٤ برقم: ١٧١٨٢، قال شعيب الأرناؤوط: «حديث صحيح بطرقه وشواهده وهذا إسناد حسن».

## ● لماذا الشريعة الإسلامية

إنما كان الحل والأمن والاستقرار والأخوة والوحدة والقوة والغلبة والسعادة والاستقامة والحفظ والوقاية والمنعة والعصمة في رحاب الشريعة الإسلامية؛ لأن لها خصائصها الخاصة بها التي تميزها عن غيرها من القوانين الوضعية -الوضعية- تمييزاً واضحاً بارزاً لا يدع مجالاً للشك في أن صلاح الأمة بل العالم بأسره موقوف على الأخذ بها وتطبيقها تطبيقاً تاماً كاملاً، وإيضاح ذلك فهذه وقفه سريعة مع هذه الخصائص التي ميزت هذه الشريعة المباركة.

## ● شريعة سماوية من عند الله

إن الشريعة الإسلامية من حيث مصدرها هي من عند الله، فمصدرها ومشرع أحكامها ومناهجها هو الله تعالى فهي وحيه إلى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم باللفظ والمعنى -القرآن الكريم- وبالمعنى دون اللفظ -السنة النبوية-، فهي بهذه الخصيصة تختلف اختلافاً جوهرياً عن جميع القوانين الوضعية التي مصدرها الإنسان، فهذه الشريعة ربانية إلهية سماوية في مصدرها نزلت من عند الله تبارك وتعالى رب البشر على خاتم الأنبياء والمرسلين الأغر عليه الصلاة والسلام، وهذا يعني كمالها وخلوها من معاني النقص والجهل والهووى والظلم؛ لسبب بسيط واضح هو أن صفات الصانع تظهر في ما يصنعه، ولما كان الله تعالى له الكمال المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله ويستحيل في حقه خلاف ذلك، فإن أثر هذا الكمال يظهر في ما يشرعه من أحكام ومناهج وقواعد، وبالتالي لا بد أن يكون كاملاً، وهذا بخلاف ما يصنعه الإنسان ويقننه فإنه لا ينفك عن معاني النقص والهووى والجهل والجور؛ لأن هذه المعاني لاصقة بالبشر ويستحيل تجردهم عنها كل التجرد، وبالتالي تظهر هذه النقائص في القوانين والتشريعات التي يضعونها، بخلاف الشريعة الإسلامية فهي كاملة تامة لا نقص فيها كما قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ولا يداخلها خلل كما هو الحال في التشريعات والقوانين الوضعية المنبثقة من البشر ذات النقص والضيق والخلل، وهي مترهة عن العبث واللغو، ولهذا ظلت وستظل شامخة عزيزة منذ بزغ فجر الرسالة على الرغم من كيد الكائدين وتآمر المتآمرين.

## ● شريعة محفوظة

بالإضافة إلى أن هذه الشريعة الغراء سماوية المصدر كاملة المنهج فإنها محفوظة بحفظ الله تعالى لها، فلا يعتريها التغيير أو التحريف أو التبديل أو التزوير كما اعترى غيرها من شرائع الأنبياء والمرسلين، وهذا هو الفرق بين الشريعة الإسلامية وما سبقها من الشرائع وإن كانت جميعها من عند الله إلا أن تلك الشرائع دخلها التحريف والتبديل والتغيير؛ لأن الله تعالى أوكل حفظها إلى من أنزلت إليهم كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ



**هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً** [المائدة: ٤٤]، فأخبر تعالى في هذه الآية الكريمة أن الأحرار والرهبان استحفظوا كتاب الله -يعني استودعوه- وطلب منهم حفظه، ولم يبين هنا هل امتثلوا الأمر في ذلك وحفظوه أو لم يمتثلوا الأمر، ولكنه يبين في مواضع أخرى أنهم لم يمتثلوا الأمر ولم يحفظوا ما استحفظوه بل حرفوه وبدلوه عمداً وخانوا الأمانة<sup>(١)</sup> كقوله سبحانه وتعالى: **﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾** [النساء: ٤٦]، وقوله تعالى: **﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾** [المائدة: ٤١] وقوله سبحانه: **﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَأِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾** [الأنعام: ٩١] وقوله تعالى: **﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾** [البقرة: ٧٩] وقوله جل وعلا: **﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُوءُونَ آلِسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾** [آل عمران: ٧٨]، فالتوراة والإنجيل التي أنزلها الله تعالى ووصفها بالهدى والنور ليست هي التوراة الموجود اليوم لدى اليهود ولا الإنجيل الموجود اليوم عند النصارى، فالذي بين أيديهم محرفة ومبدلة، وهذا التحريف إما بتغيير اللفظ أو المعنى أو هما جميعاً، أو الحو للنصوص بالكلية، أو محو ما يبين الحق ويدمغ الباطل، أو إخفاء الحق عن الخلق وادعاء الباطل، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن اليهود جاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم برجل منهم وامرأة وقد زنيا فقال لهم: "كيف تفعلون بمن زنى منكم؟ قالوا: نحممهما"<sup>(٢)</sup> ونضربهما، فقال: لا تجدون في التوراة الرجم؟! فقالوا: لا نجد فيها شيئا، فقال لهم عبد الله بن سلام: كذبتُم فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين، فوضع مدراسها<sup>(٣)</sup> الذي يدرسها منهم كفاه على آية الرجم، فترع يده عن آية الرجم"<sup>(٤)</sup>، قال الإمام النووي: «قال العلماء: هذا السؤال ليس لتقليدهم ولا لمعرفة الحكم منهم وإنما هو لإلزامهم بما يعتقدونه في كتابهم، ولعله صلى الله عليه وسلم قد أوحى إليه أن الرجم في التوراة الموجودة في أيديهم لم يغيروه كما غيروا أشياء، أو أنه أخبره بذلك من أسلم منهم ولهذا لم يخف ذلك عليه حين كتموه»<sup>(٥)</sup>، فانظر إلى كذبهم وتزويرهم وإخفائهم لما كان لا يزال على الحق لم يحرف، وادعائهم للباطل في زمن الوحي، فكيف بالأمر في هذه الأزمان التي زاد فيها تحريفهم وكيدهم وخبثهم، حتى أنهم عملوا على محو كل ما من شأنه أن يدل أو يرشد إلى النبي الخاتم والشرعية الخالدة، ومن تحريفهم تزييل الصفات التي ذكرت في كتبهم والتي وصفت وذكرت

<sup>١</sup> - أضواء البيان ١/ ٤٠٤.

<sup>٢</sup> - نحممهما: نسكب عليهما الماء الحميم وقيل نجعل في وجوههما الحمة بمهملة وميم خفيفة أي السواد، فتح الباري ٨/ ٢٢٤.

<sup>٣</sup> - صاحب دراسة كتبهم، عمدة القاري ٨/ ١٣٣.

<sup>٤</sup> - أخرجه البخاري ٤/ ١٦٦٠ برقم: ٤٢٨٠، ومسلم ٣/ ١٣٢٦ برقم: ١٦٩٩.

<sup>٥</sup> - شرح صحيح مسلم ١١/ ٢٠٨.

النبي صلى الله عليه وسلم بصفاته التي لا تنطبق ولا تصدق إلا عليه صلى الله عليه وسلم على غيره وكتماها أو محوها بالكلية، فكان حالهم في العلم شر حال؛ إذ قلبوا فيه الحقائق، وجحدوا الحق ونزلوا الحق على الباطل<sup>(١)</sup>.

أما الشريعة الإسلامية فمحفوظة من التحريف أو التبديل أو الزيادة أو النقص؛ لأن الله تعالى لم يكل حفظ كتابها ومنهجها إلى أحد بل تولى حفظ ذلك جل وعلا بنفسه الكريمة المقدسة<sup>(٢)</sup> كما الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ \* فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢٠-٢١] وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ \* لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَتْرِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢].

قال الإمام الرازي: «واعلم أنه لم يتفق لشيء من الكتب مثل هذا الحفظ فإنه لا كتاب إلا وقد دخله التصحيف والتحريف والتغيير إما في الكثير منه أو في القليل، وبقاء هذا الكتاب مصوناً عن جميع جهات التحريف مع أن دواعي الملحدة واليهود والنصارى متوفرة على إبطاله وإفساده من أعظم المعجزات، وأيضاً أخبر الله تعالى عن بقاءه محفوظاً عن التغيير والتحريف، وانقضى الآن قريباً من ستمائة سنة فكان هذا إخباراً عن الغيب، فكان ذلك أيضاً معجزاً قاهراً»<sup>(٣)</sup>، بل قد انقضى إلى الآن أكثر من ألف وأربعمائة سنة وهو محفوظ.

قال الإمام السعدي: «﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ أي: القرآن الذي فيه ذكرى لكل شيء من المسائل والدلائل الواضحة وفيه يتذكر من أراد التذكر، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، أي: في حال إنزاله وبعد إنزاله، ففي حال إنزاله حافظون له من استراق كل شيطان رجيم، وبعد إنزاله أودعه الله في قلب رسوله واستودعه في قلوب أمته، وحفظ الله ألفاظه من التغيير فيها والزيادة والنقص، ومعانيه من التبديل، فلا يحرف محرف معنى من معانيه إلا وقبض الله له من يبين الحق المبين»<sup>(٤)</sup>.

أيضاً الشرائع السابقة كلها منسوخة بسبب ما دخلها من التحريف والتبديل، أما الشريعة الإسلامية فلا يوجد شريعة ناسخه لها؛ لأنها محفوظة بحفظ الله لها، ولأن الشرائع قد انقطعت بختمها بالشريعة الإسلامية الخالدة؛ لأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين، فلا رسول ولا نبي بعده، وبالتالي لا شريعة بعد شريعته؛ لأن وحي السماء قد انقطع نزوله بموته صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا

<sup>١</sup> - تفسير السعدي ص ١٨١.

<sup>٢</sup> - أضواء البيان ١/٤٠٥، ٢/٢٥٥، ٢٥٦.

<sup>٣</sup> - التفسير الكبير ١٩/١٢٨.

<sup>٤</sup> - تفسير السعدي ص ٤٢٩.

رسول بعده بالطريق الأولى والأخرى؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي ولا ينعكس، وبذلك وردت الأحاديث المتواترة<sup>(١)</sup>، ومنها: قوله صلى الله عليه وسلم: "لم يبق من النبوة إلا المبشرات"، قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة<sup>(٢)</sup>، وقوله صلى الله عليه وسلم: "ذهبت النبوة وبقيت المبشرات"<sup>(٣)</sup>، وقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الرسالة والنبوة قد انقطعت، فلا رسول بعدي، ولا نبي، قال: فشق ذلك على الناس، فقال: لكن المبشرات، قالوا: يا رسول الله وما المبشرات؟ قال: رؤيا المسلم وهي جزء من أجزاء النبوة"<sup>(٤)</sup>، وقوله صلى الله عليه وسلم: "إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين"<sup>(٥)</sup>.

أيضاً فإن الله سبحانه وتعالى أرسل رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة، ونسخ بشريته سائر الشرائع، وجعل كتابه الكريم مهيمناً على سائر الكتب السماوية، فالواجب على جميع أهل الأرض من الجن والإنس سواء كانوا من اليهود أو النصارى أو غيرهم من سائر أجناس بني آدم ومن سائر أجناس الجن أن يدخلوا في دين الله الذي بعث به خاتم الرسل إلى الناس عامة، وأن يلتزموا به ويستقيموا عليه؛ لأنه هو دين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد أي دين سواه كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ \* فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٩-٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال تعالى بعدما ذكر التوراة والإنجيل يخاطب نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ \* وَأَنْ أَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا

١- تفسير ابن كثير ٤٩٤/٣.

٢- أخرجه البخاري ٦/٢٥٦٤ برقم: ٦٥٨٩.

٣- أخرجه ابن ماجه ٢/١٢٨٣ برقم: ٣٨٩٦، وأحمد ٦/٣٨١ برقم: ٢٧١٨٥، صحيح الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٢/٣٣٨ برقم: ٣١٤٤.

٤- أخرجه الترمذي ٤/٥٣٣ برقم: ٢٢٧٢، والمنقول عن الألباني تصحيح إسناده، انظر الجامع الصغير وزيادته ١/٢٥٢ برقم: ٢٥١١.

٥- أخرجه البخاري ٣/١٣٠٠ برقم: ٣٣٤٢، ومسلم ٤/١٧٩٠ برقم: ٢٢٨٦.

أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ \* أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠-٤٨-٤٩﴾ [المائدة: ٥٠-٤٨-٤٩].

ففي هذه الآيات الكريمة الدلالة الظاهرة والبرهان القاطع على وجوب الحكم بين اليهود والنصارى وسائر الناس بما أنزل الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أنه لا إسلام لأحد ولا هداية إلا باتباع ما جاء به، وأن ما يخالف ذلك فهو في حكم الجاهلية، وأنه لا حكم أحسن من حكم الله، وقال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا وَإِلَيْكَ قَالُ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ \* الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧]، ففي هذه الآيات الكريمة الدليل القاطع والحجة الدامغة على عموم بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لليهود والنصارى وأنه بعث بالتخفيف عنهم وأنه لا يحصل الفلاح لكل من كان في زمانه من الأمم وهكذا ما بعد ذلك إلى قيام الساعة إلا بالإيمان به ونصره وتعزيزه واتباع النور الذي أنزل معه ثم قال سبحانه بعد ذلك تأكيداً للمقام وبياناً لعموم الرسالة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغامم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة"<sup>(١)</sup>، وعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "والذي نفسي محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار"<sup>(٢)</sup>، فهذه النصوص وما قبلها يتضح منها لكل عاقل أن الهداية والنجاة والسعادة والأمن إنما تحصل لمن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم واتبع ما جاء به من الهدى، والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وفيها دلالة على نسخ جميع الشرائع السماوية ما عدا شريعة

١- أخرجه البخاري ١٢٨/١ برقم: ٣٢٨، ومسلم ٣٧٠/١ برقم: ٥٢١.

٢- أخرجه مسلم ١٣٤/١ برقم: ١٥٣.

الإسلام التي بعث الله بها خاتم النبيين وسيد المرسلين وإمام المتقين نبينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وعلى سائر النبيين والمرسلين، وجعلنا من اتباعهم بإحسان إلى يوم الدين، إنه على كل شيء قدير، وليس معنى نسخ الشرائع السابقة أنها لا تحترم أو أنه يجوز التنقص منها وإنما المراد رفع ما قد يتوهمه بعض الناس من أنه يسوغ اتباع شيء منها أو أن من انتسب إليها من اليهود أو غيرهم يكون على هدى بل هي شرائع منسوخة لا يجوز اتباع شيء منها لو علمت على التحقيق وسلمت من التغيير والتبديل، فكيف وقد جهل الكثير منها لما أدخل فيها أعداء الله -الذين يكتمون الحق- من تحريف وهم يعلمون ويكذبون على الله ورسوله وعلى سائر النبيين والمرسلين وسائر الصالحين<sup>(١)</sup>.

### ● شريعة شاملة

والشريعة الإسلامية من حيث مدى ونوع العلاقات التي تنظمها والأفعال التي تحكمها شاملة لجميع شؤون الحياة وسلوك الإنسان، وهي صفة حقيقية ثابتة لها لا يجوز تجريدها منها إلا بالافتراء عليها أو بالجهل بها، وشمولها هذا لا يقبل الاستثناء ولا التخصيص، فهو شمول تام بكل معاني كلمة الشمول، وهذا بخلاف المبادئ والنظم البشرية فإن الواحد منها له دائرته الخاصة التي ينظم شؤونها، ولا شأن له فيما عدا ذلك، وعلى هذا فلا يمكن للمسلم القول: إن هذا المجال لي انظم أموري كما أشاء. معزل عن تنظيم الإسلام؛ لأن الشريعة الإسلامية تحكمه من يافوخه إلى أخمص قدميه.

إن الشريعة تختلف اختلافاً بيناً مع القوانين الوضعية في هذا المجال من ناحيتين:

**الناحية الأولى:** مراعاة المعاني الأخلاقية، فالشريعة الإسلامية راعت جانبها كل الرعاية ومزجتها بالقواعد القانونية وأقامت الأحكام التنظيمية عليها، وهذا بخلاف القوانين الوضعية حيث إنها لا تراعي المعاني الأخلاقية، بل إن الأصل فيها هو الفصل بين القواعد الأخلاقية والقواعد القانونية، فالغدر والخيانة وعدم الالتزام بالكلمة معاني ذميمة في ميزان الأخلاق ومن ثم لا تجوز ولا تباح في جميع العلاقات التي تنظمها الشريعة الإسلامية والأحكام التي تقررها، سواء أكانت هذه العلاقات بين فرد وفرد أو بين دولة ودولة، ولا عجب من ذلك فالشريعة الإسلامية من عند الله، وما يأتي من الله هو الحق والعدل الخالص.

**الناحية الثانية:** من جهة الحل والحرمة في الفعل نفسه، فإن الفعل قد يكون صحيحاً في ظاهره لاستيفائه شروط الصحة المطلوبة ولكنه يعتبر حراماً لمخالفة حقيقته الباطنة أو قصد صاحبه لما يأمر به الإسلام، وهذه الصفة للشيء في الحل والحرمة تبقى لاصقة بالفعل وإن صدر بها حكم قضائي يقضي بخلاف ذلك؛ لأن الأمر عند الله تعالى على حقيقته وهو أن هذا المدعي ارتكب حراماً وأكل سحتاً وهذا لا يجوز في شرع الله، ولا ينفعه حكم الحاكم بما ادعى لنفسه ظلماً؛ لأن الحاكم يحكم بالظاهر

<sup>١</sup> - انظر: فتاوى مهمة لعموم الأمة، فتوى للشيخ ابن باز رحمه الله تعالى ١/ ١٢٦ - ١٣١.

والله يتولى السرائر، ولأن مناط الثواب والعقاب في الآخرة على حقائق الأفعال ونيات الإنسان، وما ارتكبه من حلال أو حرام، والأصل في تعلق الحقوق وثبوت الآثار الشرعية على حقيقة الفعل وكونه حلالاً جائزاً ظاهراً وباطناً، ولكن لما كان الباطن أمراً خفياً يعجز الإنسان عن إدراكه أو يتعذر عليه، ولأجل استقرار الأمور وجريان الأحكام على أسس ثابتة وقواعد مضبوطة، فقد اعتبرت الشريعة الإسلامية الظاهر، وجعلت صحته ومطابقته لمتطلبات الشريعة قرينة على صحة الباطن وحله، ومناطقاً لتعلق الحقوق وثبوت الآثار، ولكن الشيء أو الفعل يبقى بالرغم من ذلك موصوفاً بالحل والحرم بناءً على حقيقته الباطنة، وما يترتب على هذا الوصف من جواز الإقدام عليه أو تحريمه وما يتبع ذلك من ثواب أو عقاب؛ لأن الحكم حسب الظاهر لا يقلب الحلال حراماً ولا الحرام حلالاً، وبالتالي لا يحل للمسلم أن يبيح لنفسه فعل الحرام أو أكله وإن أباح له ذلك القضاء، ويدل لذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: **"إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً بقوله فإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها"**<sup>(١)</sup>، ولهذا إذا ظهر الباطن ظهوراً كافياً، وتكشفت حقيقته، فالعبرة به لا بالظاهر، وتظهر أهمية هذه الناحية في حفظ حقوق الناس، وكف بعضهم عن بعض عن الاعتداء... فقد نظمت الشريعة الإسلامية شؤون الخلق أحسن التنظيم وأتمه وأكملته، ووضعت الحدود التي تمنع من التعدي على الغير وحقوقهم، قال تعالى: **﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾** [البقرة: ١٨٧]، وقال سبحانه: **﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾** [البقرة: ٢٢٩]، وقال سبحانه: **﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾** [الطلاق: ١].

### ● شريعة عامة

وتمتاز الشريعة الإسلامية بعمومها إذ جاءت لعموم البشر، ولم تأت لطائفة معينة منهم أو لجنس خاص من أجناسهم، قال تعالى: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾** [سبأ: ٢٨]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: ... وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعث إلى الناس عامة"**<sup>(٢)</sup>، وفي رواية: **"وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعث إلى الناس كافة"**<sup>(٣)</sup>، وفي أخرى: **"كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعث إلى كل أحر وأسود"**<sup>(٤)</sup>، وعمومها هذا غير مقصور على فترة معينة من الزمن أو جيل خاص من البشر وإنما هو عموم في الزمان كما هو عموم في المكان، ولهذا فهي باقية لا تزول ولا تتغير ولا

١- أخرجه البخاري ٩٥٢/٢ برقم: ٢٥٣٤.

٢- أخرجه البخاري ١٢٨/ ١ برقم: ٣٢٨.

٣- أخرجه البخاري ١٦٨ / ١ برقم: ٤٢٧.

٤- أخرجه مسلم، ٣٧٠/١ برقم: ٥٢١.

تنسخ، وعموم الشريعة الإسلامية وبقاؤها وعدم قابليتها للنسخ والتبديل والتغيير بالتنقيص أو الزيادة كل ذلك يستلزم عقلاً وعدلاً أن تكون قواعدها وأحكامها ومبادئها وجميع ما جاءت به على نحو يحقق مصالح الناس في كل عصر ومكان، وينفي بحاجاتهم ولا يضيق بها ولا يتخلف عن أي مستوى عال يبلغه المجتمع البشري؛ لأن الله تعالى إذ جعلها عامة في المكان والزمان، وخاتمة لجميع الشرائع، جعلها ذات قواعدها ومبادئ وأحكام صالحة لكل زمان ومكان، ومهيأة للبقاء والاستمرار لهذا العموم.

### ● شريعة مثالية وواقعية

وتمتاز هذه الشريعة الغراء بالمثالية والواقعية من حيث نزوعها إلى المثالية دون إغفال للواقع. أما مثالية الشريعة فتظهر بحرصها على إبلاغ الإنسان أعلى مستوى ممكن من الكمال يجعل تصرفاته وأقواله وأفعاله وتروكه وقصوده وأفكاره وميوله وفق المناهج والأوضاع والكيفيات التي جاء بها الإسلام، وقد تحقق ذلك كله في رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك أمرنا الله تعالى بالتأسي به بقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وهذه هي مثالية الشريعة الإسلامية، وقوام هذه المثالية بأمرين:

**الأول:** بالاعتدال المتمثل في عدم الإفراط والتفريط في أي شيء، وإعطاء كل ذي حق حقه، وهذا الاعتدال مطلوب حتى في العبادات، فلا ينبغي للمسلم أن يرهق نفسه، أو يؤذي جسده، وليس من منهج الإسلام في بلوغ الكمال حرمان الإنسان نفسه أو جسده من الطيبات والمتع الحلال، وإنما منهجه في الاعتدال، فإذا وجد الإنسان أو تيسر له شيء من الطيبات بطريق الحلال أخذه وتناوله ولا يقدح ذلك في تعلقه بمثالية الإسلام، فالمطلوب لبلوغ الكمال تقوى الله وليس تحريم الطيبات وحرمان الجسد أو النفس منها، ومع هذا فقد يسوغ أو يندب أو يجب أخذ الإنسان نفسه بالشدة وخشونة العيش ورضاه بالضيق إذا كان ذلك لغرض مشروع أو مقصد نبيل أو لسبب مقبول، كما لو كان المسلم في مقام القدوة، أو بسبب إثارة الغير على نفسه، أو بسبب امتناعه عما لا يجوز له، وعلى هذا الأساس يجب أن نفهم سيرة أسلافنا الصالحين وما روي عنهم من أخذ نفوسهم بالشدة وامتناعهم عن كثير من طيبات العيش ونعومته.

**الثاني:** بالشمول فالشريعة الإسلامية تريد من المسلم أن يبلغ الكمال المقدور له بتناسق وفي جميع شؤون، فلا يقبل على جانب واحد أو عدة جوانب ويبلغ فيها المستوى العالي من الكمال بينما يهمل الجوانب الأخرى حتى يتزل فيها إلى دون المستوى المطلوب، إن مثله مثل من يقوي يديه ويترك سائر أعضائه رخوة هزيلة ضعيفة، وعلى هذا الأساس فهم الصحابة الكرام مثالية الإسلام فلم تأسروهم عبادة ولم تقيدهم عادة، وإنما تقبلوا في جميع العبادات والأحوال وبلغوا فيها المستوى العالي من



الكمال، فلم يجسوا أنفسهم في مكان ولا على نوع من العبادة ولا على نمط معين من الأعمال، وإنما باشروا الجميع، فعند الصلاة كانوا في المسجد يصلون، وفي حلقات العلم يجلسون معلمين أو متعلمين، وعند الجهاد يقاتلون، وعند الشدائد والمصائب يواسون ويساعدون، وهكذا كان شأنهم في جميع الأحوال.

**وأما واقعية الشريعة** فتظهر في أنها لا تغفل عن طبيعة الإنسان وواقعه، فالإسلام لا يغفل طبيعة الإنسان، وتفاوت الناس في مدى استعدادهم لبلوغ المستوى الرفيع الذي يرسمه لهم، وفي ضوء هذا النظر الواقعي جعل الإسلام حداً أدنى أو مستوى أدنى من الكمال لا يجوز الهبوط عنه؛ لأن هذا المستوى ضروري لتكوين شخصية المسلم على نحو معقول، ولأنه أقل ما يمكن قبوله من المسلم ليكون في عداد المسلمين، ولأنه وضع على نحو يستطيع بلوغه أقل الناس قدرة على الارتفاع إلى مستوى الكمال، وهذا المستوى الأدنى يتكون من جملة معاني يجب القيام بها وهي المسماة بالفرائض، كما يشمل جملة معان يجب هجرها وهي المسماة بالحرمان، وهذه الفرائض والحرمان جعلت بقدر طاقة أقل الناس استعداداً لفعل الخير وابتعاداً عن الشر، ومن ثم يستطيع كل واحد الوفاء بمقتضاه، ولا يعذر في التخلف عنها، ولكن بجانب هذا المستوى الإلزامي الواجب بلوغه على كل مسلم، وضعت الشريعة مستوى آخر أرفع منه وأوسع منه وحببت إلى الناس بلوغ هذا المستوى العالي، فإلزامهم به إرهاباً لهم وحرصاً شديداً، والحرص في شريعة الإسلام مرفوع؛ لأنه يخالف نظرة الإسلام الواقعية، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وهذا المستوى العالي يشمل المندوبات التي ترغب الشريعة في القيام بها، والمكروهات التي ترغب الشريعة في ترك المسلم لها، وتظهر واقعية الإسلام في أمر آخر هو إيجاد المخارج المشروعة للمسلم في أوقات الشدة والضيق، وعدم إلزامه بما كان لازماً له أو واجباً عليه أو محرماً عليه في الأوقات العادية، وعلى هذا الأساس جاءت الرخص كلها وجاءت القاعدة الفقهية (الضرورات تبيح المحظورات)؛ لأن النفوس قد لا تقوى على الاستمرار بما يريده الإسلام في الظروف القاسية والأحوال الاضطرابية فتقع في المعصية، فخفف الإسلام عنها بما شرعه من رخص كإباحة أكل الميتة عند الجوع الشديد الذي يخاف فيه تلف النفس، وإباحة ترك الواجب مثل الفطر في رمضان للمريض والمسافر، وإباحة الصلاة للمريض وهو قاعد إذا كان لا يقوى على الوقوف.

وبهذه المثالية والواقعية في الإسلام يستطيع المسلم أن يحقق لنفسه الكمال المقدر له بيسر واعتدال وشمول وبما يوافق الفطرة دون إرهاب ولا حرج ولا انعزال عن الحياة وأهلها<sup>(١)</sup>.

١ - انظر لما سبق من الخصائص: أصول الدعوة للعلامة الدكتور عبد الكريم زيدان ١ / ٤٠-٧٧.



## ● الجزء في الشريعة الإسلامية

وتمتاز الشريعة الإسلامية بخصيصة هامة تتجرد وتتحرى عنها القوانين والأنظمة الوضعية البشرية وهذه الخصيصة هي أن الجزء في الشريعة الإسلامية دينوي وأخروي، فالجزء الديني يتمثل في العقوبات التي يوقعها قضاء الدولة على من يرتكب جرماً أو يترك واجباً، والأخروي قد أعد الله تعالى له يوماً سماه يوم الدين أي: اليوم الذي يدين الله تعالى فيه العباد بأعمالهم ويحاسبهم عليها، وكون الجزء في الشريعة الإسلامية دينوي وأخروي فهذا يعني الآتي:

أ- أن الشريعة الإسلامية تعني بإصلاح الفرد إصلاحاً جذرياً عن طريق تربيته على معاني العقيدة الإسلامية، ومنها: مراقبته لله والخوف منه، وأداء ما افترضه عليه من ضروب العبادات، وهذا كله سيجعل نفسه مطوعة لفعل الخير كارهة لفعل الشر بعيدة عن ارتكاب الجرائم، وفي هذا كله أكبر زاجر للنفوس، وبالإضافة إلى ذلك فإن الشريعة الإسلامية تهتم بطهارة المجتمع وإزالة مفاصله، ولهذا ألزمت أفرادها بإزالة المنكر، ولا شك أن المجتمع الطاهر العفيف سيساعد كثيراً على منع الإجماع وقمع المجرمين والمفسدين، وسيقوي جوانب الخير من النفوس ويسد منافذ الشر التي تطل منها النفوس الضعيفة، وفي هذا أيضاً ضمان لتقوية النفوس وإعطائها مناعة ضد الإجماع، وهذا بدوره يعمل على الاستقرار وإيجاد الأمن وإزالة الحزن والفتن والقلق والاضطرابات وأسباب التمزق، فيأمن كل فرد على نفسه ودينه وماله وأهله، فترتاح القلوب، وتصفوا النفوس ويتحد الصف وتجتمع الكلمة<sup>(١)</sup>.

ب- أن المجرم إذا أمكنه أن يهرب من حكم الله وعقابه في الدنيا فلن يفر من ذلك في الآخرة، وهذا يربي النفوس على الخوف من الإقدام على الجرائم حتى لو ضمن التخفي والتستر عن أعين الناس والفرار من العقاب بالتزوير والتلفيق؛ لأنه يعلم أن عين الله تراه، وأنه سيحاسب على جرمه ويطلب برد الحقوق إلى أهلها في يوم لا عملة فيه إلا الحسنات والسيئات، ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أم سلمة رضي الله عنها: **"إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً بقوله فإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها"**<sup>(٢)</sup>، بينما المجرم في القوانين الوضعية إن أمكنه الفرار من العدالة والتحاييل عليها فإنه يسارع ويبادر؛ لأنه بفراره من العدالة والتحاييل عليها يكون قد فر من الجزء الذي يخافه، أما المسلم فإنه إن فر مما يخافه في الدنيا فلن يفر منه يوم القيامة، مع العلم أن العقاب الديني للمجرم لا يمنع العقاب الأخروي ما لم يقترب به الإقلاع عن الجرم والتوبة النصوح ورد المظالم، وهذا بدوره يعمل على منع الإجماع والسطو على حقوق الآخرين وظلمهم، وبالتالي يتحقق الاستقرار ويوجد الأمن وتتوحد القلوب ويلتم الشمل.

١- المصدر نفسه ١ / ٣١٦، ٣١٧ بتصرف.

٢- أخرجه البخاري ٩٥٢/٢ برقم: ٢٥٣٤.

ج- جميع العقوبات الشرعية بنيت على أساسين كبيرين: الأول: العدل، والثاني: الردع، ويظهر الأساس الأول -العدل- في أن العقوبة بقدر الجريمة، قال تعالى: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] فليس فيها زيادة على ما يستحقه المجرم، ويظهر الأساس الثاني -الردع- في مقدار الألم الذي تحدثه العقوبة في المجرم وما تسببه له من فقدان حرّيته أو بعض أعضائه، ولا شك أن فقده هذه الأشياء يؤلمه ويخيفه فيمتنع من الإجرام بدافع من حب الذات والخوف من المؤذي المؤلم إذا ما سولت له نفسه الإجرام وزين له الشيطان مخالفة حدود الإسلام<sup>(١)</sup>.

إن هذين الأساسين ينعلمان في القوانين الوضعية عموماً والمعاصرة خصوصاً، وبالتالي لا يمكن مساواة الأحكام الشرعية بالقوانين والأنظمة الوضعية؛ وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، فالاستفهام للإنكار والتعجب من حالهم ولتوبيخهم؛ لأن التولي عن حكم الله وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب حكم آخر منكر عجيب، وطلب حكم الجاهلية أقبح وأعجب<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: «ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات بما يضعونها بأرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان الذي وضع لهم (الياسق) وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعاً متبعاً يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير»<sup>(٣)</sup>.

وبهذا يظهر أن الحل للخروج من الأزمات والمآزق يتمثل في تطبيق الشريعة الإسلامية ذات المبادئ والأسس السماوية السامية التي تحفظ لجميع سكان الأرض أمنهم واستقرارهم، والعمل على نشر تعاليم هذه الشريعة المباركة التي تربي النفوس وتعمل على كبح شهواتها، لا محاربتها ونعتها ومن تمسك بها بالنعوت المستوردة.

١- أصول الدعوة للعلامة عبد الكريم زيان، ١ / ٣٢٠.

٢- روح المعاني ٦/ ١٥٥.

٣- تفسير ابن كثير ٢/ ٦٨.

## ● حراسة الشريعة سبيل النجاة

مما سبق تبين أن الشريعة الإسلامية تمتاز بأنها ربانية المصدر -أي بأنها من عند الله- وبالتالي فهي كاملة تامة، وتمتاز بعمومها لجميع أهل الأرض على مختلف ألوانهم وألسنتهم وأعراقهم وأجناسهم وأوطانهم، وتمتاز بمرونتها وذلك من خلال باب الاجتهاد الذي أكسبها هذه الخصيصة الفريدة مما جعلها لا تضيق بمحاجات البشر أبداً في كل زمان ومكان، وتمتاز بشمولها لجميع شؤون الحياة وسلوك الإنسان، وتمتاز بالمثالية أي بحرصها على إبلاغ الإنسان أعلى مستوى ممكن من الكمال، والواقعية حيث إنها لا تغفل عن طبيعة الإنسان وواقعه، وتمتاز بأن الجزاء فيها دنيوي وأخروي، وهذا بدوره يحد من وقوع الجرائم والاعتداء على حقوق الآخرين، وبالتالي لا ولن يوجد على وجه الأرض قوانين أو تشريعات تحقق الأمن والاستقرار، وتوحد القلوب والصفوف، ونزيل أسباب التفرق، وتطيب بها النفوس كما هو الحال في هذه الشريعة الغراء، **فالخل للخروج من التمزق والاضطرابات والفتن** والخن وكل المآزق بحراسة هذه الشريعة المباركة الغراء التي بها الحفظ والوقاية والمنعة من الهلاك أو الأسباب المؤدية إليه، ويتحقق ذلك بأمرين:

**الأمر الأول:** المحافظة على هذه الشريعة بإبقاء حقائقها ومعانيها ونشرها بين الناس كما بلغها رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار عليها صحابته الكرام ونقلوها إلى الناس من بعدهم، وعلى هذا لا يجوز أي تبديل أو تحريف في هذه الحقائق والمعاني، لأن التحريف والتبديل يدخلان في نطاق الابتداع المذموم في دين الله، ولا يجوز التردد أبداً في منع التبديل والتحريف بحجة حق الفرد في إبداء الرأي وحرية الفكر والاجتهاد؛ لأن الفرد إن كان مسلماً فليس من حقه أن يبذل دين الله، وإذا اختار لنفسه الضلالة ولعقيدته الفساد فليس من حقه أبداً أن يضل الآخرين أو يفسد عقائدهم، وإن كان الفرد غير مسلم فليس من حقه أبداً أن يخرج على نظام دار الإسلام ويشوه حقائق الإسلام وإلا كان ناقضاً لعقد الذمة، ومع هذا فقد يقع المسلم في زيغ أو شبهة أو خطأ، نتيجة فهم سقيم أو تضليل خبيث، فيجب على الحكام الاستعانة بالعلماء للعمل على كشف الشبهة وإظهار الصواب بالدليل والبرهان؛ حتى يظهر الحق وتقوم الحجة، فإن أصر المبطل على باطله وسعى إلى نشره في الناس منع من ذلك وأقيم عليه ما يوجب الشرع؛ لأن التهاون في مثل ذلك يؤدي إلى فساد دين الناس ودنياهم فيتهارجون ويتقاتلون وتعم الفتن ويصبح هذا الجيل مفرطاً في الشريعة ومضيعاً لها، وبالتالي غير مؤهل للقيام بما أوكل إليه وبالتالي يذهب الله به ويأتي بغيره، فأني جيل يريد الحفظ له ولذريته فعليه بالمحافظة على شريعة الله؛ لأن الله تعالى حافظ دينه وشريعته لا محالة، فمن حفظها حفظه الله، ومن ضيعها أهلكه الله.

ومن لوازم حفظ الشريعة تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة- ويدخل في ذلك التسليح النووي الدفاعي فإنه حق مشروع وإلا كيف يحق ذلك لدول دون دول! أليس من حق جميع دول العالم أن تدافع عن نفسها وتحمي ديارها وأراضيها؟! - حتى لا يظهر الأعداء على حين غرة ينتهكون فيها محرماً ويسفكون فيها لمسلم أو معاهداً دماً، ودفع الأعداء عن دار الإسلام ضروري لحفظ الدين وبقائه؛ لأن استيلاء الكفرة على دار الإسلام ضياع للإسلام وطمس لحقائقه وفتنة عظيمة للمسلمين وزعزعة لعقائدهم بسبب حكم الكفرة له وما يبدلون له لصرف المسلمين عن دينهم الحق بالوعد والوعيد والتلبيس والخداع والتضليل، بل من لوازم وتام حفظ الدين العمل على إعلاءه وإظهاره على جميع أنظمة الكفر حتى لا يبقى للباطل حكم قائم ولا راية مرفوعة.

**الأمر الثاني:** تنفيذ هذه الشريعة بالتطبيق الكامل والشامل والتام لأحكام هذه الشريعة الكاملة بخدافيرها في سائر معاملات الناس وعلاقاتهم فيما بينهم، وفي علاقاتهم مع الدولة، وفي علاقة الدولة مع غيرها من الدول، وحمل الناس على الوقوف عند حدود الله والطاعة لأوامره وترغيبهم في ذلك ومعاقبة المخالفين بالعقوبات الشرعية، وإزالة المفسد والمنكرات من المجتمع كما يقضي به الإسلام، إذ لا يمكن ادعاء حفظ الدين مع ترك المفسد والمنكرات بلا إنكار ولا إزالة مع توفر القدرة على ذلك<sup>(١)</sup>، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المقصد من مقاصد الحكم الإسلامي، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ  
**إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ**  
**الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].**

قال الإمام البهوتي: «ويلزم الإمام عشرة أشياء:

[الأول] حفظ الدين على الأصول التي أجمع عليها سلف الأمة، فإن زاغ ذو شبهة عنه بين له بالحجة، وأخذه بما يلزمه من الحقوق؛ ليكون الدين محروساً من الخلل.

[الثاني] وتنفيذ الأحكام بين المتشاجرين وقطع ما بينهم من الخصومات.

[الثالث] وحماية البيضة والذب عن الحوزة؛ لينصرف الناس في معاشهم ويسيروا في الأسفار آمنين

[الرابع] وإقامة الحدود؛ لتصان محارم الله عن الانتهاك، وتحفظ حقوق عباده من إتلاف أو استهلاك.

[الخامس] وتحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة؛ حتى لا تظفر الأعداء بغرة ينتهكون بها محرماً أو يسفكون بها دماً معصوماً.

[السادس] وجهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل في الذمة.

[السابع] وجباية الخراج والصدقات على الوجه المشروع.

١- انظر: أصول الدعوة للدكتور زيدان ١ / ٢٥٦-٢٥٧.

[الثامن] وتقدير العطاء وما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقصير، ودفعه في وقته من غير تقديم ولا تأخير.

[التاسع] واستكفاء الأمناء، وتقليد النصحاء فيما يفوضه إليهم من الأعمال والأموال؛ لتكون مضبوطة محفوظة.

[العاشر] وأن يباشر بنفسه مشاركة الأمور، ويتصفح الأحوال؛ لينهض بسياسة الأمة وحراسة الملة، ولا يعول على التفويض تشاغلاً؛ فقد يخون الأمين ويغش الناصح»<sup>(١)</sup>.

### • قرار مجمع الفقه بشأن تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية

إن مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمره الخامس بالكويت من ١ إلى ٦ جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ/ ١٠ إلى ١٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٨ م، بعد اطلاعه على البحوث المقدمة من الأعضاء والخبراء في موضوع (تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية) واستماعه للمناقشات التي دارت حوله، وبمراعاة أن مجمع الفقه الإسلامي الذي انبثق عن إرادة خيرة من مؤتمر القمة الإسلامية الثالثة بمكة المكرمة، بهدف البحث عن حلول شرعية لمشكلات الأمة الإسلامية وضبط قضايا حياة المسلمين بضوابط الشريعة الإسلامية، وإزالة سائر العوائق التي تحول دون تطبيق شريعة الله، وهيئة جميع السبل اللازمة لتطبيقها، وإقراراً بحاكمية الله تعالى، وتحقيقاً لسيادة شريعته، وإزالة للتناقض القائم بين بعض أحكام المسلمين وشعوبهم، وإزالة لأسباب التوتر والتناقض والصراع في ديارهم، وتوفيراً للأمن في بلاد المسلمين قرر:

أن أول واجب على من يلي أمور المسلمين تطبيق شريعة الله فيهم، ويناشد جميع الحكومات في بلاد المسلمين المبادرة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية وتحكيمها تحكماً تاماً كاملاً مستقراً في مجالات الحياة، ودعوة المجتمعات الإسلامية أفراداً وشعوباً ودولاً للالتزام بدين الله تعالى وتطبيق شريعته باعتبار هذا الدين عقيدة وشريعة وسلوكاً ونظام حياة.

ويوصي بما يلي:

١- مواصلة المجمع الأبحاث والدراسات المتعمقة في الجوانب المختلفة لموضوع تطبيق الشريعة الإسلامية ومتابعة ما يتم تنفيذه بهذا الشأن في البلاد الإسلامية.

٢- التنسيق بين المجمع وبين المؤسسات العلمية الأخرى التي تهتم بموضوع تطبيق الشريعة الإسلامية وتعد الخطط والوسائل والدراسات الكفيلة بإزالة العقبات والشبهات التي تعيق تطبيق الشريعة في البلاد الإسلامية.

١- كشف القناع ٦/ ١٦٠-١٦١، وانظر: مطالب أولي النهى ٦/ ٢٦٦.

٣- تجميع مشروعات القوانين الإسلامية التي تم إعدادها في مختلف البلاد الإسلامية ودراستها للاستفادة منها.

٤- تطبيق الشريعة الإسلامية، وإعداد جيل مسلم يحتكم إلى شرع الله تعالى.

٥- التوسع في تأهيل الدارسين والخريجين من قضاة ووكلاء نيابة ومحامين لإعداد الطاقات اللازمة لتطبيق الشريعة الإسلامية<sup>(١)</sup>.

### • وجاء في بيان مجمع الفقه الإسلامي في دورة مؤتمره الثالثة عشرة المنعقدة في

الكويت في ١٤٢٢هـ الموافق ٢٠٠١م بشأن أحداث فلسطين وغيرها:

وإن المجمع يوصي الأمة الإسلامية حكماً وشعوباً بالآتي:

أولاً: الالتزام بالإسلام عقيدة وشرعية

إن ما حلّ بالأمة الإسلامية داخلياً وخارجياً من مصاعب، وأزمات، وحروب، سببه الابتعاد عن العقيدة والشريعة وهي هدي الله وذكره، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾ [طه: ١٢٤]، وإن طول الأمد باستبعاد الشريعة الإسلامية يزيد من الفجوة بين الحكومات وشعوبها، ويزيد من الاجتهادات الخاطئة، والانحرافات الفردية والجماعية في الفكر والسلوك.

ويؤكد المجمع في توصيته في الدورة السابعة بدعوة الحكومات في البلاد الإسلامية للذود عن العقيدة الإسلامية، وتمكينها بصورتها النقية من الشوائب، والتحذير من كل ما يؤدي إلى هدمها، والتشكيك في أصولها، ويقسم وحدة المسلمين ويجعلهم مختلفين متنازعين، كما يؤكد ما جاء في هذه التوصية بدعوة الحكومات في البلدان الإسلامية إلى العمل على تطبيق الشريعة الإسلامية، واتخاذها منهجاً في رسم علاقاتها السياسية: المحلية والعالمية... وفي الختام يدعو علماء المجمع الله تبارك وتعالى أن يوفق ولاية أمور المسلمين لما يحبه ويرضاه، وأن ييسر لهم طريق تطبيق شريعته، فهي جبل الله المتين، ونوره المبين، وصراطه المستقيم، لا نجاة ولا عزة لهم إلا بالتمسك به، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل<sup>(٢)</sup>.

١- مجلة مجمع الفقه الإسلامي، العدد الخامس ١١٤٠٣/٢.

٢- المصدر نفسه العدد الثالث عشر ٢٥٨١٢/٢، ٢٥٨١٣، ٥٨١٧.

## المطلب الثاني: وفيه السبب الثاني وهو الذنوب والمعاصي

إن هذا السبب وإن كان لا يخرج عما قبله وما يأتي في السبب الرابع -لأن في الذنوب والمعاصي مخالفة للشريعة، وانهماك العباد فيها مما يظلم فيه العباد أنفسهم- إلا أنه لأهميته وحاجته لشيء من البيان أفردته.

إن مما ينبغي على كل إنسان أن يعلم أن الذنوب والمعاصي تضر، وأن ضررها في القلوب كضرر السموم في الأبدان، فما من شر وبلاء وفتنة وداء في الدنيا والآخرة إلا كان سببه الذنوب والمعاصي، فما الذي أخرج آدم وحواء من الجنة دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور إلى دار الآلام والأحزان والمصائب، وما الذي أخرج إبليس من ملكوت الله في السماء وطرده ولعنه ومسح ظاهره وباطنه، فجعلت صورته أقبح صورة وأشنعها، وباطنه أقبح من صورته وأشنع، وبدل بالقرب بعدا، وبالرحمة لعنة، وبالجمال قبحا، وبالجنة نارا تلظى، وبالإيمان كفرا، وبموالات الولي الحميد أعظم عداوة ومشاقة، وبزجل التسييح والتقديس والتهليل زجل الكفر والشرك والكذب والزور والفحش، ولباس الإيمان لباس الكفر والفسوق والعصيان، فهان على الله غاية الهوان، وسقط من عينه غاية السقوط، وحل عليه غضب الرب تبارك وتعالى، وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال، وما الذي سلط الريح العقيم على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخل خاوية، ودمرت ما مرت عليه من ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابهم حتى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة، وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم وماتوا عن آخرهم، وما الذي رفع قرى قوم لوط حتى سمعت الملائكة نباح كلابهم، ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها فأهلكم جميعا، ثم أتبعهم حجارة من سجيل السماء أمطرها عليهم، فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على أمة غيرهم -ولإخوانهم أمثالها- وما هي من الظالمين ببعيد، وما الذي أرسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظلل فلما صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم نارا تلظى، وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر، ثم نقلت أرواحهم إلى جهنم، فالأجساد للغرق والأرواح للحرق، وما الذي خسف بقارون وداره وماله وأهله، وما الذي أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات ودمرها تدميرا، وما الذي أهلك قوم صاحب يس بالصيحة حتى حمدوا عن آخرهم، وما الذي بعث على بني إسرائيل قوماً أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وقتلوا الرجال وسبوا الذراري والنساء وأحرقوا الديار ونهبوا الأموال، ثم بعثهم عليهم مرة ثانية فاهلكوا ما قدروا عليه وتبروا ما علو تنبيرا، وما الذي سلط عليهم أنواع العذاب والعقوبات مرة بالقتل والسبي وخراب البلاد، ومرة بجور الملوك،

ومرة بمسحهم قردة وخنازير، وآخر ذلك أقسم الرب تبارك وتعالى ليعشن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب؟!<sup>(١)</sup> إنما الذنوب والمعاصي.

إن ما نزل ويترل بنا من البلايا والفتن، والمصائب والحزن، والضعف والهوان، والذل والصغار، وتسلب الأعداء وأعوانهم العملاء، إنما سببه الذنوب والمعاصي التي في الوقوع فيها المخالفة للشرعية والخروج عن حدودها، بل لقد انتشرت الذنوب والمعاصي وعمت حتى أصبحت شيئاً مألوفاً مع أنها من المهلكات، فعن أم حبيبة بنت أبي سفيان عن زينب بنت جحش رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا يقول: **"لا إله إلا الله ويل للعرب من شر اقتراب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق ياصبعه الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله أهلك وفينا الصالحون ؟ قال: نعم إذا كثر الخبث"**<sup>(٢)</sup>، وعن أنس رضي الله عنه قال: **«إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، إن كنا لنعدها على عهد النبي صلى الله عليه وسلم من الموبقات، قال أبو عبد الله: يعني بذلك المهلكات»**<sup>(٣)</sup>.

إن للذنوب والمعاصي آثارها السيئة على البلاد والعباد لأنها تحدث في الأرض أنواعاً من الفساد في المياه والهوى والزرع والثمار والمساكن<sup>(٤)</sup>، قال الله تبارك وتعالى: **﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** [الروم: ٤١].

قال الألويسي: **«كالجذب والموتان»**<sup>(٥)</sup>، وكثرة الحرق والغرق، وإخفاق الصيادين والغاصة، ومحق البركات من كل شيء، وقلة المنافع في الجملة، وكثرة المضار<sup>(٦)</sup>.

وقال الحسن: **«أفسدهم الله بذنوبهم في بر الأرض وبحرها بأعمالهم الخبيثة»**<sup>(٧)</sup>. وقال أبو العالية **«من عصى الله في الأرض فقد أفسد في الأرض؛ لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة»**<sup>(٨)</sup>.

قال الإمام ابن القيم: **«وَنَزَّلَ هَذِهِ آيَةَ عَلَى أَحْوَالِ الْعَالَمِ، وَطَائِقِ بَيْنِ الْوَاقِعِ وَبَيْنَهَا، وَأَنْتَ تَرَى كَيْفَ تَحْدُثُ الْآفَاتُ وَالْعَلَلُ كُلُّ وَقْتٍ فِي الثَّمَارِ وَالزَّرْعِ وَالْحَيَوَانِ، وَكَيْفَ يَحْدُثُ مِنْ تِلْكَ الْآفَاتِ آفَاتٌ أُخْرَى مُتَلَازِمَةٌ بَعْضُهَا آخِذٌ بِرِقَابِ بَعْضٍ، وَكَلِمَا أَحْدَثَ النَّاسُ ظُلْمًا وَفُجُورًا أَحْدَثَ لَهُمْ رَيْحَمَ**

١- انظر: الجواب الكافي لابن القيم ص ٢٦، ٢٧.

٢- رواه البخاري، ٣/ ١٢٢١ برقم: ٣١٦٨، ومسلم، ٤/ ٢٢٠٧ برقم: ٢٨٨٠.

٣- رواه البخاري، ٥/ ٢٣٨١ برقم: ٦١٢٧.

٤- الجواب الكافي ٤٢/١.

٥- قال ابن منظور: «والموتان و الموتان كله الموت يقع في المال والماشية» لسان العرب ٩٣/٢.

٦- روح المعاني ٤٧/٢١.

٧- أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٧/ ١٨٨، برقم: ٣٥٢٠٥.

٨- تفسير ابن كثير ٣/ ٤٣٦.



تبارك وتعالى من الآفات والعلل في أغذيتهم وفواكههم وأهويتهم ومياههم وأبدانهم وخلقهم وصورهم وأشكالهم وأخلاقهم من النقص والآفات ما هو موجب أعمالهم وظلمهم وفجورهم»<sup>(١)</sup>.

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المنة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقصوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم"<sup>(٢)</sup>.

وعن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال: «لما فتحت مدائن قبرس وقع الناس يقتسمون السبي ويفرقون بينهم، ويبكى بعضهم على بعض، فتنحى أبو الدرداء ثم احتبى بحمائل سيفه فجعل يبكي، فأتاه جبير بن نفير فقال: ما يبكيك يا أبا الدرداء؟ أتبكي في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله وأذل فيه الكفر وأهله!، فضرب على منكبيه ثم قال: ثكلتك أمك يا جبير بن نفير، ما أهون الخلق على الله إذا تركوا أمره، بينا هي أمة قاهرة ظاهرة على الناس لهم الملك حتى تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى، وإنه إذا سلب السباء على قوم فقد خرجوا من عين الله ليست لهم حاجة»<sup>(٣)</sup>.

وروي عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩] قال: «دواب الأرض -الخناس والعقارب- يقولون: منعنا القطر بخطايا بني آدم»<sup>(٤)</sup>.

١- الطب النبوي ص ٢٨٢.

٢- أخرجه ابن ماجه ١٣٣٢ / ٢ برقم: ٤٠١٩، حسنه الألباني في صحيح ابن ماجه ٢ / ٣٧٠ برقم: ٣٢٤٦.

٣- سنن سعيد بن منصور ٢ / ٢٩٠، ٢٩١ برقم: ٢٦٦٠.

٤- أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٣ / ١٩٨ برقم: ٣٣١٧.

## ● انتشار الذنوب والمعاصي بأنواعها

لقد فشت الذنوب والمعاصي بجميع أنواعها فترى الكبرياء والجبروت والعظمة والقهر والعلو والظلم واستعباد الخلق والقول على الله بلا علم في خلقه وأمره وهذه ما يسميها علماء السلوك بالصفات الملكية وهي أن يتعاطى العبد ما لا يصلح له من صفات الربوبية فمن كان من أهل هذه الذنوب فقد نازع الله سبحانه ربوبيته وملكه وجعل له نداً وهذا أعظم الذنوب عند الله تعالى ولا ينفع معه عمل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"قال الله عز وجل: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار"**<sup>(١)</sup>، وترى الحسد والبغي والغش والغل والخداع والمكر وتطفيف المكيال والميزان والغيبة والنميمة والأمر بمعاصي الله وتحسينها والنهي عن طاعة الله وتمجيئها والابتداع في دينه والدعوة إلى البدع والضلال وهذه الذنوب الشيطانية؛ للتشبه فيها بالشيطان، وترى العدوان والغضب وسفك الدماء والتوثب على الضعفاء والعاجزين واستحقار الناس والترفع عليهم والجرأة على الظلم والعدوان وهذه الذنوب السبعية، وترى الشره والحرص على قضاء شهوتي البطن والفرج ومنها يتولد الزنا والسرقه وأكل أموال اليتامى والبخل والشح والجبن والهلع والجزع وغير ذلك وهذه الذنوب البهيمية؛ لأن أصحابها جعلوا من أنفسهم كالبهائم<sup>(٢)</sup>.

لقد فشا الربا بل صارت الدول تتعامل به وما أذون الخزانة إلا من الربا، وصارت مجموعة من البنوك والمؤسسات تتعامل به، بل هناك مجموعة من المعاملات الدقيقة التي ربما يدخل الربا من خلالها من دون قصد وشعور لعدم العلم مجرماتها، وأصبح الميسر والقمار شائعاً تحت مسمى المسابقات، ويروج لذلك في وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية-كما يروج لذلك عبر رسائل الجوال التي تقول: اتصل برقم كذا بمبلغ كذا لتحصل على كذا-حتى بعض الشركات التي ملاكها من أهل الصلاح.

## ● وسائل إعلام أم معاصي وإجرام

لقد أصبحت وسائل الإعلام تروج للإجرام والفجور بدعوى الانفتاح وتحرير المرأة الذي يقصد منه تعرية المرأة وتجريدها من عفتها وحشمتها، وأصبحت هذه الشاشات وسيلة للحرب على الحجاب والعفة وتعاليم الإسلام فأحدى القنوات تعرض حال المرأة المسلمة في أبشع صورة إذ تعرض امرأة في بيتها ترتب أمور البيت وبعد ذلك تخرج إلى الشارع وتعمل على جمع المال من الناس بالتسول الذي تقرن معه بعض أعمال السحر والشعوذة، ثم تستضاف إحدى المتحولات السافرات اللائي يعشن في بلاد الغرب لتتحدث عن سوء وضع المرأة المسلمة وتجعل من حال هذه المرأة بأنه حال جميع المؤمنات الطاهرات العفيفات، إن ما أصاب هذه المرأة هو بجهلها وجهل من يقوم عليها،

١- رواه أبو داود ٤٥٦/٢ برقم: ٤٠٩٠، وابن ماجه ١٣٩٧/٢ برقم: ٤١٤٧، قال الألباني: «صحيح لغيره»، صحيح الترغيب

والترهيب ٢٨٩٨/٣ برقم: ٦٤.

٢- الجواب الكافي ص ٨٦ بتصرف.

وإلا فالإسلام الذي أمر المرأة بالقرار في بيتها وعدم الخروج إلا للحاجة لصيانتها وتطهيرها: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] قد كفل لها نفقتها فيجب على زوجها أن ينفق عليها حتى لو كانت غنية، والبنت ينفق عليها أبوها، فلماذا التزوير والتلفيق والتشويه للإسلام.

**قالت سلمى الحفار الكزبري** - إحدى زعيمات الحركة النسائية المعاصرة -: «عُدْتُ من رحلتي للولايات المتحدة منذ خمسة أعوام وأنا أرثي لحال المرأة التي جرفها تيار المساواة الأعمى فأصبحت شقيّة في كفاحها لكسب العيش، وفقدت حتى حُرّيّتها»<sup>(١)</sup>، فهلا تفتنت نساؤنا لهذا، أما أنهن بحاجة إلى أن يحدن ثم يفقن وقد فقدن الشرف والعفاف، وهدمن كيان وأركان الأسرة المسلمة.

إن على المرأة المسلمة أن تعتر بدينها وطهرها وعفافها وحشمتها، ولتجعل لها من النساء المؤمنات الصادقات الطاهرات من نساء نبينا صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهن ونساء الصحابة والتابعين ومن تبعهم أسوة وقدوة، ولها اليوم في المرأة المسلمة المصرية مروة محمد الشريبي التي قتلت على يد متطرف ألماني داخل قاعة المحكمة، حيث استفزها هذا المتطرف في حديقة عامة في ألمانيا فرفعت فيه دعوى ودخلت المحكمة بحجائها معتزة به فحكمت المحكمة على الخبيث بالغرامة، وفي جلسة استئنافية ينقض عليها أمام الحضور والقضاة ليطعنها ١٨ طعنة يريدها قتيلة والجميع يتفرج وهي حامل في شهرها الثالث، وولدها الذي عمره أربع سنوات يشاهد المنظر، ولما هب زوجها الطبيب المسلم لنجدتها أصيب قتل من قبل رجال الأمن بدعوى الخطأ، وقيل من الجاني<sup>(٢)</sup>، فيسلم المجرم، وتقتل المظلومة، ويصاب زوجها أمام القضاة ووسائل إعلامهم، فكيف دخل هذا القاتل بالسلاح إلى المحكمة، وكيف أتم ١٨ طعنة؟! أين الأمن؟! أين الحاضرون؟! أين القضاة؟! لماذا سككت وسائل إعلامنا عن التغطية التامة والوقوف على تفاصيل هذا الحدث وتوضيحه للناس؟! وانصرفت لتتنقل حالة مأساوية تعيشها امرأة مسلمة في بلاد إسلامية لتجعل من حالتها هذه حجة وسلاحاً للغرب يطعنون به الإسلام، أين الحرية المزعومة؟!، لماذا لم تتسع حريتهم لحجاب امرأة مسلمة!!، أما يكفيننا خداع وتضليل!!، أما يكفي إعلامنا تبعية وعبودية!!

لقد أصبحت الدول تأخذ مخططات الغرب، وتضع منها قوانين وتشريعات، كما حاول البعض وضع مسألة تحديد سن الزواج بالثامنة عشرة، ومن زوج أو تزوج قبله فقد وقع في جرم يعاقب عليه القانون؛ معللين ذلك باضطهادها وهي صغيرة، وعدم صلاحها لذلك في السن المبكر، في حين أن الشرق والغرب يزوج في وسائل الإعلام إلى الفجور والفاحشة، بل في الغرب يعلمون الذكور

١ - مقالات الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله السحيم ٢ / ٦.

٢ - نقلاً عن موقع: almoslim.net، وموقع: www.panet.co.il/online/articles.

والإناث ويحثوهم على ممارسة الجنس والنشاط به من وقت مبكر، إنها والله الدعوة إلى الانحلال والفجور، وإلا كيف تمنع من الزواج بشخص تحت حجة أن الزوج في صغرها يمارس معها العنف؛ لأنها لا تحتل المعاشرة الزوجية في صغرها ثم تدعى إلى ممارسة الفاحشة مع كل من هب ودب ألا تتأثر بذلك؟! أليس من العنف دعوتها إلى الفجور مع كل من راودها، فكيف تحتل ذلك بالفجور دون الزواج؟! ﴿وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

إن اليهود والنصارى ومن سار على نهجهم من الانحلال والسفور وجدوا أن مجتمعاتهم على وشك الانهيار والانقراض بعكس المجتمعات المسلمة، وعندما درسوا هذه الظاهرة وجدوا أن الفجور والانحلال الأخلاقي هو السبب فيما وصلوا إليه، وأن العفة والحشمة والزواج هو سبب صيانة المجتمعات المسلمة، فامتألت قلوبهم حقداً وغلاً على المسلمين، ورأوا أن السبيل إلى فساد مجتمعات المسلمين في فشو الزنا والفاحشة والسبيل إلى ذلك بتأخير الزواج وخروج المرأة ومخالطتها للرجال، فوردوا لها هذه الأفكار، وتبناها بعض العملاء والجهال المغرر بهم مع أنها مخططات تأتينا من الغرب عبر لجان للمرأة وضيقتها التفرغ لتوريد أمثال هذه المخططات المقننة المدروسة، والتي تسعى إلى تمزيق الترابط الموجود في الأسر والمجتمعات في بلاد الإسلام.

### ● عقلاء الغرب يرفضون التبرج

إن عقلاء الغرب يرفضون التبرج والسفور والانحلال والدعوة إليه؛ لما يسببه من ضياع للأسرة، وخراب للأوطان، وتشريد للأطفال، وضياع للعفاف والشرف والكرامة، والهبوط إلى القاع والحظيظ.

قال (سامويل سميلس) -وهو أحد أركان النهضة الإنجليزية-: «إن النظام الذي يقضي بتشغيل المرأة في المعامل-مهما نشأ عنه من الثروة للبلاد- فإن النتيجة كانت هادمة لبناء الحياة المنزلية؛ لأنه هاجم هيكل المنزل، وقوض أركان الأسرة، ومزق الروابط الاجتماعية»<sup>(١)</sup>.

### ● إمبراطور ألمانيا

لما قام إمبراطور ألمانيا (غليوم) بزيارة تركيا، أحب أعضاء جمعية الاتحاد والترقي التركية أن يُظهروا له تمدنهم! فأخرجوا بعض بنات المدارس وهن متبرجات لاستقباله، واستغرب الإمبراطور، وقال للمسؤولين: إني كنت آمل أن أشاهد في تركيا الحشمة والحجاب بحكم دينكم الإسلامي، وإذا بي أشاهد التبرج الذي نشكو منه في أوروبا، ويقودنا إلى ضياع الأسرة، وخراب الأوطان، وتشريد الأطفال!!<sup>(٢)</sup>.

١- مقالات الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله السحيم ٢ / ٦.

٢- المصدر نفسه ١/ ٤١٥.

## ● سفير الدولة العثمانية في بلاد الإنجليز

اجتمع سفير الدولة العثمانية في بلاد الإنجليز مع كبراء الدولة، فقال أحد الكبراء للسفير: لماذا تُصرون على أن تبقى المرأة المسلمة في الشرق الإسلامي متخلفة، معزولة عن الرجال، محجوبة عن النور؟! فرد السفير العثماني -بذكاء وسرعة بديهة-: لأن نساتنا المسلمات في الشرق لا يرغبن أن يَلِدْنَ من غير أزواجهن! فحجل الرجل وسكت، وبُهِت الذي كفر، ولم ينطق ببنت شفه، وتَمَنَّى أنه لم يغمز المسلمين بكلامه<sup>(١)</sup>، فما أحوج أمتنا إلى أمثال هؤلاء الذين يعتزون بدينهم وعقيدتهم وقيمهم وأخلاقهم، ويدافعون عنها، ويرفعون بها رؤوسهم ورؤوسنا.

لقد أصبحت شاشات إعلامنا ساحات عرض تعرض من خلالها المديعات المفتن، فهذه تكشف شعرها وأخرى تضيف صدرها وثالثة تستعرض بضيق ثيابها مفاصل وعضلات جسدها وأخرى تستعرض بجليها على أذنها وصدرها، وأخرى تظهر وربما لا يعرفها أهلها مما وضعت على وجهها وجسدها من أصباغ وألوان، فأين الحياء يا بنات الإسلام؟! أهبذه السهولة صرتن العوبة وذُما للعرض والتسلي والتشهي؟! بل أين آباؤهن وأزواجهن وإخوانهن؟! بل العجيب أن البعض يفخر بظهور محرمة بأمثال هذه الصور؟! فإذا ضاعت عندهم سلطة وعزة الدين فهل بقي لهم نخوة ورجولة؟!!

## ● شركات نقل أم شاشات إفساد

ومن المؤلم والعجيب أن شركات النقل الداخلية والخارجية أصبحت شاشات عرض للمنكرات والفساد، فتجد فيها عددا من الشاشات التي تعرض بما يسمى الأفلام العربية والأجنبية بدون حياء أو أدب أو حجل لا من الله ولا من خلقه، فبعد أن كانت أمثال هذه الشاشات التي تعرض هذه الأفلام للناس تسمى بالسينماء التي لا يرتادها إلا السفهاء، صارت هذه الشركات التي لا هم لها إلا جمع المال والحرص على ما يسمى بما يطلبه المستمعون أشبه بالسينماء المتحركة...

وهذا غيظ من فيض وبعد هذا نستغرب مما نحن فيه من فتنة وبلاء وفرقة وغلاء وتسلط العملاء، وحرمان العلم في أنفسنا وبلداننا، وحرمان الرزق أو البركة فيه، وحرمان الطاعة، ووهن وضعف القلوب والأبدان، ومحقق البركة والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

عن عمرو ابن المهاجر قال: «كنت أسمع عمر بن عبد العزيز كثيراً يتمثل بهذه الأبيات:

إذا كنت في نعمة فارعها      فإن المعاصي تزيل النعم  
ولا تحقرن صغير الذنوب      فإن الإله شديد النقم<sup>(٢)</sup>»

١- الرائد دروس في التربية والدعوة ١٣٨/٣، ومقالات الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله السحيم ٤١٥/١.

٢- تاريخ مدينة دمشق ٧٠/٥٤.

مع كل هذا في الدنيا يلحق العاصي العذاب يوم القيامة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي، قالوا: يا رسول الله ومن أبي؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبي"**<sup>(١)</sup>.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم، فأما هم إمامة، حتى إذا كانوا فحماً أذن بالشفاعة، فجاء بهم ضبائر ضبائر"**<sup>(٢)</sup>، فبشوا على أئمة الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل، فقال: رجل من القوم كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان بالبادية"<sup>(٣)</sup>.

### • وسائل معينة على الخلاص من الذنوب والمعاصي

السبيل إلى الخلاص بالإقلاع عن الذنوب والمعاصي، والحذر منها، ويعين على ذلك الآتي:

١- الحياء من الله عز وجل، والعفة عن محارمه، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"استحيوا من الله حق الحياء، قال: قلنا: يا رسول الله إنا نستحيي والحمد لله، قال: ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء: أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء"**<sup>(٤)</sup>، فيحفظ الرأس عن استعماله في غير طاعة الله، وما وعى أي: جميع الرأس من اللسان والعين والأذن، ويحفظ البطن وما اتصل اجتماعه به من الفرج والرجلين واليدين والقلب، فإن هذه الأعضاء متصلة بالجوف، وحفظها بأن لا يستعملها في المعاصي بل في مرضاة الله.

٢- أن يتذكر الموت وصيرورته في القبر عظاماً بالية، فيتيقن بأن هذه الدنيا وما فيها من ملذات هي بالقطع إلى زوال، وأن الإنسان لا ينفعه يوم القيامة سوى أن يأتي الله بقلب سليم، ولا تتم سلامة القلب حتى يسلم من خمسة أشياء: من شرك يناقض التوحيد، وبدعة تخالف السنة، وشهوة تخالف الأمر، وغفلة تناقض الذكر، وهوى نفس يناقض التجرد من شهوات الدنيا<sup>(٥)</sup>

٢- استحضر العقوبة بالخوف والخشية والرغبة، وأن يضع نصب عينيه أنه لن يفلت من العقاب، وأن هذا العقاب قد يعاجله في الدنيا فتكون معيشته ضنكا، ويرسل عليه أنواعاً أخرى من الهموم

١- رواه البخاري ٢٦٥٥/٦ برقم: ٦٨٥١.

٢- أي يحملون كالأمتعة جماعات منفردين في تفرقة، فيض القدير ١٦٩/٢.

٣- رواه مسلم ١٧٢/١ برقم: ١٨٥.

٤- أخرجه الترمذي ٦٣٧/٤ برقم: ٢٤٥٨، وأحمد ٣٨٧/١ برقم: ٣٦٧١، قال الألباني: «حسن لغيره»، صحيح الترغيب والترهيب ١٤٩/٢ برقم: ١٧٢٤.

٥- انظر: الجواب الكافي لابن القيم ٨٤/١، ٨٥، وتحفة الأخوذ ١٣١/٧.

والبلايا ما يجعله في نكد دائم وحزن مستمر، وإذا أفلت العاصي من عقاب الدنيا فإن عذاب الآخرة أشق، وليعلم أن المؤمن إذا فعل سيئة فإن عقوبتها تندفع عنه بعشرة أسباب: **الأول**: أن يتوب فيتوب الله عليه، **والثاني**: أن يستغفر فيغفر له، **والثالث**: أن يعمل حسنات تمحوها، فإن الحسنات يذهبن السيئات، **والرابع**: أن يدعو له إخوانه المؤمنون، ويستغفرون له حياً أو ميتاً، **والخامس**: أن يهدوا له من ثواب أعمالهم ما ينفعه الله به، **والسادس**: أن يشفع له نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، **والسابع**: أن يبتليه الله تعالى في الدنيا بمصائب تكفر عنه، **والثامن**: أن يبتليه في البرزخ بالصعقة فيكفر بها عنه، **والتاسع**: أن يبتليه في عرصات القيامة من أهوالها بما يكفر به عنه، **والعاشر**: أن يرحمه أرحم الراحمين<sup>(١)</sup>.

٤- التحلي بالعمو والصفح؛ لقوله تعالى: ﴿وَلْيَغْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

٥- الإقلاع الفوري عن الذنوب والمعاصي، ورد المظالم إلى أهلها، والاعتذار عن الإساءات والإهانات التي يكون قد آذى بها غيره، وأول ذلك اجتناب الكبائر، قال تعالى: ﴿إِنْ تَجَسَّبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

٦- الاستغفار والتوبة الصادقة النصوح، وهما الباب الذي لا يغلقه الله في وجه أحد ما لم يغرر، فالله عز وجل يغفر الذنوب جميعاً عدا الشرك، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، وقال صلى الله عليه وسلم: **"التائب من الذنب كمن لا ذنب له"**<sup>(٢)</sup>.

٧- ملازمة الذكر والدعاء والإكثار منهما؛ لأحدهما من موجبات الرحمة، وغفران الذنوب، فيرفعان أسباب العقاب والذي منه التمزق، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يكثر من الدعاء بـ: **"يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك"**<sup>(٣)</sup>، فلندعو الله أن يبعد بيننا وبين المعاصي والفتن والتفرق والتمزق وكيد الأعداء، ويثبتنا على الدين والطاعة.

٨- الابتعاد عن قرناء السوء؛ لأنه لا يجني من ورائهم إلا الخسران، فإن المرء مفطور على التأثر والتأثير؛ لأنه اجتماعي بالطبع وهو كما يقال ابن بيئته، وقد أشار إلى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي موسى رضي الله عنه إذ يقول صلى الله عليه وسلم: **"مثل الجليس الصالح والسوء"**

١- انظر: مجموع الفتاوى ٤٥/١٠.

٢- أخرجه ابن ماجه ١٤١٩/٢ برقم: ٤٢٥٠، حسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٤١٨/٢ برقم: ٣٤٢٧.

٣- أخرجه الترمذي ٤٤٨/٤ برقم: ٢١٤٠، وأحمد ١١٢/٣ برقم: ١٢١٢٨، صححه الألباني في صحيح الترمذي ١٧١/٣ برقم: ٢٧٩٢.

كحامل المسك ونافخ الكبر، فحامل المسك إما أن يحذيك<sup>(١)</sup>، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ربحاً طيبة، ونافخ الكبر إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ربحاً خبيثة<sup>(٢)</sup>، ومن المشاهد أن الماء والهواء يفسدان بمجاورة الجيفة فما الظن بالنفوس البشرية التي موضعها لقبول صور الأشياء خيرها وشرها، فقد قيل سمي الإنس؛ لأنه يأنس بما يراه خيراً أو شراً<sup>(٣)</sup>، وما يصيب الأمة اليوم من الفساد الذي ينخر الدول والحكومات إلا بسبب الحواشي الفاسدة التي تزين للحكام معادة صلحاء العباد، وتمدح سياساتهم الفاسدة في البلاد، والمواقف والآراء المعوجة التي تمزق وتفرق وتهلك الحرث والنسل.

٩- جهاد الشيطان واتخاذ عدواً، فعلى المسلم بعد إقلاعه عن الذنب وتوبته واستغفاره أن يحصن مواقفه حتى لا يخترقها عدوه اللدود وهو الشيطان، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]، وعليه أن يعلم أن هذا العدو اللعين يتخذ من الحيل والأساليب ما يجعله يرتدي ثياب الصديق، فيبذل الكثير من الوعود الكاذبة والأمانى الخادعة، ويدعو أصحابه ليكونوا من أصحاب السعير، ثم لا يغني عنهم فتياً عند القضاء بين العباد.

١٠- التخلص من كل الأسباب والأدوات والوسائل المؤدية إلى الوقوع في المعصية أو المهيجة لها أو المسببة لإثارتها من صور ومجلات وأفلام وأشرطة ورفقة سوء، والابتعاد عن أماكنها.

١١- مجاهدة النفس، ومقاومة المقدمات، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وقال صلى الله عليه وسلم: "المجاهد من جاهد نفسه"<sup>(٤)</sup>.

١٢- أن يجعل الصلة بالله ركناً أساسياً، ومكوناً رئيسياً في شخصيته ونفسيته وحياته.

١٣- الجلوس مع النفس لمحاسبتها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨]، قبل العمل وبعده إذا قصر فيه بحق الله تعالى؛ وحق الله في العمل والطاعة ستة أمور هي: الإخلاص فيه، والنصيحة لله، ومتابعة الرسول، وحصول المراقبة، وشهود منة الله عليه، وشهود تقصيره بعد ذلك كله، فيحاسب نفسه: هل وفي هذه المقامات حقها، وهل أتى بها في هذه الطاعة<sup>(٥)</sup>.

قال الإمام الغزالي: «أعلم أن العبد كما يكون له وقت في أول النهار يشارط فيه نفسه على سبيل التوصية بالحق فينبغي أن يكون له في آخر النهار ساعة يطالب فيها النفس ويحاسبها على جميع

١- يحذيك: يعطيك، شرح النووي لصحيح مسلم ١٦/١٧٨.

٢- أخرجه البخاري ٥/٢١٠٤ برقم: ٥٢١٤، ومسلم ٤/٢٠٢٦ برقم: ٢٦٢٨.

٣- فيض القدير ٥/٥٠٧.

٤- أخرجه الترمذي ٤/١٦٥ برقم: ١٦٢١، وأحمد ٦/٢١ برقم: ٢٤٠٠٤، صحيحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٣١/٢ برقم: ١٢١٨.

٥- انظر: إغاثة اللهفان ١/٨١-٨٢، و موسوعة نظرة النعيم ٨/٣٣١٨-٣٣٢٤.



حركاتها وسكناتها كما يفعل التجار في الدنيا مع الشركاء في آخر كل سنة أو شهر أو يوم حرصاً منهم على الدنيا وخوفاً من أن يفوتهم منها ما لو فاتهم لكانت الخيرة لهم في فواته ولو حصل ذلك لهم فلا يبقى إلا أياماً قلائل فكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلق به خطر الشقاوة والسعادة أبد الآباد ما هذه المساهلة إلا عن الغفلة والخذلان وقلة التوفيق نعوذ بالله من ذلك»<sup>(١)</sup>.

١٤- شغل أوقات الفراغ واستغلالها بما يعود نفعه على الفرد والمجتمع والأمة من قراءة للقرآن والذكر والدعاء وتعلم للعلم ومناقشته ومطالعة للكتب والبرامج النافعة والقيام بأعمال وأنشطة نافعة، فإن الفراغ نعمة إذا استغل، ومفسدة إذا ضيع، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: **"نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ"**<sup>(٢)</sup>، فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط، ومن استعملهما في معصية الله فهو المغبون<sup>(٣)</sup>.

١٥- إدارة الوقت، ويعين في ذلك ما يلي:

أ- التخطيط اليومي من الصباح الباكر، وإن كان في الأمر مشقة في أوله لكنه سيصبح أمراً عادياً مع الاستمرار، يتم من خلال هذا التخطيط وضع أهداف اليوم، والأعمال التي تحتاج إلى إنجاز، وترتيب الأولويات، والأوقات على الأعمال، ووضع برنامج لأوقات الفراغ؛ لأن الفراغ إذا لم يستغل فهو فساد ومفسدة.

ب- وضع جدول للأعمال اليومية ليتذكرها به، ويوزع من خلاله أوقات الأعمال، وترتب به الأعمال بحسب أولوياتها، ويستحسن وضعه في مفكرة للأعمال اليومية، وعدم المبالغة في تقدير الأوقات للأعمال، وشغل أوقات الفراغ، وعدم شغل الجدول بأعمال كثيرة يعجز عن القيام بها فيصاب بإحباط، وليكن فيه مرونة لمواجهة الظروف غير المتوقعة، والمبادرة إلى تنفيذه.

ج- المبادرة إلى تنفيذ الأعمال وعدم التأخير والحذر من التسويف؛ فإنك بيومك ولست بغد، فإن يك غداً لك فكسر في غد كما كسرت في اليوم، وإلا يكن لك غد لم تندم على ما فرطت في اليوم<sup>(٤)</sup>.

د- ترك الخوض في فضول الأعمال واللغو والعبث لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"**<sup>(٥)</sup>.

١- إحياء علوم الدين، ٤/٤٠٥.

٢- أخرجه البخاري ٢٣٥٧/٥ برقم: ٦٠٤٩.

٣- فتح الباري ١١/٢٣٠.

٤- قصر الأمل ١/١٤٤.

٥- أخرجه الترمذي ٥٥٨/٤ رقم: ٢٣١٧، وابن ماجه ١٣١٥/٢ رقم: ٣٩٧٦، صحيحه الألباني في صحيح ابن ماجه ٢/٣٦٠ رقم: ٣٢١١.

## • وسائل للاستفادة من الفراغ

- أ- وضع مصحف صغير في الجيب لاستثمار أوقات الفراغ في قراءة القرآن ومراجعته.
- ب- اصطحاب بعض الكتيبات النافعة لاستثمار أوقات الفراغ في قراءتها.
- ت- الالتزام ببرنامج للقراءة اليومية خلال أوقات الفراغ.
- ث- المشاركة في برامج نافعة، كالدورات العلمية والتدريبية، والأنشطة والمراكز العلمية ونحوها.
- ج- الحذر من أهل البطالة الذين لا هم لهم إلا إضاعة الأوقات، فهم من أضيع الناس للزمن، وأكثرهم تعطيلًا للعقل، وأسوأ الناس لصاحب وأهدرهم لطاقة<sup>(١)</sup>.
- ١٦- عمل استبيان يسجل فيه الأسباب التي تؤدي إلى الوقوع في المعاصي وإضاعة الأوقات والعمل على معالجتها بجدية وحزم.
- ١٧- اعتماد مبدأ (ماذا استفدنا من مجلسنا هذا) في كل مجلس يجلس فيه.
- ١٨- تربية الأجيال تربية تتكامل فيها جميع جوانب الشخصية المسلمة العقيدية والفكرية والسلوكية، وذلك يتضمن:
  - أ- إعداد الأفراد في محاضن تربوية ذات منهج يكفل تأسيس جوانب الشخصية المسلمة.
  - ب- اكتشاف مهارات الأفراد وتنميتها، والتعرف على مواهبهم واستثمارها، وغرس حب القيم الأخلاقية والتربوية للشريعة الإسلامية في نفوسهم.
  - ت- ترسيخ مبدأ حب الطاعة والفضيلة والتعاون على القيام به ونشره.
  - ث- معالجة الآفات السلوكية، وتركيز النفوس وتنقيتها من الأمراض المسببة للوقوع في المعاصي.
  - ج- ترسيخ مبدأ البغض للمعصية والرديلة والحذر منها أو التعلق بها أو بأهلها وحبهم.
  - ح- إحياء وترسيخ مبدأ الرقابة عند المربين والجهات المربية.
  - خ- بناء المجتمع المسلم الذي يعيش للإسلام ويحمل هم العمل به وتطبيقه، مجتمع يسود فيه مبادئ الإسلام ويتعامل بأخلاقه وقيمه، ويحتكم إلى شريعته.
  - د- التشجيع على إقامة الأسرة المسلمة المتماسكة.
- ١٩- مناصحة ولادة الأمور والتعاون معهم على البر والتقوى وتكثير سبل الخير في المجتمع.
- ٢٠- توجيه الإعلام لخدمة الأمة ومناصرة قضاياها والتعريف بعقيدتها وقيمتها ومبادئها وأخلاقها
- ٢١- أن يقوم العالم الإسلامي بكافة فئاته وطوائفه على العمل من أجل نشر الفضائل والحد من انتشار الرذائل، والمحافظة على القيم الأخلاقية، وغرسها في قلوب الجيل والنشء، وتربيتهم عليها، وعلى وجه الخصوص تلك الفئات التي تتعامل بطريقة مباشرة في مجال بناء الإنسان، كالمعلمين

١- الرائد دروس في التربية والدعوة ٤/ ٢٩٧- ٢١٣.

والمربين الذين يشكلون القدوة لأبنائنا في المدارس عبر مساحات العالم الإسلامي، ولهم تأثير واسع وكبير في بناء شخصيات هؤلاء الأبناء، وكالإعلاميين والذين لهم دور بارز وخطير في التعليم والتربية، وفي مجال التأثير المباشر وغير المباشر عبر وسائل الاتصال الحديثة والمتنوعة، والتي جعلت من العالم كله كقرية صغيرة، والدعاة أصحاب التأثير الخطير في مجال الاتصال بال جماهير، والذين يعتبرهم الناس أهل علم الإسلام، والقدوة الاجتماعية، ويزداد هذا العمل أهمية بالنسبة لهم فيما يواجه المجتمع الإسلامي من تحديات، وأولياء الأمور خاصة في العصر الذي نعيشه الذي يتسم بسرعة التغيير وسرعة الاتصال، وما يشوب وسائل الاتصال والتربية من شوائب، تتطلب من أولياء الأمور وعيا راشداً.

٢٢- معاقبة النفس على المعاصي بعقوبات مالية، فإذا وقع في معصية أخرج مبلغاً وتصدق به لجهة خيرية كفارة لذنبه، وهكذا كلما وقع في ذنب؛ لأن النفوس مجبولة على حب المال والشح به، قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠] وإذا أدبت بفقده فلعل ذلك يكون رادعاً لها.

٢٣- الثقة برحمة الله تعالى وسعة عفوه، فإنه تعالى كتب على نفسه الرحمة.

٢٤- إنشاء وإقامة المؤسسات الدعوية الحكومية وغير الحكومية، التي تعمل على نشر الفضيلة، ومحاربة الرذيلة، لا محاربة الفضيلة والسعي في نشر الرذيلة.

٢٥- المسارعة إلى عقد الصلح مع الله تعالى لا محاربة دينه وشرعية نبيه صلى الله عليه وسلم.

## المبحث الثاني: وفيه السبب الثالث وهو انتشار الجهل

إن الجهل<sup>(١)</sup> يورد المهالك، ويجلب المصائب والفتن، والبلايا والحن، ويفسد ولا يصلح، ويخرب ولا يعمر، ويذل عزيز القوم، والمعصية أثر من آثاره وثمره من ثماره، شر أنواعه ما كان صاحبه لا يعلم بجهله، وشر منه من كان يظن أنه على ما فيه عالم<sup>(٢)</sup>، وهو مرض وبيل وداء وخيم<sup>(٣)</sup>، وبظهوره تظهر الفتن ويتسع انتشارها وتكثر الفوضى وتركب المعاصي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"يقبض العلم ويظهر الجهل والفتن ويكثر الهرج قيل: يا رسول الله وما الهرج؟ فقال: هكذا بيده فحرفها كأنه يريد القتل"**<sup>(٤)</sup>، وعنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"يوشك أن لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتظهر الفتن، ويكثر الكذب، ويتقارب الزمان، وتتقارب الأسواق، ويكثر الهرج" قيل: وما الهرج؟ قال: القتل"**<sup>(٥)</sup>، وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل ويشرب الخمر ويظهر الزنا"**<sup>(٦)</sup>، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: **"لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل القتل حتى يكسر فيكم المال فيفرض"**<sup>(٧)</sup>.

١ - الجهل في اللغة: خلاف العلم.

قال ابن فارس: «جهل: الجيم والهاء واللام أصلان: أحدهما: خلاف العلم، والآخر: الخفة وخلاف الطمأنينة، فالأول: الجهل نقض العلم، ويقال للمفازة التي لا علم بها مجهل... والمجهلة: الأمر الذي يملك على الجهل» معجم مقاييس اللغة ٤٨٩/١، ٤٩٠. أما في الاصطلاح فهو عدم العلم عما من شأنه العلم، فإن قارن ذلك اعتقاد النقيض فهو جهل مركب، وهو المراد بالشعور بالشيء على خلاف ما هو به، وإلا فبسيط وهو المراد بعدم الشعور، انظر: الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة لابن نجيم ص ٣٠٣. قال الإمام الجرجاني: «الجهل هو اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه واعتراضوا عليه بأن الجهل قد يكون بالمعدوم وهو ليس بشيء والجواب عنه إنه شيء في الذهن»، التعريفات ١٠٨/١.

قال الإمام المناوي: «الجهل التقدم في الأمور المنبهمه بغير علم»، التعاريف ٢٦٠/١.

٢ - أنواع الجهل: ذكر الإمام الجرجاني بأن الجهل ينقسم إلى قسمين: جهل بسيط، وجهل مركب: أما الجهل البسيط: فهو عدم العلم عما من شأنه أن يكون معلوماً، وأما الجهل المركب: هو عبارة عن اعتقاد جازم غير مطابق للواقع، انظر: التعريفات ١٠٨/١. وقال الراغب: «الجهل على ثلاثة أضرب: الأول: وهو خلو النفس من العلم هذا هو الأصل وقد جعل ذلك بعض المتكلمين معني مقتضياً للأفعال الجارية على غير النظام، والثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه، والثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً أو فاسداً كمن يترك الصلاة متعمداً وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوءاً قَالِ أَعِزُّدُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧]»، المفردات في غريب القرآن ١٠٢/١.

٣ - نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٩/ ٤٣٨٩.

٤ - رواه البخاري ٤٤/١ برقم: ٨٥، ومسلم ٢٠٥٦/٤ برقم: ١٥٧، وهذا لفظ البخاري.

٥ - رواه ابن حبان ١٥/١١٣ برقم: ٦٧١٨، قال شعيب الأرناؤوط: «إسناده صحيح».

٦ - رواه البخاري ٤٣/١ برقم: ٨٠، ومسلم ٢٠٥٦/٤ برقم: ٢٦٧١.

٧ - رواه البخاري ٣٥٠/١ برقم: ٩٨٩.

قال ابن القيم: «فأصل كل خير هو العلم والعدل وأصل كل شر هو الجهل والظلم»<sup>(١)</sup>. بالجهل تتمزق الصفوف، وتتفرق الكلمة، وتتنافر القلوب، ويكثر التشاحن والتباغض والتدابير والتقاطع:

والجهل داء قد تقادم عهده في العالمين ولا يزال عضالاً  
لولا الجهالة لم يكونوا كلهم إلا خلائق إخوة أمثالاً<sup>(٢)</sup>

### • جهل الحاكم والمحكوم

إن جهل الحكام بواجبهم الذي نصبوا من أجله وهو حماية الدين وسياسة الدنيا به، وجهلهم بما يجب للشعوب عليهم من السعي في تحقيق النظام ورفع الفوضى والعشوائية، وتوفير الأمن لهم في أنفسهم وأمواهم ومن ذلك الأمن الغذائي الذي لا يتحقق الأمن ولا يوجد بغيابه، ولهذا أمتن الله على قريش بتحقيق الأمنين: الأمن من الخوف والأمن الغذائي من الجوع فقال سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤]، وتحقيق الحياة الكريمة لمواطنيهم، وبأنهم وكلاء عن الشعوب وليس للوكيل أن يتصرف في غير ما وكل فيه، وأن تصرفاتهم في شعوبهم منوطة بالمصلحة، وأن للشعوب الحق في الاحتساب عليهم وتقويم اعوجاجهم.

وجهل الشعوب بما يجب عليها تجاه حكامها من الطاعة بالمعروف في غير معصية؛ لأن الناس في طاعة الحكام بين إفراط وتفريط: فقسم أعلن الطاعة المطلقة العمياء حتى رأى أن الوقوف بكلمة الحق في وجه الحاكم الظالم من الخروج عليه، وقسم آخر أعلن العصيان والتمرد حتى لو أمر الحاكم بما فيه خير حمله على شر محمل وأبى الانصياع إليه، والحق مع فريق هم وسط بين هذين الطرفين يسمع ويطيع في المعروف من غير ظلم ومعصية، فإن أمر بمعصية أو ما فيه ظلم فلا سمع ولا طاعة في ذلك الأمر، وكذلك جهل الشعوب بالصفات الواجب توفرها في الشخص حتى يكون أهلاً لتولي هذا المنصب<sup>(٣)</sup>، وأن من واجبه نصر المظلوم والأخذ على يد الظالم وإن كان حاكماً.

١- إغاثة اللهفان ١٣٧/٢.

٢- ديوان خليل جبران ١٧٢٩/١.

٣- قال الماوردي: «وأما أهل الإمامة فالشروط المعتبرة فيهم سبعة: أحدها: العدالة على شروطها الجامعة [وهي خمسة: الإسلام، والبلوغ، والعقل، والسلامة من الفسق -وهو ارتكاب كبير، أو إصرار على صغيرة- والسلامة مما يجرم المروءة، انظر: شرح التبصرة والتذكرة، ١٠٤/١]، والثاني: العلم المؤدي إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام، والثالث: سلامة الخواص من السمع والبصر واللسان ليصح معها مباشرة ما يدرك بها، والرابع: سلامة الأعضاء من نقص يمنع عن استيفاء الحركة وسرعة النهوض، والخامس: الرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح، والسادس: الشجاعة والنجدة المؤدية إلى حماية البيضة وجهاد العدو، والسابع: النسب وهو أن يكون من قريش لورود النص فيه وانعقاد الإجماع عليه» الأحكام السلطانية، ٦/١، وقال ابن قدامة: «وينبغي أن يكون الحاكم قوياً من غير عنف، ليناً من غير ضعف، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، ويكون حليماً متأنياً ذا فطنة وتيقظ، لا يؤدي من غفلة، ولا

وجَهل الطرفين-أي: الحكام والمحكومين- بجرمة سفك الدم، وبأن الأعداء يلعبون بكل طرف ويحرضونه على الآخر ويدعمونه لمواجهة الآخر، حتى أصبح من أهداف الغرب الآن تعمد إيجاد الأنظمة المستبدة الظالمة الجاهلة ومن ثم الضغط عليها للقيام بتجهيل شعوبها؛ لتضرب الحكام بالشعوب والشعوب بالحكام، وبسبب جهل الجميع بما يجب لهم وعليهم فمن السهل إشعال نار الفتنة وإثارة الشبهات والقلال التي تموج وتعصف بالبلاد والعباد؛ لأن البيئة الجاهلة أخصب بيئة لإثارة الفتنة فيها:

هذا الزمان زمان الجهل والفتن فانظر إلى ما فشا في الناس من نتن  
يغمى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن<sup>(١)</sup>

### • أعظم الجهل والتجهيل

وإن من أعظم الجهل والتجهيل اليوم الحرب ضد تعليم الدين، وسياسة تجهيل الشعوب بالإسلام تحت ستار مكافحة الإرهاب، ومن مظاهر ذلك تغيير المناهج وتقليص مواد الدين في كثير من البلاد، وغلق المعاهد والمدارس الشرعية والعلمية، ومضايقة أهل السنة ودعم أهل البدعة، ونحو ذلك مما يساهم في إبعاد الناس عن العلم الشرعي<sup>(٢)</sup>.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "سيلي أموركم بعدي رجال يطفئون السنة ويعملون بالبدعة ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فقلت: يا رسول الله إن أدركتهم كيف أفعل؟ قال: تسألني يا ابن أم عبد كيف تفعل؟ لا طاعة لمن عصى الله"<sup>(٣)</sup>.

لقد أصبنا بإخفاق مشاريعنا التعليمية؛ لغياب الهدف والوجهة لدى الواضعين للبرامج التعليمية، وربط التعليم بالوظيفة، وآفة الاختلاط بين الذكور والإناث مما أوجد في المدارس ظروفاً أبعد ما تكون عن ظروف الطلب، وسيادة التزعة المادية إذ غلبت المطالب المادية على المطالب الفكرية والروحية مما أدى إلى تراجع قيمة طالب العلم الاجتماعية بالمقارنة مع أصحاب المال، ففي مجتمعاتنا إذا كان الشخص ذا مال وثروة فلا ضير أن يكون أمياً جاهلاً، وفي المقابل لا قيمة للشخص وإن حصل على أعلى الدرجات العلمية ما دام عاطلاً، والتباين الثقافي بين الحكام والمحكومين في البلدان الإسلامية، وهذا العامل لا يعود بالضرر على التعليم فقط، بل على جميع مناحي الحياة، بل هو أم المشاكل عند المسلمين في هذا العصر، والاستغلال السياسي للتعليم؛ مما يؤدي إلى مفاسد كثيرة منها:

---

يخدع لغرة، صحيح السمع والبصر، عالماً بلغات أهل ولايته، عفيفاً ورعاً نزهاً بعيداً عن الطمع، صدوق اللهجة ذا رأي ومشورة، لكلامه لين إذا قرب، وهيبة إذا أوعد، ووفاء إذا وعد، ولا يكون جباراً ولا عسوفاً فيقطع ذا الحجة عن حجته» المغني، ١٠/٩٥.

١- الثقافة التي نحتاج إليها ٩/١.

٢- الوقت وأهميته في حياة المسلم ٨٦/٢.

٣- رواه ابن ماجه ٩٥٦/٢ برقم: ٢٨٦٥، صحيحه الألباني في صحيح ابن ماجه ١٤٢/٢ برقم: ٢٣١٤.

١- تشكيل البرامج بما يتماشى مع أيديولوجية الحاكم، والحاكم غالباً لا يتبنى قضايا الأمة ولا يحمل همومها.

٢- الإصرار على تجهيل الشعوب، خوفاً من أن تثور على الحاكم، ومن ثم العمل على أن يبقى التعليم صورياً فقط.

٣- تهميش الدين الذي يُصلح الأفراد ويُحرر العقول من أسر التبعية والاستسلام.

٤- تدخل الدول المستعمرة في تشكيل البرامج التعليمية في الدول المستعمرة<sup>(١)</sup>.

إن الحكام وكل من يساندتهم في تطبيق سياسة تجهيل الشعوب هم جهال ومغرر بهم، أو أصحاب أهواء ومصالح شخصية:

جَهَلْتِ فَعَادَيْتِ الْعُلُومَ وَأَهْلَهَا      كَذَاكَ يَعَادِي الْعِلْمَ مَنْ هُوَ جَاهِلُهُ  
وَمَنْ كَانَ يَهْوَى أَنْ يُرَى مُتَصَدِّراً      وَيَكْرَهُ لَا أُدْرِي أَصَبِيَتْ مَقَاتِلُهُ<sup>(٢)</sup>

### ● أحوال وعقوبة أهل الجهل في الحال والمآل

إن أهل الجهل الذين جمعوا بين الجهل بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والظلم باتباع أهوائهم يصدق فيهم قوله تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣]، وهؤلاء قسمان:

أحدهما: الذين يحسبون أنهم على علم وهدى وهم أهل الجهل والضلال، فهؤلاء أهل الجهل المركب الذين يجهلون الحق ويعادونه ويعادون أهله، وينصرون الباطل ويوالون أهله وهم يحسبون أنهم على شيء وهم كاذبون كما قال الله تعالى: ﴿وَيَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [المجادلة: ١٨]، فهم لاعتقادهم الشيء على خلاف ما هو عليه بمتزلة رائني السراب - ما يرى في الفلاة المنبسطة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الأرض كأنه ماء يجري - الذي يحسبه الظمآن في القاع المنبسط من الأرض الذي لا جبل فيه ولا واد ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، كما قال الله تعالى عن الذين كفروا: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩] وهكذا هؤلاء أعمالهم وعلومهم بمتزلة السراب الذي يخون صاحبه أحوج ما يكون محتاجاً إليه، ولم يقتصر على مجرد الخيبة والحرمان كما هو حال من قصد السراب فلم يجده ماء بل انضاف إلى ذلك أنه وجد عنده أحكم الحاكمين وأعدل العادلين سبحانه وتعالى فحسب له ما عنده من العلم والعمل فوفاه إياه بمثاقيل الذر، وقدم إلى ما عمل من عمل يرجو نفعه فجعله هباء

١- مجلة البيان ٢١٣ / ٩.

٢- ديوان ابن دريد ٩٨ / ١.

منثوراً؛ إذ لم يكن خالصاً لوجهه ولا على سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وصارت تلك الشبهات الباطلة التي كان يظنها علوماً نافعة كذلك هباءً منثوراً فصارت أعماله وعلومه حشرات عليه.

**الثاني:** أصحاب الظلمات وهم المنغمسون في الجهل بحيث قد أحاط بهم من كل وجه فهم بمنزلة الأنعام بل هم أضل سبيلاً، فهؤلاء أعمالهم التي عملوها على غير بصيرة بل بمجرد التقليد واتباع الآباء والأهواء من غير نور من الله تعالى كظلمات عديدة وهي: ظلمة الجهل، وظلمة الظلم واتباع الهوى، وظلمة الشك والريب، وظلمة الإعراض عن الحق الذي بعث الله تعالى به رسوله صلوات الله وسلامه عليهم والنور الذي أنزله معهم ليخرجوا به الناس من الظلمات إلى النور، فإن المعرض عما بعث الله تعالى به محمداً صلى الله عليه وسلم من الهدى ودين الحق يتقلب في خمس ظلمات: ظلمة قوله، وظلمة عمله، وظلمة مدخله، وظلمة مخرجه، ومصيره إلى الظلمة، فقلبه مظلم، ووجهه مظلم، وكلامه مظلم، وحاله مظلم، وإذا قابلت بصيرته المظلمة ما بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم من النور جد في الهرب منه وكاد نوره يخطف بصره فهرب إلى ظلمات الآراء التي هي به أنسب وأولى كما قيل:

**خفافيش أعشاها النهار بضوئه ووافقها قطع من الليل مظلم**

فإذا جاء إلى زبالة الأفكار ونخالة الأذهان جال ومال وأبدى وأعاد وقعقع وفرقع فإذا طلع نور الوحي وشمس الرسالة انحجر في حجرة الحشرات<sup>(١)</sup>.

### • أنواع الجهال وكيفية التعامل معهم

قال الراغب: «الإنسان في الجهل على أربعة منازل:

**الأول:** من لا يعتقد اعتقاداً لا صالحاً ولا طالحاً، فأمره في إرشاده سهل إذا كان له طبع سليم، فإنه كلوح أبيض لم يشغله نقش، وكأرض بيضاء لم يلق فيها بذر، ويقال له باعتبار العلم النظري: غفل، وباعتبار العلم العملي: غمر، ويقال له: سليم الصدر.

**والثاني:** من يعتقد رأياً فاسداً لكنه لم ينشأ عليه، ولم يترب به، واستتراله عنه سهل، وإن كان أصعب من الأول، فإنه كلوح يحتاج فيه إلى محو وكتابة، وكأرض يحتاج فيها إلى تنظيف، ويقال له: غاو وضال.

**والثالث:** من يعتقد رأياً فاسداً قد ران على قلبه، وتراءت له صحته، فركن إليه لجهله وضعف تحيزته، وقد صفهم الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢] فهذا ذو داء أعيا الأطباء، فما كل داء له دواء، فلا سبيل إلى تنبيهه وتهذيبه، كما قيل لحكيم يعظ شيخاً جاهلاً: ما تصنع؟ فقال: أغسل مسحاً لعله يبيض.

١- اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ١/١٥-١٧، بتصرف.



**والرابع:** من يعتقد اعتقاداً فاسداً عرف فسادَه، أو تمكن من معرفته، لكنه اكتسب دنية لرأسه، وكرسياً لرئاسته، فهو يحامي عليها، فيجادل بالباطل ليدحض به الحق، ويذم أهل العلم ليجر إلى نفسه الخلق، ويقال له: فاسق ومنافق، وهو من الموصوفين بالاستكبار والتكبر في نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ رُؤُسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ [المنافقون: ٥] فنبه تعالى أنهم ينكرون ما يقولونه لمعرفة بطلانه، لكن يستكبرون عن التزام الحق وذلك حال إبليس فيما دعي إليه من السجود لآدم عليه السلام»<sup>(١)</sup>.

<sup>١</sup> - انظر: نضرة النعيم ٤٣٦٨/٩، نقلاً عن الذريعة في إلى مكارم الشريعة ١٣١، ١٣٢.

## دور العلم والعلماء في رفع الجهل وتحقيق الوحدة وتشبيتها

### أولاً: دور العلم في رفع الجهل وتحقيق الوحدة وتشبيتها

إن العلم هادٍ به يهتدي الجاهل والضال، وبنوره يتلاشى ويزول جهل الجاهل وضلال الضال؛ لأنه تركة الأنبياء وتراثهم، وأهله عصبتهم ووراثتهم، وهو حياة القلوب، ونور البصائر، وشفاء الصدور، ورياض العقول، ولذة الأرواح، وأنس المستوحشين، ودليل المتحيرين، والسلاح على الأعداء، وهو الميزان الذي به توزن الأقوال والأعمال والأحوال، وهو الحاكم المفرق بين الشك واليقين والغبي والرشاد والهدى والضلال، به يعرف الله ويعبد ويذكر ويوحد ويحمد ويمجد، وبه اهتدى إليه السالكون، ومن طريقه وصل إليه الواصلون، ومن بابه دخل عليه القاصدون، به تعرف الشرائع والأحكام، ويتميز الحلال من الحرام، وبه توصل الأرحام، وبه تعرف مرضي الحبيب، وبعرفتها ومتابعتها يوصل إليه من قريب، وهو إمام والعمل مأموم، وهو قائد والعمل تابع، وهو صاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والأنيس في الوحشة، والكاشف عن الشبهة، والغني الذي لا فقر على من ظفر بكتره، والكنف الذي لا ضيعة على من آوى إلى حرزه، مذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وطلبه عبادة وقربة، وبذله صدقة، ومدارسته تعدل بالصيام والقيام، والحاجة إليه أعظم منها إلى الشراب والطعام؛ لأن الرجل يحتاج إلى الطعام والشراب في اليوم مرة أو مرتين وحاجته إلى العلم بعدد أنفاسه<sup>(١)</sup>، فالعلم أساس صحة الاعتقادات والعبادات، وهو دليل حب الخير للآخرين لحرص صاحبه على إخراج الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم، وبه يعم النفع إذ ينتفع به صاحبه وينتفع به غيره ممن علمه، ويورث الخشية لله والتواضع للخلق، ويورث صاحبه أعلى المراتب بعد الأنبياء، ويرفع الوضع ويعز الذليل ويجبر الكسير، وهو الطريق الموصل إلى الجنة، ويبقى أجره بعد انقطاع أجل صاحبه، وهو صمام الأمان للأمم والشعوب من القلاقل والفتن والتمزق والخن لهذا كان العالم أضر على الشيطان من العابد، والعلم هو طريق الرقي والفلاح في الدنيا والآخرة<sup>(٢)</sup>.

### قال الإمام الشافعي:

تَعْلَمُ فَلَيْسَ الْمَرْءُ يُولَدُ عَالِمًا      وَلَيْسَ أَحَدٌ عِلْمٌ كَمَنْ هُوَ جَاهِلٌ  
وَإِنْ كَبِيرَ الْقَوْمِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ      صَغِيرٌ إِذَا تَفَقَّتْ عَلَيْهِ الْجَحَافِلُ  
وَإِنْ صَغِيرَ الْقَوْمِ إِنْ كَانَ عَالِمًا      كَبِيرٌ إِذَا رُدَّتْ إِلَيْهِ الْحَافِلُ<sup>(٣)</sup>

### وقال آخر:

١- انظر: مدارج السالكين لابن القيم ٤٦٩/٢، ٤٧٠، بتصرف، ٢٦٢/٣.

٢- موسوعة نضرة النعيم ٢٩٨٢/٧، بتصرف.

٣- ديوان الإمام الشافعي ٨٨/١.

والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه كما يجلي سواد الظلمة القمر  
وليس ذو العلم بالتقوى كجاهلها ولا البصير كأعمى ماله بصر<sup>(١)</sup>

### وقال آخر

العلم يُحيي قلوب الميّتين كما تحيا البلاد إذا مَسَّها المطرُ  
والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه كما يُجلى سواد الظلمة القمر<sup>(٢)</sup>

### وقال آخر:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله فأجسادهم دون القبور قبور  
إن امرأ لم يحيي بالعلم صدره فليس له حتى النشور نشور<sup>(٣)</sup>  
إن العلم ينحي من المهالك، وبه تدفع الفتن، وتعالج البليات والحن، وتجمع الصفوف، وتوحد  
القلوب؛ لأنه السبيل إلى معرفة الدواء النافع والبلسم الشافي لرفع وإزالة كل الأسباب التي تؤدي إلى  
التفرق والتمزق بل هو الدواء النافع والبلسم الشافي بنفسه إذ به يرفع الجهل، ويعرف الخطر المترتب  
على مخالفة الشريعة، والوقوع في الذنوب والمعاصي، والإعراض عن شكر النعمة، والظلم، والدعوة  
إلى العصية والمناظرة، والخروج بالسلاح، والتآمر الخارجي من أعداء هذه الأمة عليها، وحرصهم  
على تفريقها وتشتيئها، وبه تعرف كل الوسائل والسبل للوقاية من كل ذلك، وبذلك كان للعلم الأثر  
البالغ في تحقيق الأمن والاستقرار وإرساء العدل والمساواة وتحقيق الأخوة والوحدة وتثبيتها.

لقد سمى الله سبحانه وتعالى العلم الذي بعث به رسوله صلى الله عليه وسلم نوراً وهدى وحياة،  
وجعله روحاً لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح، ونوراً لما يحصل به من الهدى والرشاد، بينما  
سمى ضده ظلمة وموتاً وضلالاً، قال الإمام ابن القيم: «والجهل نوعان: جهل علم ومعرفة... وجهل  
عمل وغبي، وكلاهما له ظلمة ووحشة في القلب، وكما أن العلم يوجب نوراً وأنساً فضده يوجب  
ظلمة ويوقع وحشة، وقد سمى الله سبحانه وتعالى العلم الذي بعث به رسوله نوراً وهدى وحياة،  
وسمى ضده ظلمة وموتاً وضلالاً، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى  
النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقال  
تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ  
بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ \* يَهْدِي بِهِ اللَّهُ  
مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ

١- جامع بيان العلم وفضله ٥٠، ٤٩/١

٢- العقد الفريد ٧٣/٢.

٣- معجم الأدباء، ٣١٤/٤.

**مُسْتَقِيمٌ ﴿[المائدة: ١٥-١٦]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]، وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، فجعله روحاً لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح، ونوراً لما يحصل به من الهدى والرشاد»<sup>(١)</sup>.**

فمضى وُجد العلم تبدد ظلام الجهل واضمحل، ومتى اضمحل الجهل وتبدد وذهب انقشعت معه سحابة الفتنة التي تفرق وتمزق وتدمر وتهلك ليعقبها نور العلم الذي يوفق ويوحد ويجمع ويؤلف.

### ثانياً: دور العلماء في رفع الجهل وتحقيق الوحدة وتثبيتها

لقد سبق لنا التعرف على أن العلم تحصل به النجاة من المهالك، وبه تدفع الفتن، وتعالج البلايا والخن، وتجمع الصفوف، وتوحد القلوب؛ لأنه السبيل إلى معرفة الدواء النافع والبلسم الشافي لرفع وإزالة كل الأسباب التي تؤدي إلى التفرق والتمزق والفتن، بل هو الدواء النافع والبلسم الشافي بنفسه، فبه تعرف كل الوسائل والسبل للوقاية من كل ذلك، وبذلك كان له الأثر البالغ في تحقيق الأمن والاستقرار وإرساء العدل والمساواة وتحقيق الوحدة وتثبيتها عبر التاريخ لما كان له الكلمة المسموعة والرأي النافذ، ومن المعلوم أن العلماء هم حملة هذا العلم وأهله والعارفون به والمطالعون لأسراره والغائصون في بحوره والمستخرجون لكنوزه والمتفانون في تحصيله، وبالتالي كان العلماء الربانيون العاملون المخلصون الصادقون هم الطبيب الحاذق الذي يعرف الدواء النافع والبلسم الشافي لكل فتنة تحدث في الداخل أو تأتي من الخارج؛ لما يحملونه من نور العلم الذي تحصل به الهداية والرشاد، وتحيا به الأرواح والأبدان.

لقد كان لعلماء المسلمين دور كبير في جميع عهود التاريخ الإسلامي في الدعوة إلى لم الشمل والوحدة والأخوة، فمنذ سقوط الدولة العامرية<sup>(٢)</sup> في الأندلس وتفرقها إلى طوائف ارتفعت أصوات العلماء بالدعوة إلى الوحدة؛ إدراكاً منهم للخطر الذي يتهدد المسلمين من التفرق والتمزق<sup>(٣)</sup>.

ويعتبر غياب دور العلماء عن الساحة في كثير من البلاد الإسلامية غياباً كلياً أو نسبياً من ضمن الأسباب التي تساعد على وقوع التمزق والتفرق وحصول الفتن إذ بغياهم يغيب العلم وبغيابه يظهر الجهل ويشيع وينتشر، وبشيوعه وانتشاره تظهر جميع الأسباب التي تشعل نيران الفتن؛ لأن غياب

١- مدارج السالكين، ٣/ ١٦٣.

٢- الدولة العامرية (مملكة بلنسية شرقي الأندلس) أسسها أبو الجيش مجاهد بن عبدالله العامري سنة اثني عشرة وأربعمئة واستمرت حتى سنة ثمان وسبعين وأربعمئة هجرية، علوم القرآن عند ابن عبد البر ٢١/١.

٣- مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ٣٢/ ٣٦٠.

العلم والعلماء عن الساحة يجعلها بيئة خصبة ومستنقعاً مناسباً لكل الجرائم والطفيليات الداخلية والخارجية التي تذكي نار الفتنة وتشعلها، فلا بد إذن من إعادة دورهم، ويعتمد ذلك على ما يلي:

١- أن ينبري العلماء لهذا الدور بالإخلاص لله، والقيام بواجبهم تجاه الحكام بالمناصحة، وتجاه عموم المجتمع بالتربية والتوجيه والإرشاد، وأن تخص فئة الشباب بمزيد التربية والعناية؛ لأن فئة الشباب أكثر الفئات تأثراً وتأثيراً، وكثيراً ما نجد أن هذه الفئة يكون لها دور كبير في كثير من الأحداث إذ أنها فئة قابلة للنشاط فكرياً وبدنياً، وكثيراً ما يستهدفها الناشطون وأصحاب المنظمات والحركات، وبسبب عدم النضوج الفكري وغياب الخبرة ووجود الاندفاع والحماسة من هذه الفئة للمبادئ والأفكار التي يتم تلقيها تستغلها المنظمات في إمرار أفكارها ومخططاتها بعد أن تجرى لهم دورات لصياغة وصناعة أفكارهم، بل نجد شريحة كبيرة من هذه الفئة يكفيها التأثير بالشعارات الظاهرة البراقة لإثارة حماسها وحميتها للاستفادة من طاقاتها في تحقيق الأهداف، ومثل هذا الأمر تضل به أكثر فئات المجتمع حتى بعض الدعاة الغير ضالعين في العلم ربما استغلوا في أمثال هذه الظروف، بل ربما أوقعوا في الدعوة إلى مثل ذلك متأثرين بظاهر الأمر الذي يُنزِلونه على الواقع المحيط بهم، لكن العلماء العاملين المخلصين والراسخين في العلم الغائضين في بحوره والمستخرجين لكنوزه يدركون المخاطر التي تدور من حولهم، ولا تخدعهم تلك الشعارات البراقة؛ لأنهم أكثر الناس وقوفاً مع الأحداث ومعرفة لتاريخ الأمم وللأسباب التي أوقعتها في الفتن وطرق الخلاص منها، فهم يسترشدون بنور الوحي أولاً، وبواقع الأمم التاريخية المسطر ثانياً، ولربما اهتموا بقصور علمهم بالواقع المعاصر، وإن كانوا في الحقيقة من أعرف الناس به؛ لأن الأحداث التاريخية تعيد نفسها في كل زمان ومكان، وأسباب الفتن والتمزق هي هي بعينها متواجدة ومتوافرة في كل زمان ومكان، فما كان من هذه الأسباب يعرف من علم الوحي فإن العلماء هم الأعرف به؛ لأنهم أهلها، وإن كانت هذه الأسباب مما يفرضها الواقع فأفهم أعلم بها من جهتين: الأولى: من جهة علم الشريعة الذي يحملونه ولا تقف أمامه أي معضلة لما تمتاز به هذه الشريعة السماوية الخالدة من الشمول والمرونة، ومن جهة أخرى: من جهة ضلوعهم في العلم بالأحداث والوقائع التاريخية التي تعيد نفسها في كل زمان ومكان، لذلك فإن العلماء هم صمام أمان هذه الأمة؛ إذ أن الفتنة إذا أطلت برأسها عرفها العلماء.

قال الشيخ محمد بن إسماعيل المقدم: «إن الله سبحانه وتعالى ينصب الأدلة الواضحة على بطلان وزيف دعاوى المدعين، لكنها قد لا تظهر إلا لأولي العلم الذين اختصهم الله سبحانه بالبصيرة في الدين»<sup>(١)</sup>.

<sup>١</sup> - معالم ومنازل في تنزيل أحاديث الفتن وأشراف الساعة على الوقائع والحوادث ١/١٣٤ نقلاً عن المهدي وفقه أشراف الساعة ٥٧٩.

إذاً الأسباب التي تثير الفتن وتفرق المجتمعات إذا ما أطلت برأسها فمنها ما لا يستبين أمرها إلا للعلماء، ومنها ما قد يعلمه غيرهم، وأول من يدخل في معرفتها والعلم بها أهل العلم، فالرجوع إليهم بكل حال خير وفضيلة، فهم يرشدون الضال، ويصوبون المخطئ، ويثبتون الحق.

٢- أن يتعد العلماء عن كل ما يחדش مقام العلم والعلماء وكرامتهم من الحرص على الدنيا والتكالب عليها، وحب البروز والظهور، والتحاسد الذي يحصل بين الأقران.

قال كعب رحمه الله: «يكون في آخر الزمان علماء يزهّدون الناس في الدنيا ولا يزهّدون، ويخوفون الناس ولا يخافون، وينهون عن غشيان الولاة ويأتونهم، ويؤثرون الدنيا على الآخرة، يأكلون بألسنتهم، يقربون الأغنياء دون الفقراء، يتغايرون على العلم كما تتغايّر النساء على الرجال، يغضب أحدهم على جلسيه إذا جالس غيره، أولئك الجبارون أعداء الرحمن»<sup>(١)</sup>.

٣- أن يتعد العلماء عن كل ما من شأنه العمل على تحجيم دورهم ودعوتهم كالانكماش والانحصار في ظل الإطارات الضيقة التي تلزمهم بحصر بياتهم ودعوتهم من خلالها وإلا كان لها عليهم وجهة نظر، وهذا يشكل خطراً على العلماء وعلى الأمة؛ لأن بعض العلماء صاروا أتباعاً بدل أن يكونوا متبوعين، وضعفت كلمتهم ودورهم.

٤- أن يعمل الحكام وولاة الأمور على احترام العلماء، وإنزالهم منازلهم، ومشاورتهم، والأخذ برأيهم فيما يترتب عليه صلاح الأمة، وأن يكون أهل الشورى والرأي من العلماء الربانيين الصادقين المخلصين أصحاب التقوى والورع الذين يقولون كلمة الحق ويحرصون على ما فيه صلاح الخلق، لا أن يحارب العلماء ويزاحوا من مناصبهم، ومن ثم يقرب الجهال والحاقدون على أهل العلم أو أنصاف أو أرباع المتعلمين الذين لا يفقهون أسرار وحكم التشريع.

قال الإمام ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨] «أي: لا يرمون أمراً حتى يتشاوروا فيه ليتساعدوا بآرائهم في مثل الحروب وما جرى مجراها»<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام القرطبي: «قال ابن عطية: والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب هذا ما لا خلاف فيه، وقد مدح الله المؤمنين بقوله: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾، قال أعرابي: ما غبت قط حتى يغبن قومي، قيل: وكيف ذلك؟ قال: لا أفعل شيئاً حتى أشاورهم، وقال ابن خويز منداد: واجب على الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون، وفيما أشكل عليهم من أمور الدين، ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب، ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح، ووجوه

١- إحياء علوم الدين ٦٤/١.

٢- تفسير ابن كثير ١١٩/٤، وانظر: فتح القدير ٣٩٣/١.

الكتاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها، وكان يقال: ما ندم من استشار، وكان يقال: من أعجب برأيه ضل»<sup>(١)</sup>.

قال الإمام البخاري: «باب قول الله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فإذا عزم الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن لبشر التقدم على الله ورسوله، وشاور النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه يوم أحد في المقام والخروج فرأوا له الخروج فلما لبس لأمته وعزم قالوا: أقم، فلم يمل إليهم بعد العزم وقال: لا ينبغي لنبي يلبس لأمته فيضعها حتى يحكم الله، وشاور علياً وأسامة فيما رمى به أهل الإفك عائشة فسمع منهما حتى نزل القرآن فجلد الرامين ولم يلتفت إلى تنازعهم ولكن حكم بما أمره الله، وكانت الأئمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم يستشيرون الأمراء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها فإذا وضع الكتاب أو السنة لم يتعدوه إلى غيره اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم... وكان القراء أصحاب مشورة عمر كهُولاً أو شُبَّاناً، وكان وقافاً عند كتاب الله عز وجل»<sup>(٢)</sup>.

٥- أن يعمل الحكام وولاة الأمور على إنشاء وتأسيس المعاهد والمراكز والجامعات التي تهدف إلى تخريج العلماء العاملين أصحاب الورع والتقوى، والعمل على دعم الجامعات والمؤسسات والمعاهد التي تسعى إلى تحقيق هذا الهدف، وتسهيل وتمهيد كل ما من شأنه أن يقف عائقاً أمامها لا أن تكون الدول هي العائق وحجر العثرة والسلاح الذي يحارب هذه المؤسسات إلى درجة أن بعض الدول تأنف أن تمد أنابيب المياه وخطوط الكهرباء إليها، بل تعاملها على أنها مؤسسات تجارية، ومن ثم يُنظر إلى المتخرجين منها نظرة خاصة تعمل على إزاحتهم وإقصائهم.

٦- إنشاء الجامع الفقهيّة وهيئات العلماء وتزويدها بالخبراء والمختصين، وإحالة المشاكل والفتن التي تنزل بالبلد خصوصاً وبالمسلمين عموماً إلى هذه الجامع، وإحياء دورها، ودعمها وتسهيل أعمالها، وأن يكون أهلها من كبار العلماء المشهود لهم بالعلم والورع والجرأة على قول الحق، لا أن يحارب إنشاؤها، أو يتم لي أعناقها ويُسيطر عليها لتصبح جسداً بلا روح بأن تقوم الدول بالتلاعب في عضويتها بحيث يُضم إليها من تشاء الحكومات والحكام، بل أصبحت بعض الجامع أو هيئات العلماء في بعض البلاد الإسلامية صورية فقط إذ قامت هذه البلدان بحشد أنصارها من الموظفين والأنصاف أو الأرباع متعلمين في عضوية هذه الهيئات والجامع؛ للتلاعب بالقرارات كما تشاء، بل يتم إقصاء أهل العلم الحقيقي والاختصاص، بل تركوا هم الانضمام إليها لما يشاهدونه من صورتها والتلاعب بها حيث صارت الدول تتخذ منها شماغات ومظلات لتحقيق في ظلها ما تشاء من

١- تفسير القرطبي ٤/٢٤٩.

٢- صحيح البخاري ٦/٢٦٨١.

سياساتها المنحرفة والمعوجة، وبعض الدول حجمت دور المجامع في مناقشة القضايا المتعلقة بالعبادات أو المعاملات المالية فقط لا غير وكأنها شيكات مفتوحة لحساب الحكام، أما قضايا الأمة وما يحل بها من البلايا والمصائب والجرائم والمظالم والسلب والنهب فلا ناقة لهذه المجامع فيها ولا جمل.

٧- أن يوكل إلى العلماء -الربانيين أصحاب الجرأة في قول الحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمحاسبة للولاة، والنصح بالحق، الذين لا يخشون أحداً إلا الله سبحانه وتعالى، ولا يسكتون عن حق وجب إذاعته، ولا يكتمون حكماً شرعياً في قضية، سواء أكانت متعلقة بشؤون الأمة أم بعلاقات الدولة- أن يوكل إليهم مباشرة مهمة التوجيه والإرشاد، ومعالجة الأمور، ويتم تمكينهم من القيام بواجبهم وفتح السبل لكلمتهم، والسماح بمرورها إعلامياً، وأن يشكل العالم الشرعي مرجعية حقيقية للجميع مما يساعد في القضاء على أسباب الفتن.

٨- أن تعرف الدول دور العلماء وأهميته ومكانته، وتعطي لهم الأولوية في التدريس في الجامعات وسائر المؤسسات التعليمية.

٩- أن تعرف المؤسسات العلمية كالجامعات والمعاهد التعليمية والمدارس وغيرها دور العلماء وأهميته ومكانته، وتعمل على إتاحة الفرصة لهم للتوجيه فيها والوعظ والإرشاد، وفتح الأبواب أمام الراغبين منهم في التدريس.

١٠- أن يعرف المجتمع خصوصاً فئة الشباب للعلماء دورهم وأهميته ومكانته، ولهم مكانتهم واحترامهم، وأن يعملوا على الاستفادة من علمهم والتحصن من الشبهات الوافدة بالرجوع إليهم، وأخذ الدين عنهم.

**قال الشيخ عبد العزيز بن باز:** «وأن نقص العلم يسبب وقوع المجتمع في أخطاء كثيرة، والواجب على العلماء في كل مكان بذل الدعوة وبذل النصيحة ونشر العلم بين الناس ولا سيما بين الشباب الذين يرغبون في العلم ويدعون إلى الله عز وجل، وعلى طالب العلم أن يقبل العلم ويسعى إلى أن يتبصر ولا يعجل، والواجب على الشباب وعلى غيرهم ممن ليس عندهم العلم الكافي ألا يعجلوا في الأمور وأن يتفقهوا في الدين ويستمعوا لتوجيه العلماء مما يقال ويكتب حتى يكونوا على بينة، وعليهم أن يتدبروا ما يطلعون عليه أو يقال لهم أو يسمعون في إذاعة أو غيرها، ويعرضوه على الأدلة الشرعية، وأن يسألوا أهل العلم عما أشكل عليهم ومن يوثق فيهم، حتى يكونوا على بينة، ويتحروا أهل العلم الذين يعرفون بنشر الحق والعناية به وإقامة الأدلة عليه ويستفيدوا من علمهم»<sup>(١)</sup>.

قال الإمام علي رضي الله عنه:

فلا تصحب أحداً الجهل وإيـاك وإيـاه

<sup>(١)</sup> - مجموع فتاوى ابن باز (٣٠) جزء ٦ / ١٧٣، ١٧٤.



فكم من جاهل أرى      حليماً حين آخاه  
يُقاسُ المرءُ بالمرءِ      إذا المرءُ ماشاه  
وللقلب على القلبِ      دليلاً حين يلقاه  
وللشيء من الشيء      مقاساً وأشابه  
وفي العين غنى للعين      أن تنظر فق أفواه<sup>(١)</sup>

١١- إعادة الثقة بين العلماء والحكام والأمة على أسس سليمة من وعي لواقع الأمة وتمسك بشريعتها السماوية.

١٢- الحذر من اتباع أهواء السلاطين القائمة على تقديم المصالح الشخصية والتلاعب بالشرعية تحت مسمى السياسة، أو أهواء العامة، يقول الدكتور يوسف القرضاوي: «إن إتياع أهواء العامة لا يقل عن إتياع أهواء السلاطين حيث يقترب بعض الدعاة أو الأئمة مما يسمى بما يطلبه المستمعون فإن وجد من حوله يميلون إلى مذهب معين زكاه على غيره، أو جماعة معينة رفع من قدرها على حساب غيرها، أو يميلون إلى التشديد والعنف يخشى أن يفتى باليسر، أو وجد بين قوم متساهلين يفتى لهم بالرخص في كل مذهب، وهذا كائن في الغرب خاصة؛ لأن مشايخنا غالباً ما تخضع رواتبهم لمجالس إدارات مختلفة في أمزجتها واتجاهاتها، وتضيع معالم الاجتهاد الإصلاحي ليظهر الاجتهاد التسويقي، وبهذا يضعف دور العلماء في الشرق باتباع أهواء السلاطين، وفي الغرب باتباع أهواء العامة من المسلمين إلا من رحم الله ورزقه قوة في عمله ويقيناً في قلبه وشجاعة في نفسه؛ لينهض بواجبه في تقدير المصالح والمفاسد وتحري الأسباب والمقاصد، ويفتي الناس بما يرضي رب الناس، ويحسن التوكل عليه ملتصقاً منه الحفظ والأمان ﴿قَالَ اللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤]، فإن ابتلي صبر موقناً أنه بصيره وتوكله على الله سوف تصل رسالته إلى نياط القلوب الحية والعقول الذكية فتؤتي ثمارها بإذن ربها كما ننهل الآن من علم أئمتنا الأعلام مع تباعد الزمان، وهذه من سنن الرحمن التي لا تتخلف في أي زمان أو مكان»<sup>(٢)</sup>.

١٣- أن يستعين العلماء بشتى الأساليب التي تعمل على تحقيق دورهم من: الدعوة والإرشاد والتوجيه بحكمة، والوعظ عن طريق الترغيب والترهيب، والجدل والحوار بالتي هي أحسن، وإقامة الحجج والبراهين، والقدوة الحسنة، والاهتمام بالعقل باستخدام العلم ونظرياته واكتشافاته، والاهتمام بالروح وتزكية النفس وأعمال البر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووسائل الإعلام من تلفزيون

<sup>١</sup> - ديوان علي بن أبي طالب، ١/ ١٧٤

<sup>٢</sup> - الخلاصة في فقه الأقليات ١ / ٣٦.

وصحافة وراديو، والتأليف والكتابة والتحقيق والتخريج، ودروس المساجد، والخروج إلى القرى والمساجد والمدن، وكل ما من شأنه العمل على إيصال علمهم إلى الأمة<sup>(١)</sup>.

١٤- قطع الطريق على المتلاعبين بالفتوى بالتحذير منهم وعدم فتح المجال لهم في الصحف والمجلات ووسائل الإعلام، وتوجيه الناس إلى العلماء المعترين وجهات الفتوى المعتمدة<sup>(٢)</sup>.

١٥- الرد في المختلف فيه إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع الأمة، ونبد التعصب، ومراعاة أدب الخلاف لتتحد كلمة العلماء ويجتمع أمرهم ويرد كيد الشيطان وأعدائه في نخورهم، قال الإمام النووي: «ثم العلماء إنما ينكرون ما أجمع على إنكاره أما المختلف فيه فلا إنكار فيه؛ لأن كل مجتهد مصيب، أو المصيب واحد ولا نعلمه ولا إثم على المخطئ لكن إن ندبه على جهة النصيحة إلى الخروج من الخلاف فهو حسن محبوب ويكون برفق؛ لأن العلماء متفقون على استحباب الخروج من الخلاف إذا لم يلزم منه إخلال بسنة ثابتة أو وقوع في خلاف آخر<sup>(٣)</sup>.

كل يرى رأياً وينصر قوله      وله يعادي سائر الإخوان  
ولو أنهم عند التنازع وفقوا      لتحاكموا الله دون تـوان  
ولأصبحوا بعد الخصام أحبة      غيظ العدا ومذلة الشيطان<sup>(٤)</sup>

١٦- الجرأة على قول الحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإخلاص النصيح للحكام بالحق؛ لأن في صلاح الحكام صلاح للرعية؛ لأن الله يزع<sup>(٥)</sup> بالسلطان ما لا يزع بالقرآن<sup>(٦)</sup>، فلا يجوز غشهم بترك مناصحتهم، قال سفيان الثوري -رحمه الله تعالى-: «أدخلت على أبي جعفر المنصور. يعني فقال لي: ارفع إلينا حاجتك، فقلت له: اتق الله فقد ملأت الأرض ظلماً وجوراً، قال: فطأطأ رأسه ثم رفعه فقال: ارفع إلينا حاجتك، فقلت: إنما أنزلت هذه المذلة بسيوف المهاجرين والأنصار وأبناؤهم يموتون جوعاً فائق الله وأوصل إليهم حقوقهم، فطأطأ رأسه ثم رفعه فقال: ارفع إلينا حاجتك، فقلت: حج عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فقال لخازنه: كم أنفقت؟ قال: بضعة عشر درهماً، وأرى ههنا أموالاً لا تطيق الجمال حملها<sup>(٧)</sup>.

١٧- التحلي بصفة الإنصاف، وسلوك درب المنصفين، ولزوم آدابهم، وأهمها:

١- انظر: نضرة النعيم ٥/ ١٩٤٦.

٢- أنظر: أرشيف ملتقى أهل الحديث ٨/ ٢٣١، نقلاً عن موقع:

(http://www.alfawzan.ws/AlFawzan/MyNews/tabid/87/Default.aspx?more=454&new\_id=93).

٣- روضة الطالبين ٢١٩/١٠، ٢٢٠.

٤- زاد المسلم والداعية من الشعر والبيان ١/ ١٤٢، ١٤٣.

٥- معنى يزغ: يكف، انظر: المبدع ٣/ ٣٤٣.

٦- جاء عن عثمان موقوفاً ونحوه عن عمر كذلك، انظر: الجد الحثيث ١/ ٦٠، رقم: ٥٧، و كثر العمال ٥/ ٩١٨، رقم: ١٤٢٨٤.

٧- إحياء علوم الدين ٢/ ١٤٦، ١٤٧، وفي حلية الأولياء ٧/ ٤٥، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٨٦، أنه أدخل على المهدي.

أ- التجرد وتحري القصد عند الكلام على المخالفين، وذلك أنه قد تلبس المقاصد عند الكلام عن المخالفين، فهناك قصد حب الظهور، وقصد التشفي والانتقام، وقصد الانتصار للنفس أو للطائفة التي ينتمي إليها الناقد... وقد حذر ابن تيمية من يرد على أهل البدع من التباس المقاصد فقال: «وهكذا الرد على أهل البدع من الرافضة وغيرهم إن لم يقصد فيه بيان الحق وهدى الخلق ورحمتهم والإحسان إليهم لم يكن عمله صالحاً، وإذا غلظ في ذم بدعة و معصية كان قصده بيان ما فيها من الفساد ليحذرهما العباد كما في نصوص الوعيد وغيرها، وقد يهجر الرجل عقوبة وتعزيزا والمقصود بذلك ردعه وردع أمثاله؛ للرحمة والإحسان لا للتشفي والانتقام»<sup>(١)</sup> وقد انتبه ابن القيم-رحمه الله- إلى هذا هذا الأمر فوضع قاعدة لمن يريد أن يتجرد من الهوى فقال: «وكل أهل نخلة ومقالة يكسون نخلتهم ومقالتهم أحسن ما يقدرُونَ عليه من الألفاظ، ومقالة مخالفهم أقبح ما يقدرُونَ عليه من الألفاظ، ومن رزقه الله بصيرة فهو يكشف بها حقيقة ما تحت تلك الألفاظ من الحق والباطل، ولا تغتر باللفظ كما قيل في هذا المعنى:

تقول هذا جنى النحل تمدحه وإن تشأ قلت: ذا قيء الزناير<sup>(٢)</sup>  
مدحاً وذماً وما جاوزت وصفهما والحق قد يعتريه سوء تعبير  
فإذا أردت الاطلاع على كنه المعنى هل هو حق أو باطل فجرده من لباس العبارة، وجرد قلبك عن النفرة والميل، ثم اعط النظر حقه ناظراً بعين الإنصاف، ولا تكن ممن ينظر في مقالة أصحابه ومن يحسن ظنه نظراً تاماً بكل قلبه، ثم ينظر في مقالة خصومه وممن يسيء ظنه به كنظر الشر والملاحظة، فالناظر بعين العداوة يرى المحاسن مساوئ، والناظر بعين المحبة عكسه، وما سلم من هذا إلا من أراد الله كرامته وارتضاه لقبول الحق وقد قيل:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدي المساويا  
وقال آخر:

نظروا بعين عداوة لو أهما عين الرضا لاستحسنوا ما استقبحوا  
فإذا كان هذا في نظر العين الذي يدرك المحسوسات ولا يتمكن من المكابرة فيها فما الظن بنظر القلب الذي يدرك المعاني التي هي عرضة المكابرة، والله المستعان على معرفة الحق وقبوله ورد الباطل وعدم الاغترار به»<sup>(٣)</sup>.

ب- التبين والتثبت قبل إصدار الأحكام، وذلك امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]،

١- منهاج السنة النبوية، ٢٣٩/٥.

٢- الزبور والزنبار والزنبورة ضرب من الذباب لساع، وقيل: الزبور طائر يلسع، وقيل: الزبور الدبر، لسان العرب ٣٣١/٤.

٣- مفتاح دار السعادة ١٤١/١.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٤]، فالتبيين والتثبت من خصائص أهل الإيمان، قال الحسن البصري- رحمه الله -: «المؤمن وقاف متأن وليس كحاطب»<sup>(١)</sup>، وقال محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله -: «ومتى لم تتبين لكم المسألة لم يحل لكم الإنكار على من أفتى أو عمل حتى يتبين لكم خطؤه بل الواجب السكوت والتوقف»<sup>(٢)</sup>.

ج- حمل الكلام على أحسن الوجوه، وإحسان الظن بالمسلمين، فالواجب على المسلم أن يحسن الظن بكلام أخيه المسلم، وأن يحمل العبارة المحتملة محملاً حسناً، فقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على إحسان الظن بالمسلم حين قال وهو يطوف بالكعبة: "ما أطيبك وأطيب ريحك، وما أعظمك وأعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده حرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك، ماله ودمه، وأن لا يظن به إلا خيراً"<sup>(٣)</sup>، وقال سعيد بن المسيب: كتب إلي بعض إخواني من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أن ضع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك، و لا تظن بكلمة خرجت من امرئ مسلم شراً و أنت تجد له في الخير محملاً»<sup>(٤)</sup>.

ت- ألا ينشر سيئات المخالف ويدفن حسناته، فقد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم عمر بحسنات حاطب فقال: "إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم"<sup>(٥)</sup>، فكون حاطب من أهل بدر أمر يرفعه ويذكر له في مقابل خطئه الفاحش، ولذا غفر له خطؤه.

ث- النقد يكون للرأي وليس لصاحب الرأي، فالنقد الموضوعي هو الذي يتجه إلى الموضوع ذاته وليس إلى صاحبه، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا حدث خطأ من أحد أصحابه أو بعضهم لا يسميهم غالباً وإنما يقول: "ما بال أقوام"<sup>(٦)</sup>، "ما بال رجال"<sup>(٧)</sup>.

١- إحياء علوم الدين، ٣/ ١٨٦.

٢- مؤلفات محمد بن عبد الوهاب في العقيدة ١/ ٢٤٠.

٣- أخرجه ابن ماجه، ٢/ ١٢٩٧ برقم: ٣٩٣٢، ضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه ١/ ٣١٧ برقم: ٨٥٢، ويغني عنه حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تبغضوا، وكونوا عباد الله إخوان" أخرجه البخاري ٥/ ٢٢٥٣ برقم: ٥٧١٧، ومسلم ٤/ ١٩٨٥ برقم: ٢٥٦٣.

قال الإمام النووي: «المراد النهي عن ظن سوء»، شرح صحيح مسلم ١٦/ ١١٨.

قال المباركفوري: «"ياكم والظن" أي: اتقوا سوء الظن بالمسلمين» تحفة الأحوذى ٦/ ١٠٥.

٤- أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٣٢٣ برقم: ٨٣٤٥.

٥- أخرجه البخاري ٣/ ١٠٩٥ برقم: ٢٨٤٥، ومسلم ٤/ ١٩٤١ برقم: ٢٤٩٤.

٦- أخرجه البخاري ٢/ ٩٨١ برقم: ٢٥٨٤، ومسلم ٢/ ١٠٢٠ برقم: ١٤٠١.

٧- أخرجه البخاري ٢/ ٧٥٩ برقم: ٢٠٦٠، ومسلم ٢/ ٥٨٠ برقم: ٨٤٥.

ج- الامتناع عن المجادلة المفضية إلى التراجع، فقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الجدل المفضي إلى الخصومة فقال: **"إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم"**<sup>(١)</sup>، بفتح الخاء وكسر الصاد أي: الدائم في الخصومة، ويحتمل أن يكون المراد الشديد الخصومة؛ فإن الخصم من صيغ المبالغة، فيحتمل الشدة، ويحتمل الكثرة، أو كلاهما أي: الشديد اللدد الكثير الخصومة<sup>(٢)</sup> وقال الإمام مالك بن أنس: «المراء يقسي القلوب، ويورث الضغائن»<sup>(٣)</sup>، وقال مسلم بن يسار: «إياكم والمراء؛ فإنه ساعة جهل العالم، وعندها يبتغي الشيطان زلته، وقيل: ما ضل قوم بعد إذ هداهم الله إلا بالجلد»<sup>(٤)</sup>.

ح- حمل كلام المخالف على ظاهره وعدم التعرض للنوايا والبواطن، وقد علمنا ذلك رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم حينما قتل أسامة بن زيد المشرك بعد أن قال: لا إله إلا الله، فلما علم صلى الله عليه وسلم أنكروا ذلك عليه<sup>(٥)</sup>، قال أسامة بن زيد رضي الله عنهما: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقه، فصباحنا القوم، فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناها قال: لا إله إلا الله، فكف الأنصاري عنه، فطعنته برمحى حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: **"يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟! قلت: كان متعوذاً، فما زال يكررها حتى تمتيتني أي لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم"**<sup>(٦)</sup>، وفي رواية: قلت: **"يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح، قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا، فما زال يكررها علي حتى تمتيتني أي أسلمت يومئذ"**<sup>(٧)</sup>.

### • لازموا الركب

إن على الأمة أن تلزم ركب العلماء العاملين المخلصين وتتحصن من هذه الفتن والقلقل والاضطرابات بالرجوع إليهم؛ لأنهم صمام أمان هذه الأمة؛ لأن الفتنة إذا أقبلت لم يعرفها إلا العلماء وإذا أدبرت عرفها العلماء والجهال؛ لأن العلم وراثته النبوة، وهم حملته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر"**<sup>(٨)</sup>.

١- أخرجه البخاري ٢ / ٨٦٧ برقم: ٢٣٢٥، ومسلم ٤ / ٢٠٥٤ برقم: ٢٦٦٨، من حديث عائشة رضي الله عنها.

٢- فتح الباري ٨ / ١٨٨، ١٣ / ١٨٠.

٣- إحياء علوم الدين ٣ / ١١٧.

٤- إحياء علوم الدين ٣ / ١١٧.

٥- انظر موضوع الإنصاف في موسوعة نصره النعيم ٣ / ٥٨٣.

٦- أخرجه البخاري ٤ / ١٥٥٥ برقم: ٤٠٢١، ومسلم ١ / ٩٦ برقم: ٩٦.

٧- أخرجه مسلم ١ / ٩٦ برقم: ٩٦.

٨- رواه أبو داود ٢ / ٣٤١ برقم: ٣٦٤١، والترمذي ٥ / ٤٨ برقم: ٢٦٨٢، وابن ماجه ١ / ٨١ برقم: ٢٢٣، صحيحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١ / ١٧ برقم: ٧٠.

قال ابن القيم في النونية:

والجهل داء قاتل وشفاؤه أمران في التركيب متفقان  
نص من القرآن أو من سنة وطبيب ذاك العالم الرباني  
ومتى قبض العلم انتشر الجهل وصحبه وقوع الفتن، وقبض العلم بموت العلماء فعن عبد الله بن  
عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً  
ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً  
جهالاً، فاستلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا"<sup>(١)</sup>.

وإذا تحقق دور العلماء في المجتمع، فإن هذا المجتمع سوف يكتسب حصانة من مظاهر الانحراف  
والتمزق والفتن.

إن أية محاولة لمعالجة الفتن التي تؤدي إلى التفرق والتمزق لابد أن تنطلق من أرضية صحيحة وهي  
تعاليم الدين الإسلامي الحنيف التي تلقها الصحابة الكرام عن الحبيب المصطفى والنبي المجتبي صلى الله  
عليه وسلم ثم تلقاها عنهم العلماء بعضهم عن بعض في كل زمان ومكان إلى يومنا هذا، وأن لا نعالج  
بعض مظاهر الفتنة كالعنف، ثم نهمل الجذور الحقيقية لها التي أنشأها وتغذيها<sup>(٢)</sup>.

هات الرسالة من يمين محمد إنا نسينا الدين كيف يقام  
وإذا الحياة تنكرت أعلامها فالدين دستور لها ونظام  
إنا جهلناها وعندك علمها والجهل داء للشعوب عقام  
هو إن سألت أولي المعارف ما اسمه سل يذيب حياقتها وجذام<sup>(٣)</sup>

١- رواه البخاري ٥٠/١ برقم: ١٠٠، ومسلم ٤/ ٢٠٥٨ برقم: ٢٦٧٣.

٢- انظر: بدع الاعتقاد وأخطارها على المجتمعات الإسلامية ١ / ٩٣، ٩٤.

٣- ديوان أحمد محرم ١ / ٩١٧، ٩١٨.

## دور الدعوة والدعاة في رفع الجهل وتحقيق الوحدة وتثبيتها

إن الدور الذي تقوم به الدعوة ويتحمله الدعاة والمربون في العمل على رفع الجهل وتحقيق الوحدة وتثبيتها وترسيخ كل مبادئ الخير في المجتمعات الإنسانية لا يقل أهمية عن الدور الذي يقوم به العلماء حملة العلم ؛ لأن الدعاة يمارسون الدعوة التي فيها دلالة الناس على الخير وهدايتهم إليه، وفي القيام بها نشر للفضيلة ومحاربة للرديلة، وشرح سبل الإسلام السمحة للعالم كله، والرد على الدعاوى الباطلة التي يلصقها المغرضون بالدين الخفيف، وبيان الحق وإيضاحه، وإظهار مدى التكالب والتآمر على الأمة، وتثمر محبة الله ومحبة الناس، وترشد إلى الصلاح والاستقامة، وبها يصلح الأفراد وتسعد الشعوب، وتنتشر كل الأسباب والوسائل التي تحقق الأخوة وتعمقها، وتتعري أسباب الفتنة وتظهر.

إن الدعوة إلى الله تعالى باب من أبواب النصيحة، ومن المعلوم أن النصيحة هي لب الدين وجوهر الإيمان، ودليل حب الخير للآخرين، وبغض الشر لهم، وفيها صلاح المجتمع؛ إذ تشاع فيه الفضيلة، وتستتر فيه الرذيلة، وبها تحل الرحمة والوداد مكان القسوة والشقاق، والقيام بها يكفل صلاح حال الفرد والمجتمع معاً، وتوفير الحياة المستقرة للمجتمع الإسلامي، ومن قام بها على وجهها يستحق الإكرام لا اللوم والتقريع، وبها يتقرب العبد من ربه ويفوز بمحبته ورضاه، فعن تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"الدين النصيحة، قلنا لمن؟ قال: الله، وكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم"**<sup>(١)</sup>، وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: **"بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم"**<sup>(٢)</sup>.

إن الوضع المضطرب والمضطرب الذي تعيشه كثير من الدول الإسلامية يتحتم مزيد الاهتمام والاعتناء بشأن الدعوة والنصيحة خصوصاً النصيحة لأئمة المسلمين وذلك: بإرشادهم إلى الحق، ومعاونتهم عليه، وأمرهم به، وطاعتهم فيه، وتنبههم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم، وتألف قلوب الناس لطاعتهم، ومن النصيحة لهم أن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم، **والنصيحة لعامة المسلمين**: بإرشادهم لمصالحهم في دنياهم وآخراتهم، وكف الأذى عنهم، وستر عوراتهم، وسد خلاتهم، ودفع المضار عنهم، وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص، والشفقة عليهم، وتوقير كبيرهم، ورحمة صغيرهم، وتخولهم بالموعظة الحسنة، وترك غشهم وحسدهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير، ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه، والذب عن أموالهم وأعراضهم وغير ذلك من أحوالهم

١- أخرجه مسلم ١/ ٧٤ برقم: ٥٥.

٢- أخرجه البخاري ٣١/١ برقم: ٥٧.

بالقول والفعل الذي لا يكون فيه تعدٍ على الغير أو حقوقهم، وحثهم على التخلق بالفضائل، وتنشيط همهم إلى الطاعات<sup>(١)</sup>.

إن الداعي إلى الله تعالى يتشبه بالأنبياء والصالحين ويسلك مسالكهم، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨] أي: طريقي التي أدعو إليها، وهي السبيل الموصلة إلى الله وإلى دار كرامته المتضمنة للعلم بالحق والعمل به وإيثاره وإخلاص الدين لله وحده لا شريك له، بها يُبحث الخلق والعباد على الوصول إلى رهم ترهيباً وترغيباً على علم ويقين من غير شك ولا امتراء ولا مرية<sup>(٢)</sup>.

**قال الإمام ابن القيم:** «فالدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة المرسلين وأتباعهم، وهم خلفاء الرسل في أمهم والناس تبع لهم، والله سبحانه قد أمر رسوله أن يبلغ ما أنزل إليه، وضمن له حفظه وعصمته من الناس، وهكذا المبلغون عنه من أمته لهم من حفظ الله وعصمته إياهم بحسب قيامهم بدينه وتبليغهم له، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتبليغ عنه ولو آية، ودعا لمن بلغ عنه ولو حديثاً، وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحر العدو؛ لأن ذلك التبليغ يفعله كثير من الناس وأما تبليغ السنن فلا تقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أمهم»<sup>(٣)</sup>.

ولما تقوم به الدعوة من بيان للحق ودمغ للباطل وجمع للكلمة ورفع للفرقة والتوجيه إلى تحقيق الوحدة وتثبيتها والإرشاد إلى كل ما فيه خير العباد وصلاحهم في الدنيا والآخرة، والتحذير من الفرقة وكل ما من شأنه أن يجر الشر والضرر على العباد في المعاش أو المعاد كانت أحسن الأقوال أقوال الدعاة، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣] وهذا استفهام بمعنى النفي المقرر أي: لا أحد أحسن قولاً وكلاماً وطريقةً وحالاً ممن دعا إلى الله؛ لتعليمه الجاهلين، ووعظه الغافلين والمعرضين، ومجادلته للمبطلين، وأمره بعبادة الله بجميع أنواعها والحث عليها وتحسينها مهما أمكن، وزجره عما نهى الله عنه وتقبيلحه بكل طريق يوجب تركه، خصوصاً الدعوة إلى أصل دين الإسلام وتحسينه ومجادلة أعدائه بالتي هي أحسن، والنهي عما يضاده من الكفر والشرك، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحثه على مكارم الأخلاق والإحسان إلى عموم الخلق ومقابلة المسيء بالإحسان والأمر بصلة الأرحام وبر الوالدين، ووعظه لعموم الناس في أوقات المواسم والعوارض والمصائب بما يناسب ذلك الحال إلى غير ذلك مما لا تنحصر أفرادها بما تشمله الدعوة إلى الخير كله والترهيب من جميع الشر، وهو مع دعوته الخلق إلى

١- شرح النووي على صحيح مسلم ٣٨/٢، ٣٩.

٢- تفسير السعدي ص ٤٠٦، بتصرف.

٣- جلاء الأفهام، ١/٤١٥.



الله بادر هو بنفسه إلى امتثال أمر الله بالعمل الصالح الذي يرضي ربه، وقال إنني من المسلمين المنقادين لأمره السالكين في طريقه<sup>(١)</sup>.

إن مما لا يخفى على كل من له أدنى علم أو بصيرة أن العالم الإسلامي اليوم بل العالم كله في أشد الحاجة إلى الدعوة الإسلامية الواضحة الجلية النابعة من كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة، وعلى طريقة أصحابه رضي الله عنهم ومنهج السلف الصالح التي تشرح حقيقة الإسلام، وتوضح أحكامه ومحاسنه، وبذلك يتضح لكل مسلم أن الدعوة إلى الله من أهم المهمات، وأن الأمة في كل زمان ومكان في أشد الحاجة إليها بل في أشد الضرورة إلى ذلك، فالواجب على أهل العلم أينما كانوا أن يبلغوا دعوة الحق.

لقد كان للدعوة والدعاة دور كبير في جميع عهود التاريخ الإسلامي في لم الشمل وتحقيق الوحدة وتثبيتها، والقضاء على التفرق والتمزق، ويعتبر غياب دور الدعاة عن الساحة في كثير من البلاد الإسلامية غياباً كلياً أو نسبياً من أهم الأسباب التي تساعد على وقوع التمزق والتفرق وحصول الفتن، إذا صارت البيئة مع غياب دورهم مستنقعةً مناسباً لكل الجرائم والطفيليات الداخلية والخارجية التي تذكي نار الفتنة وتشعلها، فلا بد من إعادة دور الدعاة، ويعتمد ذلك على ما يلي:

١- أن ينبري الدعاة لهذا الدور بالإخلاص لله، والقيام بواجبهم تجاه الحكام بالمناصحة والتعاون معهم على البر والتقوى وتكثير سبل الخير في المجتمع، وتجاه عموم المجتمع بالتربية والتوجيه والإرشاد، وأن تخصص فئة الشباب بمزيد التربية والعناية.

٢- أن يبتعد الدعاة عن كل ما من شأنه الخدش بمقام الدعوة والدعاة وكرامتهم من الحرص على الدنيا والتكالب عليها، وحب البروز والظهور، والتحاسد الذي يحصل بين الأقران.

٣- معرفة الأهداف ووضوحها، مع مراعاة الأولويات وتقديم المهمات؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما أرسل معاذاً إلى اليمن وضع له الأهداف ورتبها له وراعى المهمات وقدم الأولويات، فأول ما أوصاه به الدعوة إلى الشهادتين مرتكز وأساس التوحيد، ثم الدعوة إلى العبادة وباقي أركان الإسلام، ثم بمعاملة الناس بالحسنى، وعدم أخذ أموالهم بالإكراه ودون طيب نفس منهم، ثم أوصاه بالأخلاق الحميدة والمسالك والتصرفات العالية الرفيعة أثناء الدعوة ومخالطة الناس؛ وذلك باحترامهم وعدم ظلمهم، وتحقيق العدل والإخاء والمساواة بينهم<sup>(٢)</sup>، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: "إنك ستأتي قوماً أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك

١- تفسير السعدي، ص ٧٤٩، بتصرف.

٢- انظر: الرائد دروس في التربية والدعوة ٣/ ١٣١، ١٣٢.

فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فيأياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب" (١).

فأصبح الهدف المرسوم واضحاً وهو تحقيق رضا الله تعالى ونصرة دينه والفوز بجنته، فوضوح الهدف من شأنه أن يجعل الداعية لا يهدأ حتى يحقق الهدف فتزداد الذاتية الدعوية والعطاء.

٤- على الدعاة إلى الله أن يجمعوا صفوفهم، ويوحدوا كلمتهم، ويتنازلوا عن الخلافات الجانبية، فكفى فرقةً ونزاعاً، فلم يعد الوقت وقت خلافات ودعوة للذات.

٥- التحاكم عند التنازع إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ونبد التعصب للرأي؛ لتتحد كلمة الدعاة ويجمع الصف ويلتم الشمل ويرد كيد الشيطان وأعدائه في نحورهم:

كل يرى رأياً وينصر قوله      وله يعادي سائر الإخوان  
ولو أنهم عند التنازع وفقوا      لتحاكموا لله دون تـوان  
ولأصبحوا بعد الخصام أحبة      غيظ العدا ومذلة الشيطان (٢)

٦- الابتعاد عن كل ما من شأنه العمل على تحجيم دورهم ودعوتهم إلى الأفق الواسع الذي يجعلهم يحتنون جميع فئات المجتمع، ولينبذوا كل ما من شأنه أن يؤدي إلى نشوء العصبية، وضعف كلمتهم ودورهم؛ لأن في هذا الخطر عليهم وعلى الأمة.

٧- التميز الإيماني والسمو الروحي، فإن التميز الإيماني من أعظم أسباب نجاح الداعية، إذ ليس النجاح بفصاحة اللسان ولا قوة البرهان ولا كثرة الأعوان، بل هو مع ذلك وقبل ذلك بتوفيق الله الذي يخص به أوليائه، ولا شك أن الدعاة الذين يكرسون أوقاتهم لله لدفع الناس إلى سبيله، لا بد أن يكون شعورهم بالله أعمق، وارتباطهم به أوثق، وشغلهم به أدوم، ورقابتهم له أوضح.

لقد قصر بعض الدعاة والجماعات الإسلامية في العناية بهذا الجانب المهم بسبب تضخيم العناية بالجوانب الفكرية والسياسية وغيرها، والمطلوب التوازن والشمولية وإعطاء كل جانب حقه من الاهتمام.

٨- الرصيد العلمي والزاد الثقافي، وهذا أساس لا بد منه؛ لأن العلم هو العدة التي بها يُعلم الناس أحكام الشرع، ويُبصرهم بحقائق الواقع، وبه يجد إجابة للتساؤلات، وحلولاً للمشكلات، وبه أيضاً يكون الداعية قادراً على الإقناع وتفنيد الشبهات، ومتقناً في العرض ومبدعاً في التوعية والتوجيه، وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، فالخوض في غمار الدعوة وميادينها لا بد له من علم وإلا ترتب على ذلك آثار وخيمة؛ لأن

١- أخرجه البخاري ٢ / ٥٤٤ برقم: ١٤٢٥، ومسلم ١ / ٥٠ برقم: ١٩.

٢- زاد المسلم والداعية من الشعر والبيان ١ / ١٤٢، ١٤٣.

العامل على غير علم كالسالك على غير طريق، وربما كان ما يفسده أكثر مما يصلحه، ولا بد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حد يصل إليه السعي.

قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: «العلم إمام العمل والعمل تابعه»<sup>(١)</sup>؛ لأن القصد والعمل إن لم يكن بعلم كان جهلاً وضلالاً واتباعاً للهوى.

إن التميز الإيماني لا بد أن يعضده الجانب العلمي الذي فيه يفهم الداعية الإسلام بشموله ويقف على حقائقه وأحكامه، ويعتني بقواعده وأصوله، ويتدارسه من مصدريه -الكتاب والسنة- فالإسلام له خصائص تميزه عن غيره فينبغي للمؤمن الداعية أن يتعرف عليها ويستشعرها في نفسه شعوراً بعظمة دينه وزيف ما سواه ليتحرك من أجله ويكون الدين كله لله، فإذا توفر للداعية رصيد علمي مناسب وزاد ثقافي جيد كان ذلك عوناً له في دعوته ورافداً من روافد نجاحه ومبادرته الذاتية.

٩- استشعار الأجر وأن الجنة مخوفة بالمكارة، وهذه مسألة ضرورية وعامل رئيس في الاندفاع نحو العمل والدعوة الذاتية وهو فقه الاستشعار الذي يغفل عنه الكثير، ولعل هذا الفقه هو السر في بيان أجر بعض العبادات حتى يكون دافعاً للعمل والعطاء فإذا عرف صاحب الذاتية أن كل حركة وسكنة يتحركها المهتدي، وكل تسبيحة أو ركعة أو سجدة يفعلها، وكل إحسان يجريه الله على يديه، فإنما يكون في ميزان أعماله، وأن له مثل أجره للحديث الذي رواه أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"من دل على خير فله مثل أجر فاعله"**<sup>(٢)</sup> فإنه لا شك سيتحرك الحركة الذاتية التي تجلب له هذا الخير الذي يتنامى يوماً بعد يوم.

واستشعاره بأن الجنة مخوفة بالمكارة يتطلب منه طاقة وهمة عالية تتناسب مع ذلك المطلب العالي وهو الجنة، فإذا عرف المسلم هذا سوف يجعله يتحرك التحرك الذاتي للوصول إلى الهدف.

١٠- أن يجتهد في الاتصاف بالصفات المثالية للداعية، والتي منها: إخلاص العمل لله تعالى، وصحة العقيدة، ذو فكر مثقف، قوي الجسم، منظم في شؤون، مع الحرص على وقته، والنفع لغيره، والنشاط في الدعوة، وحمل هموم الأمة بين جوانحه، لا يهدأ من التفكير في مشاريع الخير والدعوة، غدوه ورواحه وحديثه وكلامه لا يتعدى الميدان الذي أعد نفسه له، ويشغل الناس بهموم دعوته، ونصرة دين الله، له زادة اليومي من القرآن والذكر لله في كل أحيانه، يسخر نفسه ووقته وبيته وأهله لخدمة الإسلام وأهله، ينفق في وجوه الخير والبر، ويحب القراءة والمطالعة، له في كل سهم غنيمة، ومشاركة فعالة مع مؤسسات الإسلام، مع الاهتمام بأهله إيمانياً ودعواً وثقافياً، يعيش عيشاً جماعياً مع إخوانه المؤمنين من كل شرائح المجتمع، بعيداً عن التعصب، يتثبت في الأمور قبل الإقدام عليها ولا يتعجل، ولاؤه وبراءة لله ولرسوله ولجميع المسلمين، يسعى جاهداً للشمول وتوحيد الصف وجمع

١- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ٤٠/١.

٢- أخرجه مسلم ٣ / ١٥٠٦ برقم: ١٨٩٣.

الكلمة ورفع الفرقة والتزاع، بعيدا عن الكذب والغش والنميمة والحسد ورذائل الأخلاق وسفسافها، يعطي الأمور حقها ومستحقها من غير تهويل ولا تحقير، والفهم الصحيح للأمور بالرجوع إلى أهل المعرفة والاختصاص بها، حياته لله وبالله ومع الله.

١١- المرأة في قول الحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصح بالحق، ولا يخشى أحداً إلا الله سبحانه وتعالى، ولا يسكت عن حق وجب إذاعته، سواء أكان متعلقاً بشؤون الأمة أم بعلاقات الدولة- ومباشرة مهمة التوجه والإرشاد، ومعالجة الأمور.

قال الإمام النووي: « فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله عز وجل أن يعتني بهذا الباب، فإن نفعه عظيم لا سيما وقد ذهب معظمه، ويخلص نيته، ولا يهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته فإن الله تعالى قال: ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] وقال تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ \* وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢، ٣]، واعلم أن الأجر على قدر النصب»<sup>(١)</sup>.

١٢- أن تعرف الدول دور الدعاة وأهميته ومكانته، وتعمل على إتاحة الفرصة لهم للتوجيه والوعظ والإرشاد.

١٣- التحصن من الشبهات المعضلة الوافدة بالرجوع إلى العلماء، والحذر من الاغترار بها أو بالشعارات الظاهرة البراقة؛ لأن شريحة من هذه الفئة من الغير الضالعين في العلم تتأثر بهذه الشعارات الظاهرة البراقة في إثارة حماسها وحميتها فتضل وتضل.

١٤- الحذر من اتباع أهواء السلاطين أو العامة.

١٥- توجيه الإعلام لخدمة الأمة، ومناصرة قضايها، والتعريف بعقيدة الأمة ومبادئها وقيمها وأخلاقها.

١٦- ترسيخ مبدأ الأخوة والتعاون على البر والتقوى.

١٧- التحلي بالصبر وإحسان التوكل على الله مع التماس الحفظ والأمان منه سبحانه: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

١٨- أن يستعين الدعاة إلى الله تعالى بأساليب الدعوة الإسلامية، وهي:  
\* الحكمة.

\* الوعظ عن طريق الترغيب والترهيب.

١- شرح صحيح مسلم ٢/٢٤٠.

\* الجدل والحوار بالحسنى وإقامة الحجة.

\* القدوة.

\* الجهاد والبذل والتضحية: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ

الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]

\* التربية والتعليم.

\* استخدام العلم ونظرياته واكتشافاته.

\* الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

\* الإعلام من صحافة وراديو وتلفاز وانترنت...

\* التأليف والكتابة والتحقيق والتخريج.

\* دروس المساجد.

\* الخروج إلى القرى والمساجد والمدن.

\* الاهتمام بالعقل.

\* الاهتمام بالروح وتركية النفس وأعمال البر<sup>(١)</sup>.

١٩- إدراك أبعاد المؤامرة على الإسلام وبلاد المسلمين.

٢٠- وضع قضية المسلمين الأولى في بؤرة وجدانه وشعوره<sup>(٢)</sup>.

٢١- التحلي بصفة الإنصاف، وسلوك درب المنصفين، ولزوم آدابهم، وقد سبق ذكرها في دور

العلماء، فتراجع في موطنها من هذا البحث.

---

١- انظر: نضرة النعيم ٥ / ١٩٤٦.

٢- انظر: فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم ١ / ٣٩٩، ولكي تكون داعية ١ / ٥١-٥٤.

## الوسائل العلمية والعملية لوحدة العلماء والدعاة<sup>(١)</sup>

إن على الدعاة والعلماء بل على العقلاء والمصلحين وقادة الرأي والفكر في الأمة النظر إلى وسائل وأسباب جمع الكلمة ووحدة الصف ولم الشمل، وصنع القرار المؤثر في نهضة الأمة وإحيائها من جديد وفق خطط وبرامج علمية وعملية تكفل سير الأمة نحو الالتئام والوحدة والتكافل والتكامل، وثمة أسباب كثيرة لوحدة العلماء والدعاة ينبغي عليهم أن يسلكوها لتحقيق الوحدة المرجوة، ومن أهم هذه الأسباب ما يلي:

### ١- القناعة بمبدأ وحدة الجماعات الإسلامية

إن البعض ينظر إلى مسألة وحدة العاملين للإسلام أنها من الأمور التي لا ينبغي طرقها؛ لأنه يرى أن بقية الجماعات سواء هامشية لا تمثل تياراً مؤثراً في الأمة أو لكون جماعته هي الجماعة الوحيدة القادرة على النهوض بمشروع الأمة بمفردها لسبب أو لآخر، وهذا مع أنه تفكير غير سليم وسطحي يمجح العقلاء فضلاً عن الحكماء، فإنه يخالف النصوص والتوجيهات الشرعية المتواترة التي تخاطب الأمة جمعاء بالوحدة والاجتماع حتى صارت مما يعلم من الدين بالضرورة، ومثل هذا القول كمثّل من يقول: نحن لا نحتاج إلى أصابع اليدين فهي هامشية بل نحتاج إلى القلب والأمعاء لأنها أجزاء لا يمكن للجسم العيش بدونها بخلاف ما عداها من الأعضاء، وينسى هذا القائل بأنه لا يستطيع القبض والبسط إلا بالأصابع والعضلات فهي أجزاء أصيلة وضرورية في جزء ضروري وهام، ولهذا ما أصدق الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم حين شبه أعضاء الجسم الإسلامي بأعضاء الجسم الإنساني فقال صلى الله عليه وسلم: **"مثل المؤمنين في توادهم وتراحيمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"**<sup>(٢)</sup>.

قال القاضي عياض: «فتشبيه المؤمنين بالجسد الواحد تمثيل صحيح، وفيه تقريب للفهم وإظهار للمعاني في الصور المرئية، وفيه تعظيم حقوق المسلمين والحض على تعاونهم وملاطفة بعضهم بعضاً»<sup>(٣)</sup>.

ألا فليعلم الدعاة إلى الله تعالى أن العمل الإسلامي عمل متكامل كالبناء، وأنه لا بد من التعاون والاستعانة فيه، وأن يشارك الجميع في هذا البناء الهائل والضخم، وأن الإسلام لا بد وأن يحمله جميع أبنائه، فالخطوة الأولى نحو الوحدة والتوحد هي القناعة والاستعداد الذهني والنفسي لهذه الحقيقة.

١- الوسائل العلمية والعملية لوحدة الدعاة والعلماء بحث قدمه الأستاذ الدكتور صالح بن عبد الله الضبياني إلى إحدى ندوات تقوية الإيمان التي تقام سنوياً في جامعة الإيمان في شهر ربيع ثاني أو جمادى الأولى، نقلاً عن صحيفة صون الإيمان العدد: (٢٠٤) ص ٧، لشهر محرم ١٤٣١هـ، مع شيء من التصرف.

٢- أخرجه مسلم، ٤/ ١٩٩٩ برقم: ٢٥٨٦، من حديث النعمان بن بشير.

٣- فتح الباري ٤٣٩/١٠.

٢- ضرورة الحوار الإسلامي الإسلامي؛ لأن الإسلام يأمر بالتحاور مع الأديان والعقائد المختلفة كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]

إن الحوار مبدأ إسلامي دعا إليه الإسلام وأرسى أصوله وقواعده منذ بزغ فجر الرسالة حتى مع الكافرين والمعادين، فما بالنا اليوم لا نعتمده لبنا العلاقات بين الأخوة والأحباب الذين تجمعهم رابطة الأخوة، وتوحدهم هموم الدعوة، بينما يفتح الباب على مصراعيه للحوار الأمريكي الإسلامي بلا قيد ولا شرط، والحوار الإسلامي الأوروبي، والحوار حتى مع الفاتيكان والباباوات والأخبار والقسس والرهبان، ونغلق أبواب الحوار مع بعضنا البعض فيا سبحان الله!!!

إنه لا عيب ولا عتب أن نفتح الحوار مع كل أحد كائنا من كان، لكن العتب والعيب أن نفهم أن الحوار لا يكون إلا مع الأعداء فقط دون الأخوة والأحباء، ومع المحتلين دون أبناء الدين الخالد والبلد الواحد، فلماذا لا نرسخ مبدأ الحوار مع بعضنا الحكومات والشعوب والهيئات والمنظمات والأحزاب والجماعات؟! ولماذا نتحاور مع الغزاة والمحتلين بوجوه ملؤها البشاشة والبهجة والسرور وتعلوها الابتسامات البريئة والضحكات اللطيفة بينما نتحاور مع بعضنا بلغة الرصاص وأفواه المدافع ووجوه عابسة وقلوب يملؤها الغيظ.

إنها مشكلة فهم ووعي في البلاد الإسلامية والعربية أكثر من عويصة تئن منها أمتنا على مدى قرون طوال ولم نستطع بعد تجاوزها بينما تجاوزها العقلاء من غيرنا من عقود من الزمان، فنرى العالم من أقصاه إلى أقصاه بمختلف فئاته وثقافته ودياناته ولغاته وأعرافه وأوضاعه قد سلم بالحوار والنقاش وسيلة وحلاً لفض الخصومات والتراعات.

إن الواجب على كل علماء ودعاة الإسلام فتح كل أبواب الحوار واللقاءات والمنتديات الفكرية فيما بينهم، وتوسيع دائرة الحب والإخاء، وفتح آفاق التعاون والتآزر بين كل فصائل العلماء والدعاة إلى الله تعالى، وقد اقترح العلماء والعقلاء من الدعاة إنشاء منتدى للعلماء والدعاة من مختلف فصائل التيارات الإسلامية للقاء والحوار يكون تحت إشراف علماء وهيئات علمية متجردة وبعيدة عن الميل والخضوع.

٣- الاجتماع على محكمات الشريعة التي أجمع عليها السلف الصالح، فتتفق ونجمع على ما أجمعوا عليه من محكمات الشريعة، ونقبل الخلاف فيما اختلفوا فيه؛ لأنه قد ثبت أن الصحابة-رضي الله عنهم أجمعين- وكذلك الأئمة من السلف الصالح قد اختلفوا فلا غرابة أن يقع هذا الاختلاف فيمن بعدهم، إلا أن هناك أشياء لا تتفق مع هذا المعنى بل تناقضه وهي كثيرة أهمها تنزيل النصوص على غير وجهها كاعتبار أن الأحاديث الواردة بلزوم الجماعة تنطبق على جماعة معينة أو تنظيم معين أو

طائفة أو حزب، ومن يرى خصوص ذلك فيه وبالتالي يلزم الناس بالاتفاق عليه وطاعته وبيعته ويعتبر أن من خرج عن ذلك فقد نزع يداً من طاعة، وخلع ربة الإسلام من عنقه، وإن مات فميتته جاهلية، ويلقى الله يوم القيامة ولا حجة له إلى غير ذلك مما يقع للناس كثيراً، وما هذا إلا لجهلهم بمراد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأصبحت كثير من الطوائف والجماعات ترى أنها واجبة اللزوم والاتباع، ولا ترى ذلك لغيرها، فصدق في هذه الطوائف والجماعات قول الله تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ

**حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢].**

قال الإمام السندي: «**فارق الجماعة**»<sup>(١)</sup> أي: خالف ما اتفق عليه المسلمون تفريقاً بين المسلمين وإيقاعاً للخلاف بينهم، أو يريد يفرق كلمة أو للشك»<sup>(٢)</sup>.

إنه لا يكفي أن يعتقد هذا دعاة الإسلام ويكتبوه في كتبهم وبرامجهم بل لابد أن يظهر هذا في مواقفهم المعلنة -قولاً وعملاً- إزاء الحوادث العامة المتجددة يومياً، وأن يظهر اتفاقهم هذا إزاء قطيعات الإسلام ومحكمات الدين والملة، وألا تتباين رؤاهم حول هذه القطيعات والمحكمات الإسلامية.

إن المرحلة الحالية الصعبة التي تمر بها الأمة الإسلامية تقتضي أن تجتمع كلمة العلماء والدعاة من كافة الجهات والفصائل الإسلامية على كلمة سواء تجاه القضايا المصرية الكبرى للأمة كقضية فلسطين والعراق وأفغانستان، وقضايا الأسرى المسلمين في سجون المحتلين والعلوج الأمريكان، وقضايا الإصلاح في الوطن العربي والإسلامي، والعدالة الدولية في الإسلام، وقضايا العولمة وتأثيرها على الأمة الإسلامية، وبحث السبل والوسائل والطرق الكفيلة لمواجهة أمواج العولمة العاتية التي تستهدف قيم الدين وأركانه وقواعده وأصوله المحكمة، وأن تتأخر القضايا الجزئية والتفصيلية؛ لتجتمع الكلمة وتتوج الجهود لخدمة الشريعة وإيصالها إلى حيز التطبيق والتنفيذ في سدة الحكم، كما حصل في اليمن عندما اجتمعت جميع الجماعات الإسلامية عام ١٩٩٠م على معارضة ومقاطعة الدستور العلماني الأمر الذي أفلحت فيه هذه المقاطعة الموحدة فتمكن المسلمون والقوى الخيرة في البلاد من تعديل الدستور وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية الغراء، وكما حدث في السودان من توحيد للإخوان وأنصار السنة والمتصوفة وكل الإسلاميين من أجل إقرار الدستور الإسلامي.

١- أخرجه مسلم ٣/ ١٤٧٦ برقم: ١٨٤٨، والحديث عن أبي هريرة عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة، فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية، يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتله جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها، ولا يتحاش من مؤمنها، ولا يفني لذي عهد عهده فليس مني ولست منه"

٢- حاشية السندي على سنن النسائي ٩٢/٧.



٤- التأسيس لوحدة الصف، إذ لا بد أن تتبع القناعة بوحدة الصف الإسلامي خطوات عملية مدروسة لتحقيق هذه الوحدة، ومن هذه الخطوات:

أ- إيقاف جميع أنواع وأشكال المهارات بين صفوف العلماء والدعاة، ونشر ثقافة الحوار، والصبر على المسلمين، وتعليم جاهلهم، وتوقير عالمهم، وأن السباب والمهارات ليست من الإسلام في شيء وليست هي الحل، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه"**<sup>(١)</sup>.

ب- تبادل الكوادر والمؤهلات العلمية والمنح والمقاعد الدراسية وتبادل الدعاة والمحاضرين وأساتذة الجامعات بناء على أساس الأخوة الإسلامية، وألا تظل المؤسسات الدعوية أو التعليمية حكراً على جهة أو اتجاه معين.

ج- إنشاء مجلس أعلى للتنسيق والمتابعة بين العلماء والدعاة، يبحث القضايا والمستجدات على الساحة المحلية والدولية وتحديد المواقف الإسلامية إزاءها، كما يتولى فض الخلافات والتراعات إن وجدت، يشرف عليه نخبة من العلماء الأتقياء يمثلون رضا وقبول كل التيارات والأطياف الإسلامية، على أن تنظم اللائحة الداخلية حدود واختصاصات ومهام وأعمال هذا المجلس.

د- إنشاء صحيفة أو موقع إلكتروني يهتم بوحدة العلماء والدعاة والتأليف بينهم وتجميع رؤاهم، والدعوة إلى الأخوة الإسلامية، يمثل الملتقى والنادي والحديقة الفكرية التي يلتقي فيها الدعاة إلى الله تعالى

هـ- تبادل الزيارات بين الدعاة، وأن تنسق الدورات التعليمية والمخيمات التربوية لكافة الفصائل الإسلامية، يتولى تمويلها والإشراف عليها المجلس الأعلى المشار إليه.

و- تبادل الكتابات والأقلام الدعوية وذلك بأن تخصص الصحف الإسلامية حيزاً منها للأقلام الأخرى التي ليست من نفس الاتجاه والفصيل، لغرض نشر معاني الإخاء والحوار الإسلامي المنشود.

ز- إنشاء الجمعيات الخيرية التعاونية المشتركة.

ح- الاجتماع حول بعض الشخصيات التي يجمع عليها الإسلاميون. بمختلف اتجاهاتهم الفكرية وهي بذلك تساهم في وحدة العمل الإسلامي. بملاحظاتها وفتاواها، ويلزم تكوين مجلس يضم هذه الشخصيات الإسلامية وغيرها يهتم بقضايا العمل الإسلامي، ومعالجة مشكلاته بتقديم الفتوى والنصيحة والمشورة.

ط- عقد مؤتمر سنوي يجمع فصائل العمل الإسلامي، ويتم فيه الاتفاق على المهمات والسياسات للسير، ويوقع عليها قادة هذه الجماعات أو نوابهم.

١- أخرجه البخاري ١٣/١ برقم: ١٠، ومسلم ٦٥/١ برقم: ٤٠.

ي- انتداب طائفة من العاملين في حقل الدعوة لبذل الجهد للإصلاح بين الفصائل الإسلامية، وليس كما يظن البعض كتابة على الرمال أو مناطق للجبال فهذا من تسويلات الشيطان وتحريشاته العنيدة؛ لأن جهود المصالحة لا بد أن تعود بخير؛ لأن الله تعالى يقول في شأن الصلح بين الزوجين: **﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾** [النساء: ١٢٨] فكيف بخيرية الصلح بين جماعتين أو اتجاهين أو أكثر أو أقل؟! والله تعالى يقول: **﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾** [النساء: ١١٤].

قال الإمام السعدي: «والإصلاح لا يكون إلا بين متنازعين متخاصمين والتزاع والخصام والتغاضب يوجب من الشر والفرقة ما لا يمكن حصره فلذلك حث الشارع على الإصلاح بين الناس في الدماء والأموال والأعراض بل وفي الأديان كما قال تعالى: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾** [آل عمران: ١٠٣]، وقال تعالى: **﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾** [الحجرات: ٩]، وقال تعالى: **﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾** [النساء: ١٢٨] والساعي في الإصلاح بين الناس أفضل من القانت بالصلاة والصيام والصدقة، والمصلح لا بد أن يصلح الله سعيه وعمله كما أن الساعي في الإفساد لا يصلح الله عمله ولا يتم له مقصوده كما قال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾** [يونس: ٨١] فهذه الأشياء حيثما فعلت فهي خير كما دل على ذلك الاستثناء ولكن كمال الأجر وتمامه بحسب النية والإخلاص»<sup>(١)</sup>.

إن إصلاح ذات البين لا بد أن تكون له آثاره وثماره، وقد يكون نصيب المصلحين ما يعود على أشخاصهم هم من نفع وبر فضلاً عن دفع الشر والضرر فالله تعالى يقول: **﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾** [النساء: ١١٤]، فهل يُزهد في هذا الأجر العظيم؟! وهل يفرض حريص على الخير في تلك الفضيلة الكبرى التي جاء الخير المعصوم بأنها الأفضل بين الأفضل من الأعمال، قال صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا: بلى، قال: **صلح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة**"<sup>(٢)</sup>.

١- تفسير السعدي ص ٢٠٢.

٢- أخرجه الترمذي ٤/ ٦٦٣ برقم: ٢٥٠٩، وقال: «هذا حديث صحيح» ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم: "هي الحالقة لا أقول تخلق الشعر ولكن تخلق الدين".

قوله صلى الله عليه وسلم: **"الحالقة"** أي: الخصلة التي شأنها أن تحلق أي: تهلك وتستأصل الدين كما يستأصل موسى الشعر، والمراد المزيلة لمن وقع فيها؛ لما يترتب عليها من الفساد والضغائن فلا تبقي شيئاً من الحسنات حتى تذهب بها كما يذهب الحلق بشعر الرأس ويتركه عارياً<sup>(١)</sup>.  
قال ابن عبد البر: «وفيه مع خبر هذا الباب أوضح حجة في تحريم العداوة، وفضل المؤاخاة وسلامة الصدر من الغل»<sup>(٢)</sup>.  
قال سعيد النورسي-رحمه الله-: «كلمة التوحيد تجمعنا، ودار الإسلام تأويننا، ولن تزيد المذاهب الفقهية والآراء المحكومة بضوابطها الشرعية عن أن تكون حُجرات في بيت الإسلام الكبير»<sup>(٣)</sup>.

---

١- شرح الزرقاني ٤/٣٢١، والنهية في غريب الأثر ١/٤٢٨.

٢- التمهيد لابن عبد البر ٢٣/١٤٦.

٣- انظر: الوسائل العلمية والعملية لوحدة الدعاة والعلماء البحث المقدم من الأستاذ الدكتور صالح بن عبد الله الضبياني إلى إحدى ندوات تقوية الإيمان، نقلاً عن صحيفة صون الإيمان العدد: (٢٠٤) ص ٧، لشهر محرم ١٤٣١هـ .

## قطب الدين الأعظم وأثره

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو قطب الدين الأعظم، ودليل كمال الإيمان وحسن الإسلام، وهو سر أفضلية هذه الأمة؛ لقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وصمام أمن الحياة، وضمان سعادة الفرد والمجتمع، يثبت معاني الخير والصلاح في الأمة، ويزيل عوامل الشر والفساد من حياتها، ويقضي عليها أولاً بأول؛ حتى تسلم الأمة وتسعد، ويهيأ الجو الصالح الذي تنمو فيه الآداب والفضائل، وتختفي فيه المنكرات والرذائل، ويتربى في ظله الضمير العفيف، والوجدان اليقظ، ويكون الرأي العام المسلم الحر الذي يحرس آداب الأمة وفضائلها، وأخلاقها وحقوقها، ويجعل لها شخصية وسلطاناً هو أقوى من القوة، وأنفذ من القانون، ويبعث الإحساس بمعنى الأخوة والتكافل والتعاون على البر والتقوى، واهتمام المسلمين بعضهم ببعض، وهو سبب النصر والتمكين في الدنيا، وسبب النجاة في الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup>.

قال الإمام الغزالي: «إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوي بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمت الفترة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد، وقد كان الذي خفنا أن يكون فإننا لله وإنا إليه راجعون، إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه، وانمحى بالكلية حقيقته ورسمه، فاستولت على القلوب مدهانة الخلق، وانمحت عنها مراقبة الخالق، واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم، وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم، فمن سعى في تلافي هذه الفترة وسد هذه الثلمة إما متكفلاً بعملها أو متقلداً لتنفيذها مجدداً لهذه السنة الدائرة ناهضاً بأعبائها ومتشمرّاً في إحيائها كان مستأثراً من بين الخلق بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إمامتها ومستبداً بقرية تتضاءل درجات القرب دون ذروتها»<sup>(٢)</sup>.

### • الحذر من تضييع الدعوة والتقصير في تغيير المنكر

لقد حذر الله تعالى في كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم في سنته من ترك الدعوة إلى الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن النكر؛ لأن هذا الترك أو التضييع يوجب ما يلي:

١- اللعن والطرده من رحمة الله تعالى القائل عن بني إسرائيل: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ \* كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ

<sup>١</sup> - موسوعة نضرة النعيم ٥٣٩/٣.

<sup>٢</sup> - إحياء علوم الدين ٣٠٦/٢.

**عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** ﴿المائدة: ٧٨-٧٩﴾، فقد خص من معاصيهم التي أحلت بهم المثالات وأوقعت بهم العقوبات أنهم كانوا يفعلون المنكر ولا ينهى بعضهم بعضاً، فيشترك بذلك المباشر وغيره الذي سكت عن النهي عن المنكر مع القدرة، وذلك يدل على تفاؤهم بأمر الله، وأن معصيته خفيفة عليهم، فلو كان لديهم تعظيم لرهم لغاروا لحارمه ولغضبوا لغضبه، وإنما كان السكوت عن المنكر مع القدرة موجباً للعقوبة لما فيه من المفاصد العظيمة<sup>(١)</sup>.

٢- نزول العذاب ورفع إجابة الدعاء، فعن حذيفة عن اليمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم"**<sup>(٢)</sup>.

٣- عموم الهلاك للجميع؛ فعن النعمان بن بشير -رضي الله عنهما- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً"**<sup>(٣)</sup>، وهكذا إذا أقيمت الحدود وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر تحصل النجاة لكل وإلا هلك العاصي بالمعصية وغيرهم بترك الإقامة<sup>(٤)</sup>.

لقد دل هذا التمثيل الذي في هذا الحديث النبوي الشريف على أن كل مسلم في هذا الوجود له وظيفة اجتماعية في الأخذ على يد العابثين المفسدين، والوقوف في وجه الظالمين المارقين؛ حتى تسلم لأمة الإسلام عقيدتها وأخلاقها، ويتحقق لها كيانها وعزتها، وإنما إذ تساهلت في ذلك أصابها الله تعالى بالذل والهون والتمزق<sup>(٥)</sup>.

ولا يرفع نزول الهلاك وجود الصالحين بل ولا كثرتهم؛ لأن ترك تغير المنكر يؤدي إلى كثرته وشيوعه وذلك قد يسبب الهلاك، فعن أم حبيبة بنت أبي سفيان عن زينب بنت جحش رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزاعاً يقول: **"لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق ياصبعه الإجمام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش فقلت: يا رسول الله أهلك وفيها الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث"**<sup>(٦)</sup>.

١- تفسير السعدي، ١/٢٤١.

٢- أخرجه الترمذي، ٤/٤٦٨ برقم: ٢١٦٩، وقال: «هذا حديث حسن»، قال الألباني: «حسن لغیره» صحيح الترغيب والترهيب، ٢/٢٨٦ برقم: ٢٣١٣.

٣- أخرجه البخاري ٢/٨٨٢ برقم: ٢٣٦١.

٤- عمدة القاري ١٣/٥٧.

٥- الرائد دروس في التربية والدعوة ٣/١٢٩، نقلاً عن وجوب تبليغ الدعوة ص ١٧، ١٨.

٦- أخرجه البخاري ٣/١٢٢١ برقم: ٣١٦٨، ومسلم ٤/٢٢٠٧ برقم: ٢٨٨٠.

قال الإمام النووي: «الخبث هو بفتح الخاء والباء وفسره الجمهور بالفسوق والفجور، وقيل: المراد الزنا خاصة، وقيل: أولاد الزنا، والظاهر أنه المعاصي مطلقاً... ومعنى الحديث: أن الخبث إذا كثر فقد يحصل الهلاك العام وإن كان هناك صالحون»<sup>(١)</sup>.

### ● الغاية لا تبرر الوسيلة

إن حديث النعمان بن بشير دليل لمبدأ (الغاية لا تبرر الوسيلة) أي: أن الإسلام لا يقبل الوصول إلى الغايات الطيبة بالوسائل الخبيثة، إنه يرفض الفلسفة (الميكافيلية) التي ترى أن الغاية تبرر الوسيلة، بل يؤكد كل التأكيد أنه لا بد من اجتماع الأمرين: **الغاية الشريفة، والوسيلة النظيفة**، ولهذا رفض جمع المال من طرق الحرام لينفق في الخيرات وأوجه الصدقات، وقد فسر السلف العمل الصالح المقبول بأنه ما اجتمع فيه أمران: **الخلوص، والصواب**، فلا يقبل العمل عند الله إلا إذا كان خالصاً صواباً، وخلوصه أن يكون لله تعالى، وصوابه أن يكون على السنة، أي: على ما شرعه المنهج النبوي الذي يمثل الصراط المستقيم<sup>(٢)</sup>، ونرى مصداق ذلك في نص هذا الحديث الذي خرج من مشكاة النبوة الصادقة فلم يشفع لركاب السفينة الغاية الحسنة التي أرادوا بسببها خرق السفينة والتي هي عدم أذية وإزعاج إخوانهم في الطابق الأعلى للسفينة طالما أن الوسيلة خاطئة بل مهلكة.

واليوم نجد كثيراً من الحكومات العربية والإسلامية ترفض المبدأ الإسلامي وتعمل بالفلسفة الميكافيلية فيسعون إلى المقاصد التي يزعمون أنها حسنة -والله وحده هو أعلم بمرادهم- بالوسائل الخبيثة والممنوعة، كرفع الأسعار هذه الوسيلة الخبيثة التي أفقرت الشعوب ودمرت الاقتصاد ويزعمون أن المقصد من ذلك السعي إلى إصلاح وتطوير الاقتصاد، فلو كان مقصدهم الذي ظاهره حسن وجميل صادقاً فإنه لا يبرر الوسائل الخبيثة التي يسلكونها، فلا بد أن تكون الوسيلة صحيحة حسنة، فمن أراد إصلاح الاقتصاد والتخلص من الغلاء فعليه بالوسائل المشروعة لا بالمنوعة، والحسنة لا الخبيثة، والوسائل الحقيقية لا الموهومة المكذوبة، الوسائل التي تجتث الفساد والمفسدين من الجذور، خصوصاً وأن الحكومات تملك زمام الأمور، لكن للأسف فقد استشرى الفساد ونخر في هذه الحكومات حتى ارتقى مرتقياً صعباً بسبب التهاون فيه وفي إزالته والمتسببين فيه، وهكذا الكثير من السياسات الفاسدة المعوجة التي يزعمون لها الدوافع الخيرة والبواعث النبيلة من زعم بأنهم يهدفون إلى إنقاذ الشعوب، فلو افترضنا صحة هذه الدعوى - على ما فيها من شطط وتجاوز - ما جاز لهم بحال أن يصلوا إلى غاياتهم التي يزعمون شرفها ونبيلها ورفعتها بهذه الوسائل القذرة التي تقوم على مخالفة مبادئ الإسلام، والاستهانة بالشعوب واحتقارها وتجويعها وإذلالها إلى حد يصل إلى الاستهانة بسفك

١- شرح صحيح مسلم ١٨/ ٣، ٤.

٢- فتاوى معاصرة للقرضاوي ٢/ ٤٧٥.

الدم بغير حق، فعلى الحكومات العربية والإسلامية التنبيه لهذا الأمر فالمقاصد الحسنة لا تبرر الوسائل الممنوعة، والحذر الحذر الحذر من الاغترار بتلاعب وأكاذيب اليهود والنصارى وبنكهم الدولي الذي لا يرقب في مؤمن إلا ولا ذمة بل يحارب الله ورسوله بقروضه الربوية المنتنة، والحذر الحذر أثناء التعامل مع شركاتهم بحيث يوكل أمر التعامل معها إلى أهل الخبرة والمعرفة والاختصاص والأمانة، فبخبرتهم ومعرفتهم واختصاصهم لا يخدعون في صفقات زائفة أو خاسرة، ولأمانتهم ودينهم لا يقدمون مصالحهم الشخصية على مصالح شعوبهم؛ لأن في تقديم المصالح الشخصية إنفاك للدول والشعوب في صفقات كاسدة خاسرة مقابل عطايا ومغريات تعطيتها الشركات للقائمين على إبرام الاتفاقيات لنهب خيرات البلاد والعباد.

### • من أضرار ومفاسد تضييع الدعوة وترك تغيير المنكر

إن التفريط في القيام بتغيير المنكر، والتفريط في الدعوة والقيود عنها وتضييعها والتكاسل في القيام بها يترتب عليه مفاسد كثيرة، وشروط عظيمة، نراها ونشاهدها في أحوال المجتمعات التي قل فيها الدعوة، وتقاعس الناس عموماً والصالحون خصوصاً عن القيام بتغيير المنكر، ومن هذه الأضرار والمفاسد: جرأة أهل الفجور والفسق على ارتكاب المعاصي والإعلان عنها والمجاهرة بها والتهاون بشأنها والإكثار منها، وكثرة الجهل ورؤية الباطل حقاً، والاعترار بالمعاصي وتزيينها للناس<sup>(١)</sup>، بل الوقوع في المعصية؛ لأن مجرد السكوت فعل معصية وإن لم يباشرها الساكت<sup>(٢)</sup>، وانتشار الظلم وتنافر القلوب والتباغض، فالمعصية ظلم وبانتشارها وكثرتها ينتشر الظلم ويستفحل، وتنتشر الفواحش، وتنتهك الأعراض، وتؤكل الأموال بالباطل، وتسفك الدماء، ويستهان بالحقوق، وتضيع الأمانات، وتكثر الخيانات، وتتدابر الوجوه، وتتنافر القلوب، وينتشر الحقد والحسد، والكذب والتزوير، فيحل الهلاك بالعباد، ويحصل خراب الديار والبلاد، فإن ما يشاهد هذه الأيام من اقتتال بين المسلمين وإراقة للدماء كما هو الحال في الصومال وجنوب السودان وشمال اليمن والباكستان وغيرها من الدول لما يؤكد على غياب العلم والرسوخ فيه، وتصدر الجهل المزين للمناطقية، وغياب النهي عن المنكر.

إن على الحكام والعلماء والدعاة بل المجتمع بأسره المبادرة إلى إنكار المنكر وتغييره وإخماد الأسباب الحقيقية للفتن والتمزق والتي هي أحسن؛ لأن في ذلك النجاة للجميع، وفي ترك أسبابها الحقيقة أو اللجوء إلى معالجة غيرها أو معالجتها بالفتنة لما يؤدي إلى نزول الهلاك بالجميع فعن النعمان بن بشير -رضي الله عنهما- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها

١- انظر: من ١-٣: تفسير السعدي ص ٢٤١، والرائد دروس في التربية والدعوة ٣/١٣٠، ١٣١.

٢- تفسير السعدي ص ٢٤١.

كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً"<sup>(١)</sup>.

إن تمزيق الصفوف والدعوة إليه أو القيام بأي عمل يكون سبباً في ذلك وما ينتج عنه من اقتتال وإراقة للدماء ونهب للأموال وهتك للحرمت لمن أعظم المنكرات التي يجب الحذر والتحذير منها، وكيف لا يكون ذلك من أعظم الجرائم والمنكرات وقد حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم أشد التحذير في يوم الحج الأكبر في خير البلاد وخير الأجيال وأمر الحاضرين ببيان ذلك وتبليغه، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم النحر فقال: "يا أيها الناس أي يوم هذا؟ قالوا: يوم حرام، قال: فأأي بلد هذا؟ قالوا: بلد حرام، قال: فأأي شهر هذا؟ قالوا: شهر حرام، قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، فأعادها مرارا ثم رفع رأسه فقال: اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت" قال ابن عباس رضي الله عنهما: فوالذي نفسي بيده إنها لوصيته إلى أمته: "فليبلغ الشاهد الغائب لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض"<sup>(٢)</sup>، وفي رواية: "فلا ترجعوا بعدي كفارا -أو ضلالا- يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليلغ الشاهد الغائب، فلعن بعض من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه"<sup>(٣)</sup>.

إنها وصية من النبي صلى الله عليه وسلم لجميع أمته يبين فيها عظم الدماء والأموال والأعراض، وحرمة الاعتداء عليها.

## • الجهل وآفة العجب

إن من المخاطر التي تنتج عن الجهل ويحصل بها التفرق والتمزق في المجتمعات والدول آفة العجب بالنفس، أو الرأي، أو القوة، أو السلطان والسيادة، أو العمل، والذي يمهد للحرب التي ينتظرها الكثير من خصوم هذه الأمة، ويسعدهم أن تقع بأيدينا لا بأيديهم، وما أكثر العجب هذه الأيام في الحكام والمحكومين، في الأفراد والمجتمعات، في الأحزاب والجماعات، فكان لا بد من وقفة مع آفاته. إن العجب له آفات مباشرة وغير مباشرة: فأما غير المباشرة فإنه يدعو إلى الكبر، والكبر يتولد عنه، ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تحصى، وإذا اجتمعا -الكبر والعجب- فإنهما يسلبان الفضائل، ويكسبان الرذائل، وليس لمن استوليا عليه إصغاء لنصح ولا قبول لتأديب.

١- أخرجه البخاري ٢ / ٨٨٢ برقم: ٢٣٦١.

٢- أخرجه البخاري ٢ / ٦١٩ برقم: ١٦٥٢.

٣- أخرجه مسلم ٣ / ١٣٠٥ برقم: ١٦٧٩.



وأما الآفات المباشرة فإنه يدعو إلى نسيان الذنوب وإهمالها، ويستعظم صاحبه العبادات والأعمال ويتبجح بها، ويمن على الله بفعلها، وربما منعه عجبه من الازدياد في الطاعات، ثم إذا أعجب بها نسي آفاتهما، ومن لم يتفقد آفات الأعمال كان أكثر سعيه ضائعاً، والمعجب يغتر بنفسه وبرأيه، ويأمن مكر الله وعذابه، ويخرجه العجب إلى أن يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها، ويمنعه ذلك من الاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه ويكتفي برأيه، وربما أعجب بالرأي الخطأ الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره، ويصر عليه، وربما أودى ذلك به وبغيره إلى الهلاك خاصة لو كان هذا الرأي يتعلق بأمر من أمور الدين أو أمر من أمور الرعية والمحكومين وسياستهم، ولذلك عد العجب من المهلكات للأفراد والشعوب والجماعات، ومن أعظم آفاته فتور سعي المعجب لظنه أنه قد فاز واستغنى، وهذا هو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه<sup>(١)</sup>.

### ● منشأ العجب وعلاجه

أما منشأ العجب وعلته فالجهل المحض، والعجب بالفعل الداخل تحت اختيار العبد كالعبادة والغزو وسياسة الخلق وإصلاحهم أغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره. وأما علاجه فمحمل، ومفصل: أما المحمل فبالمعرفة المضادة لذلك الجهل فيقابل سببه بضده أي: بمعرفة أن ذلك الذي أثار إعجابه نعمة من الله عليه، من غير حق سبق له، ومن غير وسيلة يدلي بها، ومن ثم ينبغي أن يكون إعجابه بمجود الله وكرمه وفضله، وإذا تم علم الإنسان لم ير لنفسه عملاً ولم يعجب به؛ لأن الله هو الذي وفقه إليه، وإذا قيس بالنعم لم يف بمعشار عشرينها، هذا إذا سلم من شائبة وسلم من غفلة، فأما والغفلات تحيط به، فينبغي أن يغلب الحذر من رده ويخاف العقاب على التقصير فيه، هذا علاجه إجمالاً.

أما علاج حالاته تفصيلاً، فإن ذلك يختلف باختلاف ما يحدث به العجب وينشأ عنه وذلك أمور: الأول: العجب بحالة البدن وما يتمتع به صاحبه من الجمال والقوة والبطش ونحوهما، فعلاجه التفكير في أقدار باطنه، وفي أول أمره وآخره، وفي الوجوه الجميلة والأبدان الناعمة، كيف تمرغت في التراب وأنتنت في القبور حتى استقدرتها الطباع:

يا مظهر الكبر إعجاباً بصورته أبصر خلاك فإن التنتن تثريب  
لو فكر الناس فيما في بطونهم ما استشعر الكبر شبان ولا شيب  
هل في ابن آدم مثل الرأس مكرمة وهو بخمس من الأقدار مضروب  
أنف يسيل وأذن ريحها سهك والعين مرمصة والثغر ملعوب

١- انظر: إحياء علوم الدين ٣/٣٧٠، ونصرة النعيم ١١/٥٣٥٦، ٥٣٥٧، والغارة على العالم الإسلامي ١/ ١٥٣.

يا ابن التراب ومأكل التراب غدا أبصر فإنك مأكل ومشروب<sup>(١)</sup>

**الثاني:** العجب بالبطش والقوة الذي يؤدي بصاحبه إلى السطو على حقوق الآخرين وابتزازها بغير حق، وعلاجه أن يتذكر يوم تضعف قوته، وأنها ربما سلبت منه بأدنى آفة يسلطها الله عليه.

**الثالث:** العجب بالنسب الشريف، فعلاجه أن يعلم أنه إن خالف آباءه في أفعالهم وأخلاقهم وظن أنه ملحق بهم فقد جهل، وإن اقتدى بهم فما كان العجب من أخلاقهم، وأنهم شرفوا بالطاعة والعلم والخصال الحميدة، لا بالنسب فليتشرف بما شرفوا به، فإن من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله -عز وجل- قد أذهب عنكم عبية -الكبر- الجاهلية، وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب، ليدعن رجال فخرهم بأقوام، إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن"<sup>(٢)</sup>.

**الرابع:** العجب بنسب السلاطين الظلمة وأعوانهم، فعلاجه أن يتفكر في مخازيهم، وأنهم ممقوتون عند الله تعالى، فكيف لو انكشف له ذلمهم يوم القيامة!!

**الخامس:** العجب بكثرة الأموال والأولاد والخدم والأقارب والأنصار، فعلاجه أن يعلم ضعفه وضعفهم وأن للمال آفات كثيرة، وأنه غاد ورائح ولا أصل له.

**السادس:** العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الأمور من مصالح الدين والدنيا، وثمرته الاستبداد بالرأي وترك المشورة، واستجهاال الناس المخالفين له ولرأيه، ويخرج إلى قلة الإصغاء إلى أهل العلم؛ إعراضاً عنهم بالاستغناء بالرأي والعقل، واستحقاراً لهم وإهانة، وعلاجه أن يشكر الله تعالى على ما رزق من العقل، ويتفكر أنه بأدنى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويجن بحيث يضحك منه، فلا يأمن من أن يسلب عقله إن أعجب به ولم يقم بشكره، وليستقصر عقله وعلمه، وليعلم أنه ما أوتي من العلم إلا قليلاً وإن اتسع علمه، وأن ما جهله مما عرفه الناس أكثر مما عرفه فكيف بما لم يعرفه الناس من علم الله تعالى، وأن يتهم عقله وينظر إلى الحمقى كيف يعجبون بعقولهم ويضحك الناس منهم، فيحذر أن يكون منهم وهو لا يدري، فإن القاصر العقل قط لا يعلم قصور عقله، فينبغي أن يعرف مقدار عقله من غيره لا من نفسه، ومن أعدائه لا من أصدقائه، فإن من يداهنه يثني عليه فيزيده عجباً وهو لا يظن بنفسه إلا الخير ولا يفتن لجهل نفسه فيزداد عجباً، وكم زل في هذا النوع من خلق وأشدّه خطراً على أهل القيادة من العلماء والدعاة والحكام، فكم استغنى بعض

١- المحالسة وجواهر العلم ١/٢٧٤.

٢- أخرجه أبو داود، ٧٥٢/٢ برقم: ٥١١٦، وأحمد بن حنبل ٢/ ٣٦١ برقم: ٨٧٢١، حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب،

٣/٧٩ برقم: ٢٩٦٥، قوله: "عبية الجاهلية" بضم العين المهملة وكسرها وكسر الموحدة وفتح التحتية المشددين أي: نخوتها وكبرها، "وفخرها" وتعاطفها أي: تفاخرها، انظر: تحفة الأحوذى ٩/١١٠.

هؤلاء بالرأي الذي مزق وفرق، وأشد هؤلاء خطراً الحاكم المعجب بعقله وكياسته وفطنته وحنكته التي قادت به إلى الاستبداد برأيه وترك المشورة واستجهاً للمخالفين، والإعراض عن الإصغاء إلى أهل العلم؛ إعراضاً مزقت به البلاد وسفكت به الدماء، فالحذر الحذر من هذه الآفة والطامة الكبرى.

**السابع:** العجب بالرأي الخطأ، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]، وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ذلك يغلب على آخر هذه الأمة فيظهر الشح المطاع والهوى المتبع وإعجاب كل ذي رأي برأيه<sup>(١)</sup>، وبذلك هلكت الأمم السالفة إذ افتقرت فرقاً، فكل معجب برأيه، وكل حزب بما لديهم فرحون، وجميع أهل البدع والضلال إنما أصروا عليها؛ لعجبهم بآرائهم، واليوم يعيد التاريخ نفسه، ويظهر الإعجاب بالنفس والرأي الذي يؤدي إلى الإصرار على الخطأ، والبعد عن الاستفادة من مشورة المخلصين، والعلماء الناصحين، واستجهاً للمخالفين له ولرأيه، مما ينذر بوقوع الفرقة والتمزق المؤدي إلى الهلاك، وعلاج هذا العجب أشد من علاج غيره؛ لأن صاحب الرأي الخطأ جاهل بخطئه ولو عرفه لتركه، ولا يعالج الداء الذي لا يعرف، والجهل داء لا يعرف فتعسر مداواته جداً؛ لأن العارف يقدر على أن يبين للجاهل جهله ويزيله عنه إلا إذا كان معجباً برأيه أو جهله مصراً عليه معتقداً أنه الحق الذي لا يجوز مخالفته، فإنه لا يصغي إلى العارف بل يتهمة، فقد سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها نعمة فكيف يمكن علاجه، وكيف يطلب الهرب مما هو سبب سعادته في اعتقاده وإنما علاجه على الجملة أن يكون متهما لرأيه أبداً لا يغتر به وإلا كان مدعياً؛ لأن علم البشر محدود<sup>(٢)</sup>.

<sup>١</sup> - حديث أبي ثعلبة الخشني: "اتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنياً مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك..." أخرجه أبو داود ٢ / ٥٢٦ برقم: ٤٣٤١، والترمذي ٥ / ٢٥٧ برقم: ٣٠٥٨، وابن ماجه ٢ / ١٣٣٠ برقم: ٤٠١٤، ضعفه الألباني في ضعيف أبي داود، ٤٣١/١ برقم: ٩٣٤.

وأما حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه"، فأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٥ / ٣٢٨ برقم: ٥٤٥٢، والبيهقي في شعب الإيمان ١ / ٤٧١ برقم: ٧٤٥، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ٤ / ٤١٢ برقم: ١٨٠٢، وصحيح الترغيب والترهيب ١ / ١٠٨ برقم: ٤٥٣.

<sup>٢</sup> - انظر: إحياء علوم الدين للغزالي ٣ / ٣٧١-٣٧٨، ونصرة النعيم ١١ / ٥٣٥٧، ٥٣٥٨.

## المبحث الثالث: وفيه السبب الرابع وهو الظلم

إن الظلم من أقبح الخصال التي لا تصدر إلا من نفس متجبرة متكبرة ناسية عظمة الله وشدة عقابه أو جاهلة لها أو غافله أو متغافلة عنها، حرمة الله سبحانه وتعالى -لتمام عدله- على نفسه، وجعله محرماً بين عباده؛ لأنه وضع للشيء في غير موضعه المختص به، إما بنقصان أو زيادة، وإما بعدول عن وقته أو مكانه، وإما بمجاوزة الحق والتعدي عنه إلى الباطل وهو الجور، والتصرف في ملك الغير ومجاوزة الحد والميل عن القصد، ويقال في الكثير والقليل، ولهذا يستعمل في الذنب الكبير والذنب الصغير<sup>(١)</sup>، فعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: **"يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا"**<sup>(٢)</sup>، وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة"**<sup>(٣)</sup>، فقله صلى الله عليه وسلم: **"لا يظلمه"** نفي بمعنى الأمر، وهو من باب التوكيد؛ لأن ظلم المسلم للمسلم حرام<sup>(٤)</sup>.

وقد وعد الله تعالى عليه بالعذاب الشديد<sup>(٥)</sup> قال سبحانه وتعالى: **﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾** [غافر: ٥٢]، وحذر رسوله صلى الله عليه وسلم منه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلل منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه"**<sup>(٦)</sup>.

إن كل من خرج عن تعاطي العدل بالطبع وبالخلق والتخلق والتصنع والرياء والرغبة والرهبة فقد انسلخ عن الإنسانية، ومتى صار أهل كل صقع على ذلك فتهارشوا وتغالبا وأكل قويهم ضعيفهم، ولم يبق فيهم أثر قبول لمن يمنعه ويصدهم عن الفساد فقد جرت عادة الله سبحانه في أمثالهم بإهلاكهم واستئصالهم عن آخرهم<sup>(٧)</sup>، قال الله تعالى: **﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** [الأنفال: ٢٥]، وقال سبحانه: **﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا**

١- لسان العرب ٣٧٣/١٢، والقاموس المحيط ١٤٦٤/١، والمصباح المنير ٣٨٦/٢، وتاج العروس ٣٣/٣٣، والتعاريف للمناوي

٢- ٤٩٢/١، والتعريفات للجراني ١٨٦/١، ودستور العلماء ٢٠٨/٢، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١٠٧٢/١.

٣- رواه مسلم ١٩٩٤/٤ برقم: ٢٥٧٧.

٤- رواه البخاري ٨٦٢/٢ برقم: ٢٣١٠، ومسلم ١٩٩٦/٤ برقم: ٢٥٨٠.

٥- عمدة القاري، ٢٨٩/١٢.

٦- الدروس اليومية من السنن والأحكام الشرعية ١ / ٣٩٩.

٧- رواه البخاري ٨٦٥/٢ برقم: ٢٣١٧.

٨- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ١٠ / ٤٨٧٣.

أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْسِيبٍ \* وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ [هود: ١٠١-١٠٢]، وقال: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يونس: ١٣]، وقال: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ \* فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤-٥]، وقد أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بالأخذ على يد الظالم، ومنعه من ظلمه، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "انصر أحاك ظالما أو مظلوما، فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: تحجزه -أو تمنعه- من الظلم فإن ذلك نصره"<sup>(١)</sup>.

## • أنواع الظلم

الظلم ثلاثة أنواع:

**النوع الأول:** ظلم بين الإنسان وبين الله تعالى، وأعظمه الكفر والشرك والنفاق، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]، فالظالم الأعظم هو الذي لا يدخل تحت شريعة الله تعالى، وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، ويدخل فيهم كل من عمد إلى إقصاء الشريعة عن منصة الحكم، أو قدم عليها القوانين الوضعية والحكم بالهوى، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ \* إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ \* هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ \* أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ \* وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الحاثية: ١٨-٢٢].

**النوع الثاني:** ظلم بين الإنسان وبين الناس، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠]، وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٤٢]، وظلمهم بوضع الشيء في غير موضعه المختص به، وبمجاوزة الحق والحد، والميل عن القصد، والتعدي عنه إلى الباطل والجور، والتصرف في ملك الغير بغير وجه حق، ومن ظلمهم أن يتعطل عن المكاسب والأعمال، فيأخذ منافع الناس، ولا يعطيهم منفعة، وإن من الظلم

الواقع بين الإنسان وبين الناس عدم التزام أحكام الجهات المختصة فيما تضعه من أنظمة لتسيير الحياة فيما لا نص فيه بشرط ألا يتعارض ذلك مع نصوص وأحكام الشرع؛ إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة"**<sup>(١)</sup>.

النوع الثالث: ظلم بينه وبين نفسه، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ [فاطر: ٣٢]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ [القصص: ١٦].

وكل هذه الثلاثة في الحقيقة ظلم للنفس، فإن الإنسان أول ما يهتم بالظلم فقد ظلم نفسه<sup>(٢)</sup>.

### • دواوين الظلمة يوم القيامة

لما كان الظلم أنواعا ثلاثة كانت دواوينه يوم القيامة ثلاثة؛ لأن كل ديوان يقابله نوع، وهذه الدواوين هي:

١- ديوان لا يغفر الله منه شيئا وهو الشرك به، فإن الله لا يغفر أن يشرك به، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

٢- ديوان لا يترك الله تعالى منه شيئا، وهو ظلم العباد بعضهم بعضا، فإن الله تعالى يستوفيه كله، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا نقوا وهذبوا أذن لهم بدخول الجنة، فو الذي نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه في الجنة أدل بمنزله كان في الدنيا"**<sup>(٣)</sup>.

٣- ديوان لا يعبأ الله به، وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه عز وجل، فإن هذا الديوان أخف الدواوين وأسرعها محوًا؛ فانه يمحي بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية والمصائب المكفرة ونحو ذلك، بخلاف ديوان الشرك فانه لا يمحي إلا بالتوحيد، وديوان المظالم لا يمحي إلا بالخروج منها إلى أهلها واستحلالهم منها<sup>(٤)</sup>.

١- رواه البخاري ٦/ ٢٦١٢ برقم: ٦٧٢٥.

٢- تاج العروس ٣٣/ ٣٣، والمفردات في غريب القرآن ١/ ٣١٥، ٣١٦، ونصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ١٠ / ٤٨٧٣، بتصرف.

٣- رواه البخاري ٢/ ٨٦١ برقم: ٢٣٠٨.

٤- الوابل الصيب ٣٣/ ١.

## ● من مضار الظلم

للظلم أضرار وخيمة، أذكر منها ما يلي:

١- الظلم يجلب غضب الله تعالى وسخطه ويتسلط على الظالم بشتى أنواع العذاب، وكيف لا يجلب غضب الله وسخطه وهو الذي حرمه على نفسه وجعله محرماً بين عباده ونهاهم عنه، ومن أشد الظلم الجالب لغضب الله تعالى على العبد ظلم الولاة والسلطين فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"أربعة يبغضهم الله عز وجل: البياع الحلاف، والفقير المختال، والشيخ الزاني، والإمام الجائر"**<sup>(١)</sup>، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إن أشد أهل النار عذاباً يوم القيامة: من قتل نبياً، أو قتله نبي، وإمام جائر"**<sup>(٢)</sup>، وفي رواية: **"أشد الناس عذاباً يوم القيامة: رجل قتل نبي، أو قتل نبياً، وإمام ضلالة، وممثل من الممثلين"**<sup>(٣)</sup><sup>(٤)</sup>.

٢- قبول دعاء المظلوم فيه، فقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من دعوة المظلوم؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً إلى اليمن فقال: **"اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب"**<sup>(٥)</sup>، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"اتقوا دعوات المظلوم فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرار"**<sup>(٦)</sup>، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب، وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين"**<sup>(٧)</sup>.

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرًا فالظلم آخره يأتيك بالندم

- 
- ١- رواه النسائي ٨٦/٥ برقم: ٢٥٧٦، وابن حبان ٣٦٨/١٢ برقم: ٥٥٥٨، صحيحه الألباني في الصحيحة ١/ ٧٠٤ برقم: ٣٦٣.
  - ٢- رواه الطبراني في الكبير ١٠/ ٢١٦ برقم: ١٠٥١٥، قال الهيثمي: «رواه الطبراني وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس وبقيّة رجاله ثقات، ورواه البزار إلا أنه قال: **"وإمام ضلالة"**، ورجاله ثقات، وكذلك رواه أحمد» مجمع الزوائد، ٥/ ٤٢٥ برقم: ٩١٩٨، قال الألباني: «رواه الطبراني ورواته ثقات إلا ليث بن أبي سليم وفي الصحيح بعضه ورواه البزار بإسناد جيد إلا أنه قال: **"وإمام ضلالة"**» صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٥٦ برقم: ٢١٨٥.
  - ٣- أي مصور، يقال مثلث بالثقل والتخفيف إذا صورت مثالا، والتمثال الاسم منه، وظل كل شيء تمثاله، ومثل الشيء بالشيء سواه وشبهه به وجعله مثله وعلى مثاله، النهاية في غريب الأثر ٤/ ٢٩٥، وانظر: فتح الباري ١٠/ ٣٨٣.
  - ٤- رواه أحمد ١/ ٤٠٧ برقم: ٣٨٦٨، صحيحه الألباني في السلسلة الصحيحة ١/ ٥٦٩ برقم: ٢٨١.
  - ٥- رواه البخاري ٢/ ٨٦٤ برقم: ٢٣١٦، ومسلم ١/ ٥٠ برقم: ١٩.
  - ٦- رواه الحاكم ١/ ٨٣ برقم: ٨١، وقال: «قد احتج مسلم بعاصم بن كليب والباقون من رواة هذا الحديث متفق على الاحتجاج بهم ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، وصحيحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٦٥ برقم: ٢٢٢٨.
  - ٧- رواه الترمذي ٥/ ٥٧٨ برقم: ٣٥٩٨، وقال: «هذا حديث حسن»

تنام عيناك والمظلوم منتصب يدعو عليك وعين الله لم تنم<sup>(١)</sup>  
٣- يجرب الديار، وبسببه تنهار الدول، ويُرفع النصر والتمكين في الدنيا والآخرة، قال تعالى:  
**﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾** [البقرة: ٢٧٠]، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال: **"لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم، ثم تقنع بردائه وهو على الرحل"**<sup>(٢)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «إن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة، ويروى [بأن] الله ينصر الدولة العادلة، وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة»<sup>(٣)</sup>.

٤- تحاشي الخلق عن الظالم وبعدهم منه؛ لخوفهم من بطشه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره"**<sup>(٤)</sup>.

٥، ٦- معصيته متعددة للغير، وهو دليل على ظلمة القلب وقسوته، قال ابن الجوزي: «الظلم يشتمل على معصيتين: أخذ مال الغير بغير حق، ومبارزة الرب بالمخالفة والمعصية فيه أشد من غيرها؛ لأنه لا يقع غالباً إلا بالضعيف الذي لا يقدر على الانتصار، وإنما ينشأ الظلم عن ظلمة القلب؛ لأنه لو استنار بنور الهدى لاعتبر، فإذا سعى المتقون بنورهم الذي حصل لهم بسبب التقوى اكتنفت ظلمات الظلم الظالم حيث لا يغني عنه ظلمه شيئاً»<sup>(٥)</sup>.

وقال يحيى بن أبي كثير: «أمر رجل بالمعروف ونهى عن المنكر فقال له رجل: عليك بنفسك؛ فإن الظالم لا يضر إلا نفسه، فقال أبو هريرة: كذبت والله الذي لا إله إلا هو، ثم قال: والذي نفسي بيده إن الحباري<sup>(٦)</sup> لتموت هزلاً في وكرها بظلم الظالم»<sup>(٧)</sup>.

٧- عدم الأخذ على يد الظالم يفسد الأمة؛ لأن الظلم من أعظم المنكرات، وبسببه ترفع إجابة الدعوات، ويُختم على القلوب، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: **"والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب"**

١- التبصرة، ٨٥/١، والكبائر للذهبي، ١٠٥/١.

٢- رواه البخاري ٣ / ١٢٣٧ برقم: ٣٢٠٠، ومسلم ٤ / ٢٢٨٥ برقم: ٢٩٨٠.

٣- مجموع الفتاوى ٢٨ / ٦٢، ٦٣.

٤- رواه البخاري ٥ / ٢٢٤٤ برقم: ٥٦٨٥.

٥- فتح الباري ٥ / ١٠٠.

٦- الحُبَارَى: طائرٌ طويل العنق، رمادي اللون، على شكل الإوزة، في منقاره طول، تاج العروس ١٠ / ٥٠٩.

٧- تفسير القرطبي ١٤ / ٣٦١.



لكم" <sup>(١)</sup>، وقال: "والذي نفس محمد بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يدي الظالم، ولتأطرنه على الحق أطراً، أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض، ثم ليلعنكم كما لعنهم" قال خلف: «تأطرونه: تقهرونه» <sup>(٢)</sup>، وقد أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نأخذ على يد الظلم ونمنعه عن ظلمه فقال: "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال رجل يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره" <sup>(٣)</sup>، وفي رواية: قالوا يا رسول الله هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً؟ قال: "تأخذ فوق يديه" <sup>(٤)</sup>.

٨- يجلب كره الرسول صلى الله عليه وسلم، والخروج عن طريقته، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة: "أعاذك الله من إمارة السفهاء، قال: وما إمارة السفهاء؟ قال: أمراء يكونون بعدي، لا يقتدون بهديي، ولا يستنون بسنتي، فمن صدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فأولئك ليسوا مني ولست منهم، ولا يردوا على حوضي، ومن لم يصدقهم بكذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم، فأولئك مني وأنا منهم، وسيردوا على حوضي، يا كعب بن عجرة الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة، والصلاة قربان أو قال برهان، يا كعب بن عجرة إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت، النار أولى به، يا كعب بن عجرة الناس غاديان: فمبتاع نفسه فمعتقها، وبائع نفسه فموبقها" <sup>(٥)</sup>.

٩- صغار الظالم عند الله وذلته، قال الله تعالى: ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، قال الإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي: «وإنما قدم ذكر الصغار على ذكر الضرر؛ لأن القوم إنما تمردوا عن طاعة محمد عليه الصلاة والسلام طلباً للعز والكرامة، فالله تعالى بين أنه يقابلهم بضد مطلوبهم، فأول ما يوصل إليهم إنما يوصل الصغار والذل والهوان» <sup>(٦)</sup>، وكذلك الظالم إنما تجاوز الحق والحد، وتعدى عنه إلى الباطل، وصار جائراً، وتصرف في ملك الغير، ومال عن القصد؛ طلباً للعز والكرامة، فسنة الله تعالى تقتضي أن يقابله بضد مطلوبه، فأول ما يوصل إليه الصغار والذل والهوان.

١- رواه الترمذي ٤٦٨/٤ برقم: ٢١٦٩، وقال: «هذا حديث حسن»، وقال الألباني: «حسن لغيره» صحيح الترغيب والترهيب ٢/ ٢٨٦ برقم: ٢٣١٣.

٢- رواه الطبراني في الكبير ١٠/ ١٤٦ برقم: ١٠٢٦٨، قال الهيثمي: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح» مجمع الزوائد ٥٣١/٧ برقم: ١٢١٥٣.

٣- رواه البخاري ٦/ ٢٥٥٠ برقم: ٦٥٥٢.

٤- رواه البخاري ٢/ ٨٦٣ برقم: ٢٣١٢.

٥- رواه أحمد ٣/ ٣٢١ برقم: ١٤٤٨١، قال الألباني: «صحيح لغيره» انظر: صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٦٨ برقم: ٢٢٤٢.

٦- التفسير الكبير ١٣/ ١٤٤.

١٠- الظلم يؤدي بصاحبه إلى الشقاء، ويعمل على تمكين الشر والفساد في النفوس؛ فلذلك تجد أن الظلمة شرار الخلق، لأن الظالم يجاوز الحق والحد ويتعداه إلى الباطل، ويميل عن القصد ويتصرف في ملك غيره، فلا يقبل هدى الله ولا يرفع به رأساً، فبظلمهم يضيقون الديار، ويغلون الأسعار، ولا هم لأحدهم إلا تحقيق شهوات بطنه وفرجه بأي طريق وأي ثمن، فإن ترقى همته كان همه مع ذلك لباسه وزينته، فإن ترقى همته فوق ذلك كان همه في الرياسة والانتصار للنفس الغضبية، فإن ارتفعت همته عن نصرة النفس الغضبية كان همه في نصرة النفس الكلية، فإن لم يعطها انتقل إلى نصرة النفس السبعية، فلا يعطيها إلا واحدة من هؤلاء.

قال ابن القيم وهو يتحدث عن أصناف الناس: «وأما الطائفة الثالثة وهم أشقى الخلق الذين لم يقبلوا هدى الله ولم يرفعوا به رأساً، فلا حفظ ولا فهم ولا رواية ولا دراية ولا رعاية... ﴿إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤] فهم الذين يضيقون الديار ويغلون الأسعار إن همه أحدهم إلا بطنه وفرجه، فإن ترقى همته كان همه مع ذلك لباسه وزينته، فإن ترقى همته فوق ذلك كان همه في الرياسة والانتصار للنفس الغضبية، فإن ارتفعت همته عن نصرة النفس الغضبية كان همه في نصرة النفس الكلية، فلم يعطها إلى نصرة النفس السبعية، فلم يعطها أحد من هؤلاء، فإن النفوس كلية وسبعية وملكية، فالكلية تقنع بالعظم والكسرة والجيفة والقذرة، والسبعية لا تقنع بذلك بل تقهر النفوس تريد الاستيلاء عليها بالحق والباطل، وأما الملكية فقد ارتفعت عن ذلك وشمرت إلى الرفيق الأعلى فهمتها العلم والإيمان ومحبة الله»<sup>(١)</sup>.

١١- الظالم يحرم شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن معقل بن يسار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صنفان من أمتي لا تنالهما شفاعتي: سلطان ظلوم غشوم، وغال في الدين يشهد عليهم فيتبرأ منهم"<sup>(٢)</sup>.

١٢- الظلم سبب للضلال وعدم الفلاح في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٥]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، فالظلمة لا يظفرون بمطالبهم في الدنيا ولا في الآخرة بل يبقون في الحرمان والخذلان<sup>(٣)</sup>، فلا يفوزون بمطلوب ولا ينجون من محذور<sup>(٤)</sup>.

١- الوابل الصيب ٨٥/١، وانظر: منطلقات طالب العلم ٩٥/١.

٢- رواه الطبراني في الكبير، ٢٠/٢١٣ برقم: ٤٩٥، والأوسط ٢٠٠/١ برقم: ٦٤٠، قال الهيثمي: «رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجال الكبير ثقات» مجمع الزوائد، ٥/٤٢٣ برقم: ٩١٩٥، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢٦٣/٢ برقم: ٢٢١٨.

٣- التفسير الكبير ١٢/١٥٠.

٤- تفسير أبي السعود ١/٧.

١٣- يسلط على الظلم أمثاله، فتجد أعوانه وحاشيته من جنسه، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بِغَضِ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩]، أي: نجعل بعضهم ولياً لبعض، وقيل يتبع بعضهم بعضاً في دخول النار، وقيل يسلط بعضهم على بعض<sup>(١)</sup>.

قال الإمام السعدي: «أي: وكما ولينا الجن المردة، وسلطانهم على إضلال أوليائهم من الإنس، وعقدنا بينهم عقد الموالاة والموافقة بسبب كسبهم وسعيهم بذلك، كذلك من سنتنا أن نولي كل ظالم ظالماً مثله؛ يؤزه إلى الشر، ويحثه عليه، ويزهده في الخير، وينفره عنه، وذلك من عقوبات الله العظيمة، الشنيع أثرها، البليغ خطرهما، والذنب ذنب الظالم؛ فهو الذي أدخل الضرر على نفسه، وعلى نفسه جنى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] ومن ذلك أن العباد إذا كثر ظلمهم وفسادهم ومنعهم الحقوق الواجبة ولى عليهم ظلمة يسومونهم سوء العذاب ويأخذون منهم بالظلم والجور أضعاف ما منعوا من حقوق الله وحقوق عباده على وجه غير مأجورين فيه ولا محتسبين»<sup>(٢)</sup>.

وفي بعض الآثار: «إذا كان يوم القيامة يجتمع الظلمة وأعوانهم [و] من ألاق لهم دواة وبرى لهم قلما، فيجعلون في تابوت ويُلَقَوْنَ في جهنم»<sup>(٣)</sup>.

إِنْ كُنْتَ تَحْفَظْ مَا يَلِيكَ فَإِنَّمَا  
عَمَالُ أَرْضِكَ بِالْبِلَادِ ذَنَابُ  
لَنْ يَسْتَجِيبُوا لِلَّذِي تَدْعُو لَهُ  
حَتَّى تُجَلَدَ بِالسَّيْفِ رِقَابُ  
بِأَكْفٍ مَنْصَلَتَيْنِ أَهْلُ بَصَائِرٍ  
فِي وَقْعِهِنَّ مَزَاحِرٌ وَعِقَابُ<sup>(٤)</sup>

١٤- الظلم ظلمات على صاحبه يوم القيامة فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم"<sup>(٥)</sup>.

١- التسهيل لعلوم التنزيل ٢١/٢.

٢- تفسير السعدي ٢٧٣/١، ٢٧٤.

٣- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١/ ١٠٧٤، ونصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ١٠/ ٤٩٢٦، قوله:

«ألاق لهم دواة» أي: أمسكها، غريب الحديث لابن الجوزي ٣٦/١.

٤- الإنجائية والسلبية في الشعر العربي بين الجاهلية والإسلام ١/ ٢٢٦، نقلاً عن: البيان والتبيين ٣/ ٣٥٨.

٥- رواه مسلم ٤/ ١٩٩٦ برقم: ٢٥٧٨.

## ● ظلم الولاة والسلاطين

الظلم قبيح وهو من كبائر الذنوب؛ لتعدي معصيته للغير بأخذ حقوقهم بغير حق، وهو من السلطان أقبح وأفطع؛ لأن المتضرر من ظلم الولاة جماعة كبيرة من الناس، فإذا كان الله تعالى حرم الظلم بين آحاد الناس فكيف يحكم بآلاف أو مئات الآلاف أو الملايين يتضررون جميعاً من ظلمه وجوره وحيفه.

لقد ضاعت حقوق شعوب بأسرها، ونهبت خيرات البلدان العامة والخاصة، ولهذا خاف النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الأمة من ظلم الولاة والسلاطين، فعن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"ثلاث أخاف على أمتي: الاستسقاء بالأنواء، وحيف السلطان، وتكذيب بالقدر"**<sup>(١)</sup>.

إن ما يترتب على ظلم الحاكم من فساد وفتنة جعل الحاكم الظالم الجائر أبغض الخلق إلى الله تعالى، وأشدّهم الناس عذاباً يوم القيامة فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"أربعة يبغضهم الله عز وجل: البياع الخلاف، والفقيр المختال، والشيخ الزاني، والإمام الجائر"**<sup>(٢)</sup>، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إن أشد أهل النار عذاباً يوم القيامة من قتل نبياً أو قتله نبي وإمام جائر"**<sup>(٣)</sup>.

إن الضرر المترتب على ظلم الولاة والسلاطين لا يقتصر على البشر فقط بل يتعداهم إلى الحيوانات والنبات، وكل ما في الأرض، قال مجاهد: «إذا ولي الظالم سعى بالظلم والفساد، فيحبس بذلك القطر، فيهلك الحرث والنسل، والله لا يحب الفساد»<sup>(٤)</sup>.

إن السبب الأكبر لظلم الولاة والسلاطين هو أنهم تركوا المنهج الصحيح والمنهل العذب كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، واتخذوا من الكذب تحت مسمى السياسة شعاراً لهم يغرون به الناس في خطاباتهم فهلكوا وأهلكوا من صدقهم وأعانهم، وصدق وصف النبي صلى الله عليه وسلم لهم بالسفهاء إذ يقول لكعب صلى الله عليه وسلم بن عجرة: **"أعاذك الله من إمارة السفهاء، قال: وما إمارة السفهاء؟ قال: أمراء يكونون بعدي، لا يقتدون بهديي، ولا يستنون بسنتي، فمن**

١- رواه أحمد ٨٩/٥ برقم: ٢٠٨٦٤، قال الألباني: «صحيح بشواهده الكثيرة» انظر: السلسلة الصحيحة، ١١٨/٣ برقم: ١١٢٧.

٢- رواه النسائي ٨٦/٥ برقم: ٢٥٧٦، وابن حبان ٣٦٨/١٢ برقم: ٥٥٥٨، صححه الألباني في الصحيحة ١/٧٠٤ برقم: ٣٦٣.

٣- رواه الطبراني في الكبير ١/٢١٦ برقم: ١٠٥١٥، قال الهيثمي: «رواه الطبراني وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس وبقية رجاله ثقات، ورواه البزار إلا أنه قال: **"وإمام ضلالة"**، ورجاله ثقات، وكذلك رواه أحمد» مجمع الزوائد، ٥/٤٢٥ برقم: ٩١٩٨، قال الألباني: «رواه الطبراني ورواته ثقات إلا ليث بن أبي سليم وفي الصحيح بعضه ورواه البزار بإسناد جيد إلا أنه قال: **"وإمام ضلالة"**» صحيح الترغيب والترهيب، ٢/٢٥٦ برقم: ٢١٨٥.

٤- الجواب الكافي ٤٢/١.

صدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فأولئك ليسوا مني ولست منهم، ولا يردوا على حوضي، ومن لم يصدقهم بكذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم، فأولئك مني وأنا منهم، وسيردون على حوضي" (١)

وصدق القائل إذ يقول:

وهل أهلك الدين إلا الملوك      وأحبار سوء ورهبانها  
وباعوا النفوس فلم يزرعوا      ولم تغل بالبيع أثمانها  
لقد وقع القوم في جيفة      يبين للعاقل إنتانها (٢)

إن الناظر والمتأمل في التاريخ يجد أن معظم القلاقل والاضطرابات والبلايا التي ظهرت ووقعت على الناس عبره فعصفت بالمجتمعات إنما كان سببها جور السلاطين، وما كان فيه من أمن ورخاء واستقرار فبالعدل.

إن أعداء الإسلام يدركون خطر ظلم الحكام وما ينتج عنه من فوضى وبلاء وقلاقل وفتن ولذا فإن من مشروعاتهم لتمزيق المسلمين إيجاد الفجوة بين الحاكم والمحكوم، ولذا فإنهم يفرضون على الحكومات أنظمة سياسية واقتصادية مدروسة قد خطط لها تعمل على تدمير اقتصاد البلدان، وإثارة القلاقل والفتن، وبغض الناس والشعوب لحكامهم، ويزينونها بمسميات براقة خادعة، كتسميتهم لسياسة التجويع إصلاحات اقتصادية، والعجيب تبجح العملاء والجهال الذين لا يعرفون خطرهم، حتى إذا ما تحقق ذلك الهدف المنشود لهذه السياسات دسوا لهم عملاء يدعون إلى تفريق وتمزيق البلاد بدعوى التخلص من ظلم الحاكم الظالم، وبهذه الدعوى المبهرجة-دعوى التخلص من الظلم- ينخدع الكثير من الناس خصوصاً أصحاب المظالم -وقد أصبح جميع الشعب مظلوماً إذ لا قضاء مستقل ينصفهم- فيجد هؤلاء لهم قاعدة شعبية صلبة ومتينة تقف معهم ضد الطواغيت والظلمة، فهل يعقل هؤلاء الحكام ويعملون على تصحيح المسار، أم ماذا؟؟ ولماذا؟؟!

يسوسون الأنعام بغير لب      فينفذ أمرهم ويقال ساسة (٣)

أخيراً أيها الحكام والولاة والسلاطين إذا أردتم أن تعتقوا رقابكم من النار فإياكم والظلم، وتأملوا إلى ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه حين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً لا يفكه إلا العدل أو يوبقه الجور" (٤)، فكيف بظلم

١- رواه أحمد ٣/٣٢١ برقم: ١٤٤٨١، قال الألباني: «صحيح لغيره» انظر: صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٦٨ برقم: ٢٢٤٢.

٢- المحالسة وجواهر العلم ١/٣٦، وديوان عبد الله بن المبارك ١/٢٧.

٣- جهود العلماء والأدباء في استنقاذ القدس من الصليبيين ١/٣.

٤- رواه أحمد ٢/ ٤٣١ برقم: ٩٥٧٠، قال الألباني: «رواه أحمد بإسناد جيد رجاله رجال الصحيح» انظر: صحيح الترغيب والترهيب ٢/ ٢٥٨ برقم: ٢١٩٨.

الملايين! وعن عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"من ضرب مملوكه ظلماً أقيد منه يوم القيامة"**<sup>(١)</sup>، فكيف بمن ظلم شعباً بأكمله! كيف تراه يوم القيامة حين يقف أمام الجميع ليأخذ كل ذي حق بحقه! وكفى مراوغة وتلاعباً وإلقاء باللوم على الآخرين، والتنصل عن المسؤولية؛ لأن الرأس إذا صلح ففي صلاحه الصلاح لسائر الجسد وفي فساد فساد له، وكفى استغلالاً للأوضاع لإفشاء الظلم والفقر والجوع وإعلاء الأسعار ونشر الجرعات الاقتصادية والتدريج بالارتفاع العالمي للأسعار كل ذلك سيسأل عنه الحاكم بين يدي الله تعالى إي وربي، فإن توفير الأمن الغذائي للمحكومين من واجب الحاكم تجاه من يحكمهم، ومن القواعد المقررة في الاقتصاد الإسلامي توفير حد الكفاية لكل مواطن لا حد الكفاف، فكيف بمن يدمرون اقتصاد بلادهم وينشرون الفقر فيها ومع هذا يتغنون بأمن يكاد يكون مفقوداً، مع أن الله تعالى أمتن على قریش بتوفير الأمنين: الأمن من الخوف، والأمن من الجوع، وبدأ بالأمن الغذائي لخطر غيابه فقال تعالى: **﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾** [قریش: ٤].

عن الحسن قال أتينا معقل بن يسار نعوذه فدخل علينا عبيد الله فقال له معقل: أحدثك حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: **"ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة"**<sup>(٢)</sup>، قال ابن بطال: «هذا وعيد شديد على أئمة الجور فمن ضيع من استرعاه الله أو خانهم أو ظلمهم فقد توجه إليه الطلب بمظالم العباد يوم القيامة فكيف يقدر على التحلل من ظلم أمة عظيمة»<sup>(٣)</sup>.

إن سياسة التجويع التي يمارسها مجموعة من الحكام ما هي إلا لتنفيذ المخطط الرأسمالي الساعي إلى نزع الأموال من الشعوب وجعلها في يد ثلة من الناس لا تزيد عن ٢٠% هي الثلة الرأسمالية اليهودية؛ يهدفون من وراء ذلك إلى إذلال الشعوب وإهانتها وعولمتها لتكون لهم السيادة والكلمة وشعارهم في ذلك جوع كلبك يتبعك، ومن لا يملك قوته لا يملك قراره، وما ارتفاع الحروقات من بترول وديزل وغاز إلا لتحقيق ذلك؛ إذ بارتفاعها خصوصاً الديزل يكثر الفقر وتنتشر البطالة وترتفع السلع وتقل الزراعة الداخلية وتتحجم وتكاد تختفي، ويصبح قوت الشعوب المسلمة يأتيها من الغرب، فإذا ما رفضت هذه الشعوب أن تستجيب للمقررات الرأسمالية العالمية فرض عليها الحضر الاقتصادي الذي يركعها ويذلها، والأدهى والأمر في هذا أن معظم هؤلاء الحكام يدركون هذا تماماً ويعلمون يقيناً أن هذه الجرعات تهلك البلاد والعباد وتنفيذ مخططات اليهود والنصارى، ولكن لا هم لهم إلا تثبيت

١- ذكره المنذري في الترغيب والترهيب وقال: رواه الطبراني ورواته ثقات، ٣/ ٢١١، قال الألباني: «صحيح لغيره» صحيح الترغيب

والترهيب ٢/ ٢٧٨ برقم: ٢٢٨٠.

٢- أخرجه البخاري ٦/ ٢٦١٤ برقم: ٦٧٣٢.

٣- فتح الباري ١٣/ ١٢٨.

العروش-كراسي الحكم- والخوف عليها من الاهتزاز حتى لو هلكت كل أمة محمد، فأصبح المكر والخديعة والأكاذيب الفظيعة سياسات حكيمة وحكوماتها رشيدة: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

جاء بلال إلى عمر رضي الله عنه وهو بالشام وحوله أمراء الأجناد جلوس فقال: يا عمر، فقال لها أنا عمر، فقال بلال: إنك بين الله وبين هؤلاء، وليس بينك وبين الله أحد، فانظر عن يمينك وعن شمالك وبين يديك ومن خلفك إن هؤلاء الذين حولك إن يأكلون إلا لحوم الطير فقال: صدقت والله لا أقوم من مجلسي هذا حتى تكلفون- وفي نسخ حتى تكفلوا- لكل رجل من المسلمين طعامه وحظه من الزيت والخل، فقالوا: هذا إليك يا أمير المؤمنين فقد أوسع الله علينا في الرزق وأكثر من الخير<sup>(١)</sup>.

أيها الحكام إن الظلم مهما طال فليله سينجلي فانتبهوا من الغفلة قبل أن لا ينفع الانتباه، وبادروا إلى الإصلاح قبل فوات الأوان، ومن صدق النية وأوجد العزيمة وفقه الله تعالى وسدد خطاه وأخذ بيده إلى ما فيه صلاحه وصلاحه وشعبه في الدنيا والآخرة، وإلا فالهلاك في الدنيا والآخرة، وإن لم تقنعوا فانظروا وامنعوا النظر إلى ما جاء في أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ويل للأمرء، ويل للعرفاء، ويل للأمناء؛ ليطمنن أقوام يوم القيامة أن ذوابهم كانت معلقة بالثرى يتذبذبون بين السماء والأرض ولم يكونوا عملوا على شيء"<sup>(٢)</sup>.

قال الطيبي: «فينبغي للعاقل أن يكون على حذر منها لئلا يتورط فيما يؤديه إلى النار»<sup>(٣)</sup>. وقال ابن حجر: «فدل على أن المراد بذلك الإشارة إلى أن كل من يدخل في ذلك لا يسلم وأن الكل على خطر»<sup>(٤)</sup>.

قال ابن خلدون: «ولما ولي عبيد الله بن الحبحاب على أفريقية من قبل هشام بن عبد الملك وأمره أن يمضي إليها من مصر فقدمها سنة أربع عشرة ومائة واستعمل عمر بن عبد الله المرادي على طنجة والمغرب الأقصى وابنه إسماعيل على السوس وما وراءه، واتصل أمر ولائهم وساءت سيرتهم في البربر ونقموا عليهم أحوالهم وما كانوا يطالبونهم به من الوصائف البربريات والأردية العسلية الألوان وأنواع طرف المغرب، فكانوا يتغالبون في جمعهم ذلك وانتحاله حتى كانت الصرمة<sup>(٥)</sup> من الغنم تهلك بالذبح لاتخاذ الجلود العسلية من سخالها ولا يوجد فيها مع ذلك إلا الواحد وما قرب منه، فكثير

١- رواه الطبراني في المعجم الكبير ٣٣٧/١ برقم: ١٠١١، قال الهيثمي: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، خلا عبد الله بن الإمام أحمد وهو ثقة مأمون» مجمع الزوائد ٣٨٤/٥ برقم: ٩٠٧٨.

٢- رواه أحمد ٣٥٢/٢ برقم: ٨٦١٢، وابن حبان ٣٣٥/١٠ برقم: ٤٤٨٣، والحاكم ١٠٢/٤ برقم: ٧٠١٦، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، قال الألباني: «صحيح لغيره»، صحيح الترغيب والترهيب ١٩٣/١ برقم: ٧٨٨.

٣- فتح الباري ١٣/١٦٩.

٤- نفس المرجع.

٥- الصرمة: وهي القطيع من الإبل والغنم، النهاية في غريب الأثر ٣/ ٢٧، ولسان العرب ١٢/ ٣٣٨.

عيتهم بذلك في أموال البربر وجورهم عليهم وامتنعوا لذلك ميسرة الحسن زعيم مضغرة الحسن وحمل البرابرة على الفتك بعمر بن عبد الله عامل طنجة فقتلوه سنة خمس وعشرين ومائة»<sup>(١)</sup>.

أما والله إن الظلم لـؤم وما زال المسيء هو الظلوم  
إلى ديان يوم الدين غمضي وعند الله تجتمع الخصوم  
ستعلم في الحساب إذا التقينا غدا عند الإله من الملوم<sup>(٢)</sup>

### ● الحذر من الاغترار بالإمهال

إن ما يرى من تنعم الظلمة وأعوانهم إنما هو استدراج وموعدهم الهلاك في الدنيا قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ \* فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥]، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]"<sup>(٣)</sup>، فإذا نعموا طوال أعمارهم وسلموا في الدنيا فلهم الهلاك الأكبر يوم القيامة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ \* مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنِدْتُهُمْ هَوَاءً \* وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِنْ زَوَالٍ \* وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم: ٤٢-٤٥]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ \* فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئْسَ مِثْلُ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل: ٢٨-٢٩]، يومئذ يتنكر لهم رفيقهم الأكبر في الدنيا: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

١- تاريخ ابن خلدون ١٥٦/٦.

٢- من شعر أبي العتاهية، انظر: الآداب الشرعية ٢٠٤/١.

٣- رواه البخاري ١٧٢٦/٤ برقم: ٤٤٠٩، ومسلم ١٩٩٧/٤ برقم: ٢٥٨٣.



## ● الحذر الحذر من بطانة السوء

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"ما استُخلف خليفة إلا له بطانتان: بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصم الله"**<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"ما من وال إلا وله بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتنهيه عن المنكر، وبطانة لا تألوه خبالاً، فمن وقى شرها فقد وقى، وهو من التي تغلب عليه منهما"**<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر: «قال ابن التين: يحتمل أن يكون المراد بالبطانتين الوزيرين، ويحتمل أن يكون الملك والشيطان، وقال الكرمانى: يحتمل أن يكون المراد بالبطانتين النفس الأمارة بالسوء والنفس اللوامة المحرصة على الخير إذ لكل منهما قوة ملكية وقوة حيوانية انتهى، والحمل على الجميع أولى إلا أنه جائز أن لا يكون لبعضهم إلا البعض، وقال المحب الطبري: البطانة الأولياء والأصفياء»<sup>(٣)</sup>.

قال المهلب: «غرضه إثبات الأمور لله تعالى فهو الذي يعصم من نزغات الشياطين والمعصوم من عصمه الله لا من عصم نفسه»<sup>(٤)</sup>.

قال أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي: «قال الزجاج: البطانة الدخلاء الذين يستبطنون وينبسط إليهم يقال فلان بطانة لفلان أي مداخل له مؤانس، وقوله: **"لا تألوه"** تألو بمعنى تقصر والخبال الشر، والمعنى لا تبقي تلك البطانة غاية في إلقائه في الشر وهذا لأن أهل الخير يدعون إلى مرادهم وأهل الشر يحثون على محبوبيهم والوالي مائل بالعقل والدين إلى أهل الخير وبالطبع إلى أهل الشر إلا أن الأنبياء يُعصمون بطهارة الوضع بالنبوة والوحي<sup>(٥)</sup> وغيرهم يفتقر إلى قوة مجاهدة لأنه يتفق ميل الطبع وحث من يحث على ما مال الطبع إليه، فمن وفقه الله تعالى لتأمل العواقب وإيثار التقوى أبعد أهل الشر، وقد كان عمر بن عبد العزيز يقول لبعض أصحابه: إذا رأيتني قد ملت عن الحق فضع يدك في تلبابي [ثم] هزني ثم قل: يا عمر ما تصنع»<sup>(٦)</sup>.

١- أخرجه البخاري ٢٤٣٨/٦ برقم: ٦٢٣٧.

٢- أخرجه النسائي ١٥٨/٧ برقم: ٤٢٠١، صححه الألباني السلسلة الصحيحة ٥/ ٣٤١ برقم: ٢٢٧٠.

٣- فتح الباري ١٣/١٩١.

٤- عمدة القاري ٢٤/٢٦٩.

٥- يريد بهذا الكلام حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، فالمعصوم من عصم الله تعالى"**

أخرجه البخاري ٢٦٣٢/٦ برقم: ٦٧٧٣.

٦- كشف المشكل ٩١/٢.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه، وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسي لم يذكره وإن ذكر لم يعنه"<sup>(١)</sup>.

وعن القاسم بن محمد قال سمعت عمي تقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من ولى منكم عملاً فأراد الله به خيراً جعل له وزيراً صالحاً إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن الأزرقي: «المسألة [السادسة]: إن سعادة السلطان متوقفة على وزارة الوزير الصالح...

**المسألة السابعة:** صلاح السلطان وفساده لازم عن صلاح الوزير وفساده، قالوا: موقع الوزير من الملك موقع الملك من العامة، وكما أن السلطان إذا صلح صلحت الرعية وإذا فسدت فسدت الرعية فكذلك الوزير إذا صلح صلح الملك وإذا فسد فسد الملك، وإذا كان صلاح الرعية بصلاح السلطان وصلاح السلطان بصلاح الوزير فصالح الرعية بصلاح الوزير ضرورة وكذا في العسكر ومن ثم قال أفلاطون: طاعة الرعية بسداد وزير الوزراء.

**المسألة الثامنة:** أن من صلاح الوزير صلاح بطانته وأعوانه ضرورة أن كل ذي بطانة صلاحه متوقف على صلاحها... قال الطرطوشي: شر الأمراء من كان له الشرار وزراء وبطانة وأخلاء»<sup>(٣)</sup>.

**وقال شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبهسي:** «بصحبة العلماء والصالحين أهل الخبرة والمعرفة تنتظم أمور الدنيا والآخرة... وقال وهب بن منبه: قال موسى لفرعون: آمن ولك الجنة ولك ملكك، قال: حتى أشاور هامان، فشاورة في ذلك فقال له هامان: بينما أنت إله تُعبد إذ صرت تُعبد، فأنف واستكبر وكان من أمره ما كان، وعلى هذا النمط كان وزير الحجاج يزيد بن مسلم لا يألوه خبالاً، ولبئس القرناء شر قرين لشر خدين»<sup>(٤)</sup>، وقال: «وأولى ما يظهر نبل السلطان وقوة تمييزه وجودة عقله في: انتخاب الوزراء، واستنقاء الجلساء، ومحاذة العقلاء، فهذه ثلاث خلال تدل على كماله وبهذه خلال يحمل في الخلق ذكره وترسخ في النفوس عظمتة، والمرء موسوم بقرينة، وكان يقال حلية الملوك وزينتهم وزراءهم... وقال شريح بن عبيد: لم يكن في بني إسرائيل ملك إلا ومعه رجل حكيم إذا رآه غضبان كتب إليه صحائف وفي كل صحيفة أرحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة، فكلما غضب الملك ناوله الحكيم صحيفة حتى يسكن غضبه»<sup>(٥)</sup>.

١- أخرجه أبو داود ١٤٦/٢ برقم: ٢٩٣٢، صحيحه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٥٦٦/٢ برقم: ٢٥٤٤.

٢- أخرجه النسائي ١٥٩/٧ برقم: ٤٢٠٤، صحيحه الألباني في السلسلة الصحيحة ٨٨١/١ برقم: ٤٨٩.

٣- بدائع السلك ١٧٨/١، ١٧٩.

٤- المستطرف في كل فن مستظرف ٢٠٦/١.

٥- المصدر نفسه ٢٠٧/١.

وقال: «ومثل الملك الخير والوزير السوء الذي يمنع الناس خيره ولا يمكنهم من الدنو منه كالماء الصافي فيه التمساح فلا يستطيع المرء دخوله وإن كان ساجحاً وإلى الماء محتاجاً.

ومثل السلطان كمثل الطبيب ومثل الرعية كمثل المرضى ومثل الوزير كمثل السفير بين المرضى والأطباء، فإذا كذب السفير بطل التدبير، وكما أن السفير إذا أراد أن يقتل أحد من المرضى وصف للطبيب نقيض دائه فإذا سقاه كمثل الطبيب على صفة السفير هلك العلبل، كذلك الوزير ينقل إلى الملك ما ليس في الرجل فيقتله الملك، فمن ههنا شرط في الوزير أن يكون: صدوقاً في لسانه، عدلاً في دينه، مأموناً في أخلاقه، بصيراً بأمور الرعية، وتكون بطانة الوزير أيضاً من أهل الأمانة والبصيرة، وليحذر الملك أن يولي الوزارة لئيماً؛ فاللئيم إذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه واستخف بالأشراف وتكبر على ذوي الفضل... وكان بعض الملوك قد كتب ثلاث رقاع وقال لوزيره: إذا رأيته غضبان فادفع إلي رقعة بعد رقعة، وكان في الأولى: إنك لست بإله وإنك ستموت وتعود إلى التراب فيأكل بعضك بعضاً، وفي الثانية: ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء، وفي الثالثة: اقض بين الناس بحكم الله فإنهم لا يصلحهم إلا ذلك... ومن شروط الوزير أن يكون كثير الرحمة للخلق رؤوفاً بهم»<sup>(١)</sup>.

قال عبد الرحمن بن عبد الله الشيزري: «واعلم أنه لا بد أن يعتبر في الوزير عشرة أوصاف:

أحدها: العلم؛ لأن تدبير الجاهل يقع مخالفاً للشرع فيكون وبالاً.

الثاني: السن لأن الشيخ حنكته التجارب وعركته النوائب وشاهد من اختلاف الدول ونزول الحوادث ما أوضح لعقله صواب الرأي في التدبير.

الثالث: الأمانة حتى لا يخون فيما ائتمن عليه ولا يغش فيما استنصح فيه.

الرابع: صدق اللهجة حتى يوثق بخبره فيما يؤديه ويعمل بقوله فيما ينهيه.

الخامس: قلة الطمع حتى لا يرتشي ولا ينخدع.

السادس: أن يسلم فيما بينه وبين الناس من عداوة أو شحنا؛ لأن العداوة تصد عن التناصف وتمنع من التعاطف.

السابع: أن يكون ذكوراً لما يؤديه إلى الملك أو ينقله عنه لأنه شاهد له وعليه.

الثامن: الذكاء والفطنة لئلا تدلس عليه الأمور فتشتبه ولا تموه عليه الأحوال فتلتبس؛ لأن الأمور لا يصح مع اشتباهها عزم ولا يتم مع التباسها حزم.

التاسع: أن لا يكون من أهل الأهواء فيخرجه الهوى من الحق [إلى] الباطل، ويتدلس عليه الحق من المبطل؛ لأن الهوى خادع الأبواب وصارف عن الصواب.

١- المصدر نفسه ٢٠٧/١، ٢٠٨.

**العاشر:** أن يكون من أهل الكفاية فيما وكل إليه من أمر الحرب والخراج، خبيراً بهما، عارفاً بتفصيلهما؛ لأنه يكون مباشراً لهما تارة، ومستنبطاً فيهما تارة أخرى، وعلى هذا الوصف مدار الوزارة وبه ينتظم<sup>(١)</sup> أمور السياسة، ومتى لم تجتمع في الوزير هذه الأوصاف العشرة كان تديره ناقصاً بقدر ما نقض منها، وحكي أن المأمون كتب في اختيار وزير إني التمسست لنفسي وتدير أموري رجلاً جامعاً لخصال الخير ذا عفة في خلائقه قد هذبته الآداب وأحكمته التجارب إن ائتمن على الأسرار قام بها، وإن قلد مهمات الأمور فخص فيها، يسكنه الحلم، وينطقه العلم، وتكفيه اللحظة، وتغنيه اللحمة، له صولة الأمراء، وأناة الحكماء، وتواضع العلماء، وفهم الفقهاء، إن أحسن إليه شكر، وإن ابتلي بالإساءة صبر، لا يبيع نصيب يومه بجرمان غده، يسترق قلوب الرجال بخلاصة لسانه وحسن بيانه، قال عبد الرحمن: وهذه الأوصاف إن كملت في الوزير -وقل ما تكمل- فالصلاح بنظره عام وتديره تام، وإن اختلت فالصلاح بحسب نقصها مختل والتدير على قدرها معتل، وقد كان الفضل بن سهل وزير المأمون يبعث أصحابه إلى البلاد عيوناً؛ ليسمعوا ما تقول الناس فيه من خير أو شر، فيطالعونه بذلك، فما سمع من خير ازداد منه، وما سمع من عيب فيه أزاله<sup>(٢)</sup>.

### ● خير من تشاورون العالم العامل الورع التقي

إن خير من يشاور الحكام من ملوك وزعماء وأصحاب الولايات من أمراء ووزراء وصاحب سلطة ونفوذ العالم العامل الورع التقي الذي يحمله علمه وورعه وتقواه على قول الحق، وعدم المداينة، أو الميل للدنيا وحطامها، وهذه وقفه مع الإمام الشوكاني تبين ذلك بقول: «ومن غريب ما أحكيه لك من تأثر هوى الملوك والميل إلى ما يوافق ما ينفق عندهم، واقعة معي مشاهدة لي... وذلك أنه عقد خليفة العصر حفظه الله مجلساً جمع فيه وزراء وأكابر أولاده وكثيراً من خواصه، وحضر هذا المجلس من أهل العلم ثلاثة، أنا أحدهم، وكان عقد هذا المجلس لطلب المشورة في فتنة حدثت بسبب بعض الملوك ووصول جيوشه إلى بعض الأقطار الإمامية، وتخاذل كثير من الرعايا واضطرابهم وارتجاف اليمن بأسره بذلك السبب، فأشرت إلى الخليفة بأن أعظم ما يتوصل به إلى دفع هذه النازلة هو العدل في الرعية، والاقتصار في المأخوذ منهم على ما ورد به الشرع، وعدم مجاوزته في شيء، وإخلاص النية في ذلك، وإشعار الرعية في جميع الأقطار، والعزم عليه على الاستمرار؛ فإن ذلك من الأسباب التي تدفع كل الدفع، وتنجع أبلغ النجع، فإن اضطراب الرعايا، ورفع رؤوسهم إلى الواصلين ليس إلا لما يبلغهم من اقتصارهم على الحقوق الواجبة، وليس ذلك لرغبة في شيء آخر، فلما فرغت من أداء النصيحة انبرى أحد الرجلين الآخرين، وهو ممن حظي من العلم بنصيب وافر، ومن الشرف

١- هكذا في الأصل المنقول عنه، ولعل الصواب تنتظم.

٢- المنهج السلوك في سياسة الملوك ٢٠٩/١ - ٢١٤.

بمرتبة عليّة، ومن السن بنحو ثمانين سنة وقال: إن الدولة لا تقوم بذلك ولا تتم إلا بما جرت به العادة من الجبايات ونحوها، ثم أطل في هذا بما يتحير عنده السامع ويشترك في العلم بمخالفته للشرعية العالم والجاهل والمقصر والكامل، وذكر أنه قد أخذ الجباية ونحوها من الرعية فلان وفلان وعدد جماعة من أئمة العلم ممن لهم شهرة وللناس فيهم اعتقاد، وهذا مع كونه عناداً للشرعية وخلافاً لما جاءت به وجراة على الله نصيباً للخلاف بينه وبين من عصاه وخالف ما شرعه هو أيضاً مجازفة بحتة في الرواية عن الذين سماهم بل هو محض الكذب وإنما يروى على بعض المتأخرين ممن لم يمسه ذلك القائل، وهذا البعض الذي يروى عنه ذلك إنما فعله أياماً يسيرة ثم طوي بساطه، وعلم أنه خلاف ما شرعه الله فتركه، وإنما حمله على ذلك رأي رآه وتدبير دبره ثم تبين له فساد، فانظر أرشدك الله ما مقدار ما قاله هذا القائل في ذلك الجمع الحافل الذي شمل الإمام وجميع المباشرين للأعمال الدولية والناظرين في أمر الرعية، ولم ينتفع هذا القائل بمقالته لا من زيادة جاه ولا مال بل غاية ما استفاده ونهاية ما وصل إليه اجتماع الألسن على ذمة واستعظام الناس لما صدر منه، وهكذا جرت عادة الله في عباده فإنه لا ينال من أراد الدنيا بالدين إلا وبالأ وخسراناً عاجلاً أم آجلاً خصوصاً من كان من الحاملين لحجة الله المأمورين بإبلاغها إلى العباد فإن خيره في الدنيا والآخرة مربوط بوقوفه على حدود الشرعية، فإن زاغ عنها زاغ عنه وقد صرح الله سبحانه بما يفيد هذا في غير موضع من كتابه العزيز»<sup>(١)</sup>.

---

<sup>١</sup> - أدب الطلب ١/٥٦ - ٥٨.

## دواء الداء بالعدل وإعادة الحقوق والمظالم إلى أهلها

**أولاً: العَدْلُ** مصدر عدل يعدل عدلاً وهو مأخوذ من مادة (ع د ل) التي تدل - كما يقول ابن فارس - على معنيين متقابلين: أحدهما يدل على الاستواء، والآخر على اعوجاج، ويرجع لفظ العدل هنا إلى المعنى الأول، وإذا كان العدل مصدراً فمعناه: خلاف الجور وهو ما قام في النفوس أنه مستقيم، والعدل من الناس المرضي قوله وحكمه والمستقيم الطريقة، والعدل الحكم بالاستواء والحق، والعدل الإنصاف وهو إعطاء المرء ما له وأخذ ما عليه<sup>(١)</sup>.

والعدل في الاصطلاح: بذل الحقوق الواجبة وتسوية المستحقين في حقوقهم<sup>(٢)</sup>.

**قال الإمام الشوكاني:** «والعدل هو فصل الحكومة على ما في كتاب الله سبحانه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا الحكم بالرأي المجرد؛ فإن ذلك ليس من الحق في شيء إلا إذا لم يوجد دليل تلك الحكومة في كتاب الله ولا في سنة رسوله فلا بأس باجتهاد الرأي من الحاكم الذي يعلم بحكم الله سبحانه وبما هو أقرب إلى الحق عند عدم وجود النص، وأما الحاكم الذي لا يدري بحكم الله ورسوله ولا بما هو أقرب إليهما فهو لا يدري ما هو العدل؛ لأنه لا يعقل الحجة إذا جاءت فضلاً عن أن يحكم بما بين عباد الله»<sup>(٣)</sup>.

**ثانياً: إن مبدأ العدالة في الإسلام** مبدأ بارز، ويظهر هذا البروز في الأمر به والحكم بين الناس بموجبه، والالتزام بمقتضاه بالنسبة للقريب والبعيد، والعدو والصديق، وفي المحكمة وفي السوق، وإدارة شؤون الدولة وفي البيت، وحتى فيما يعطيه الأب لأولاده.

إن روح العدل وجوهره إعطاء كل ذي حق حقه واستعمال كل شيء في موضعه وهذا المعنى الواسع للعدل يحكم جميع تصرفات الإنسان وعلاقاته بغيره وواجباته نحو غيره من بني الإنسان، ولا شك أن هذا المبدأ يضمن مصالح الناس ويتسع لكل تنظيم صحيح يحقق معنى العدالة والمقصود منها<sup>(٤)</sup>، والعدل في الإسلام يعم حتى إنه ليشمل الأبعدين فضلاً عن الأقربين والكافرين مع المسلمين، ويعمل على جلب المصالح وتحصيلها ودرء المفاسد وتعطيلها، فالعدل أصل كل خير وأساسه كما قال ابن القيم: «فأصل كل خير هو العلم والعدل، وأصل كل شر هو الجهل والظلم»<sup>(٥)</sup>، وهو جماع صفات الكمال<sup>(٦)</sup>، وهو الدواء النافع والبلسم الشافي؛ إذ به يسود الحق ويزول الظلم، وترد الحقوق،

١- انظر: معجم مقاييس اللغة ٤/٢٤٦، ولسان العرب ١١/٤٣٠، وتاج العروس ٢٩/٤٤٣، والمعجم الوسيط ٢/٥٨٨، وموسوعة نضرة النعيم ٧/٢٧٩٠.

٢- موسوعة نضرة النعيم ٧/٢٧٩٢.

٣- فتح القدير ١/٤٨٠.

٤- أصول الدعوة للدكتور زيدان ١/٦٠، ٦١.

٥- إغائة اللفهان ٢/١٣٧.

٦- مدارج السالكين ٣/٤٥٥.

ويحصل الأمن والاستقرار، والرخاء والقوة، وتُعمّر به الديار وتُحصن، فقد كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إليه: أما بعد فإن مدينتنا قد خربت فإن رأى أمير المؤمنين أن يقطع لها مالا يرمها به فعل، فكتب إليه عمر: أما بعد فقد فهمت كتابك، وما ذكرت أن مدينتكم قد خربت، فإذا قرأت كتابي هذا فحصنها بالعدل، ونق طرقها من الظلم، فإنه مرمتها والسلام<sup>(١)</sup>.

**قال الإمام الماوردي:** «اعلم أن ما به تصلح الدنيا حتى تصير أحوالها منتظمة، وأمورها ملتئمة ستة أشياء هي قواعدها وإن تفرعت وهي: دين متبع، وسلطان قاهر<sup>(٢)</sup>، وعدل شامل، وأمن عام، وخصب دائم، وأمل فسيح... وأما القاعدة الثالثة: فهي عدل شامل يدعو إلى الألفة، ويبعث على الطاعة، وتعمّر به البلاد، وتنمو به الأموال، ويكبر معه النسل، ويأمن به السلطان... وليس شيء أسرع في خراب الأرض، ولا أفسد لضمائر الخلق من الجور؛ لأنه ليس يقف على حد، ولا ينتهي إلى غاية، ولكل جزء منه قسط من الفساد حتى يستكمل... ونقل عن بعض البلغاء قوله: إن العدل ميزان الله الذي وضعه للخلق، ونصبه للحق فلا تخالفه في ميزانه، ولا تعارضه في سلطانه، واستعن على العدل بخلتين: قلة الطمع، وكثرة الورع»<sup>(٣)</sup>.

فالعدل إحدى قواعد الدنيا التي لا انتظام لها إلا به، ولا صلاح فيها إلا معه، وقد أمر الله تعالى بإقامته في أكثر من موضع في كتابه الكريم من ذلك ما يلي:

١- قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

**قال الإمام النسفي:** «﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ بالتسوية في الحقوق فيما بينكم، وترك الظلم، وإيصال كل ذي حق إلى حقه ﴿وَالْإِحْسَانِ﴾ إلى من أساء إليكم»<sup>(٤)</sup>.

**وقال الإمام السعدي:** «فالعدل الذي أمر الله به يشمل العدل في حقه وفي حق عباده فالعدل في ذلك أداء الحقوق كاملة موفورة بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية والمركبة منهما في حقه وحق عباده ويعامل الخلق بالعدل التام فيؤدي كل وال ما عليه تحت ولايته سواء في ذلك ولاية الإمامة الكبرى وولاية القضاء ونواب الخليفة ونواب القاضي، والعدل هو ما فرضه الله عليهم في كتابه وعلى لسان رسوله وأمرهم بسلوكه، ومن العدل في المعاملات أن تعاملهم في عقود البيع والشراء وسائر المعاوزات بإيفاء جميع ما عليك، فلا تبخس لهم حقاً، ولا تغشهم، ولا

١- حلية الأولياء ٣٠٥/٥.

٢- يريد به أن يكون للسلطان قوة وهيبة ولأمره نفاذ، لا أن يقهر الناس ويستبد بهم؛ لأن ذلك ليس من شيم أهل العدل.

٣- أدب الدنيا والدين ١ / ١٦١ - ١٧٠.

٤- تفسير النسفي ٢٦٨/٢.

تخدعهم وتظلمهم، فالعدل واجب والإحسان فضيلة مستحبة وذلك كنفع الناس بالمال والبدن والعلم وغير ذلك من أنواع النفع حتى يدخل فيه الإحسان إلى الحيوان البهيم المأكول وغيره»<sup>(١)</sup>.

قرأ الحسن البصري يوماً هذه الآية ثم وقف فقال: «إن الله عز وجل جمع لكم الخير كله و الشر كله في آية واحدة، فو الله ما ترك العدل والإحسان من طاعة الله شيئاً إلا جمعه، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئاً إلا جمعه»<sup>(٢)</sup>.

٢- قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

قال الإمام ابن كثير: «وقوله: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ أمر منه تعالى بالحكم بالعدل بين الناس ولهذا قال محمد بن كعب وزيد بن أسلم وشهر بن حوشب: إن هذه الآية إنما نزلت في الأمراء يعني الحكام بين الناس»<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام السعدي: «وهذا يشمل الحكم بينهم في الدماء والأموال والأعراض القليل من ذلك والكثير على القريب والبعيد والفاجر والولي والعدو، والمراد بالعدل الذي أمر الله بالحكم به هو ما شرعه الله على لسان رسوله من الحدود والأحكام وهذا يستلزم معرفة العدل ليحكم به، ولما كانت هذه أوامر حسنة عادلة قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ وهذا مدح من الله لأوامره ونواهيه لاشتمالها على مصالح الدارين ودفع مضارهما لأن شارعها السميع البصير الذي لا تخفى عليه خافية ويعلم من مصالح العباد ما لا يعلمون»<sup>(٤)</sup>.

٣- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

قال الإمام ابن كثير: «أي: لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فإن العدل واجب على كل أحد في كل أحد في كل حال، وقال بعض السلف: ما عاملت من عصي الله فيك بمثل من تطيع الله فيه، والعدل به قامت السموات والأرض»<sup>(٥)</sup>.

١- تفسير السعدي ٤٤٧/١.

٢- شعب الإيمان ١٦١/١ برقم: ١٤٠، وحلية الأولياء ١٥٨/٢.

٣- تفسير ابن كثير ٥١٧/١.

٤- تفسير السعدي ١٨٣/١.

٥- تفسير ابن كثير ٦/٢، ٧.



## ● أقسام العدل

**القسم الأول:** عدل الإنسان في نفسه بحملها على المصالح وكفها عن القبائح ثم بالوقوف في أحوالها على أعدل الأمرين: من تجاوز أو تقصير، فإن تجاوز فيها جور، والتقصير فيها ظلم، ومن ظلم نفسه فهو لغيرها أظلم، ومن جار عليها فهو على غيرها أجور.

**القسم الثاني:** عدل الإنسان مع غيره، وله ثلاث حالات:

**الحالة الأولى:** عدل الإنسان فيمن دونه كالسلطان في رعيته، والرئيس مع صحابته، فعدله فيهم يكون بأربعة أشياء: باتباع الميسور، وحذف المعسور، وترك التسلط بالقوة، وابتغاء الحق في السيرة، فإن اتباع الميسور أდوم، وحذف المعسور أسلم، وترك التسلط أعطف على المحبة، وابتغاء الحق أبعث على النصرة.

**الحالة الثانية:** عدل الإنسان مع من فوّه كالرعية مع سلطانها، والصحابة مع رئيسها، ويكون ذلك بثلاثة أشياء: بإخلاص الطاعة، وبذل النصرة، وصدق الولاء؛ فإن إخلاص الطاعة أجمع للشمل، وبذل النصرة أدفع للوهن، وصدق الولاء أنفى لسوء الظن.

وهذه أمور إن لم تجتمع في المرء تسلط عليه من كان يدفع عنه واضطر إلى اتقاء من كان يقيه، وفي استمرار هذا حل نظام شامل، وفساد صلاح شامل.

**الحالة الثالثة:** عدل الإنسان مع أكفائه، ويكون بثلاثة أشياء: بترك الاستطالة، ومجانبة الإدلال، وكف الأذى؛ لأن ترك الاستطالة آلف، ومجانبة الإدلال أعطف، وكف الأذى أنصف، وهذه أمور إن لم تخلص في الأكفاء أسرع فيهم تقاطع الأعداء، ففسدوا وأفسدوا.

وقد يتعلق بهذه الطبقات أمور خاصة يكون العدل فيها بالتوسط في حالتي التقصير والسرف؛ لأن العدل مأخوذ من الاعتدال، فما جاوز الاعتدال فهو خروج عن العدل، وإذا كان الأمر كذلك فإن كل ما خرج عن الأولى إلى ما ليس بأولى خروج عن العدل إلى ما ليس بالعدل.

ولست تجد فساداً إلا وسبب نتيجته الخروج فيه عن حال العدل إلى ما ليس بعدل من حالتي الزيادة والنقصان، وإذا لا شيء أنفع من العدل كما أنه لا شيء أضر مما ليس بعدل<sup>(١)</sup>.

١- انظر: أدب الدنيا والدين للماوردي ١٧٠-١٧٤، ونصرة النعيم ٧/٢٧٩٣.

## ● أئمة العدل أمان وتوحد واستقرار

ذكر الإمام ابن القيم مراتب المكلفين في الدار الآخرة وطبقاتهم فيها وهي ثمان عشرة طبقة، الطبقة الخامسة: أئمة العدل وولاته الذين تؤمن بهم السبل، ويستقيم بهم العالم، ويستنصر بهم الضعيف، ويذل بهم الظالم، ويأمن بهم الخائف، وتقام بهم الحدود، ويدفع بهم الفساد، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقام بهم حكم الكتاب والسنة، وتطفأ بهم نيران البدع والضلالة، وهؤلاء الذين تنصب لهم المنابر من النور عن يمين الرحمن عز وجل يوم القيامة فيكونون عليها، والولاة الظلمة قد صهرهم حر الشمس وقد بلغ منهم العرق مبلغه، وهم يحملون أثقال مظالمهم العظيمة على ظهورهم الضعيفة في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يرى سبيل أحدهم إما إلى الجنة وإما إلى النار، قال النبي صلى الله عليه وسلم: **"إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا"**<sup>(١)</sup>، وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلساً إمام عادل، وأبغض الناس إلى الله وأبعدهم منه مجلساً إمام جائر"**<sup>(٢)</sup>، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل ذكر الله في خلاء ففاضت عيناه، ورجل قلبه معلق في المسجد، ورجلان تحابا في الله، ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال إلى نفسها فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شالاه ما صنعت يمينه"**<sup>(٣)</sup>، فيظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله كما كان الناس في ظل عدلهم في الدنيا ظلاً بظل جزاء وفاقاً، ولو لم يكن من فضلهم وشرفهم إلا أن أهل السموات والأرض والطير في الهواء يصلون عليهم ويستغفرون لهم ويدعون لهم، وولاة الظلم يلعنهم من بين السموات والأرض حتى الدواب والطير كما أن معلم الناس الخير يصلي عليه الله وملائكته، وكاتم العلم والهدى الذي أنزله الله وحامل أهله على كتمانهم يلعنه الله وملائكته ويلعنه اللاعنون، فيا لها من منقبة ومرتبة ما أجلها وأشرفها أن يكون الوالي والإمام على فراشه ويعمل بالخير وتكتب الحسنات في صحائفه فهي متزايدة ما دام يعمل بعدله فأين هذا من الغاش لرعيته الظالم لهم قد حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار، وأين من هو نائم وأعين العباد ساهرة تدعو الله له من آخر أعينهم ساهرة تدعو عليه<sup>(٤)</sup>، والإمام العادل مستجاب الدعوة فعن

١- أخرجه مسلم ١٤٥٨/٣ برقم: ١٨٢٧.

٢- رواه الترمذي، ٦١٧/٣ برقم: ١٣٢٩، وقال: «حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه»، ضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي، ١٥٤/١ برقم: ٢٢٥.

٣- أخرجه البخاري ٢٤٩٦/٦ برقم: ٦٤٢١، ومسلم ٧١٥/٢ برقم: ١٠٣١.

٤- طريق المهجرتين وباب السعادت ١/٥٢٤، ٥٢٥.

أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"الإمام العادل لا ترد دعوته"**<sup>(١)</sup>، وأصحاب العدل هم أهل للولاية والحكم والتقدم والرفعة، والعدل يسد مسد كثير من أعمال البر والطاعة، ويحقق الأمن والطمأنينة لهم ولرعيته في الدنيا والآخرة، ويدوم ملكهم ولا يزول:

به فتحوا الممالك ثم سادوا كذاك العدل صاحبه يسود<sup>(٢)</sup>

وهو طريق يوصلهم إلى الجنة وينجي من النار فعن أبي هريرة رضي الله عنه حين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً لا يفكه إلا العدل أو يوبقه الجور"**<sup>(٣)</sup> أي: يفكه عدله إن كان عادلاً أو يهلكه ظلمه إن كان ظالماً<sup>(٤)</sup>.

يذكر أن حاكماً صينياً كان يعيش في غابر الأزمان قد أصيب بالصمم وكان عادلاً في رعيته، فأصدر أمراً للشعب يقول فيه: على كل مظلوم أن يلبس ثوباً أحمر؛ حتى أراه بعيني بعد أن فقدت سمعي، فأصبح المظلوم يلبس ثوباً أحمر، فيراه الحاكم العادل فيناديه؛ وذلك تحقيقاً للعدل<sup>(٥)</sup>.

**ثالثاً: المساواة** من مبادئ الإسلام العظيمة، ولها مظاهر كثيرة في جميع جوانب التشريع الإسلامي، منها المساواة أمام القانون، وفي تطبيق الأحكام، وفي المراكز القانونية إذا ما تساوى الأشخاص في الشروط التي يشترطها التشريع الإسلامي، ومساواة في التكاليف إذا تساوى الأفراد في أسبابها الموجبة، فلا تمايز بين الناس بسبب الأجناس أو الألوان أو الأحساب والأنساب أو الغنى والفقر أو القوة والضعف أو الجاه والسلطان، وإنما الكل أمام الله تعالى وفي الميزة الاجتماعية سواء الأفراد والجماعات والأجناس والحاكمين والمحكومين، فالناس جميعاً في الشريعة متساوون على اختلاف شعوبهم وقبائلهم، كما هم متساوون في وحدة الأصل البشري، ولا فضل لرجل على آخر إلا بالتقوى والعمل الصالح، بدليل قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾** [الحجرات: ١٣].

قال الإمام الشنقيطي في قوله تعالى: **﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾**: «فاتضح من هذا أن الفضل والكرم إنما هو بتقوى الله لا بغيره من الانتساب إلى القبائل ولقد صدق من قال:

فقد رفع الإسلام سلمان فارس وقد وضع الكفر الشريف أباً لهب

وقد ذكروا أن سلمان رضي الله عنه كان يقول:

١- أخرجه أحمد في المسند ٢ / ٤٤٣ برقم: ٩٧٢٣، قل شعيب الأرناؤوط في تعليقه على المسند: «حسن».

٢- ديوان أحمد محرم ١/ ٣٧٥.

٣- رواه أحمد ٢/ ٤٣١ برقم: ٩٥٧٠، قال الألباني: «رواه أحمد بإسناد جيد رجاله رجال الصحيح» انظر: صحيح الترغيب والترهيب

٢/ ٢٥٨ برقم: ٢١٩٨.

٤- مرقاة المفاتيح ٧/ ٢٥٢.

٥- موعظة المتقين ص ١٣٥.

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقرىس أو تميم  
وهذه الآيات القرآنية تدل على أن دين الإسلام سماوي صحيح لا نظر فيه إلى الألوان ولا إلى  
العناصر ولا إلى الجهات وإنما المعتر فيه تقوى الله جل وعلا وطاعته، فأكرم الناس وأفضلهم أنقاهم الله  
ولا كرم ولا فضل لغير المتقي ولو كان رفيع النسب»<sup>(١)</sup>.

وهذا المفهوم أكدته الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله: **"ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد  
إلا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر  
إلا بالتقوى"**<sup>(٢)</sup>، وقوله صلى الله عليه وسلم: **"كرم الرجل دينه، ومروءته عقله، وحسبه خلقه"**<sup>(٣)</sup>،  
وقوله صلى الله عليه وسلم: **"إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم  
وأشار بأصابعه إلى صدره"**<sup>(٤)</sup>، وحينئذ فلا يسمح الإسلام بوجود طبقات اجتماعية تتفاوت في  
الدرجة الاجتماعية، وإن كان هناك تفاوت مادي بين غني وفقير، في حدود كفاية الفقير، وعدم  
اكتناز المال لدى الغني، والتفاوت المادي لا عيب فيه؛ لأنه يتمشى مع الفطرة الإنسانية في حب  
التملك والاقتناء، ويولد عنصر المنافسة الحرة الشريفة، وتقتضيه طبيعة الناس بحسب تفاوتهم في العلم  
والعمل والقدر على الكفاح والإنتاج، والتفاوت في المقدرة والنشاط، والعلم لا يولد طبقية اجتماعية  
لها امتياز أو استعلاء، وإنما هو مسؤولية أمام الله، ومسؤولية أمام المجتمع<sup>(٥)</sup>، فعن أبي برزة الأسلمي  
رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل  
عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل [به]، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفق، وعن جسمه  
فيم أبلاه"**<sup>(٦)</sup>.

إن هذا المبدأ طبق فعلاً في واقع الحياة، وحرص النبي الكريم صلى الله عليه وسلم على تطبيقه<sup>(٧)</sup>،  
فقد جاء في السنة من حديث عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت  
فقالوا: من يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله صلى الله

١- أضواء البيان ٤١٧/٧، ٤١٨.

٢- أخرجه أحمد في المسند ٤١١/٥ برقم: ٢٣٥٣٦، والبيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٢٨٩ برقم: ٥١٣٧، قال الإمام الألباني: «صحيح لغيره»، صحيح الترغيب والترهيب ٧٩/٣ برقم: ٢٩٦٣.

٣- أخرجه أحمد في المسند ٣٦٥/٢ برقم: ٨٧٥٩، قال شعيب الأرناؤوط في تعليقه على المسند: «إسناده ضعيف»، وفي الباب عن  
عمر موقوفاً عند البيهقي ١٠/ ١٩٥ بلفظ: حسب المرء دينه ومروءته خلقه وأصله عقله، قال البيهقي: «هذا الموقوف إسناده صحيح».

٤- أخرجه مسلم ١٩٨٦/٤ برقم: ٢٥٦٤.

٥- انظر: الفقه الإسلامي وأدلته (٧/ ٤٧، ٤٨)، (٨/ ٣٢٩)، (٨/ ٥١٩، ٥٢٠)، بتصرف.

٦- أخرجه الترمذي ٦١٢/٤ برقم: ٢٤١٧، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٣/ ٢٢٧ برقم: ٣٥٩٢.

٧- أصول الدعوة ٦٠/١.

عليه وسلم، فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أتشفع في حد من حدود الله، ثم قام فخطب قال: يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"<sup>(١)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن هلاك بني إسرائيل إنما كان في تخصيص رؤساء الناس بالعفو عن العقوبات، وأخبر أن فاطمة ابنته التي هي أشرف النساء لو سرقت -وقد أعادها الله من ذلك- لقطع يدها ليبين أن وجوب العدل والتعميم في الحدود لا يستثنى منه بنت الرسول فضلاً عن بنت غيره»<sup>(٢)</sup>، وقال: «ومن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم حذرنا عن مشاهجة من قبلنا في أنهم كانوا يفرقون في الحدود بين الأشراف والضعفاء وأمر أن يسوى بين الناس في ذلك وأن كثيراً من ذوي الرأي والسياسة قد يظن أن إعفاء الرؤساء أجود في السياسة»<sup>(٣)</sup>.

وجاء في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أقيموا حدود الله في القريب و البعيد، ولا تأخذكم في الله لومة لائم"<sup>(٤)</sup>.

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «ألا وإن القوي عندي ضعيف حتى آخذ منه الحق، والضعيف عندي قوي حتى آخذ له الحق»<sup>(٥)</sup>.

وفي رسالة عمر المشهورة لأبي موسى الأشعري: «وأس بين الناس في وجهك ومجلسك وعدلك؛ حتى لا ييأس الضعيف من عدلك، ولا يطمع الشريف في حيفك»<sup>(٦)</sup>.

**فالمساواة في المعاملة والقضاء تحقق الاستقرار والطمأنينة في المجتمع المسلم لما يشعر به كل فرد من أنه ليس أقل من غيره، وأنه سيحصل على حقه في التعليم والوظائف العامة ونحوها، والشعور بالمساواة يقضي على الفتن الطائفية نظراً لشعور الجميع بتساويهم في الحقوق في ظل المساواة، ويقضي على كل بواعث الفتن التي يدفع إليها وجود الامتياز، وروح المساواة تقضي على الغرور عند من يظنون أنفسهم فوق الناس، كما يقضي على الوهن والضعف وخور العزيمة عند من يظنون أنفسهم دونهم، وبالمساواة يطمئن كل فرد إلى عدالة الحكم، وأن السياسة التي تقوم على ذلك هي سياسة عادلة؛ لا تفرق بين الناس تبعاً لأعراقهم ووضعهم الاجتماعي، أو موقعهم من السلطة»<sup>(٧)</sup>.**

١- أخرجه البخاري ٢٤٩١/٦ برقم: ٦٤٠٦، ومسلم ١٣١١/٣ برقم: ١٦٨٨.

٢- اقتضاء الصراط ١٠٧/١.

٣- المصدر نفسه ١٠٦/١.

٤- أخرجه ابن ماجه ٨٤٩/٢ برقم: ٢٥٤٠، حسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٧٨/٢ برقم: ٢٠٥٨.

٥- أخرجه عبد الرزاق ١١/ ٣٣٦ برقم: ٢٠٧٠٢، والبيهقي في السنن الكبرى ٣٥٣/٦ برقم: ١٢٧٨٨.

٦- أخرجه الدارقطني في السنن، ٤ / ٢٠٦ برقم: ١٥.

٧- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٧ / ٢٨١٨.

## • الفرق بين العدالة والمساواة

المساواة هي الغاية التي تسعى العدالة إلى تحقيقها، وهي الغاية المرجوة منها، والعدل - في مجال الحكم - هو الحاكم بالسوية لأنه يخلف صاحب الشريعة في حفظ المساواة، ومن هنا فقد جاء في تعريف العدل أنه القسط اللازم للاستواء أي: لتحقيق المساواة بين الطرفين دون زيادة أو نقصان، وإذا كانت العدالة خُلُقاً فإن المساواة قيمة وهدف.

ولما كانت العدالة خُلُقاً أو هيئة نفسانية تصدر عنها المساواة فقد اقترن الأمران وارتبطا ارتباطاً وثيقاً؛ لأن العدل من شأنه أن يساوي بين الأشياء التي هي غير متساوية، لما كان الأمر كذلك فإن كليهما قد يستعمل استعمال الآخر تسامحاً، ولكنهما غالباً ما يستعملان معاً<sup>(١)</sup>.

## • الحذر من مساواة الخديعة التي لا توافق الشريعة

لا يدخل في هذه المساواة التي هي من مبادئ الإسلام العظيمة المساواة بين الرجال والنساء المستوردة من الغرب والغرض الحقيقي منها إفساد المرأة؛ لأن الله تعالى يقول ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، فقدر بُنْيَةَ الرجل مع ما يتناسب من الأعمال والأشغال التي من أجلها خلق، بينما قدر بنية المرأة بتركيب يناسب الوظيفة التي أوكلت إليها، فالعجيب من دعاة التسوية هؤلاء كيف يقحمون المرأة فيما لا يناسب فطرتها وخلقتها، وتحقيق المساواة التامة بين الرجال والنساء غير ممكنة شرعاً ولا عقلاً، أما شرعاً فلأن الله تعالى يقول: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، فمن رام التسوية في كل شيء فهو ينازع الله الحكيم الذي يضع الأمور في مواضعها سبحانه وتعالى، وأما عقلاً فإن التركيب الجسدي للمرأة يقتضي عدم المساواة المستوردة في الأعمال والوظائف؛ لأن المرأة تحيض وتحمل وتلد وترضع، فهي ذات رسالة سامية تصنع فيها الأجيال وتربيهم، ومن أراد المساواة المزعومة فعليه أن يقبل بأن يحيض هو شهراً والمرأة شهراً، ويحمل بطناً والمرأة بطناً، ويرضع ضرعاً والمرأة ضرعاً، فلما كانت التسوية هنا مستحلية دل ذلك على أن سعيكم في ظلال وإنما تريدون من المرأة شيئاً آخر تلبسونه زي المساواة المكذوب، وإلا فأى عمل ومهنة أعظم مما تقوم به المرأة من صناعة وإعداد وتربية الأجيال، فلماذا ترهقونها بالأعمال التي لا طاقة لها بها؟!.

قالت سلمى الحفار الكزبري - إحدى زعيمات الحركة النسائية المعاصرة -: «عُدْتُ من رحلتي للولايات المتحدة منذ خمسة أعوام وأنا أرثي لحال المرأة التي جرفها تيار المساواة الأعمى فأصْبَحَتْ شَقِيَّةً في كفاحها لكسب العيش، وفَقَدَتْ حتى حُرِّيَّتَهَا»<sup>(٢)</sup>.

١ - موسوعة نضرة النعيم ٧ / ٢٧٩٥.

٢ - مقالات الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله السحيم ٢ / ٦.

قال (سامويل سميلس) -وهو أحد أركان النهضة الإنجليزية-: «إن النظام الذي يقضي بتشغيل المرأة في المعامل-مهما نشأ عنه من الثروة للبلاد- فإن النتيجة كانت هادمة لبناء الحياة المتزلية؛ لأنه هاجم هيكل المنزل، وقوض أركان الأسرة، ومزق الروابط الاجتماعية»<sup>(١)</sup>.

لما قام إمبراطور ألمانيا (غليوم) بزيارة تركيا، أحب أعضاء جمعية الاتحاد والترقي التركية أن يُظهروا له تمدنهم! فأخرجوا بعض بنات المدارس وهنّ متبرجات لاستقباله، واستغرب الإمبراطور، وقال للمسؤولين: إني كنت آمل أن أشاهد في تركيا الحشمة والحجاب بحكم دينكم الإسلامي، وإذا بي أشاهد التبرج الذي نشكو منه في أوروبا، ويقودنا إلى ضياع الأسرة، وخراب الأوطان، وتشريد الأطفال!!<sup>(٢)</sup>.

---

١- مقالات الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله السحيم ٢ / ٦.

٢- المصدر نفسه ١/ ٤١٥.

## استقلالية القضاء

إن العلاج والحل لرفع الظلم لا يتحقق في إلا في ظل العدل والمساواة بين الرعية، وهما لا يتحققان إلا في ظل قضاء مستقل يحقق رسالته السامية التي تنصب ميزان العدل والمساواة، وتصون حقوق الخلق، وتسدد الواقع بالزامات الوحي وتعاليمه الراشدة، قضاء له حريته المتحررة من رق التبعية والعبودية والخضوع والخنوع، وكلمته القوية النافذة الشجاعة التي لا يرد لها أمر أمير ولا وساطة مدير ولا زعيم ولا صاحب وجهة على القانون الحق يستدير، ولا يقف أمام سلطانه الخوف من نذير، أو المداينة لبشير، قضاء ليس عليه سلطان إلا سلطان الشريعة، قضاء مستقل من جهة القاضي نفسه إذ يتمتع فيه القاضي بحصانة تحفظ له مقامه وكرامته؛ ليحقق الاستقلالية في شخصيته ليكون مستقلاً في الرأي والحيدة والتجرد في أحكامه وعدم التبعية أو التحيز، قضاء يحمي للقاضي استقلاله الوظيفي حتى يُحسن أداء وظيفته ويتمكن من مواجهة أية ضغوط أو مؤثرات قد يتعرض لها فلا يخضع لهوى أو يذل لسلطان أو يخشى في الحق أحداً، ومستقل من جهة كل ذي سلطة ليتحرر في سلطته من أي تدخل من جانب السلطات التشريعية أو التنفيذية فلا يخضع القضاة لغير القانون الإلهي ليكون القاضي في ظله متجرداً نزيهاً لا يخضع لأي تأثير، فليس لأحد الهيمنة والتسلط على رجال القضاء أو التدخل في قضائهم سواء كان المتدخل فرداً أو جهة حكومية.

إن استقلالية القضاء مبدأ هام من مبادئ ضمان نزاهة وشرف القضاء والقضاة، وقد تفتن العقلاء من جميع الأمم إلى أهمية استقلال القضاء لضمان سير العدالة وحفظ الحقوق وتحقيق الأمن في المجتمع فضمنوا دساتيرهم ذلك الأمر بل إنهم ذكروا بأن فصل السلطة القضائية عن السلطتين التنفيذية والتشريعية لازم لتحقيق الاستقلالية، بل ذهبوا إلى أكثر من ذلك بقول أحد منظريهم: «لا وجود للحرية دون فصل السلطة القضائية عن السلطتين التشريعية والتنفيذية، وما على الحرية أن تخشى أي أمر يتعلق بالنظام القضائي بمفرده، لكن عليها أن تخشى كل أمر إذا ما اتحد القضاء مع أي من السلطتين الأخريين»، ومما تضمنه إعلان القاهرة حول استقلال القضاء الصادر عن المؤتمر الثاني للعدالة العربية: أن النظام القضائي المستقل يشكل الدعامة الرئيسة لدعم الحريات المدنية، وحقوق الإنسان، وعمليات التطوير الشاملة، والإصلاحات في أنظمة التجارة والاستثمار، والتعاون الاقتصادي الإقليمي والدولي، وأشارت الكندري إلى أن استقلال القضاء هو أداة تحقيق العدالة في المجتمع وترسيخ قواعدها وضبط مسارها، وهو ضمان أساسي لاحترام مبدأ المشروعية وسمو مكانته وتحقيق سيادة القانون وعلو كلمته، وهو أيضاً ضمان جوهرى لا غنى عنه لكفالة حقوق المواطنين وصون حرماهم وحماية حرياتهم، وهو قبل كل ذلك أمر تفرضه طبيعة القضاء وبمليه سمو رسالته، وإذا كان العدل أساس الملك فإن استقلال القضاء هو أساس العدل، وبغير العدل يضطرب الطريق وتصبح الحركة فيه ضرباً من ضروب التخبط في المجهول، كما أن لجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان ولجنة



الأمم المتحدة لمنع الجريمة، قامت بجهد توجت بالإعلان العالمي لاستقلال القضاء الصادر عن مؤتمر مونتريال كندا المنعقد سنة ١٩٨٣م وقد اعتمد مؤتمر الأمم المتحدة المنعقد في ميلانو سنة ١٩٨٥م هذا الإعلان وأقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٩ تشرين الثاني من نفس السنة، وقد تضمن هذا الإعلان في شكل أساسي مقدمة وستة فصول: الفصل الأول يعنى باستقلال القضاء حيث أوجب على كل دولة ضمان استقلال القضاء في الدستور أو القانون الوطني وعلى كل المؤسسات الوطنية احترام ذلك، وأوجب على القضاء أن يحقق في الدعاوى المعروضة أمامه بحياد وفقاً للوقائع والقانون بدون أي تقييد أو تأثير أو تدخل أو ضغط بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وينعقد للقضاء الاختصاص حول القضايا ذات الطبيعة القانونية وله حصراً سلطة التقرير فيما إذا كانت القضية تدخل ضمن اختصاصه أم لا، كما ويحظر التدخل في مسار الدعوى ولكل فرد الحق في المحاكمة أمام محاكم عادية مكونة تكويناً قانونياً، أما الفصل الثاني فيكرس حرية التعبير والاجتماع للقضاة، بينما يشير الفصل الثالث إلى الصفات التي يجب أن يتحلى بها القاضي وطريقة اختياره وتدريبه، بينما أشار الفصل الرابع إلى شروط عمل القاضي والضمانات المعطاة له وهو يؤدي عمله، وتناول الفصل الخامس سرية المهنة والحصانة، ونص الفصل السادس على أصول تأديب القضاة وتوقيفهم عن العمل وعزلهم، وقد كفلت الشريعة الإسلامية في النظام الإسلامي كل ذلك وبينته أتم البيان وأكملها، ولا ينقص إلا ترجمة ذلك في أرض الواقع.

لقد طبق النظام الإسلامي الاستقلالية القضائية بأبهى صورها؛ حتى بلغت شأواً حظي فيه القضاة بسلطان عظيم هياً لهم تحقيق العدالة وإرساء قواعد الحق على صعيد الأمة بأكملها، ولذا فإن تحقيق معاني الاستقلالية في شخصية القضاة يعني تحقيق رقي المجتمعات وسعادتها، فقد جعل سيدنا عمر رضي الله عنه القاضي غير الوالي في بعض الولايات؛ لظروف وأحوال معينة، فولى أبا الدرداء رضي الله عنه معه بالمدينة قاضياً، وولى شريحاً وقيل كعب بن سورة قضاء البصرة وكان أبو موسى الأشعري رضي الله عنه واليها، وولى أبا موسى الأشعري رضي الله عنه وقيل شريحاً قضاء الكوفة وكان واليها المغيرة بن شعبة، وكانت أحكام هؤلاء القضاة ملزمة ونهائية وواجبة التنفيذ من قبل الولاة مما يؤكد استقلالية القضاء في تلك البلدان، ولم يكن الفصل للسلطة القضائية شاملاً لجميع الولايات؛ لأن فصل السلطة القضائية عن التنفيذية لم يكن معروفاً بعد؛ لعدم بروز الحاجة إليه، وعندما رأى سيدنا عمر رضي الله عنه الحاجة في بعض الولايات لذلك جعل القاضي غير الوالي، ويعتبر ذلك بداية لفصل السلطة القضائية عن التنفيذية في الدولة الإسلامية، واستمر الأمر على ذلك إلى أن تم الدمج بين السلطتين أو العمل على تعطيل ذلك بفعل خطط وضغوط الأعداء وأعدائهم العملاء أو من قبل المتنفيذين الذين يدركون دور القضاء المستقل في إرساء العدل والمساواة وتدعيم الأمن والاستقرار ورفع الظلم لذلك بذلوا ويذلون قصار جهدهم لربط القضاء بالسلطة، والعمل

على منع استقلاله؛ للفرار من الوقوف أمام عدالة القضاء المستقل الذي لا يُفرق بين حاكم -سواءً كان ملكاً أو رئيساً أو أميراً أو وزيراً- وبين محكوم، ولا رفيع ولا ضيع، ولا قائد ولا مقود، ولا راعي ولا رعية، فكلهم بين يدي القاضي القوي الأمين التزيه كأسنان المشط الواحد، وكلهم في ظل القضاء المستقل عرضة للوقوف أمام القاضي والمثول في مجلس القضاء.

**إن القضاء المستقل هو الذي جعل الملوك والأمراء وأصحاب النفوذ يقفون بين يدي القاضي القوي الأمين التزيه لسماع الدعوى المرفوعة ضدهم؛ لينفوها بقوة الدليل والبرهان لا بقوة الجاه والسلطان، أو أن يقرروا بها ومن ثم يلزمهم القاضي برفع الظلم الواقع منهم وإعادة الحقوق إلى أهلها.**

### ● قصة المرأة الجريية مع القاضي شريك

أتت امرأة يوماً إلى القاضي شريكاً وهو في مجلس الحكم فقالت: إنا بالله ثم بالقاضي، امرأة من ولد جرير بن عبد الله صاحب النبي صلى الله عليه وسلم، ورددت الكلام، فقال: إياها عنك الآن من ظلمك؟ فقالت: الأمير موسى بن عيسى، كان لي بستان على شاطئ الفرات لي فيه نخل ورثته عن آبائي، فقاومت أخوتي وبنيت بيني وبينهم حائطاً وجعلت فيه فارسياً في بيت يحفظ النخل ويقوم ببستاني، فاشتري الأمير موسى بن عيسى من أخوتي جميعاً وساومني وأرغبني فلم أبعه، فلما كان في هذه الليلة بعث بخمسمائة فاعل فاقتلعوا الحائط فأصبحت لا أعرف من نخلي شيئاً واحتلط بنخل أخوتي، فقال: يا غلام طينه بختم، ثم قال لها: امضي إلى بابه حتى يحضر معك، فجاءت المرأة بالطينة فأخذها الحاجب ودخل بها إلى موسى، فقال: أعدى شريك عليك، فقال: ادع لي صاحب الشرط، فدعا به فقال: امض إلى شريك فقل: يا سبحان الله ما رأيت أعجب من أمرك!! امرأة ادعت دعوى لم تصح أعديتها علي، قال: يقول له صاحب الشرط إن رأى الأمير أن يعفيني فليفعل، فقال: امض ويلك فخرج فأمر غلامانه أن يتقدموا إلى الحبس بفراش وغيره من آلة الحبس، فلما جاء وقف بين يدي شريك فأدى الرسالة، قال: خذ بيده فضعه في الحبس، قال: قد عرفت والله إنك تفعل بي هذا فقدمت ما يصلحني إلى الحبس، وبلغ موسى بن عيسى الخبر فوجه الحاجب إليه فقال: هذا رسول، أي شيء عليه؟ فلما وقف بين يديه وأدى الرسالة قال: ألحقه بصاحبه فحبس، فلما صلى الأمير العصر بعث إلى إسحاق بن الصباح الأشعثي وجماعة من وجوه الكوفة من أصدقاء شريك فقال: امضوا إليه وأبلغوه سلامي وأعلموه أنه قد استخف بي وإني لست كالعامّة، فمضوا وهو جالس في مسجده بعد العصر فدخلوا عليه فأبلغوه الرسالة فلما انقضى كلامهم قال لهم: ما لي لا أراكم جئتم في غيره من الناس فكلتموني من ها هنا من فتیان الحي، فليأخذ كل واحد منكم بيد رجل فيذهب به إلى الحبس لا ينم والله إلا فيه، قالوا: أجاد أنت؟ قال: حقاً حتى لا تعودوا برسالة ظالم، فحبسهم، فركب موسى بن عيسى في الليل إلى باب الحبس فأطلقهم جميعاً، فلما كان من الغد وجلس شريك للقضاء جاء السجان فأخبره فدعا بالقمطر فختمه ووجه به إلى منزله ثم قال لغلامه: ألحقني بثقلي إلى

بغداد فوالله ما طلبنا هذا الأمر منهم ولكن أكرهونا عليه ولقد ضمنوا لنا الإعزاز فيه إذ قد تقلدناه لهم ومضى نحو قنطرة الكوفة إلى بغداد، وبلغ موسى بن عيسى الخبر فركب في موكبه فلحقه وجعل يناشده الله ويقول: يا أبا عبد الله تثبت انظر إخوانك تحبسهم دع أعواني، قال: نعم لأنهم مشوا لك في أمر لم يجب عليهم المشي فيه ولست ببارح أو يردوا جميعاً إلى الحبس وإلا مضيت إلى أمير المؤمنين فاستعفيته مما قلدي، فأمر بردهم جميعاً إلى الحبس وهو والله واقف مكانه حتى جاءه السجن فقال له: قد رجعوا إلى الحبس فقال لأعوانه: خذوا بلجامه فردوه بين يدي إلى مجلس الحكم فمروا به بين يديه حتى أدخل المسجد وجلس مجلس القضاء ثم قال: عليّ بالجويرية المتظلمة من هذا، فجاءت فقال: هذا خصمك قد حضر وهو جالس معها بين يديه، فقال: أولئك يخرجون من الحبس قبل كل شيء، قال: أما الآن فنعم أخرجوهم، ثم قال له: ما تقول فيما تدعيه هذه المرأة؟ قال: صدقت، قال: فرد جميع ما أخذ منها وتبني حائطها في وقت واحد سريعاً كما هدم، قال: أفعل، قال بقي لك شيء؟ قال: تقول المرأة بيت الفارسي ومتاعه، قال: يقول موسى بن عيسى ونرد ذلك جميعه، بقي لك شيء تدعيه؟ قالت: لا جزاك الله خيراً، قال: قومي، ثم وثب من مجلسه فأخذ بيد موسى بن عيسى فأجلسه في مجلسه ثم قال: السلام عليك أيها الأمير تأمر بشيء، قال: أي شيء أمر وضحك<sup>(١)</sup>.

فانظر إلى قوة القضاء واستقلاله الذي جعل الأمير يخضع لسلطة القاضي ويسرع في مراجعته لما أراد التوجه نحو دار الخلافة لتمام علمه أن الأمر لو بلغ الخليفة فإن كفة القاضي سترجح عنده على كفة الأمير؛ لعلم الخليفة بتراهة القاضي أولاً إذ أن اختياره كان مبنياً على هذا الأساس الذي يحقق المصلحة العامة، ولعدله وإنصافه ثانياً، ولعدم تدخل الخليفة في شأن القضاء ثالثاً، فلا وساطة ولا محاباة للظلمة والفاستدين، فالقوة والغلبة لأهل الحق وإن كانوا من الضعفاء، فتحقق العدل والمساواة، واستقر الأمر، وأمن الناس، وقويت الدولة، وانظر إلى استقلال القاضي وتجرده وعدم تبعيته أو تحيزه؛ لعلمه باستقلاله الوظيفي الذي أكسبه قوة المنطق والحكم والتنفيذ.

### ● القاضي شمس الدين الفناري والسلطان بايزيد العثماني

إن القضاء المستقل قد جعل القاضي يرد شهادة السلطان إن لم يكن أهلاً لها فقد روي عن السلطان بايزيد العثماني وهو الذي كان يلعب بالصاعقة لسرعة حركته في مواجهة الأعداء أنه مثل أمام القاضي شمس الدين محمد حمزة الفناري ليشهد في إحدى القضايا فما كان من القاضي إلا أن رد شهادته ولم يقبلها، ولما سأل السلطان عن وجه ردها؟ جاء الجواب الحاسم من القاضي الذي لا

١ - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ٣٢/٩-٣٤، وأخبار القضاة، ٣/١٧٠.

يرهبه سلطان: إنك تارك للصلاة مع الجماعة، وكان جواب السلطان أنه بني جامعاً أمام قصره وعين نفسه موضعاً فيه، ولم يترك صلاة الجماعة بعدها أبداً<sup>(١)</sup>.

### • من وسائل تحقيق القضاء العادل المستقل

هناك عدة وسائل تعين على تحقيق وجود القضاء المستقل العادل من جهتيه: من جهة القاضي نفسه ليكون مستقلاً في الرأي والحيدة والعدل بعيداً عن التحيز والخضوع والتبعية لأي تأثير أو ضغوط لينتفع بتراهة ورقابة ذاتية ويكون متجرداً عن الأهواء وحظوظ النفس، فلا يخضع لتحقيق الأهواء والشهوات والمصالح الشخصية أو يذل لسلطان أو يخشى في الحق أحداً، ومن جهة كل ذي سلطة بحيث لا تخضع السلطة القضائية لأي سلطة أجنبية بل تتحرر في سلطتها من أي تدخل من جانب السلطات التشريعية أو التنفيذية فليس لأحد الهيمنة والتسلط على السلطة القضائية ولا التدخل في عمل القضاة، فيتكون قضاء مستقل يحقق العدل والمساواة والمصالح العامة للمجتمعات، فهو قضاء مستقل عادل يمنع استغلاله وتوظيفه في تحقيق المصالح الشخصية من جهة السلطة القضائية نفسها، ومن جهة السلطات الأخرى، من هذه الوسائل ما يلي:

١- وضع ضوابط دقيقة لتعيين القضاة ونقلهم أو ترفيتهم؛ بحيث يكون اختيارهم اختياراً يحقق المصلحة للمجتمع، يقوم على مبدأ التزاهة والعفاف والاستقامة والكفاءة العلمية والرقابة الذاتية التي يبعثها الخوف من الله إن حاد عن طريق الحق، والرجاء فيما عند الله إن قضى بالعدل؛ ولو على ذي سلطان؛ لأن جهل القاضي بقانون الشريعة ومبادئها العامة وما يوافقها من الجهة القانونية أو يضاربها، وعدم نزاهته وخوفه من الله تعالى مدعاة للظلم وإضاعة الشريعة وتضييع الحقوق.

قال الإمام علي رضي الله عنه: «لا ينبغي أن يكون القاضي قاضياً حتى تكون فيه خمس خصال: عفيف، حليم، عالم بما كان قبله، يستشير ذوي الألباب، لا يخاف في الله لومة لائم»<sup>(٢)</sup>.

وقال عمر بن عبد العزيز: «ينبغي للقاضي أن تجتمع فيه سبع خلال إن فاتته واحدة كانت فيه وصمة: العقل، والفقه، والورع، والتزاهة، والصرامة، والعلم بالسنن، والحكم»<sup>(٣)</sup>.

إن عدم وجود الضوابط المطلوبة، وكون مبعث القرارات مصلحة القاضي أو مصلحة جهة الاختيار هو الخلل بعينه الذي ينخر في جهاز القضاء، ويلززل أركان عدالة وحيادية القاضي وتجرده واستقلاله، ويحقق تبعيته وتحيزه وانقياده لمن ظنه قد أحسن إليه؛ ما دامت المصالح الذاتية القاصرة هي مبعث القرارات المصيرية المتعدية إلى جميع أفراد ومصالح المجتمع، فقدماً قيل: لطالما استعبد الإنسان إحسان.

١- افيار الدولة العثمانية، ٧٠/١، ٧١.

٢- المغني لابن قدامة، ٩٥/١٠.

٣- المصدر نفسه.

٢- أمن القاضي على وظيفته بحيث لا يخشى الفصل أو النقل التعسفي، وأمنه على نفسه لأن شعوره بعدم الأمن على نفسه حال نظره الدعوى- متى رفض وساطة أو توجيهاً يحرف مسار الحكم الذي كان سيصدره في القضية- كل ذلك يجعله ضعيفاً وإن تمالك نفسه وتحامل عليها وطلب المثالية ما دامت الجهات المتدخلة في عمله تجترئ على مخالفة الأنظمة، الأمر الذي يجعلها تجترئ على الإضرار به بأي وجه من وجوه الإضرار التي يمكن ابتكارها، فلا بد للنظام أن يكفل هذا المبدأ، وعلى جهات الاختصاص حسن التطبيق، كما يلزم تدقيق ذلك التطبيق من جهة اعتماده؛ حرصاً على تحقيق العدالة لأهل العدل، كما نحرص على تحقيقها منهم سواءً بسواء.

٣- قطع كل الميزات التي لا يتساوى فيها القضاة مع بعضهم من أي جهة في الدولة؛ حتى لا تكون سبباً في ضعف تجرد وعدالة وحيادية القاضي، فتؤثر على نزاهته وسلامة أحكامه، كانتقاء أعقد القضايا لإحالتها إليه من بين زملائه، أو تفويض مكانته بين زملائه ومراجعيه باستهداف أحكامه بالملاحظات الهامشية، أو بتكثيف حملات التفتيش عليه لأدنى عارض، ونحو ذلك.

٤- تمكين القاضي من الاتصال المباشر بأولي الأمر عند التعرض لما يخل باستقلاله، ويمكن تأكيد هذا الحق بتكرار إعلانه كل عام؛ حتى يكون أبلغ في الردع والزجر.

٥- تحديد العقوبات اللازمة لكل من يخل باستقلال القضاء سواء من القضاة أنفسهم أو من غيرهم ليكون الجميع على بينة من أمرهم.

٦- النهوض بالاجتهاد القضائي، وهذه المقاصد من الأهمية والخطورة والشأن بالدرجة التي تستدعي تقليب الرأي ومعاينة النظر في شأن القضاء الشرعي تجاوزاً لمعضلاته، واستشراكاً لآفاق تطويره، ذلك أن جهاز القضاء الشرعي يعتريه في كل عصر ما يعتري غيره من الأجهزة من أدواء توهن القوى وتقعّد عن الحركة، لكن الخلل في القضاء أشد مضاضة على النفس من الخلل في غيره بوصفه ميزاناً للحق والقسط -لما يتعلق به، وإتقان الصنعة فيه ينبغي أن يبلغ أقصى غاياته.

٧- إنشاء مجلس للقضاء يتولى إدارة شؤون العدالة وشؤون القضاة من حيث التعيين والنقل والعزل دون تدخل من السلطات الأخرى، ويصطفى أعضاؤه من خيرة العلماء العاملين الصادقين.

٨- إنشاء هيئة عليا للرقابة القضائية يُصطفى أعضاؤها من خيرة علماء كل بلد، ويناط بها دور تعقب المسيرة القضائية لا سيما في بعدها العلمي وصنيعها الاجتهادي، كمراجعة الأحكام القضائية الشرعية على نحو يعين على تقييم المستوى العلمي، وفحص المنهج المختار في المعالجة الشرعية، وكاقتراح الوسائل الكفيلة بتحسين الأداء العلمي للقاضي الشرعي، وتهذيب أدواته الاجتهادية، وكنتمكين الهيئة من اصطفاء بعض الكفاءات العلمية المؤهلة لتقلد منصب القضاء، وكالإشراف على تطوير التكوين العلمي للقاضي الشرعي عن طريق إرشاده إلى إتقان مبادئ العلوم العصرية مع الشرعية، والتعامل مع معطيات التكنولوجيا الحديثة، ومن ثم فإن تَفَقُّد الجهاز القضائي الشرعي يحفز

القضاة على الرقي بمداركهم العلمية ومؤهلاتهم الاجتهادية، فيستفرغون الوسع في إثراء المهارات وتنقيح الأدوات؛ حسبة لله أولاً، واحتساباً من نقد الرقابة ثانياً.

وفي كل الأحوال تكتسب القدرات البشرية مهارات أكبر كلما أتيحت لها فرص الاستقلالية في الأداء، فكيف بها وهي من صلب العمل القضائي؛ فما دام تنصيب القضاة يهدف إلى إحقاق الحق وإبطال الباطل؛ فذلك مما تنبغي له الاستقلالية التي لا تنفك عنه في أي حال من الأحوال. وما إنشاء هذه الهيئة إلا لأن التجويد في الأداء القضائي رهين بالمستوى العلمي للقاضي ومكانته الاجتهادية ومنهجه في المعالجة الشرعية.

٨- تحقيق مبدأ السيادة، بإيجاد سلطة قضائية مستقلة في عملها عن السلطتين التنفيذية والتشريعية، بحيث يكون القاضي في ممارسته لوظيفة القضاء حراً وعدلاً ومحيداً في اتخاذه لقراره، لأن القاضي لا يمكنه أن يكون كذلك إلا إذا كان مستقلاً في عمله، وهكذا يمكن القول إن الاستقلال والحياد صفتان متلازمتان، فالاستقلال سبيل الحياد، والحياد سبيل تحقيق العدالة وإحقاق الحق ورد المظالم.

٩- شمول مبدأ استقلالية القضاء أدارياً ومالياً وفي سلطة اتخاذ القرار.

أما إدارياً فينبغي أن تكون الصلاحيات الإدارية كاملة بيد الهيئة المستقلة من دون تدخل غير مبرر من أية سلطة أخرى؛ لأن إعطاء أية صلاحيات إدارية لسلطات أخرى في مواجهة الهيئة المستقلة هو انتقاص من استقلاليتها وتحول من الاستقلال الكامل إلى الاستقلال الجزئي في حقيقته ومعناه، وعلى هذا الأساس تنفرد كل سلطة من السلطات المستقلة بتنظيم شؤونها الإدارية من دون تدخل إداري من السلطات الأخرى.

وأما الاستقلال المالي: وهذا من أهم مظاهر الاستقلال وبدونه لا يعد هناك استقلال حقيقي؛ إذ يتيح هذا الاستقلال للهيئة حرية التصرف القانوني ودعم تنفيذ القرارات من دون إعاقة تفرضها طبيعة العلاقات الإدارية السائدة في الدولة، فإذا لم يكن بيد الهيئة الأموال الكافية المخصصة سلفاً فإن قدرتها على اتخاذ القرارات وتنفيذ مشاريعها ستكون محدودة ومرتبطة بموافقات وسلسلة مراجع قد تؤدي في كثير من الأحيان إلى التردد في اتخاذها وهكذا يحبط الروتين الإداري الكثير من الأفكار والخطط.

إن الاستقلال المالي يتيح حرية الحركة والتصرف بسرعة لسد النواقص والثغرات والتحديد الملائم للحاجات؛ ذلك أن من أهم صور الضغط الذي يمكن أن تمارسه السلطة التنفيذية على الهيئات المستقلة هو الضغط المالي وعدم إعطاء الموافقات اللازمة على الطلبات وشحة التخصيصات وغير ذلك من وسائل وأساليب، والاستقلال المالي من أهم مظاهر الاستقلال الجزئي أيضاً وهكذا تتمتع بعض الهيئات بالاستقلال المالي وإن كانت جزءاً من السلطة التنفيذية كما هو حال الجامعات والكليات في معظم دول العالم؛ لإتاحة قدر من حرية البحث العلمي والتطوير.

ويدخل في الاستقلال المالي استقلال الجهة المانحة لمرتبات القضاة كأن تخصص لهم أوقاف تفي بتوفير كل ما يكفيهم وليس لأي سلطة مهما كانت أن تتدخل في شؤون هذا الوقف الخاص بالقضاة حتى لا يشكل الجانب المالي (التمثل في المرتبات) أي ضغوط على القضاة في القيام بأعمالهم على أتم وجه وأكملة وأشرفه، ولا بد أن تكون مرتبات القضاة كافية تحقق لهم وجود ما هو ضروري وحاجي وتحسيني بحيث يشعر كل القضاة بالاستغناء به تماماً عن الحاجة إلى الخوض في طرق كسب المال التي تشغلهم عن الالتفات إلى الدقة في أعمال القضاء.

أما الاستقلال في اتخاذ القرار فمن الأهمية بمكان أن يكون للهيئات المستقلة استقلالاً تاماً سلطة اتخاذ القرار النهائي في حدود صلاحياتها القانونية من دون تعقيب من جهة إدارية أخرى موازية لها أو أعلى منها وهذا هو جوهر الاستقلال ومضمونه إلا أن قراراتها تخضع لرقابة القضاء وله إلغائها إذا صدرت خلافاً لقانون الشريعة، أما إذا كان الاستقلال جزئياً فأن للجهة الإدارية الأعلى التعقيب على قراراتها.

١٠- كفاءة مؤسسة العدالة في المجتمع، فإن القاضي وإن كان هو العنصر الجوهرية في نظام العدالة إلا أن كفاءة وفعالية نظام العدالة لا تقوم على جهوده بمفرده إذ تكمل جهوده بجهود الادعاء العام وفقهاء القانون وشراحه والمحامين والمحققين والكتبة والخبراء.

إن الادعاء العام عنصر جوهري في نظام العدالة، وترتبط وظيفته بتحقيق العدالة وترسيخ قيمها في المجتمع ووضع دعوى الحق العام في مسارها الصحيح، وكفالة سلامة إجراءات العدالة في مرحلة التحقيق والمحاكمة ومرحلة تنفيذ الأحكام، وتتطلب مهمته الاتصاف بالإنصاف والمرونة والذكاء. ولترسيخ تقاليد عدالة وحيادية واستقلال القضاء في العراق فقد نصت المادة (٩٨) من الدستور على أنه يحظر على القاضي وعضو الادعاء العام الجمع بين الوظيفة القضائية والوظيفتين التشريعية والتنفيذية أو أي عمل آخر، والانتماء إلى أي حزب أو منظمة سياسية، أو العمل في أي نشاط سياسي.

١١- بما أن استقلال القضاء شرط لضمان تحقق العدالة وليس أمراً مقصوداً لذاته، لزم الأمر وجود ضمانات إجرائية ومبادئ موضوعية يُنص عليها في صلب الدستور تضمن استقلال القضاء والتطبيق الكامل لأحكام الشريعة التي بدورها ستؤدي إلى تحقيق العدالة، والنص في صلب الدستور على عقوبات صارمة تنفذ على المتلاعبين والحاثلين دون تطبيق هذه الأحكام أو هذا الاستقلال، وعلى هذا جاء القول المأثور بأن استقلال القضاء لم يشرع لينعم به القضاة وإنما لينعم به المتقاضون.

١٢- إزالة جميع الثغرات القانونية التي تعرقل استقلال القضاء.

١٣- إنهاء كافة أنواع هيمنة وزراء العدل القانونية على وظيفة وعمل القضاة ونقلها إلى جهاز محايد مستقل تمام الاستقلال عن السلطة التنفيذية، ولا يمكن أن يكون هذا الجهاز إلا المجلس الأعلى

للقضاء مع التشديد في الشروط الواجب توافرها في المرشح للعضوية في هذا المجلس على مستوى الكفاءة والفعالية والسلوك، وسيترتب على إنهاء هيمنة وزير العدل أن يصبح هذا الأخير مجرد منفذ لقرارات المجلس الأعلى للقضاء.

١٤- إلغاء كافة محاكم الجماعات والمقاطعات والمحاكم الاستثنائية التي لا توفر شروط الاستقلال إزاء السلطة التنفيذية أو لا توفر القانون المنظم لها بالضمانات والشروط التي تسمح بصدور أحكام عادلة عنها.

١٥- يجب على القضاة تبليغ المجلس الأعلى للقضاء بكافة أنواع التدخلات في اختصاصاتهم القضائية কিما كان مصدرها وخاصة تلك الصادرة عن السلطة التنفيذية، وعلى المجلس الأعلى للقضاء اتخاذ ما يجب لمتابعة المتدخلين جنائياً وإدارياً.

١٦- على القضاة أن يكونوا هيئة تدافع عن مصالحهم المادية والمعنوية وتحمي استقلالهم وتنظف صفهم من المنحرفين.

١٧- يجب على الدول السعي باستمرار إلى الرفع من مكانة القضاء والقضاة، وذلك سواء على مستوى التكوين المستمر أو على مستوى الزيادة في الأجور والتعويضات للقضاة ولكتاب الضبط، وفي الإمكانيات البشرية والمادية، سواء من ناحية الكم أو النوع.

١٨- على ممثلي مختلف مكونات المجتمع سواء السياسية أو النقابية أو الحقوقية أو الاجتماعية العمل باستمرار على الدفاع عن استقلال القضاء وحمايته والتصدي بكل حزم ضد كل من يمس بهذا الاستقلال أو يحاول المساس به.

وقد يُستشكل هنا سؤال: ألا يعد مبدأ استقلالية القضاء مانعاً من تفقد صنيع القضاة وتصفع أحكامهم وتوجيه الإرشاد إليهم من قبل الحاكم أو غيره ؟

والجواب: بأن تفقد أحوال القضاة واجب يضطلع به الحاكم، وقد يوكل هذه المهمة إلى من يراه صالحاً لذلك دون التدخل في إصدار الأحكام والبت في الخصومات، والاستقلالية في القضاء تستقيم بتجرد القاضي عن الأهواء وتزهره عن الشبهات وميله عن محاباة الحاكم ونصرتة للحق ولو عانى في سبيل ذلك العنت والإرهاق، وهذه المعاني مصانة عن الإهدار في عملية التفقد والرقابة؛ لأن القصد منها بذل النصح وإصلاح الأحوال ترقياً إلى الأفضل والأكمل، ولنا أسوة حسنة في رسالة سيدنا عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما، فإنها معالم نيرة على الدرب، يسترشد بها كل راغب في الإحسان إلى دين الله، ومهتم بنشر رسالة العدل الفضلى، ولم يقل أحد من أهل العلم: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جار-من الجور- على استقلالية القضاء، أو ضيق الخناق على القضاة!



## ● نص رسالة سيدنا عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما وهاك نص هذه الرسالة العمرية:

كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما:

«أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة، فافهم إذا أدلي إليك بحجة، وأنفذ الحق إذا وضح فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، وآس بين الناس<sup>(١)</sup> في وجهك ومجلسك وعدلك؛ حتى لا يئأس الضعيف من عدلك ولا يطمع الشريف في حيفك، البينة على من ادعى واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً، لا يمنعك قضاء قضيت به بالأمس راجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن تراجع الحق؛ فإن الحق قدس ومراجعة الحق خير من التماذي في الباطل، الفهم الفهم فيما يختلج في صدرك مما لم يبلغك في الكتاب أو السنة، اعرف الأمثال والأشياء ثم قس الأمور عند ذلك فاعمد إلى أحبها عند الله وأشبهها بالحق فيما ترى، وأجعل لمن ادعى بينة أمداً ينتهي إليه فإن أحضر بينة أخذ بحقه وإلا وجهت القضاء عليه فإن ذلك أجلى للعمى وأبلغ في العذر، المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلود في حد أو مجرب في شهادة زور أو ظنين<sup>(٢)</sup> في ولاء أو قرابة، إن الله تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالبينات، وإياك والقلق والضجر والتأذي بالناس والتنكر للخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الأجر ويحسن بها الذخر، فإنه من يصلح نيته فيما بينه وبين الله ولو على نفسه يكفه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين للناس بما يعلم الله منه غير ذلك يُشَنُّهُ الله<sup>(٣)</sup>، فما ظنك بثواب غير الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام عليك»<sup>(٤)</sup>.

إن الوضع العام الفاسد في كثير من البلدان والذي يعمل القضاء في ظله متأثراً به، وعدم احترام السلطة التنفيذية لمبدأ سيادة الشريعة والقانون واحترامه بالتطبيق له وعدم خرقه - كما هو المشاهد من بعض رموزها ومسئولياتها النافذين الذين يتدخلون بكيفية مباشرة وغير مباشرة في أعمال السلطة القضائية مع أن القانون يعاقب على هذا التدخل - والمحسوبة والحسابات المصلحية في تعيين القضاء وفي ترقيتهم بالرغم من عدم توفر الشروط والمقاييس الشرعية والقانونية الأمر الذي يسمح بالتسرب لمؤسسة القضاء وتحمل المسؤولية فيها لنوع من القضاء لا تتوفر فيهم الكفاءة والزهة والجرأة الأدبية والشعور بالمسؤولية والأمانة المفروض توفرها في القضاء والتي من شأنها أن تؤهلهم لمقاومة أي تدخل قد يمس باستقلالهم وبكرامتهم، بل إن بعض هذا النوع من القضاء يستجيبون بصفة تلقائية لتوجهات

١- أي: سو بينهم، النهاية في غريب الأثر ٤٨/١، ولسان العرب ٣٥/١٤.

٢- أي: متهم، النهاية في غريب الأثر ١٦٣/٣، والمصباح المنير ٣٨٧/٢، ولسان العرب ٢٧٣/١٣.

٣- الشين العيب، والشن الصب، لسان العرب ٢٤٢/١٣، ٢٤٤.

٤- أخرجه الدارقطني في السنن، ٤ / ٢٠٦ برقم: ١٥.

الدول وحتى في الحالات التي لا يتلقون فيها تعليمات بشأن ما يجب عليهم عمله، وتعتمد الحكام عدم توفير الإمكانات المادية الكافية والبشرية المكونة التي من شأنها أن ترفع من مكانة وشأن القضاء وفعاليته وإنتاجه الكمي والنوعي ومن مناعته وحصانته وبالتالي من قدرته على مقاومة كافة الضغوطات والإغراءات، كل ذلك وغيره يعد من الأسباب التي تساهم في عرقلة استقلال القضاء، وعندما تنعدم استقلالية القضاء تنعدم مصداقيته وتنعدم شرعيته وتتقوض العدالة، وكثيراً ما يُطلق العنان في وضع كهذا لأجهزة الأمن لكي تمارس القمع كما يحلو لها، وقد تلجأ السلطات عند القيام بحملات اعتقال إلى إصدار القوانين الاستثنائية والمراسيم التي تجرد القضاء من جميع المبادئ القانونية الموجودة من قبل لتحل محلها إجراءات لا هدف لها سوى الانتقام من المناوئين والتغطية على عملياتها وممارستها الممنوعة واللاقانونية، ثم تقوم المحاكمات فتدور إما بصفة سرية أو أمام المحاكم الخاصة، وفي كلتا الحالتين لا تُعد محاكمات عادلة، وعادة ما تكون الأحكام الصادرة قاسية جداً<sup>(١)</sup>.

وأفضع من كل ذلك العمل على إقصاء الشريعة الإسلامية عن منصة القضاء بمحاربة حملتها وإبعادهم أو العمل على تعطيل أحكامها والتي تحقق العدالة والمساواة، أو تهميش الأحكام الجارية وفقها، أو القضاة العاملين بأحكامها<sup>(٢)</sup>، والسعي في تحقيق الفصل بين الدين والسلطة -المعروف بالعلمانية- وبعد ذلك نبحت عن عدل ووحدية، وأمن واستقرار، ورخاء ونعمة، وقوة وعزة، هيئات.

إن الدواء النافع والبلسم الشافي لا ولن يوجد إلا في ظلال ورحاب الشريعة الإسلامية الربانية في مصدرها والتي يحقق تطبيقها العدل والوحدة والأمن والاستقرار.

---

١- انظر لموضوع استقلال القضاء: الإسلام والدستور، ١٧١/١، وبحوث ندوة القضاء الشرعي في العصر الحاضر، ٤٤/٦، ٤٥، ٢١/٣٧، ٢٢، واستقلال السلطة القضائية وتوازن السلطات داخل الدولة للعجروش نقلاً عن موقع: <http://www.iraqja.org/researches/faris%20esteqlal%20wa%20tawazn.htm>، ومقال لناصر بن زيد بن داود نشر في مجلة الإمامة العدد ١٩١٨ - وصحيفة اليوم العدد ١٢٣٢٤، نقلاً عن موقع: مركز الدراسات القضائية التخصصي. <http://www.cojss.com/article>، وانظر موقع: [ezgh001@googlemail.com](mailto:ezgh001@googlemail.com)، وموقع: ويكيديا الموسوعة الحرة: <http://www.arrouiah.com>، وموقع: <http://ar.wikipedia.org/wiki>، وموقع: <http://www.ahewar.org>، وموقع: <http://www.iraqja.org>.

٢- بل أصبحت معاهد القضاء وللأسف ترفض قبول من يظهر عليهم سيما الخير والصالح... فأصبح القضاء في بعض دول الإسلام للقضاء على العدالة لا الظلم...

## المبحث الرابع: التفرق والعصبية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:

وفيه السبب الخامس وهو التنازع وتفرق جماعة المسلمين

المطلب الثاني:

وفيه السبب السادس وهو إثارة العصبية

## المطلب الأول: وفيه السبب الخامس وهو التنازع وتفرق جماعة المسلمين

التفرق: تشتيت الشمل والكلمة، وإيقاع التباين بين أمرين من نوع واحد<sup>(١)</sup>.  
قال ابن فارس: «فَرَّقَ: الفاء والراء والقاف أصيل [أصل] صحيح يدل على تمييز وتزييل بين شيئين، من ذلك الفرق فرق الشعر، يقال فرقته فرقاً، والفرق القطيع من الغنم، والفرق الفلق من الشيء إذا انفلق، قال الله تعالى: ﴿انْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣]»<sup>(٢)</sup>.  
قال الراغب: «وفرقت بين الشيئين فصلت بينهما سواء كان ذلك بفصل يدركه البصر أو بفصل تدركه البصيرة... والتفريق أصله للتكثير، ويقال ذلك في تشتيت الشمل والكلمة نحو: ﴿يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]، ﴿فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [طه: ٩٤]»<sup>(٣)</sup>.  
أما التنازع فيقول ابن فارس: «النون والزاي والعين أصل صحيح يدل على قلع شيء»<sup>(٤)</sup>، والمنازعة تطلق على الخصومة<sup>(٥)</sup>، وأصل النزاع الجذب والقلع<sup>(٦)</sup>.  
قال الإمام المناوي: «والمنازعة والتنازع المجاذبة ويعبر بها عن المحاصمة والمجادلة»<sup>(٧)</sup>.  
وقال: «النازع: الشيطان؛ لأنه يترغ بين القوم أي يفرق ويفسد»<sup>(٨)</sup>.

### • الفرق بين التفرق والتنازع

التفرق والتفريق خاص بالأعيان، أما التنازع فيكون في الأعيان والمعاني على سواء، وأيضاً فإن التنازع لا بد وأن يصحبه اجتماع، أما التفرق فقد يكون بعد الاجتماع وقد يكون بدونه أي أنه يحصل ابتداءً، ومن وجوه الفرق أيضاً أن ضد التفرق الاجتماع، وضد التنازع الاتحاد - وخاصة في مجال الرأي - وإذا اجتمع الأمران فإن التنازع يكون سبباً للفرقة، بحيث تكون كالنتيجة له<sup>(٩)</sup>.

### • ذم التفرق والتنازع المفضي إليه

لقد نهي الله سبحانه وتعالى في كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم في سنته عن التفرق في كل صورته، وعن التنازع والاختلاف المفضي إليه؛ وبيناً أن ذلك سبيل الشيطان وأعوانه وأتباعه من الجن والإنس، وأنه يشل حركة المجتمع المسلم، ويمزق صفه، ويشتت جمعه، ويسبب الفشل، وذهاب الدولة

١- التعاريف للمناوي ١/١٩٢، ومعجم مقاليد العلوم للسيوطي ١/١٠٢.

٢- مقاييس اللغة ٤/٤٩٣، ٤٩٤.

٣- المفردات في غريب القرآن ١/٣٧٧، ٣٧٨.

٤- مقاييس اللغة ٥/٤١٥.

٥- المحكم والمحيط الأعظم ١/٥٢٦.

٦- لسان العرب ٨/٣٥٠، وتاج العروس ٢٢/٢٤٠.

٧- التعاريف ١/٦٩٥.

٨- المصدر نفسه.

٩- موسوعة نضرة النعيم ٩/٤٢٦٦.

والقوة والغلبة، فيحصل للمجتمع المسلم الوهن والضعف الذي يرفع النصر والتمكين، ويسبب تسلط الأعداء وأعدائهم، والأدلة على ذلك كثيرة في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم منها:

### أولاً: الأدلة من القرآن الكريم

١- قول الله تعالى: ﴿وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فالآية فيها أمر ونهي، أمر بالاجتماع والأمر للوجوب، ونهي عن الافتراق والنهي للتحريم، والنهي عن التفرق مطلق فيشمل ويعم كل أنواع التفرق الذي يمزق الأمة وما يؤدي إليه.

قال الإمام ابن كثير: «قوله تعالى: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ أمرهم بالجماعة، ونهاهم عن التفرقة»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام الزمخشري «﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ ولا تفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى، أو كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضاً ويحاربه، أو ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويحول معه الاجتماع والألفة التي أنتم عليها مما يأباه جامعكم والمؤلف بينكم وهو اتباع الحق والتمسك بالإسلام، كانوا في الجاهلية بينهم الإحن والعداوات والحروب المتواصلة فألف الله بين قلوبهم بالإسلام وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا إخواناً متراحمين متناصحين مجتمعين على أمر واحد قد نظم بينهم وأزال الاختلاف وهو الأخوة في الله»<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي: «﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ يريد التفرق الذي لا يتأتى معه الائتلاف كالتفرق بالفتن والافتراق في العقائد»<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام الطبري: «يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ ولا تفرقوا عن دين الله وعهده الذي عهد إليكم في كتابه من الائتلاف والاجتماع على طاعته وطاعة رسوله والانتهاى إلى أمره»<sup>(٤)</sup>.

وقال الإمام القرطبي: «ويجوز أن يكون معناه ولا تفرقوا متابعين للهوى والأغراض المختلفة وكونوا في دين الله إخواناً، فيكون ذلك منعاً لهم عن التقاطع والتدابير، ودل عليه ما بعده وهو قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾»<sup>(٥)</sup>.

١- تفسير ابن كثير ٣٩٠/١.

٢- الكشاف ٤٢٣/١، ٤٢٤.

٣- الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ٢٩٥/١.

٤- تفسير الطبري ٣٢/٤.

٥- تفسير القرطبي ١٥٩/٤.

وقال الإمام الألوسي: «وقيل المعنى لا يقع بينكم شقاق وحروب كما هو مراد المذكرين لكم بأيام الجاهلية الماكرين بكم، وقيل: المعنى لا تتفرقوا عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام السعدي: «ثم أمرهم تعالى بما يعينهم على التقوى: وهو الاجتماع والاعتصام بدين الله، وكون دعوى المؤمنين واحدة مؤتلفين غير مختلفين، فإن في اجتماع المسلمين على دينهم وائتلاف قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم، وبالا اجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عدها من التعاون على البر والتقوى، كما أن بالافتراق والتعادي يختل نظامهم، وتنقطع روابطهم، ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه ولو أدى إلى الضرر العام»<sup>(٢)</sup>.

فالواجب على الأمة جمعاء من علماء وحكام ودعاة وشعوب الوقوف عند هذا الأمر والنهي ونقله إلى حيز التنفيذ والتطبيق العملي وتذكر نعمة الله تعالى، وإن تقاعست الأمة عن ذلك فقد خالفة أمر الله تعالى القائل: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

إن الجماعة جبل الله فاعتصموا منه بعروته الوثقى لمن دانا<sup>(٣)</sup>

٢- قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

قال قتادة: «قوله: ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ ألا تعلمون أن الفرقة هلكة وأن الجماعة ثقة»<sup>(٤)</sup>.

وقال الإمام علي رضي الله عنه: «لا تتفرقوا فالجماعة رحمة والفرقة عذاب»<sup>(٥)</sup>.

وقال ابن كثير: «أي وصى الله تعالى جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالائتلاف والجماعة ونهاهم عن الافتراق والاختلاف»<sup>(٦)</sup>.

وقال البغوي: «بعث الله الأنبياء كلهم بإقامة الدين والألفة والجماعة وترك الفرقة والمخالفة»<sup>(٧)</sup>.

وقال الشوكاني: «﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ أي: لا تختلفوا في التوحيد والإيمان بالله وطاعة رسله وقبول شرائعه فإن هذه الأمور قد تطابقت عليها الشرائع وتوافقت فيها الأديان فلا ينبغي الخلاف في مثلها، وليس من هذا فروع المسائل التي تختلف فيها الأدلة وتتعارض فيها الأمارات وتتباين فيها

١- روح المعاني ١٩/٤.

٢- تفسير السعدي ص ١٤٢.

٣- قاله ابن المبارك، انظر: تفسير القرطبي ١٥٩/٤.

٤- تفسير الطبري ١٥/٢٥، وفتح القدير ٥٣٢/٤.

٥- تفسير النسفي ٩٨/٤.

٦- تفسير ابن كثير ١١٠/٤.

٧- تفسير البغوي ١٢٢/٤.

الأفهام فإنها من مطارح الاجتهاد ومواطن الخلاف»<sup>(١)</sup>، وهذا الاختلاف في الفروع لا يعد مذموماً إذا كان الرد فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله، ولم يؤدي إلى الافتراق في أصول الدين، والتعصب والهوى، وإلا فإنه في جملة المنهيات على ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

وقال الإمام السعدي: «**وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**» أي: ليحصل منكم اتفاق على أصول الدين وفروعه وحرصوا علي أن لا تفرقكم المسائل وتحزبكم أحزاباً وشيعاً يعادي بعضكم بعضاً مع اتفاقكم على أصل دينكم، ومن أنواع الاجتماع على الدين وعدم التفرق فيه ما أمر به الشارع من الاجتماعات العامة كاجتماع الحج والأعياد والجمع والصلوات الخمس والجهاد وغير ذلك من العبادات التي لا تتم ولا تكمل إلا بالاجتماع لها وعدم التفرق»<sup>(٢)</sup>.

٣- قوله تعالى: «**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**» [الأنفال: ٤٦].

قال الإمام الشنقيطي: «نمى الله جل وعلا المؤمنين في هذه الآية الكريمة عن التنازع مبيناً أنه سبب الفشل وذهاب القوة ونمى عن الفرقة أيضاً في مواضع أخر»<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام الرازي: «بين تعالى أن النزاع يوجب أمرين: أحدهما: أنه يوجب حصول الفشل والضعف، والثاني: قوله: «**وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**» وفيه قولان: الأول: المراد بالريح الدولة شبهت الدولة وقت نفاذها وتمشية أمرها بالريح وهبوبها يقال هبت رياح فلان إذا دانت له الدولة ونفذ أمره، الثاني: أنه لم يكن قط نصر إلا بريح يبعثها الله وفي الحديث: "نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور"<sup>(٤)</sup>، والقول الأول أقوى؛ لأنه تعالى جعل تنازعهم مؤثراً في ذهاب الريح، ومعلوم أن اختلافهم لا يؤثر في هبوب الصبا، قال مجاهد: «**وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**» أي: نصرتكم، وذهبت ريح أصحاب محمد حين تنازعوا يوم أحد»<sup>(٥)</sup>.

قال الإمام البغوي: «**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا**» لا تختلفوا، «**فَتَفْشَلُوا**» أي: تَجْبَنُوا أو تضعفوا، «**وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**» قال مجاهد: نصرتكم، وقال السدي: جرأتكم وجدكم، وقال مقاتل بن حيان: حدثكم، وقال النضر بن شميل: قوتكم، وقال الأخفش: دولتكم، والريح هنا كناية عن نفاذ الأمر وجريانه على المراد، تقول العرب: هبت ريح فلان إذا أقبل أمره على ما يريد، قال قتادة وابن زيد: هو ريح النصر لم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله عز وجل تضرب وجوه العدو، ومنه

١- فتح القدير ٤/٥٣٠.

٢- تفسير السعدي ١/٧٥٤.

٣- أضواء البيان ٢/١٠٢.

٤- أخرجه البخاري ١/٣٥٠ برقم: ٩٨٨، ومسلم ٢/٦١٧ برقم: ٩٠٠، عن ابن عباس.

٥- التفسير الكبير ١٥/١٣٨، وانظر: تفسير أبي السعود ٤/٢٥.

قول النبي صلى الله عليه وسلم: **"نصرت بالصبا وأهلك عاد بالذبور"** وعن النعمان بن مقرن قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم **"فكان إذا لم يقاتل أول النهار انتظر حتى تزول الشمس وحب الرياح ويترل النصر"**<sup>(١)</sup>»<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام السعدي: «فأخبر أن ائتلاف قلوب المؤمنين وثباتهم وعدم تنازعهم سبب للنصر على الأعداء، وأنت إذا استقرأت الدول الإسلامية وجدت السبب الأعظم في زوال ملكها ترك الدين والتفرق الذي أطمع فيهم الأعداء وجعل بأسهم بينهم»<sup>(٣)</sup>، وقال: **«وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ»** في استعمال ما أمروا به، والمشي خلف ذلك في جميع الأحوال، **«وَلَا تَنَازَعُوا»** تنازعاً يوجب تشتيت القلوب وتفرقها، **«فَتَفَشِلُوا»** أي: تجنبوا، **«وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ»** أي: وتنحل عزائمكم وتفرق قوتكم ويرفع ما وعدتم به من النصر على طاعة الله ورسوله»<sup>(٤)</sup>.

قال قتادة: **«لا تختلفوا فتجنبوا ويذهب نصركم»**<sup>(٥)</sup>، وقال ابن زيد بن أسلم: «الفشل الضعف عن جهاد عدوه والانكسار لهم فذلك الفشل»<sup>(٦)</sup>.

٤- قوله تعالى: **«وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِّنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمُ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ»** [آل عمران: ١٥٢].

إن المقصود بهذه الآية الرماة وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أقامهم في موضع يوم أحد وقال: **"احموا ظهورنا احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا نغتم فلا تشركونا"**<sup>(٧)</sup>، فلما غنم النبي صلى الله عليه وسلم تنازعوا في البقاء أو الذهاب لجمع الغنائم، ثم انطلقوا لجمع الغنائم، ولم يبق إلا القليل<sup>(٨)</sup>، قال الإمام الرازي: «والتقدير حتى إذا فشلت وتنازعت في الأمر وعصيت من بعد ما أراكم ما تحبون منعكم الله نصره وإنما حسن حذف هذا الجواب؛ لدلالة قوله: **«وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ»** عليه»<sup>(٩)</sup>.

١- أخرجه أبو داود ٥٦/٢ رقم: ٢٦٥٥، والترمذي ١٦٠/٤ رقم: ١٦١٣، صحيحه الألباني في صحيح أبي داود ٥٠٤/٢ رقم: ٢٣١٣.

٢- تفسير البغوي ٢/٢٥٣.

٣- تفسير السعدي ص ١٢٧.

٤- المصدر نفسه ص ٣٢٢، ٣٢٣.

٥- تفسير ابن أبي حاتم ١٧١٢/٥.

٦- تفسير الطبري ١٠/١٦، وتفسير ابن أبي حاتم ٥/١٧١٢.

٧- رواه أحمد في المسند ١/٢٨٧ رقم: ٢٦٠٩، والحاكم في المستدرک ٢/٣٢٤ رقم: ٣١٦٣، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، والطبراني في الكبير ١٠/٣٠١ رقم: ١٠٧٣١، قال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند: «إسناده حسن».

٨- تفسير ابن كثير ١/٤١٣.

٩- التفسير الكبير ٩/٣٠.



وقال الإمام الشنقيطي: «ففي هذه الفتوى السماوية بيان واضح لأن سبب تسليط الكفار على المسلمين هو فشل المسلمين وتنازعهم في الأمر وعصيانهم أمره صلى الله عليه وسلم وإرادة بعضهم الدنيا مقدماً لها على أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وقد أوضحنا هذا في سورة آل عمران ومن عرف أصل الداء عرف الدواء كما لا يخفى»<sup>(١)</sup>.

فالآية تدل على أن التنازع يفضي إلى التفرق الذي يسبب الوهن والضعف والاضطراب والفتنة الممزقة ومع كل هذا فإنه يرفع النصر والتمكين.

٥- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ فَرَقُّوْا دِيْنَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

إن هذه الآية تحذر من الافتراق في الدين والذي يعد من أشد أنواع الفرقة وأخطرها؛ لأن الافتراق فيه طريق الشيطان وأتباعه من اليهود والنصارى، وسبيل أهل الزيغ والضلال وأصحاب الأهواء والبدع، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "﴿إِنَّ الدِّينَ فَرَقُّوْا دِيْنَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ قال: هم أهل البدع والأهواء من هذه الأمة"<sup>(٢)</sup>، فإما مبتدع جاهل بالدين يحسب أن صنيعة حسن، وإما صاحب هوى لا يألو جهداً في تحقيق هواه حتى لو مزق الأمة وشتتها وفرق جمعها.

قال الإمام الرازي: «واعلم أن المراد من الآية الحث على أن تكون كلمة المسلمين واحدة، وأن لا يتفرقوا في الدين، ولا يتدعوا البدع»<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام السعدي: «ودلت الآية الكريمة أن الدين يأمر بالاجتماع والاتلاف، وينهى عن التفرق والاختلاف في أهل الدين»<sup>(٤)</sup>.

وذكر الإمام الشاطبي في الآية عن أهل العلم: «فكل مسألة حدثت في الإسلام فاختلف الناس فيها ولم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاء ولا فرقة علمنا أنها من مسائل الإسلام، وكل مسألة طرأت فأوجبت العداوة والتنافر والتنازع والقطيعة علمنا أنها ليست من أمر الدين في شيء وأنها التي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتفسير الآية وهي قوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ فَرَقُّوْا دِيْنَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا﴾ وقد تقدمت فيجب على كل ذي دين وعقل أن يجتنبها ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ فإذا اختلفوا

١- أضواء البيان ٥٣/٣.

٢- أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ١/ ٢٠٧ برقم: ٦٦٤، وقال: «لم يرو هذا الحديث عن سفيان إلا موسى تفرد به معلل»، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير معلل بن نفييل وهو ثقة» مجمع الزوائد ٧/ ٩٢ برقم: ١١٠٠٩.

٣- التفسير الكبير ٨/١٤.

٤- تفسير السعدي ٢٨٢/١.

وتقاطعوا كان ذلك لحدث أحدثوه من اتباع الهوى، هذا ما قالوه وهو ظاهر في أن الإسلام يدعو إلى الألفة والتحاب والتراحم والتعاطف، فكل رأي أدى إلى خلاف ذلك فخارج عن الدين»<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: الأدلة من السنة النبوية

١- حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال"**<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام النووي: «وأما قوله صلى الله عليه وسلم: **"ولا تفرقوا"** فهو أمر بلزوم جماعة المسلمين، وتألف بعضهم ببعض، وهذه إحدى قواعد الإسلام»<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام المناوي: «وعمداد ذلك وأساسه السلامة من الأدواء القلبية كالتحاسد»<sup>(٤)</sup>.

٢- حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: خطبنا عمر بالجابية<sup>(٥)</sup> فقال: يا أيها الناس إني قمت فيكم كمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا فقال: **"أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفسو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف، ويشهد الشاهد ولا يستشهد، ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كانا الشيطان، عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحوكة الجنة فليلزم الجماعة، من سرتة حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن"**<sup>(٦)</sup>، وفي رواية: **"أيها الناس عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، أيها الناس عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، ثلاث مرار"**<sup>(٧)</sup>، أي: الزموا الجماعة واحذروا الفرقة، والأمر للوجوب والتحذير فيه معنى النهي الذي يقتضي التحريم، قال ابن بطال: «مراد الباب الحض على الاعتصام بالجماعة»<sup>(٨)</sup>، وقال الإمام المناوي: «عليكم بالجماعة الخ يحتمل ثلاثة أوجه: أحدها: أنه يعني به في الدين والحكم إذ لا تجتمع الأمة على ضلالة، فخلف الإجماع والحكم بخلاف ما عليه جمهور الأمة والشذوذ عنهم ضلال وليس منه من يعتزل عنهم لصالح دينه، الثاني: عليكم بالجماعة

١- الموافقات ٤/١٨٦، ١٨٧.

٢- رواه مسلم ٣/١٣٤٠ برقم: ١٧١٥.

٣- شرح صحيح مسلم ١١/١٢.

٤- فيض القدير ٦/٤٤٢.

٥- مدينة بالشام، تحفة الأحوذى ٥/٣١٤.

٦- رواه الترمذي ٤/٤٦٥ برقم: ٢١٦٥، قال الشيخ الألباني: «صحيح» انظر حديث رقم: ٢٥٤٦ في صحيح الجامع، والجامع الصغير وزيادته ١/٤٣٢ برقم: ٤٣١١.

٧- أخرجه أحمد في المسند ٥/٣٧٠ برقم: قال شعيب الأرناؤوط في تعليقه على المسند: «حسن لغيره».

٨- فتح الباري ١٣/٣١٦.

بأن لا تنقطعوا عنهم في نحو الجمع والجماعات فإن فيها جمال الإسلام وقوة الدين وغيظ الكفار والملاحدين، الثالث: أن ذلك في زمن الفتنة للرجل الضعيف في أمر الدين»<sup>(١)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن الله عليكم بالجماعة والاتلاف على طاعة الله ورسوله والجهاد في سبيله يجمع الله قلوبكم ويكفر عنكم سيئاتكم ويحصل لكم خير الدنيا والآخرة»<sup>(٢)</sup>.

٣- حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر: "من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، التحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر، والجماعة رحمة والفرقة عذاب"<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام المناوي: «الجماعة رحمة» أي: لزوم جماعة المؤمنين موصل إلى الرحمة ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، "والفرقة عذاب" لأنه تعالى جمع المؤمنين على معرفة واحدة وشريعة واحدة؛ ليألف بعضهم بعضاً بالله وفي الله فيكونون كرجل واحد على عدوهم، فمن انفرد عن حزب الرحمن انفرد به الشيطان وأوقعه فيما يؤديه إلى عذاب النيران، قال العامري في شرح الشهاب: لفظ الجماعة ينصرف لجماعة المسلمين لما اجتمع فيهم من جميل خصال الإسلام ومكارم الأخلاق وترقي السابقين منهم إلى درجة الإحسان وإن قل عددهم حتى لو اجتمع التقوى والإحسان للذان معهما الرحمة في واحد كان هو الجماعة فالرحمة في متابعتة والعذاب في مخالفتة»<sup>(٤)</sup>.

٤- حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "ما لي أراكم راغبي أيديكم كأنها أذناب خيل شمس؟ اسكنوا في الصلاة، قال: ثم خرج علينا فرآنا حلقة فقال: ما لي أراكم عزيزين؟ قال: ثم خرج علينا فقال: ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟ فقلنا: يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: يتمون الصفوف الأول ويتراصون في الصف"<sup>(٥)</sup>.

قال الإمام الخطابي: «يريد فرقا مختلفين لا يجمعكم مجلس واحد»<sup>(٦)</sup>.

قال الإمام النووي: «ما لي أراكم عزيزين» أي متفرقين جماعة جماعة، وهو بتخفيف الزاي، الواحدة عزة، معناه النهي عن التفرق والأمر بالاجتماع»<sup>(٧)</sup>.

١- فيض القدير ٧٩/٣.

٢- مجموع الفتاوى ٤٢٣/٢٨.

٣- أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٢٧٨ برقم: ١٨٤٧٢، والبيهقي في شعب الإيمان ٥١٦/٦ برقم: ٩١١٩، حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢٣٦/١ برقم: ٩٧٦.

٤- فيض القدير ٣٥٧/٣.

٥- أخرجه مسلم ٣٢٢/١ برقم: ٤٣٠.

٦- عون المعبود ١١٩/١٣.

٧- شرح صحيح مسلم ١٥٣/٤.

وقال الإمام المناوي: «ما لي أراكم عزين» بتخفيف الزاي مكسورة متحلقين حلقة حلقة جماعة جماعة جمع عزة وهي الجماعة المتفرقة والهاء عوض عن الياء أي: ما لي أراكم أشتاتاً متفرقين. قال الطيبي: هذا إنكار منه على رؤية أصحابه متفرقين أشتاتاً والمقصود الإنكار عليهم كائنين على تلك الحالة يعني لا ينبغي أن تتفرقوا ولا تكونوا مجتمعين بعد توصيتي إياكم بذلك كيف وقد قال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ولو قال: ما لكم متفرقون لم يفد المبالغة»<sup>(١)</sup>.

٥- حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له في حجة الوداع: "استنصت الناس فقال: لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض"<sup>(٢)</sup>.

فالحديث معناه: لا ترجعوا بعدي فرقاً مختلفين يضرب بعضهم رقاب بعض فتكونوا في ذلك مضاهين للكفار؛ فإن الكفار متعادون يضرب بعضهم رقاب بعض، وإن المسلمين متآخون يحقن بعضهم دم بعض<sup>(٣)</sup>، فالفرقة والاختلاف والتنازع والتقاطع والتشاحن هو طريق الكفار وسبيلهم وإن أظهروا التوحد والاتفاق قال الله تعالى: ﴿بِأَسْهُمَ بَيْنَهُمْ شَدِيدُ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤]، أي: تظن أنهم مجتمعون بالألفة والمودة وقلوبهم متفرقة بالمخالفة والشحناء<sup>(٤)</sup>، فاختلاف وتنازع وتفرق المسلمين كفر منهم وجحود لنعمة الأخوة وحق الإسلام، وهذا الفعل وإن لم يكن كفراً مخرجاً من الملة فإنه من الكبائر التي تقرب من الكفر وتؤدي إليه؛ لأنه فعل كفعل الكفار<sup>(٥)</sup>.

٦- حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً ثم قال: "هذا سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم قال: هذه سبل-قال يريد: متفرقة-على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]"<sup>(٦)</sup>، وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وفي قوله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ

١- فيض القدير ٤٦٤/٥.

٢- رواه البخاري ٥٦/١ برقم: ١٢١، ومسلم ٨١/١ برقم: ٦٥.

٣- عون المعبود ٢٨٨/١٢.

٤- التسهيل لعلوم التنزيل ١١٠/٤.

٥- شرح النووي على صحيح مسلم ٥٥/٢.

٦- رواه أحمد ٤٣٥/١ برقم: ٤١٤٢، وابن حبان ١٨٠/١ برقم: ٦، قال شعيب الأرنؤوط: «إسناده حسن»، ونقل عن الشيخ أحمد شاكر تصحيحه (٤١٤٢، ٤٤٣٧).

**وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ** [الشورى: ١٣]، قال: «أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والتفرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله»<sup>(١)</sup>.

إن التنازع والتفرق هو من مكر وكيد الشيطان وسبله التي يضل ويغوي بها بني آدم هو وسراياه، فسبيل الله واحد من اتبعه هدي في الدنيا والآخرة ونعم فيهما بالأمن والاستقرار والطمأنينة والسلامة والهداية والرشاد والقوة والمتانة والفوز، وسبل الشيطان متفرقة من تبعها فقد ضل وغوى ولم يفارقه الوهن والضعف والخوف والاضطراب والتخبط والفتنة والعذاب.

وفي حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً، قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت"**<sup>(٢)</sup>.

فانظر إلى حرص الشيطان على الفتنة وتفريق القلوب إذ يدي منه عظيم الفتنة الذي لا يدع الزوجين حتى يفرق بينهما؛ لأن في التفريق بينهما ضياع للأسرة وتمزيق لها، فكيف بتفريق الملايين والدول والشعوب، لا شك بأن فاعله من شياطين الجن والإنس لمن أدناهم وأحظاهم منزلة عنده.

٧- حديث جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **"إن الشيطان قد آيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم"**<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام النووي: «هذا الحديث من معجزات النبوة... ومعناه: آيس أن يعبد أهل جزيرة العرب ولكنه سعى في التحريش بينهم بالخصومات والشحناء والحروب والفتن ونحوها»<sup>(٤)</sup>.

قال الإمام القاري: «أي: في إغراء بعضهم على بعض، والتحريض بالشر بين الناس من قتل وخصومة، والمعنى لكن الشيطان غير آيس من إغراء المؤمنين وحملهم على الفتن بل له مطمع في ذلك»<sup>(٥)</sup>. قال القاضي: «والتحريض: الإغراء على الشيء بنوع من الخداع من حرش الضب الصياد خدعه، وله من دقائق الوسواس ما لا يفهمه إلا البصراء بالمعارف الإلهية»<sup>(٦)</sup>.

قال الإمام المناوي: «قال الحجة: وقد انتشر الآن تلبيسه [أي الشيطان] في البلاد والعباد والمذاهب والأعمال، فحق العبد أن يقف عند كل هم يخطر له؛ ليعلم أنه لمة ملك أو لمة شيطان، وأن يمضي

١- تفسير ابن كثير ٢/ ١٩١.

٢- رواه مسلم ٤/ ٢١٦٧، برقم: ٢٨١٣.

٣- رواه مسلم ٤/ ٢١٦٦، برقم: ٢٨١٢.

٤- شرح صحيح مسلم ١٧/ ١٥٦.

٥- مرقاة المفاتيح ١/ ٢٣٤.

٦- فيض القدير ٢/ ٣٥٦.

النظر فيه بنور البصيرة لا بهوى من الطبع بل بنور اليقين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]»<sup>(١)</sup>.

٨- حديث جبير بن مطعم: "ثلاث لا يُغِلُّ عليهن قلب مؤمن: إخلاص العمل لله، والنصيحة لولاة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن دعوهم تحيط من ورائهم"<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام القاري: «"ثلاث" أي: ثلاث خصال، "لا يُغِلُّ" بفتح الياء وضمها وبكسر الغين، فالأول من الغل: الحقد، والثاني من الإغلال: الخيانة، "عليهن" أي: على تلك الخصال، "قلب مسلم" أي: كامل، والمعنى أن المؤمن لا يخون في هذه الثلاثة الأشياء ولا يدخله ضغن يزيله عن الحق حين يفعل شيئاً من ذلك قاله التوربشتي، وقال الزمخشري- في الفائق-: إن هذه الخلال يستصلح بها القلوب فمن تمسك بها طهر قلبه من الغل والفساد... "فإن دعوهم تحيط" أي: تدور "من ورائهم"... والمعنى أن دعوة المسلمين قد أحاطت بهم فتحرسهم عن كيد الشيطان وعن الضلالة، وفيه تنبيه على أن من خرج عن جماعتهم لم ينل بركتهم وبركة دعائهم؛ لأنه خارج عما أحاطت بهم من ورائهم».

٩- حديث عرفة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إنه ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان"<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام النووي: «قوله صلى الله عليه وسلم: "ستكون هنات وهنات" الهنات جمع هنة وتطلق على كل شيء والمراد بها هنا الفتن والأمور الحادثة، قوله صلى الله عليه وسلم: "فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان" فيه الأمر بقتال من خرج على الإمام أو أراد تفريق كلمة المسلمين ونحو ذلك وينهى عن ذلك فإن لم ينته قوتل وإن لم يندفع شره إلا يقتله فقتل كان هدراً فقوله صلى الله عليه وسلم: "فاضربوه بالسيف" وفي الرواية الأخرى: "فاقتلوه"<sup>(٤)</sup> معناه إذا لم يندفع إلا بذلك، وقوله صلى الله عليه وسلم: "يريد أن يشق عصاكم" معناه يفرق جماعتكم كما تفرق العصاة المشقوقة وهو عبارة عن اختلاف الكلمة وتنافر النفوس»<sup>(٥)</sup>.

وفي رواية عن عرفة رضي الله عنه قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر يخطب الناس فقال: "إنه سيكون بعدي هنات وهنات فمن رأيتموه فارق الجماعة أو يريد يفرق أمر أمة محمد

١- فيض القدير ٣٥٧/٢.

٢- أخرجه ابن ماجه، ١٠١٥/٢ برقم: ٣٠٥٦، صحيحه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ١٨٢/٢ برقم: ٢٤٨٠.

٣- أخرجه مسلم ١٤٧٩/٣ برقم: ١٨٥٢.

٤- عن عرفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه" أخرجه مسلم ١٤٧٩/٣ برقم: ١٨٥٢.

٥- شرح صحيح مسلم ٢٤١/١٢، ٢٤٢.

صلى الله عليه وسلم كائناً من كان فاقتلوه؛ فإن يد الله على الجماعة، فإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض"<sup>(١)</sup>.

قال الإمام المناوي: «تكون بعدي هنات وهنات» شذائد وعظائم وأشياء قبيحة منكرة وخصلات سوء جمع هنة وهي كناية عما لا يراد التصريح به لشناعته، "فمن رأيتموه فارق الجماعة" الصحابة ومن بعدهم من السلف، "أو يريد أن يفرق أمر أمة محمد كائناً من كان" أي: سواء كان من أقاربي أو غيرهم، قال الطيبي: وهذا فيه معنى الشرط "فاقتلوه" [و] في رواية: "فاضربوه بالسيف" "فإن يد الله مع الجماعة وإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض" فإن الله تعالى جمع المؤمنين على معرفة واحدة وشرعية واحدة ألا تراه يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] فمن فارقهم خالف أمر الرحمن فلزم الشيطان، قال أبو شامة: حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه وإن كان المتمسك به قليلاً والمخالف كثيراً أي: الحق هو ما كان عليه الصحابة الأول من الصحب ولا نظر لكثرة أهل الباطل بعدهم، قال البيهقي إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانوا عليه من قبل، وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة حينئذ<sup>(٢)</sup>.

قال المباركفوري: «قال في النهاية أي أن الجماعة المتفقة من أهل الإسلام في كنف الله، ووقايتهم فوقهم، وهم بعيد من الأذى والخوف، والأذى والاضطراب، فإذا تفرقوا زالت السكينة، وأوقع بأسهم بينهم، وفسدت الأحوال»<sup>(٣)</sup>.

١٠ - حديث: "المؤمن مألوفة ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف"<sup>(٤)</sup>.

قال الإمام القاري: «لأن التآلف سبب الاعتصام بالله وبجبله وبه يحصل الاجتماع بين المسلمين وبضده يحصل التفرقة بهم وهو بتوفيق الله وتأليفه وإليه أشار تعالى بقوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾»<sup>(٥)</sup>.

فالمؤمن مألوفة لحسن أخلاقه وسهولة طباعه ولين جانبه فيألف الخير وأهله ويألفونه بمناسبة الإيمان، قال الطيبي في قوله صلى الله عليه وسلم: "ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف": «لضعف إيمانه وعسر أخلاقه وسوء طباعه والألفة سبب للاعتصام بالله وبجبله وبه يحصل الإجماع [الاجتماع] بين المسلمين وبضده تحصل النفرة بينهم وإنما تحصل الألفة بتوفيق إلهي لقوله سبحانه: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ

١- رواه النسائي ٩٢/٧ برقم: ٤٠٢٠، صحيح الألباني إسناده، انظر حديث رقم: ٣٦٢١ في صحيح الجامع.

٢- فيض القدير ٩٩/٤.

٣- تحفة الأحوذى ٣٢٣/٦.

٤- أخرجه أحمد في المسند ٣٣٥/٥ برقم: ٢٢٨٩١، صحيحه الألباني في السلسلة الصحيحة ٧٨٤/١ برقم: ٤٢٥.

٥- مرقاة المفاتيح ٢٠٤/٩.

**جَمِيعاً وَلَا تَفْرُقُوا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً**، ومن التآلف ترك المدعاة<sup>(١)</sup>، والاعتذار عند توهم شيء في النفس، وترك الجدال والمراء، وكثرة المزاح<sup>(٢)</sup>.

١١- حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه والذي حذر فيه النبي صلى الله عليه وسلم أمته من التفرق في أمر الدين قال معاوية رضي الله عنه: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين: اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة"، قال أبو داود: زاد ابن يحيى وعمرو في حديثهما: "وإنه سيخرج من أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب<sup>(٣)</sup> لصاحبه"، وقال عمرو: "الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله"<sup>(٤)</sup>، وفي رواية: "افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة"<sup>(٥)</sup>.

قال الإمام الألباني: «وهذا الحديث يؤكد أن النجاة لا تكون بالتفرق والتحزب إلى أحزاب وشيع وطرق شتى، وإنما بالانتماء إلى طريق واحدة وبسلوك طريق واحدة ألا وهو طريق محمد صلى الله عليه وسلم»<sup>(٦)</sup>.

فالحديث فيه النهي عن الافتراق لبيانه أن ذلك هو شأن أهل الأهواء والزيغ والضلال، ويشهد له حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعاً لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ»** قال: هم أهل البدع والأهواء من هذه الأمة<sup>(٧)</sup>؛ فصاحب الهوى لا يألو جهداً في تحقيق هواه حتى لو مزق الأمة وشتتها وفرق جمعها، وأصحاب الأهواء إذا تمكنت منهم وملكتهم وانقادوا لها كانوا بالبهائم أشبه؛ لأن أغراضهم ومطلوباتهم وهمتهم تصير أبداً مصروفة إلى الأهواء فقط، ومن يكون بهذه الصفة يقل حياؤه، ويكثر خرقه، ويستوحش من أهل الفضل، ويغض أهل العلم، وقد يصرفه هواه عن قبول الحجة والنصيحة، ويود من تماشى معه في أهوائه، ويستحب

١- المدعاة: الحاجة، لسان العرب ٢٦٢/١٤.

٢- فيض القدير ٢٥٣/٦.

٣- داء يعرض للإنسان من عض الكلب فيصيبه شبه الجنون فلا يعرض أحداً إلا كلب، وتعرض له أعراض رديئة، ويمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشاً، وأجمعت العرب على أن دواء قطرة من دم ملك تخطئ ماء فيسقاها، انظر: النهاية في غريب الأثر ١٩٥/٤، ولسان العرب ٧٢٣/١.

٤- رواه أبو داود ٦٠٨/٢ برقم: ٤٥٩٧، حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/١٢ برقم: ٥١.

٥- رواه أبو داود ٦٠٨/٢ برقم: ٤٥٩٧، حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/١٢ برقم: ٥١.

٦- انظر: التعصب المذهبي في التاريخ ٢٧٤/١، ٢٧٥ نقلاً عن سلسلة الهدى والنور للألباني.

٧- أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ١/٢٠٧ برقم: ٦٦٤، وقال: «لم يرو هذا الحديث عن سفيان إلا موسى تفرد به معلل»، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير معلل بن نفيل وهو ثقة» مجمع الزوائد ٧/٩٢ برقم: ١١٠٠٩.



القبائح، ويسر بمعاشرة السخفاء، وربما دعاه هواه إلى اكتساب المصالح من أقبح الوجوه، وربما حمله على الدس والطعن والتشويه والتزوير والتلفيق والكذب والخيانة وأخذ ما ليس له بحق؛ فإن الأهواء لا تنتهي، فأصحاب الأهواء إذا تعذرت عليهم مصالحهم من وجوهها قاذمهم أهواؤهم إلى اكتسابها من غير وجهها، حتى يصبح من الأشرار الذين يُخاف خبثهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وصاحب الهوى يعميه الهوى ويصمه، فلا يستحضر ما لله ورسوله في ذلك ولا يطلبه، ولا يرضى لرضا الله ورسوله، ولا يغضب لغضب الله ورسوله، بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه، ويكون مع ذلك معه شبهة دين أن الذي يرضى له ويغضب له أنه السنة وهو الحق وهو الدين، فإذا قدر أن الذي معه هو الحق الخس - دين الإسلام - لم يكن قصده أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، بل قصد الحمية لنفسه وطائفته أو الرياء ليعظم هو ويثنى عليه، أو فعل ذلك شجاعة وطبعاً أو لغرض من الدنيا لم يكن لله ولم يكن مجاهداً في سبيل الله، فكيف إذا كان الذي يدعي الحق والسنة هو كنظيره معه حق وباطل وسنة وبدعة، ومع خصمه حق وباطل وسنة وبدعة، وهذا حال المختلفين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً وكفر بعضهم بعضاً وفسق بعضهم بعضاً»<sup>(١)</sup>.

وقال: «بل يغضبون على من خالفهم وإن كان مجتهداً معذوراً لا يغضب الله عليه، ويرضون عمن يوافقهم وإن كان جاهلاً سيئ القصد ليس له علم ولا حسن قصد، فيفضي هذا إلى أن يحمدا من لم يحمده الله ورسوله، ويذموا من لم يذمه الله ورسوله، وتصير موالاتهم ومعاداتهم على أهواء أنفسهم لا على دين الله ورسوله، وهذا حال الكفار الذين لا يطلبون إلا أهواءهم ويقولون هذا صديقنا وهذا عدونا، وبلغه المغل<sup>(٢)</sup> هذا بال هذا باغي، لا ينظرون إلى موالاته الله ورسوله ومعاداته الله ورسوله ومن هنا تنشأ الفتنة بين الناس»<sup>(٣)</sup>.

قال العلقمي قال شيخنا ألف الإمام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي في شرح هذا الحديث كتاباً قال فيه: «قد علم أصحاب المقاولات أنه صلى الله عليه وسلم لم يرد بالفرق المذمومة المختلفين في فروع الفقه من أبواب الحلال والحرام، وإنما قصد بالذم من خالف أهل الحق في أصول التوحيد، وفي تقدير الخير والشر، وفي شروط النبوة والرسالة، وفي موالاته الصحابة، وما جرى مجرى هذه الأبواب؛ لأن المختلفين فيها قد كفر بعضهم بعضاً بخلاف النوع الأول فإنهم اختلفوا فيه من غير

١- منهاج السنة النبوية ٢٥٧/٥.

٢- المغل: أي المغول، انظر: البلاغ المبين للشاذلي ١ / ٤٢٦.

٣- منهاج السنة النبوية ٢٥٥/٥.

تكفير ولا تفسيق للمخالف فيه، فيرجع تأويل الحديث في افتراق الأمة إلى هذا النوع من الاختلاف»<sup>(١)</sup>.

حرموا هداية دينهم وعقوهم      هذا وربك غاية الخسران  
تركوا هداية ربهم فإذا بهم      غرقى من الآراء في طوفان  
وتفرقوا شيعاً بها نهجهم      من أجلها صاروا إلى شنان<sup>(٢)</sup>

والحاصل أن الإسلام يأمر بالاجتماع والألفة وما من شأنه أن يؤدي إليهما، لهذا علمنا السلام وطيب الكلام والصدق فيه، وصلة الأرحام والصبر والصفح ومساعدة الأنام، وطلاقة الوجه والبشاشة والإيثار، وحسن العشرة وحسن الظن والمعاملة، والرأفة والرحمة والرفق، والستر والشفقة والشهامة، والنظام والنزاهة والزهد والورع، وعد حسن الخلق أثقل ما يكون في الميزان، ونهانا عن الاختلاف والتنازع والفرقة وكل من شأنه أن يؤدي إليهما في جميع شؤون الحياة العامة والخاصة، فنهى عن الاستهزاء والإساءة، والبخل والشح والبغي، والجدال والمراء، والقسوة والجفاء، والحقد والحسد، والخيانة والخداع، والطمع والطغيان والطيش والغرور، والظلم والعدوان، والغش والغصب، والفجور والفحش، والفساد والفتنة، والقسوة والكبر، والعجب والكذب، واللؤم والمكر، والكيد ونكران الجميل، ونهى الرجل أن يبيع على بيع أخيه أو يخطب على خطبته، وأن يبيع الحاضر للباد وعن التناجش<sup>(٣)</sup>، والتباغض والتدابير والمجر فوق ثلاث أيام<sup>(٤)</sup>.

قال الإمام الطيبي: «واعلم أنه جعل إفشاء السلام سبباً للمحبة والمحبة سبباً لكمال الإيمان وإعلاء كلمة الإسلام، وفي التهاجر والتقاطع والشحناء تفرقة بين المسلمين، وهي سبب لانتلام الدين والوهن في الإسلام»<sup>(٥)</sup>.

قال الإمام القاري: «ولا شك أن التحابب سبب الاجتماع والتباغض موجب الافتراق»<sup>(٦)</sup>.

١- عون المعبود ٢٢٢/١٢.

٢- موسوعة الشعر الإسلامي ١٦٢ / ١.

٣- حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيع حاضر لباد ولا تناجشوا، ولا يبيع الرجل على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه، ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكفأ ما في إناها" رواه البخاري ٧٥٢/٢ برقم: ٢٠٣٣، ومسلم ١٠٣٣/٢ برقم ١٤١٣، وحديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يبيع الرجل على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه إلا أن يأذن له"، رواه مسلم ١٠٣٢/٢ برقم: ١٤١٢.

قال الإمام النووي: «التناجش المذكور في البيع وهو أن يزيد في السلعة ولا رغبة له في شرائها بل ليغر غيرة في شرائها»، شرح صحيح مسلم ١٢٠/١٦.

٤- حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث أيام"، أخرجه البخاري ٢٢٥٣/٥ برقم: ٥٧١٨، ومسلم ١٩٨٢/٤ برقم: ٢٥٥٨.

٥- مرقاة المفاتيح ٤٥٧/٨.

٦- المصدر نفسه ٢٣٢/٩.

## ● التزموا الاجتماع وانبذوا الفرقة

إن مما يدخل الحزن على القلوب ما يشاهد في الواقع من التنازع والتشاحن والتقاطع والتدابير والتفرق بين المسلمين، على الرغم من الضربات الموجعة، والتخلف في كثير من المجالات، وتكالب العدو للقضاء على المسلمين حتى وصل الوضع -أحياناً- إلى مسألة التصفية الجسدية للمسلمين، والقضاء عليهم، على رغم ذلك كله فإن الكثير من المسلمين لا يزالون يدندون حول الاختلاف، فإن وجدوا سبباً للاختلاف اختلفوا، وإن لم يجدوا سبباً للاختلاف وجدت البعض منهم يبحثون ويفتعلون أسباباً وهمية؛ لمزيد من الخلافات فيما بينهم، حتى ساد الخلاف بشتى أنواعه: فاختلافات بين الشعوب، وبين القبائل، وبين الجماعات الإسلامية، فتجدها تتناحر فيما بينها، وتتهارش، وتتحارب، على الرغم أن العدو يسعى للقضاء عليها، بل على المسلمين جميعاً، وهذا الخلاف يجعل الأعداء في كثير من الأحيان لا يحتاجون إلى التدخل بين المسلمين، فالمسلم نفسه يقوم بمهمة القضاء على أخيه المسلم أو مقاومة جهده، وربما يحتاج العدو أحياناً إلى أن يُساعد المسلم الضعيف، حتى يكون هناك نوع من التكافؤ لتطول مدة الحرب فيما بيننا<sup>(١)</sup>.

أما كفانا تمزيق العدو المستعمر لنا إلى أكثر من عشرين دولة لإضعافنا!! فلماذا التفرق والخصومات، ألا نعلم أن هذه التحزبات قد فرضت علينا من قبل أعدائنا بخطط مدروسة لإكمال تمزيق الأمة؛ لترداد ضعفاً إلى ضعفها ووهناً إلى وهنها!! حتى أن كثيراً من العلماء صاروا أتباعاً بدل أن يكونوا متبوعين، فضعفت كلمتهم ودورهم؛ لما حصروا أنفسهم في إطار ضيق لا يستطيع أحدهم البيان إلا من خلاله وإلا كان لجماعته عليه وجهة نظر، بل حتى المساجد حجم دورها؛ لأن لكل مسجده الخاص به فلا يحق للآخر فيه إلا مجرد الصلاة.

إن على جميع العاملين في الساحة -وقد بلينا بالتشتت- أن يعملوا على لم الشمل، وجمع الكلمة، وتوحيد الصف، والتعاون على البر والتقوى، والمحافظة على الأخوة العامة بين المسلمين، وعدم حصر الأخوة في أفراد الحزب أو الجماعة، وعدم حصر الولاء والبراء في أفراد الحزب أو الجماعة، وعدم التعاون على الإثم والعدوان، ولينبذوا الفرقة والخلاف المذموم الذي يؤدي إلى نشوء العصبية بين المختلفين، وتراشقهم بسهام اللجاج والجدل، حتى ينتهي بهم إلى التفرق والتناحر، وليكن شعارهم: ما اتفقنا عليه يعين بعضنا بعضاً عليه وما اختلفنا فيه يعذر بعضنا بعضاً فيه ما لم يكن فيه معارضة ظاهرة وواضحة لنصوص الشريعة بحيث لا يحتمل وجهها مقبولاً، وإلا فالنصح والبيان بالتي هي أحسن فليس أخي المسلم بأبعد عني من الكتابي، ومع هذا فقد أمرنا الله تعالى عند مجادلة أهل الكتاب أن نجادلهم بحسن خلق ولطف ولين كلام ودعوة إلى الحق وتحسينه ورد الباطل وتهجينه بأقرب طريق

١- دروس للشيخ سلمان العودة مصدرها الشاملة الإصدار الثالث ٢٥/١٣.

موصول لذلك، وأن لا يكون القصد منها مجرد المجادلة والمغالبة وحب العلو بل يكون القصد بيان الحق وهداية الخلق، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦] ثم استثنى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ بأن ظهر من قصد المجادل منهم وحاله أنه لا إرادة له في الحق، وإنما يجادل على وجه المشاغبة والمغالبة والإثارة، فهذا لا فائدة في جداله؛ لأن المقصود منها ضائع<sup>(١)</sup>، فهل الكتابي أولى بالإحسان إليه من أخي المسلم؟!.

إن أي جماعة إسلامية عاملة في الساحة قد جعلت من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم دستوراً لها وإماماً وقائداً ومرشداً وهادياً في جميع شؤون حياتها قولاً وعملاً، وعلى ذلك يتربى أفرادها، ومنهاج السلف الصالح من الصحابة الكرام والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين منهجاً لها تسير عليه، تثني على الصحابة الكرام وعلى القرآن كلام الله تعالى العلام الذي لا يتطرق إليه نقص ولا خلل: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَتْرِكُ مَنْ حَكِيمٌ حَمِيدٌ﴾ [فصلت: ٤٢] - لأن الطعن في القرآن أو في الصحابة الكرام طعن في الدين من أساسه؛ لأن القرآن هو كلام الله ودستوره إلى خلقه، والصحابة هم الذين نقلوا إلينا الدين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - وتقر بأركان الإسلام الخمسة والإيمان الستة اعتقاداً وقولاً وعملاً، وتهجر الابتداع في الدين وتنبت سبيل القبورين، وتوالي في الله وتعادي فيه هي على خير، وما يحصل من خلاف في الفروع فالرد فيه إلى الله تعالى - أي: إلى كتابه - وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم - أي: إلى سنته - قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، فأين ظهر الحق وجب اتباعه والمسير إليه، وليس الاختلاف في فروع الفقه مذموم بل المذموم الخلاف الذي يمزق ويفرق المسلمين أو في أصل من أصول الدين، قال ابن عطية في قوله تعالى ﴿واعتصموا بحبلِ الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]: «يريد التفرق الذي لا يتأتى معه الائتلاف على الجهاد وحماية الدين وكلمة الله تعالى، وهذا هو الافتراق بالفتن والافتراق في العقائد، وأما الافتراق في مسائل الفروع والفقه فليس يدخل في هذه الآية»<sup>(٢)</sup>، ومثل ذلك قال الإمام الثعالبي<sup>(٣)</sup>.

إذاً فالخلاف في الفروع يكون الرد فيه إلى الدليل من الكتاب والسنة والمصادر المشهود لها بالاعتبار فحيث ظهر الحق جلياً وجب الذهاب إليه - لا إلى الهوى والتعصب - ونبت ما سواه، ما لم تكن مسألة اجتهادية وللاجتهاد فيها وجه معتبر لا يخالف دليلاً صريحاً واضحاً من كتاب أو سنة أو

١ - تفسير السعدي ص ٦٣٢.

٢ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤٨٤/١.

٣ - الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ٢٩٥/١.

إجماع ثابت، فحينئذ يقال: لا إنكار في مسائل الاجتهاد أي: ليس لأحد أن ينكر على مجتهد أو مقلد فيما يسوغ فيه الاجتهاد، أما الاستدلال بهذه القاعدة على ترك الإنكار مطلقاً فلا يصح؛ لأن الإنكار إما أن يتوجه إلى القول والفتوى أو العمل، فأما الأول فإذا كان القول يخالف سنة أو إجماعاً شائعاً وجب إنكاره اتفاقاً، وإن لم يكن كذلك فإن بيان ضعفه ومخالفته للدليل إنكار مثله، وأما العمل فإذا كان على خلاف سنة أو إجماع وجب إنكاره بحسب درجات الإنكار، وكيف يقول فقيه لا إنكار في المسائل المختلف فيها والفقهاء من سائر الطوائف قد صرحوا بنقض حكم الحاكم إذا خالف كتاباً أو سنة وإن كان قد وافق فيه بعض العلماء، وما زال الصحابة ومن بعدهم ينكرون على من خالف أو أخطأ كائناً من كان ولو كان أعلم الناس وأتقاهم، وإذا كان الله قد بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق وأمرنا باتباعه وترك ما خالفه فمن تمام ذلك أن من خالفه من العلماء مخطئاً نبه على خطئه وأنكر عليه، وأما إذا لم يكن في المسألة سنة ولا إجماع وللاجتهاد فيها مسامحة لم تنكر على من عمل بها مجتهداً أو مقلداً، وإنما دخل اللبس في هذه القاعدة من جهة أن القائل يعتقد أن مسائل الخلاف هي مسائل الاجتهاد كما اعتقد ذلك جماعة فصاروا إلى الأخذ بالشواذ مستدلين بهذه القاعدة، يقول ابن القيم: «والصواب ما عليه الأئمة أن مسائل الاجتهاد ما لم يكن فيها دليل يجب العمل به وجوباً ظاهراً مثل حديث صحيح لا معارض له من جنسه فيسوغ فيها إذا عدم فيها الدليل الظاهر الذي يجب العمل به الاجتهاد لتعارض الأدلة أو لخباء الأدلة فيها، وليس في قول العالم إن هذه المسألة قطعية أو يقينية ولا يسوغ فيها الاجتهاد طعن على من خالفها ولا نسبة له إلى تعمد خلاف الصواب، والمسائل التي اختلف فيها السلف والخلف وقد تيقنا صحة أحد القولين فيها كثير مثل: كون الحامل تعتد بوضع الحمل، وأن إصابة الزوج الثاني شرط في حلها للأول، وأن الغسل يجب بمجرد الإيلاج وإن لم يتزل، وأن ربا الفضل حرام، وأن المتعة حرام، وأن النبيذ المسكر حرام، وأن المسلم لا يقتل بكافر، وأن المسح على الخفين جائز حضراً وسفراً...»<sup>(١)</sup>.

فلو حصل الرد في المختلف فيه إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وتُبدى التعصب، ووجد النص والإرشاد، ومراعاة أدب الخلاف لتحققت الأخوة ورد كيد الشيطان وأعوانه في نحورهم:

كل يرى رأياً وينصر قوله	ولله يعادي سائر الإخوان
ولو أنهم عند التنازع وفقوا	لتحسبواكموا لله دون تـ
ولأصبحوا بعد الخصام أحبة	غـيظ العدا ومذلة الشيطان <sup>(٢)</sup>

١- إعلام الموقعين ٢٨٨/٣، وانظر: الفتاوى لـ محمد بن عبد الوهاب ٣٣/١.

٢- زاد المسلم والداعية من الشعر والبيان ١ / ١٤٢، ١٤٣.

أيها المسلمون عليكم بالوحدة والتزام المنهج الصحيح منهج القرآن والسنة، منهج السلف الصالح، ونبتد التفرق والتعصب الضيق الذي يفرق المسلمين فإن من السهولة أن تؤكل الأمة عندما تكون شيعاً وأحزاباً، فيضرب بعضها ببعض، ولكن لا يمكن أن تصبح الأمة لقمة سائغة إذا اتحدت في جسد إسلامي واحد، قال أحدهم يوصي أولاده:

كونوا جميعاً يا بني إذا اعتري خطب ولا تتفرقوا أحاداً  
تأبى العصي إذا اجتمعن تكسرا وإذا افتقرن تكسرت أفراداً<sup>(١)</sup>  
وقال الآخر:

ألم تر أن جمع القوم يخشى وأن حرّم واحدٍهم مباح  
وأن القِدَحَ حين يكون فرداً فيهصرّ لا يكون له اقتداح<sup>(٢)</sup>  
وقال الآخر:

إن التفرق داءٌ معضّلٌ أبداً في العربِ أعياء على الدهرِ المداوينا<sup>(٣)</sup>  
قال الإمام الرازي: «إن حصول الموافقة أمر مطلوب في الشرع والعقل وبيان منفعتة من وجوه:  
الأول: أن للنفوس تأثيرات وإذا تطابقت النفوس وتوافقت على واحد قوي التأثير.  
الثاني: أنها إذا توافقت صار كل واحد منها معيناً للآخر في ذلك المقصود المعين وكثرة الأعوان  
توجب حصول المقصود أما إذا تخالفت تنازعت وتجادلت فضعفت فلا يحصل المقصود.  
الثالث: أن حصول التنازع ضد مصلحة العالم؛ لأن ذلك يفضي إلى المهرج والمرج والقتل والنهب  
فلهذا السبب أمر الله تعالى بإقامة الدين على وجه لا يفضي إلى التفرق»<sup>(٤)</sup>.

### ● من مضار التنازع والتفرق

- ١- يؤدي إلى الفشل ويضعف قوة الأمة ويذهب دولتها، ويسبب لها الهزيمة، ويمكن منها أعداءها.
- ٢- يؤدي إلى الكره والبغضاء بين الناس، والخسارة في الدنيا والعذاب في الآخرة.
- ٣- يؤدي إلى سخط الرب عز وجل.
- ٤- يؤدي إلى إراقة الدماء.
- ٥- التنازع على المناصب وأمور الدنيا يؤدي إلى الفتن وإشعال الحروب الأهلية.
- ٦- التنازع يشغل أصحابه عما يفيدهم في دنياهم وآخرتهم.
- ٧- تفتيت قوة المجتمع وتفريقه.

١- لآليء اللآليء ٨ / ١، والاختلاف في العمل الإسلامي الأسباب والآثار ١ / ٧٠.

٢- الأغاني للأصبهاني ٢٠٤ / ١٣.

٣- جمع الحكم والأمثال، لأحمد قبش نقلاً عن الشاملة الإصدار الثالث.

٤- التفسير الكبير، ١٣٥ / ٢٧.

٨- مدخل واسع من مداخل الشيطان التي يتمكن بها من إفساد العقيدة وإشاعة البغضاء<sup>(١)</sup>.

### ● دواء الداء بتحقيق الأخوة والاجتماع والتوحد والتخلص من الافتراق والتنازع

ينبغي على الأمة عموماً والقادة خصوصاً الترفع عن الصغائر، وإدراك المخاطر، والسعي لرأب الصدع ولم الشمل، وتوحيد الكلمة، ونبد التنازع والفرقة، قبل فوات الأوان، وحلول الندامة والخسران، فما لا يدرك كله لا يترك جله؛ لأن المسلمين إذا لم يجتمعوا هذه الأيام على عدوهم المدجج بالعدد والعدة والأموال الطائلة والأسلحة النووية والكيميائية يسعى إلى قتلهم، ونهب خيراتهم، واستعمار بلادهم، ويسعى إلى تنصيرهم وتكفيرهم، فإن عجز سعى لتصفيتهم والقضاء عليهم، فإذا لم يجتمعوا في ظل هذه الظروف، فمتى يتفقون؟! ومتى يعقلون؟!

إن مما يعين الأمة والمجتمعات على تحقيق الاتفاق والوحدة والتخلص من خطر التنازع والافتراق ما يلي:

١- تحقيق سر اتحاد المسلمين والتنامي وعدم فرقتهم وهو إيمانهم الذي يدعوهم إلى ذلك؛ فإن الله سبحانه وتعالى جعل المبدأ العقدي أساساً للعمل كله، وجعل الاتحاد والالتزام جاريًا على هذا المبدأ، فقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، فالمبدأ الأول: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾، والمبدأ الثاني: ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

٢- الاجتماع على الأصول العامة المستقرة الناصعة الواضحة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والتي اتفق عليها المسلمون من فجر التاريخ لا الاجتهادات الفردية التي لا تتوقف ولا تنتهي.

٣- اتباع سبيل الصحابة وأتباعهم من الأئمة المهديين بإحسان، وما أحسن ما قاله الإمام مالك: «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها»<sup>(٣)</sup>، والذي أصلح أمر أول هذه الأمة هو اتباع الكتاب والسنة وترك الابتداع، ونبد التنازع والفرقة.

٤- سعة القلوب بحيث لا تحمل حقداً أو كراهيةً أو بغضاءً لمسلم، ولا تتهم مسلماً بسوء ظن وهي تجد له من الخير محملاً، وعقول واسعة تُقدر اجتهادات الآخرين وتفهم دوافعهم وآرائهم وحججهم في كل أمر، وتجعل ميداناً واضحاً في الأمور التي يمكن الخلاف فيها، وميداناً أيضاً واضحاً للتعاون حتى مع الذين يختلفون معهم<sup>(٤)</sup>.

١- انظر: موسوعة نضرة النعيم ٤٢٧٩/٩.

٢- دروس للشيخ محمد الحسن الددو الشنقيطي مصدرها الشاملة الإصدار الثالث ٢٤ / ٢.

٣- مجموع الفتاوى ٢٤١/١.

٤- دروس للشيخ سلمان العودة مصدرها الشاملة الإصدار الثالث ٢٥/١٣.

٥- تحسين الظن بالآخرين؛ لأن كثيراً من أسباب الفرقة مردها إلى سوء الظن، وانعدام الثقة، فإذا حَسَّنَ أحدنا ظنه بأخيه المسلم، وحكم عليه بما ظهر منه، زالت كثير من تلك الأسباب، وصفت القلوب، واطمأنت النفوس، وتحققت الألفة والمحبة، ولهذا نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن سوء الظن فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث"**<sup>(١)</sup>، قال الإمام النووي: «المراد النهي عن ظن السوء»<sup>(٢)</sup>.

٦- إجابة الدعوات والإكثار من الزيارات في جميع المناسبات تذيب كثيراً من تلك الأوهام.

٧- اللقاءات الدورية والندوات المشتركة والاجتماعات تقرب من وجهات النظر.

٨- التثبت من أي كلام يسمع امتثالاً لقول الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾** [الحجرات: ٦]، وقد نزلت هذه الآية الكريمة في الوليد بن عقبة بن أبي معيط وقد أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني المصطلق من خزاعة ليأتيه بصدقات أموالهم فلما سمعوا به تلقوه فرحاً به فخاف منهم وظن أنهم يريدون قتله فرجع إلى نبي صلى الله عليه وسلم وزعم له أنهم منعوا الصدقة وأرادوا قتله فقدم وفد منهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه بكذب الوليد فأنزل الله هذه الآية<sup>(٣)</sup>، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق ليأخذ منهم الصدقات وأنه لما أتاهم الخبر فرحوا وخرجوا ليتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه لما حدث الوليد أنهم خرجوا يتلقونه رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن بني المصطلق قد منعوا الصدقة فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك غضباً شديداً فبينما هو يحدث نفسه أن يغزوهم إذ أتاه الوفد فقالوا: يا رسول الله إنا حدثنا أن رسولك رجع من نصف الطريق وإنا خشينا أن يكون إنما رده كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وإنا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعذبهم وهم بهم فأنزل الله عز وجل عذرهم في الكتاب فقال: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾**<sup>(٤)</sup>.

فكثير من الأحداث والقضايا يحصل فيها ملاسبات كما حصل في قصة الوليد بن عقبة حيث ظن أن القوم خرجوا لقتله فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بأن القوم منعوا الصدقة؛ لأنه لما ظن في نفسه بأن القوم خرجوا لقتله استنتج من هذا الظن بأنهم قد عزموا على منع الصدقة وبالتالي

<sup>١</sup> - أخرجه البخاري ٥/ ٢٢٥٣ برقم: ٥٧١٧، ومسلم ٤/ ١٩٨٥ برقم: ٢٥٦٣.

<sup>٢</sup> - شرح النووي على صحيح مسلم ١٦/ ١١٨.

<sup>٣</sup> - أضواء البيان ٧/ ٤١٠.

<sup>٤</sup> - أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٩/ ٥٤ برقم: ١٧٧٥٤، وانظر: السلسلة الصحيحة للإمام الألباني ٨/ ٩٥ برقم: ٣٠٨٨.



أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بمنعهم الصدقة، وما أكثر ما يحصل في الأمور من هذا القبيل في الواقع، فتجد شخصاً يسمع جزء من كلام إنسان، أو يسمع كلامه بتمامه ولا يستوعبه، فينقل ما فهم، وتجد طرفاً صاحب أغراض وأهواء يعمد إلى الدس في أقوال الناس وأفعالهم، ولا حل مع أمثال هؤلاء جميعاً إلا بالتثبت من كل ما يسمعه الإنسان ويُنقل إليه، وما المقصود منه عند القائل أو الفاعل، ولهذا تجد أن أعقل الناس المشهود لهم بالحكمة والرأي والسداد هم من يتثبتون في كل ما يسمعون ويقال لهم، وهذه قاعدة إلهية سماوية عظيمة غفل الناس عنها أعظم غفلة، فتمكن الشيطان وأعدائه من التوغل بينهم لدس وساوسهم، بل الأدهى والأمر في غفلة الدعاة وبعض العلماء عن هذه القاعدة العظيمة التي حوتها هذه الآية التي تكفل لجميع البشرية الأخوة والمحبة والأمن والاستقرار والود والرحمة، ولو أن الناس طبقوها في بيوتهم ومجتمعاتهم لسعدت البيوت والأسر والمجتمعات والدول والأمة بأسرها، وأزيد مثلاً يبين أهمية هذا الأمر، هذا المثال في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر رجل من بني سليم على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه غنم له فسلم عليهم، قالوا: ما سلم عليكم إلا ليتعوذ منكم، فقاموا فقتلوه وأخذوا غنمه، فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٤] (١).

وروي عن الإمام علي رضي الله عنه أن رجلاً سعى إليه برجل فقال له: يا هذا نحن نسأل عما قلت فإن كنت صادقاً مقتناك، وإن كنت كاذباً عاقبناك، وإن شئت أن نقيلك أفلناك، فقال: أقلني يا أمير المؤمنين (٢).

فلو تثبت جميع الناس من كل ما يسمعون ولم يتكلموا إلا بما ثبت لديهم لزال سبب من أهم أسباب النزاع والفرقة في الأمة ولما تجرأ أحد من نقل الكلام دون تثبت؛ لأنه سيعمل أن من ينقل إليه الكلام سيتثبت ويبحث ولو لم يكن صادقاً فإنه في زمرة الفاسقين، ولهذا حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الكلام بكل ما يسمع الإنسان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع" (٣)، وفي رواية: "كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما

١- أخرجه أحمد ٣٢٤/١ برقم: ٢٩٨٨، والترمذي ٢٤٠/٥ برقم: ٣٠٣٠، وقال: «هذا حديث حسن»، وهو في صحيح البخاري ١٦٧٧/٤ برقم: ٤٣١٥، عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٤] قال ابن عباس كان رجل في غنيمة له فلحقه المسلمون، فقال: السلام عليكم، فقتلوه وأخذوا غنيمة، فأنزل الله في ذلك إلى قوله: ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [النساء: ٩٤] تلك الغنيمة.

٢- إحياء علوم الدين ١٥٧/٣.

٣- أخرجه أبو داود ٧١٦/٢ برقم: ٤٩٩٢.

**سمع<sup>(١)</sup>**، قال مالك: «اعلم أنه ليس يسلم رجل حدث بكل ما سمع، ولا يكون إماماً أبداً وهو يحدث بكل ما سمع»<sup>(٢)</sup>، وقال الإمام النووي: «وأما معنى الحديث... الزجر عن التحديث بكل ما سمع الإنسان فانه يسمع في العادة الصدق والكذب فإذا حدث بكل ما سمع فقد كذب لإخباره بما لم يكن... وأما قوله: (ولا يكون إماماً وهو يحدث بكل ما سمع) فمعناه: أنه حدث بكل ما سمع كثير الخطأ في روايته فترك الاعتماد عليه والأخذ عنه»<sup>(٣)</sup>.

فالتثبت يجمع ولا يفرق، ويحفظ الأرواح وبه صيانة الدماء، وهو دليل رجاحة العقل وسلامة التفكير، ويقي المجتمع من مخاطر القرارات السريعة غير المدروسة، ويثمر الثقة بالنفس، والبعد عن الشك وهواجس الشيطان، ويحفظ حقوق الأفراد والجماعات ولا يجعلها عرضة للظن<sup>(٤)</sup>.

٩- ما صح من المنقول إلينا علينا أن نحمله على أحسن وجه، عملاً بما ذكره سعيد بن المسيب قال: كتب إلي بعض إخواني من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ضع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك، ولا تظن بكلمة خرجت من امرئ مسلم شراً و أنت تجد له في الخير محملاً، و من عرض نفسه للتهمة فلا يلومن إلا نفسه<sup>(٥)</sup>، وقال جعفر بن محمد: إذا بلغك عن أخيك شيء تنكره فالتمس له عذراً واحداً إلى سبعين عذراً فإن أصبته و إلا قل لعل له عذراً لا أعرفه<sup>(٦)</sup>.

١٠- العفو والصفح عن الزلات لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **"أقبلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود"**<sup>(٧)</sup>، قوله: **"أقبلوا"** أمر من الإقالة أي: اعفوا، **"ذوي الهيئات"** أي: أصحاب المروءات والخصال الحميدة<sup>(٨)</sup>.

١١- الحذر من الغيبة -آفة المجالس- فهي مرض خطير، وداء فتاك، ومعوّل هدام، وسلوك يفرق بين الأحباب، ويمزق الجماعات، ويهتان يغطي على محاسن الآخرين، وبذرة تنبت شروراً بين المجتمع المسلم، وتقلب موازين العدالة والإنصاف إلى الكذب والجور، وقد عدها الإمام ابن حجر الهيتمي من الكبائر حين قال: «فظهر أن الذي دلت عليه الدلائل الكثيرة الصحيحة الظاهرة أنها كبيرة لكنها تختلف عظماً وضده بحسب اختلاف مفسدتها كما مر في كلام الأذرعى، وظهر أيضاً أنها الداء

١- أخرجه مسلم ١٠/١ برقم: ٥.

٢- صحيح مسلم ١٠/١ في الحديث رقم: ٥.

٣- شرح صحيح مسلم ٧٥/١.

٤- موسوعة نضرة النعيم ٩٠٨/٣.

٥- أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٣٢٣/٦ برقم: ٨٣٤٥.

٦- أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٣٢٣/٦ برقم: ٨٣٤٤.

٧- أخرجه أحمد في المسند ١٨١/٦ برقم: ٢٥٥١٣، وأبو داود ٥٣٨/٢ برقم: ٤٣٧٥، صحيحه الألباني في السلسلة الصحيحة

٢٣١/٢ برقم: ٦٣٨.

٨- عون المعبود ٢٥/١٢.

العضال والسم الذي في الألسن أحلى من الزلال، وقد جعلها من أوتي جوامع الكلم عذيلة غضب المال وقتل النفس بقوله: **"كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه"**<sup>(١)</sup>»، وقد عرفها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: **"أتدرون ما الغيبة؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته"**<sup>(٣)</sup>.

إن علاج هذا المرض لا يكون إلا بالعلم والعمل، فإذا عرف المغتاب أنه يتعرض لسخط الله يوم القيامة بإحباط عمله وإعطاء حسناته من يغتابه أو يحمل عنه أوزاره، وأنه يتعرض لهجوم من يغتابه في الدنيا، وقد يسلطه الله عليه، ويعذب في النار بأكل التين القذر، وينال عقاب الله في قبره، وتذهب أنوار إيمانه وآثار إسلامه، ولا يغفر له حتى يعفو عنه المغتاب، وأنها معولٌ هدام وشر مستطير، وتؤدي وتضر، وتجلب الخصام والنفور، وأنها مرض اجتماعي يقطع أواصر المحبة بين المسلمين، وهي دليل على حسنة المغتاب ودناءة نفسه، فإذا علم هذا وعمل بمقتضاه من الخير فقد وفق للعلاج<sup>(٤)</sup>.

١٢- منع الأتباع من نقل الأخبار عن الغير -إلا من أهل البدع الداعين إليها وعلى سبيل النصح والإرشاد- فكثير من الجفاء وتوغير الصدور مرده إلى تلك النقول، ولا تقل أخي الكريم: أخبرني الثقة؛ لأن الثقة لا يبلِّغ كما قال الأحنف بن قيس لمصعب بن الزبير لما عاتبه مصعب في شيء فأنكره الأحنف فقال مصعب: أخبرني الثقة، فقال له الأحنف: كلا إنَّ الثقة لا يُبلِّغ<sup>(٥)</sup>.

والعلم بأن هذه النقول هي بعينها النميمة التي الحذر منها النبي صلى الله عليه وسلم، فعن حذيفة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"لا يدخل الجنة نمام"**<sup>(٦)</sup>، وفي رواية: **"لا يدخل الجنة قنات"**<sup>(٧)</sup>، والقنات هو النمام، والنميمة هي نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد بينهم<sup>(٨)</sup>، قال الإمام الغزالي: «اعلم أن اسم النميمة إنما يطلق في الأكثر على من ينم قول الغير إلى المقول فيه كما تقول: فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا، وليست النميمة مختصة به بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه أو كرهه ثالث، وسواء كان الكشف بالقول أبو بالكتابة أو بالرمز أو بالإيماء، وسواء كان المنقول من الأعمال أو من الأقوال،

١- أخرجه مسلم ٤/ ١٩٨٦ برقم: ٢٥٦٤.

٢- الزواجر ٢/ ٥٥٥.

٣- أخرجه مسلم ٤/ ٢٠٠١ برقم: ٢٥٨٩.

٤- موسوعة نضرة النعيم ١١/ ٥١٦٣، ٥١٦٤، ٥١٧٧.

٥- العقد الفريد ٢/ ١٧٠، والأمال في لغة العرب ٢/ ٣٠٦.

٦- أخرجه مسلم ١٠١/ ١٠١ برقم: ١٠٥.

٧- أخرجه البخاري ٥/ ٢٢٥٠ برقم: ٥٧٠٩.

٨- شرح صحيح مسلم للنووي ٢/ ١١٢.

وسواء كان ذلك عيباً ونقصاً في المنقول عنه أو لم يكن، بل حقيقة النسيمة إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه، بل كل ما رآه الإنسان من أحوال الناس مما يكره فينبغي أن يسكت عنه إلا ما في حكايته فائدة لمسلم أو دفع لمعصية كما إذا رأى من يتناول مال غيره فعليه أن يشهد به مراعاة لحق المشهود له، فأما إذا رآه يخفي مالا لنفسه فذكره فهو نسيمة وإفشاء للسر، فإن كان ما ينم به نقصاً وعيباً في المحكي عنه كان قد جمع بين الغيبة والنسيمة، فالباعث على النسيمة إما إرادة السوء للمحكي عنه أو إظهار الحب للمحكي له أو التفرج بالحديث والخوض في الفضول والباطل»<sup>(١)</sup>.

### التعامل مع المنام:

الواجب على كل إنسان تجاه المنام ستة أمور:

**الأول:** ألا يصدق؛ لأن المنام فاسق وهو مردود الشهادة لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

**الثاني:** أن ينهأ عن ذلك وينصح له ويقبح عليه فعله.

**الثالث:** أن ييغضه في الله تعالى فإنه يغيض عند الله تعالى ويجب بغض من ييغضه الله تعالى.

**الرابع:** أن لا تظن بأخيك الغائب السوء لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

**الخامس:** أن لا يحملك ما حكي لك على التجسس والبحث لتحقيق اتباعاً لقول الله ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾.

**السادس:** أن لا ترضى لنفسك ما نهيت المنام عنه ولا تحكي نسيمة فتقول: فلان قد حكي لي كذا وكذا فتكون به غاماً ومغتتاباً وقد تكون قد أتيت ما عنه نهيت، وقد روي عن عمر بن عبد العزيز أنه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئاً، فقال له عمر: إن شئت نظرنا في أمرك فإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦] وإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية: ﴿هَمَّازٌ مَّشَاءً بَنِيمٍ﴾ [القلم: ١١]، وإن شئت عفونا عنك، فقال: العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبداً<sup>(٢)</sup>.

وتعالج النسيمة بما تعالج به الغيبة، وهو إما إجمالي بأن يعلم المنام أنه قد تعرض بها لسخط الله تعالى وعقوبته وأنها تحبط حسناته، وتذكي نار العداوة بين المتألفين، وتؤذي وتضر وتؤلم، وتجلب الخصام والنفور، وتزيل كل محبة وتبعد كل مودة وتآلف وتآخ، وبأن يتدبر المرء في عيوبه ويجتهد في التطهر

١- إحياء علوم الدين ١٥٦/٣.

٢- المصدر نفسه.

منها، وأن يعلم أن تأذي غيره بالغيبة أو بالنميمة كتأذيها فكيف يرضى لغيره ما يتأذى به؟! وأما التفصيلي فيتلخص في النظر في بواعثها فيقطعها من الأصل؛ إذ علاج العلة إنما يكون بقطع سببها، وألا يعتقد المرء في أخيه سوءاً، وأن يبادر إلى التوبة بشروطها<sup>(١)</sup>.

١٣- عدم الخوض في الجدل والمنازعات والخصومات، والذي علينا هو بيان الحق وتحلية السنة.  
١٤- لا نقصر حقوق المسلم على أفراد جماعتنا، فهي حقوق عامة لكل المسلمين، عصاة كانوا أم طائعين.

١٥- المحافظة على الأخوة العامة بين المسلمين وعدم حصرها في أفراد الحزب أو الجماعة، وكذلك الولاء والبراء.

١٦- أن يشتغل كل منا بعيوبه وسلبياته، فما أكثر عيوبنا وما أخطر سلبياتنا.

١٧- الصبر والمداراة لإخوة العقيدة ورفقاء الدرب.

١٨- تذكر البشرية وأن كل إنسان يخطئ ويصيب، ولا عصمة لأحد من البشر كائناً من كان، حتى العلماء والدعاة والقادة والأمراء.

١٩- أن يكون بغضك وحبك في الله ولله، وأن لا يكون مبنياً على الموافقة والمخالفة، مع الاعتدال في الحب والبغض لحديث: **"أحب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغضك يوماً ما، وأبغض بغضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما"**<sup>(٢)</sup>، قال الإمام المناوي: «أي ربما انقلب ذلك بتغيير الزمان والأحوال بغضاً فلا تكون قد أسرفت في حبه فتندم عليه إذا أبغضته أو حباً فلا تكون قد أسرفت في بغضه فتستحي منه إذا أحببته ذكره ابن الأثير»<sup>(٣)</sup>.

٢٠- أن تكون الموالاة على أساس أخوة الإسلام وبقدر ما فيه من خير وإيمان.

٢١- تبرأ من الأعمال والأقوال السيئة، ولا تتبرأ من فاعلها، فقد قال صلى الله عليه وسلم عندما قتل خالد متأولاً ببني جذيمة: **"اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد"**<sup>(٤)</sup>، ولم يتبرأ من خالد.

٢٢- لا نحاسب على ما مضى فالتوبة كالإسلام تجبان ما قبلهما.

٢٣- نعمل على أن لا تفترق صفوفنا وإن لم تتوحد آراؤنا<sup>(٥)</sup>.

١- موسوعة نضرة النعيم ١١ / ٥٦٧١.

٢- أخرجه الترمذي ٤ / ٣٦٠، برقم: ١٩٩٧، صححه الألباني انظر: الجامع الصغير وزيادته ١ / ١٨، برقم: ١٧٨.

٣- فيض القدير ١ / ١٧٦.

٤- أخرجه البخاري ٦ / ٢٦٢٨، برقم: ٦٧٦٦، والحديث عن الزهري عن سالم عن أبيه قال: **"بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فقالوا صباناً صباناً فجعل خالد يقتل ويأسر ودفع إلى كل رجل منا أسيره فأمر كل رجل منا أن يقتل أسيره فقلت والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجلاً من أصحابي أسيره فذكرنا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد مرتين"**.

٥- موسوعة الدين النصيحة ١ / ٢٨٦، وموسوعة البحوث والمقالات العلمية ٢٤٧ / ٢.

## • أكلت يوم أكل الثور الأبيض

عن عمير بن زوذي أبي كبير قال: خطبنا علي رضي الله عنه يوماً، فقام الخوارج فقطعوا عليه كلامه، قال: فترل، ودخل ودخلنا معه، فقال: ألا أي إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض، ثم قال مثلي مثل ثلاثة أثوار وأسد اجتمعن في أجمة<sup>(١)</sup> أبيض وأحمر وأسد، فكان إذا أراد شيئاً منهن اجتمعن فامتنعن منه، فقال للأحمر والأسود إنه لا يفضحنا في أجمتنا هذه إلا مكان هذا الأبيض، فخلينا بيني وبينه حتى آكله ثم أخلو أنا وأنتما في هذه الأجمة فلونكما على لوني ولوني على لونكما، قال: ففعلا، قال: فوثب عليه فلم يلبثه أن قتله، قال: فكان إذا أراد أحدهما اجتماعاً فامتنعا منه، وقال للأحمر يا أحمر إنه لا يشهرنا في أجمتنا هذه إلا مكان هذا الأسود فخل بيني وبينه حتى آكله ثم أخلو أنا وأنت فلوني على لونك ولونك على لوني، قال: فأمسك عنه فوثب عليه فلم يلبثه أن قتله، ثم لبث ما شاء الله ثم قال للأحمر: يا أحمر إني أكلك، قال: تأكلني، قال: نعم، قال: أما لا فدعني حتى أصوت ثلاثة أصوات ثم شأنك بي، قال: فقال: ألا إني إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض، قال: ثم قال الإمام علي رضي الله عنه: ألا وإني إنما رهبت يوم قتل عثمان<sup>(٢)</sup>.

والله أسأل أن يؤلف بين قلوب المسلمين، ويهديهم سبل السلام، وأن يجنبهم الفتن والآثام، وأن ينصرهم على أنفسهم وأعدائهم والشيطان، وصلى الله وسلم وبارك على محمد خير الأنام.

١- الأجمة منبت الشجر كالغيضة وهي الآجام، والأجم القصر والحصن بلغة أهل الحجاز وفي الحديث: "حتى دخلت في آجام المدينة" أي: حصونها، والأجمة الشجر الكثير المتن، والأجمة الغابة، والأجمة مأوى الأسد، وتأجم الأسد دخل في أجمته.

٢- أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٥٦٢/٧ برقم: ٣٧٩٣٣.

## المطلب الثاني: وفيه السبب السادس وهو إثارة العصبية

العصبية: أن يدعو الرجل إلى نصره عصبته والتألب معهم على من يناوئهم ظالمين كانوا أو مظلومين، وقد تعصبوا عليهم إذا تجمعوا، فإذا تجمعوا على فريق آخر قيل تعصبوا.

والتعصب: المحاماة والمدافعة، وتعصبنا له ومعنا: نصرناه.

والعصي: من يعين قومه على الظلم أو يغضب لعصبته ويحامي عنهم.

والعُصبة: الجماعة من الناس أو الخيل أو الطير، وعصبة الرجل: بنوه وقرابته لأبيه أو قومه الذين يتعصبون له وينصرونه، وفي الفرائض: من ليست له فريضة مسماة في الميراث وإنما يأخذ ما أبقى ذوو الفروض<sup>(١)</sup>.

إن التعصب يشكل عائقاً أساسياً أمام كل أشكال التقارب بين الأفراد والجماعات والشعوب والمؤسسات؛ وذلك لأنه يكرس أسباب الفرقة، ويهدم ما هو موجود من أركان اللقاء والوحدة والتعاون<sup>(٢)</sup>.

إن الرابطة التي تربط بين أفراد المجتمع ويجب أن ينادى بالارتباط بها دون غيرها إنما هي دين الإسلام؛ لأنه هو الذي يربط بين أفراد المجتمع حتى يصير بقوة تلك الرابطة جميع المجتمع الإسلامي كأنه جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، فربط الإسلام لك بأخيك كربط يدك بمعصمك ورجلك بساقلك، كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"<sup>(٣)</sup>، ولذلك يكثر في القرآن العظيم إطلاق النفس وإرادة الأخ تنبيهاً على أن رابطة الإسلام تجعل أخا المسلم كنفسه كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ [البقرة: ٨٤] أي: لا تخرجون إخوانكم، وقوله: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢] أي: بإخوانهم على أحد التفسيرين وصححه الشنقيطي، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١] أي: إخوانكم على أحد التفسيرين وصححه الشنقيطي<sup>(٤)</sup>، وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨] أي: لا يأكل أحدكم مال أخيه، إلى غير ذلك من الآيات، ولذلك ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"<sup>(٥)</sup>.

١- لسان العرب ٦٠٧/١، والمعجم الوسيط ٦٠٤/٢.

٢- التعصب للدكتور عبد الكريم بكار، انظر: مقالات وبحوث الدكتور عبد الكريم بكار للشهود ١٨٩/١.

٣- رواه مسلم ١٩٩٩/٤ برقم: ٢٥٨٦، عن النعمان بن بشير.

٤- أضواء البيان ٤٢/٣.

٥- رواه البخاري ١٤/١ برقم: ١٤، ومسلم ٦٧/١ برقم: ٤٥.

إن كثيراً من آيات القرآن الكريم دالة على أن الرابطة الحقيقية هي الدين، وأن هذه الرابطة تتلاشى معها جميع الروابط النسبية والعصبية، ومنها: قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢] إذ لا رابطة نسبية أقرب من رابطة الآباء والأبناء والإخوان والعشائر، وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، فهذه الآيات وأمثالها تدل على أن النداء برباطة أخرى غير الإسلام كالعصبية المعروفة بالقومية والمناطية لا يجوز ولا شك أنه ممنوع بإجماع المسلمين، ومن أصرح الأدلة في ذلك ما رواه جابر رضي الله عنه إذ يقول: غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا وكان من المهاجرين رجل لعاب<sup>(١)</sup> فكسع<sup>(٢)</sup> أنصاريًا فغضب الأنصاري غضباً شديداً حتى تداعوا، وقال الأنصاري: يا لأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "ما بال دعوى أهل الجاهلية؟ ثم قال ما شأنهم؟ فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: دعوها فإنها خبيثة"<sup>(٣)</sup>، فقول هذا الأنصاري: يا لأنصار، والمهاجري: يا للمهاجرين، هو النداء بالقومية العصبية بعينه، واليوم ينادى يا للجنوب ويا للشمال، ويا للشرق ويا للغرب، ويا لبني فلان وبني فلان، وما شابه ذلك من النداءات العصبية المقيتة البغيضة.

إن قول النبي صلى الله عليه وسلم: "دعوها فإنها خبيثة"، وفي رواية: "منتنة"<sup>(٤)</sup> يقتضي وجوب ترك النداء بها؛ لأن قوله: "دعوها" أمر صريح بتركها، والأمر المطلق يقتضي الوجوب؛ لأن الله يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] فدل على أن مخالفة الأمر معصية، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا

١- قيل معناه مطال، وقيل كان يلعب بالحراب كما تصنع الحبشة، وقيل مزاح واسمه جهجاه بن قيس الغفاري، وكان أجير عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، عمدة القاري ج ١٦/ص ٨٨

٢- بفتح الكاف والسين والعين من الكسع وهو أن تضرب بيدك أو برجلك دبر إنسان، ويقال هو أن تضرب عجز إنسان بقدمك، وقيل هو ضربك بالسيف على مؤخره، وقيل كسعته بما ساءه إذا تكلم فرميته على إثر قوله بكلمة تسوؤه، انظر: عمدة القاري ٨٨/١٦، ولسان العرب ٣٠٩/٨.

٣- رواه البخار ٣/ ١٢٩٦ برقم: ٣٣٣٠، ومسلم ٤/ ١٩٩٨ برقم: ٢٥٨٤.

٤- رواه البخاري ٤/ ١٨٦١ برقم: ٤٦٢٢، ومسلم ٤/ ١٩٩٨ برقم: ٢٥٨٤.



**مُبِينًا** [الأحزاب: ٣٦] فدلّت الآية على أن أمر الرسول صلى الله عليه وسلم مانع من الاختيار موجب للامتنال لا سيما وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأمر بالترك بقوله: **"فإنها خبيثة"** أو: **"منتنة"**، وحسبك بالنتن موجباً للتباعد لدلالته على الخبث البالغ، فدل هذا الحديث الصحيح على أن النداء برابطة القومية مخالف لما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم، وأن فاعله يتعاطى المنتن ولا شك أن المنتن خبيث والله تعالى يقول: **﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾** [الأعراف: ١٥٧]<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر: «و**"منتنة"** بضم الميم وسكون النون وكسر المثناة من التت أي: أنها كلمة قبيحة خبيثة»<sup>(٢)</sup>.

وعن جندب بن عبد الله البجلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"من قتل تحت راية عمية يدعو عصبية أو ينصر عصبية فقتله جاهلية"**<sup>(٣)</sup>.

الحديث فيه أن من قاتل تعصبا لا لإظهار دين ولا لإعلاء كلمة الله كان على الباطل وإن كان المتعصب له حقاً والمغضوب له محقاً؛ لأن ذلك صنيع أهل الجاهلية والكفر<sup>(٤)</sup>، إذ كان أحدهم ينتصر لأخيه وقبيلته سواء كان على حق أو باطل، فإذا ناداه المنادي هب لنجدته دون أن يسأل عن الذي حصل، وهل هو محق أم مبطل، حتى قال قائلهم:

لَا يَسْأَلُونَ أَحَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ فِي النَّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانًا<sup>(٥)</sup>

قال الإمام النووي: «**"من قاتل تحت راية عمية"** هي بضم العين وكسرهما لغتان مشهورتان والميم مكسورة مشددة والياء مشددة أيضاً قالوا هي الأمر الأعمى لا يستبين وجهه كذا قاله أحمد بن حنبل والجمهور، قال إسحاق بن راهوية: هذا كتقاتل القوم للعصبية... ويؤيد الرواية الأولى الحديث المذكور بعدها **"يفضب للعصبة ويقاتل للعصبة"** ومعناه إنما يقاتل عصبية لقومه وهواه»<sup>(٦)</sup>.

قال الطيبي: «قوله: **"تحت راية عمية"** كناية عن جماعة مجتمعين على أمر مجهول لا يعرف أنه حق أو باطل فيدعون الناس إليه ويقاتلون له»<sup>(٧)</sup>.

١- أضواء البيان ٤٣/٣.

٢- فتح الباري ٦٤٩/٨.

٣- رواه مسلم ١٤٧٨/٣ برقم: ١٨٥٠.

٤- حاشية السندي على سنن النسائي ١٢٣/٧، وشرح سنن ابن ماجه ٢٨٣/١، ومرواة المفاتيح ٢٢٩/٧، ٢٣٠.

٥- هذا البيت لقرط بن أنيف العنبري، انظر: خزنة الأدب ٤١٣/٧.

٦- شرح النووي على صحيح مسلم ٢٣٨/١٢، ٢٣٩.

٧- مرواة المفاتيح ٢٢٩/٧.

وعن جبير بن مطعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية"**<sup>(١)</sup>،

فهذا الحديث يبين أن تعصب الرجل لطائفة مطلقاً فعل أهل الجاهلية محذور مذموم بخلاف منع الظالم وإعانة المظلوم من غير عدوان فإنه حسن بل واجب<sup>(٢)</sup>.

قال محمد شمس الحق العظيم آبادي: **"ليس منا"** أي ليس من أهل ملتنا **"من دعا"** أي: الناس **"إلى عصبية"** قال المناوي: أي: من يدعو الناس إلى الاجتماع على عصبية وهي معاونو الظالم، وقال القارئ: أي: إلى اجتماع عصبية في معاونو ظالم، وفي الحديث: **"ما بال دعوى الجاهلية"** قال صاحب النهاية هو قولهم يا آل فلان كانوا يدعون بعضهم بعضاً عند الأمر الحادث، **"من قاتل على عصبية"** أي: على باطل وليس في بعض النسخ لفظ على، **"من مات على عصبية"** أي: على طريقته من حمية الجاهلي<sup>(٣)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: **"يُبين بهذا الحديث أن تعصب الرجل لطائفة مطلقاً فعل أهل الجاهلية محذور مذموم بخلاف منع الظالم وإعانة المظلوم من غير عدوان فإنه حسن بل واجب فلا منافاة بين هذا وبين خبر انصر أخاك"**<sup>(٤)</sup>.

إن المتعصب لغيره ومع غيره يخسر آخرته بدنياه غيره ولهذا كان شر الناس كما في حديث أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة عبد أذهب آخرته بدنياه غيره"**<sup>(٥)</sup>.

قال الإمام المناوي: **"لأن من أذهب آخرته بدنياه غيره يكون ذا فحش أشد فمن أقدم عليه أقدم على أي شيء فيتركه الناس اتقاء فحشه"**<sup>(٦)</sup>، وقال: **"إذ هو أخس الاخساء وأخسر الناس صفقة"**

---

١- رواه أبو داود ٧٥٣/٢ برقم: ٥١٢١، الحديث ضعفه الألباني ثم قال: «غير أن الحديث صحيح المعنى فقد أخرج مسلم وغيره من حديث أبي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم: **"من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبية أو يدعو إلى عصبية أو ينصر عصبية فقتل فقتله جاهلية..."**، وفي رواية: **"فليس من أمّتي"**» انظر: غاية المرام ١/ ١٨٦ برقم: ٣٠٤، وتم الحديث: **"ومن خرج على أمّتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاش من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه"** انظر: صحيح مسلم ١٤٧٦/٣ برقم: ١٨٤٨.

٢- فيض القدير، ٣٨٦/٥.

٣- عون المعبود ١٩/١٤.

٤- فيض القدير ٣٨٦/٥.

٥- رواه ابن ماجه، ١٣١٢/٢ برقم: ٣٩٦٦، في الزوائد هذا إسناد حسن؛ سويد بن سعيد مختلف فيه، قال السندي: «قلت: وكذا شهر بن حوشب».

٦- فيض القدير ٥٣٩/٢.

وأطولهم ندامة يوم القيامة»<sup>(١)</sup>، وقال «أي استبدل بحظه الأخرى حصول حظ غيره الدنيوي وآثره عليه فأعظم بذلك من سفاهة»<sup>(٢)</sup>.

إن رؤساء الدعاة إلى نحو هذه القومية العربية والمناطقية أبو جهل وأبو لهب والوليد بن المغيرة ونظرائهم من رؤوس الكفر، وقد بين تعالى تعصبهم لقوميتهم في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [المائدة: ١٠٤]، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [البقرة: ١٧٠] وأمثال ذلك من الآيات، فلا خلاف بين العلماء في منع النداء برابطة غير الإسلام كالقوميات والعصبية النسبية ولا سيما إذا كان النداء بالقومية يقصد من ورائه القضاء على رابطة الإسلام وإزالتها بالكلية فإن النداء بها حينئذ معناه الحقيقي أنه نداء إلى التخلي عن دين الإسلام ورفض الرابطة السماوية رفضاً باتاً على أن يعتاض من ذلك روابط عصبية قومية مناطقية-مدارها على أن هذا من العرب ومن بني فلان وهذا منهم وهذا ليس منهم- ولهذا كان من يدعو إلى هذه القوميات والمناطقية من الفساق.

قال الإمام الشافعي رحمه الله: «من أظهر العصبية بالكلام فدعا إليها وتألف عليها وإن لم يكن يشهر نفسه بقتال فيها فهو مردود الشهادة؛ لأنه أتى محرماً لا اختلاف بين علماء المسلمين علمته فيه... وقد جمع الله تعالى الناس بالإسلام ونسبهم إليه فهو أشرف أنسابهم... فإن قال قائل ما الحجة في هذا؟ قيل له قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وكونوا عباد الله إخواناً"<sup>(٣)</sup> فإذا صار رجل إلى خلاف أمر الله تبارك وتعالى اسمه وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا سبب يعذر به يخرج به من العصبية كان مقيماً على معصية لا تأويل فيها ولا اختلاف بين المسلمين فيها، ومن أقام على مثل هذا كان حقيقاً أن يكون مردود الشهادة»<sup>(٤)</sup>، وهو في الآخرة من جماعات جهنم<sup>(٥)</sup> فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ومن ادعى دعوى الجاهلية فإنه من جثا جهنم، فقال رجل: يا رسول الله وإن صلى وصام؟ قال: وإن صلى وصام، فدعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله"<sup>(٦)</sup>، وفي رواية: "ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثا جهنم قالوا يا رسول الله وإن صام وصلى؟ قال: وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم، فادعوا المسلمين بما سماهم المسلمين المؤمنين عباد الله عز وجل"<sup>(٧)</sup>.

١- فيض القدير ١١٥/٣.

٢- فيض القدير ٣٨٦/٥.

٣- رواه البخاري، ٢٤٧٤/٦ برقم: ٦٣٤٥، و مسلم، ١٩٨٣/٤ برقم: ٢٥٥٩.

٤- الأم ٢٠٧/٦.

٥- مرقاة المفاتيح ٢٤٩/٧.

٦- رواه الترمذي ١٤٨/٥ برقم: ٢٨٦٣، انظر: صحيح الترغيب والترهيب ١٣٣/١.

٧- روه أحمد في المسند ٢٠٢/٤ برقم: ١٧٨٣٣، قال شعيب الأرناؤوط: «حديث صحيح وهذا إسناد حسن».

ودعوى الجاهلية الدعاء والنداء وكذلك سننها على الإطلاق، والمعنى من نادى في الإسلام بنداء الجاهلية وهو أن الرجل منهم إذا غلب عليه خصمه نادى قومه بأعلى صوته يا آل فلان فيبتدرون إلى نصرته ظالماً كان أو مظلوماً جهلاً منهم وعصبيةً، و"جثا جهنم" أي من جماعاتهم جمع جثوة بالحركات الثلاث وهي الحجارة المجموعة<sup>(١)</sup>.

إن العروبة والمناطقية العصبية لا يمكن أن تكون خلفاً عن الإسلام، واستبدالها به صفقة خاسرة وقد علم في التاريخ حال العرب قبل الإسلام وحالهم بعده، قال الراجز:

بدلت بالجمة رأساً أزعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا<sup>(٢)</sup>

لقد بين الله جل وعلا في محكم كتابه أن الحكمة في جعله بني آدم شعوباً وقبائل هي التعارف فيما بينهم، وليست أن يتعصب كل شعب على غيره، وكل قبيلة على غيرها<sup>(٣)</sup>، وكل منطقة على غيرها، وكل مذهب على غيره، وكل جماعة على غيرها، قال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣] فاللام في قوله: ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ لام التعليل، فالتعارف هو العلة المشتملة على الحكمة لقوله: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾.

قال الإمام الشوكاني في قوله تعالى: ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ «والمقصود من هذا أن الله سبحانه خلقهم كذلك لهذه الفائدة لا للتفاخر بأنسابهم ودعوى أن هذا الشعب أفضل من هذا الشعب، وهذه القبيلة أكرم من هذه القبيلة، وهذا البطن أشرف من هذا البطن، ثم علل سبحانه ما يدل عليه الكلام من النهي عن التفاخر فقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ أي: أن التفاضل بينكم إنما هو بالتقوى

١- مرقاة المفاتيح ٢٤٩/٧.

٢- أضواء البيان ٤٥/٣.

الزعر قلة الشعر، وزعر الشعر و الريش و الوبر زعراً قل و تفرق حتى يبدو الجلد، ويقال زعر المكان كان قليل النبات متفرقه، مختار الصحاح ١١٤/١، والمعجم الوسيط ٣٩٣/١.

والجمة من الإنسان مجتمع شعر ناصيته، وما ترامى من شعر الرأس على المنكين، وقيل: الجمة هو الشعر الكثير، المعجم الوسيط ١٣٧/١، وتاج العروس ٤٢١/٣١.

والدردر منبت الأسنان عامة وقيل منبتها قبل نباتها وبعد سقوطها وقيل هي مغارزها من الصبي والجمع الدردار، لسان العرب ٢٨٣/٤.

والثنية من الأضراس تشبيهاً بالثنية من الجبل في الهيئة والصلابة وهي الأربع التي في مقدم الفم ثنتان من فوق وثنتان من أسفل، تاج العروس، ٢٩٥/٣٧، ٢٩٦.

معنى البيت: بدلت بالشعر الكثيف المترامي على المنكين رأساً قليل الشعر قد ظهر جلده، وبثنايا الأسنان الواضحة الجميلة منبتها وذلك بإزالتها، فهذا قد استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير حاله كحال بني إسرائيل.

٣- المصدر نفسه.

فمن تلبس بها فهو المستحق لأن يكون أكرم ممن لم يتلبس بها وأشرف وأفضل فدعوا ما انتم فيه من التفاخر بالأنساب فإن ذلك لا يوجب كرمًا ولا يثبت شرفاً ولا يقتضي فضلاً<sup>(١)</sup>.

إن علماء الإسلام حين يصرحون بمنع النداء بالروابط العصبية والأواصر النسبية وقيمون الأدلة على منع ذلك لا ينكرون أن المسلم ربما انتفع بروابط نسبية لا تمت إلى الإسلام بصلة كما نفع الله نبيه صلى الله عليه وسلم بعمه أبي طالب، وقد بين الله جل وعلا أن عطف ذلك العم الكافر على نبيه صلى الله عليه وسلم من منن الله عليه قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ [الضحى: ٦] أي: آواك بأن ضمك إلى عمك أبي طالب، ومن آثار هذه العصبية النسبية قول أبي طالب فيه صلى الله عليه وسلم:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفيناً  
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة أبشر بذاك وقر منه عيوننا<sup>(٢)</sup>

إن الناظر في هذه المسألة يفرق بين الأمرين، ويعلم أن النداء بروابط القوميات والمناطقية والعصبية لا يجوز على كل حال، ولا سيما إذا كان القصد بذلك القضاء على رابطة الإسلام وإزالتها بالكلية بدعوى أنه يساير التطور الجديد أو أنه جمود وتأخر عن مسايرة ركب الحضارة -نعوذ بالله من طمس البصيرة-، فمنع النداء بالروابط القومية والمناطقية لا ينافي أنه ربما انتفع المسلم بنصرة قريبه الكافر بسبب العواطف النسبية والأواصر العصبية التي لا تمت إلى الإسلام بصلة كما وقع من أبي طالب للنبي صلى الله عليه وسلم، وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر"<sup>(٣)</sup>، ولكن تلك القربات النسبية لا يجوز أن تجعل هي الرابطة بين المجتمع؛ لأنها تشمل المسلم والكافر، والتقي والفاجر، ومعلوم أن المسلم عدو الكافر كما قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وليس التقي كالفاجر كما قال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨] فمن ظن بالله الحكيم الخبير أنه يساوي بين الصالح المصلح والمفسد الفاجر فقد ظن ظناً قبيحاً جديراً بالإنكار<sup>(٤)</sup>، فكيف بمن يقدم الكافر والفساد الفاجر على المسلم والتقي الصالح !!  
والحاصل أن الرابطة الحقيقية التي تجمع المفترق وتؤلف المختلف هي رابطة: (لا إله إلا الله).

١- فتح القدير ٦٧/٥.

٢- ديوان أبي طالب ٨٦/١، وسيرة ابن إسحاق ١٣٦/٢.

٣- رواه مسلم ١٠٥/١ برقم: ١١١.

٤- أضواء البيان ٣٤٣/٦.

إن هذه الرابطة التي تجعل المجتمع الإسلامي كله كأنه جسد واحد وتجعله كالبنیان يشد بعضه بعضاً عطفت قلوب حملة العرش ومن حوله من الملائكة على بني آدم في الأرض مع ما بينهم من الاختلاف، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [غافر: ٧-٩]، فقد أشار تعالى إلى أن الرابطة التي ربطت بين حملة العرش ومن حوله وبين بني آدم في الأرض حتى دعوا الله لهم هذا الدعاء الصالح العظيم إنما هي الإيمان بالله جل وعلا؛ لأنه قال عن الملائكة: ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ فوصفهم بالإيمان، وقال عن بني آدم في استغفار الملائكة لهم: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾، فوصفهم أيضاً بالإيمان، فدل ذلك على أن الرابطة بينهم هي الإيمان وهو أعظم رابطة.

إن مما يوضح لنا أن الرابطة الحقيقية هي دين الإسلام قوله تعالى في أبي لهب عم النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد: ٣]، ويقابل ذلك بما لسلمان الفارسي من الفضل والمكانة عند النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين<sup>(١)</sup>، فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فيه: "سلمان منا أهل البيت"<sup>(٢)</sup>.

وقد أجاد من قال:

لعمرك ما الإنسان إلا بدينه فلا تترك التقوى اتكالا على الحسب  
فقد رفع الإسلام سلمان فارس وقد هجن الشرك الشريف أبا لهب<sup>(٣)</sup>  
لقد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط أيام التشريق فقال: "يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، إلا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى"<sup>(٤)</sup>.

١- انظر: أضواء البيان ٤١/٣ - ٤٧.

٢- رواه الحاكم في المستدرک ٦٩١/٣ برقم: ٦٥٣٩، والطبراني في الكبير ٢١٢/٦ برقم: ٦٠٤٠، قال الهيثمي: «رواه الطبراني وفيه كثير بن عبد الله المزني وقد ضعفه الجمهور وحسن الترمذي حديثه وبقيته رجاله ثقات» جمع الزوائد ١٨٩/٦ برقم: ١٠١٣٧.

٣- تاريخ مدينة دمشق ٤٢٦/٢١.

٤- روه أحمد ٤١١/٥ برقم: ٢٣٥٣٦ قال شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح»

## ● النعرات القومية والطائفية

إن من أهم مشاكل الوحدة الإسلامية حسب ما بينه القادة والمفكرون الإسلاميون أو ما هو واضح للمهتمين بها يتمثل في: النعرات القومية، والنعرات الطائفية، والحكومات المهزومة.

إن النعرات القومية والتعصب القومي والعنصري ظاهرة تسود المجتمعات الجاهلية، فالمجتمع الجاهلي ينتقد القيم الإنسانية، ويفتقد التربية الإنسانية، ولذلك يعيش أفرادها في مستوى منحط من التصورات والأفكار والقيم، وتصبح مظاهر اللغة أو اللون أو النسب هي معايير التمييز والتفضيل بين أبناء البشر، وتبسط قيمة كل المعايير الإنسانية الصحيحة، فالرسالة الإسلامية (الإلهية) فيما تستهدفه طرح معايير وتصورات إنسانية في المجتمع كي يتجاوز الكائن البشري الأطر الضيقة التي تحبس فكر الإنسان الجاهلي مثل المرعى والقطيع، فالإسلام واجه في الجزيرة العربية مجتمعاً فرقة العصبية القبلية واستفحلت فيه العداوات النسبية والعرقية، من هنا كانت عملية القضاء على هذه النعرات والعصبية من أصعب مهام القائد الأعظم والرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم على طريق إنشاء المجتمع الموحد وعانى القائد ما عانى لاستتباب معيار التقوى في المجتمع الإسلامي بدل المعايير الجاهلية، لكن الجاهلية الحديثة أعادت لنا تلك النعرات والتعصب بأسلوب جديد ومسميات جديدة معقدة محاطة بأطر ونظريات علماء الاجتماع الأوروبيين واليهود والأمريكان، ومحملة بكل الوسائل الرخيصة للقضاء على الإسلام، فسببت الفرقة وروح العدا بين أبناء الأمة الإسلامية.

أما النعرات الطائفية والاتجاهات الفكرية والاجتهادية المختلفة فظاهرة شهدتها العالم الإسلامي منذ زمن بعيد بعضها طبيعي يعود إلى طبيعة المجتمع البشري نظراً لاختلاف الناس في أفكارهم وأفهامهم واجتهاداتهم، وبعضها الآخر مفتعل استحدثه المغرضون لأهدافهم الخاصة، وخلال عصور تاريخية مختلفة استغلت هذه الاختلافات لأغراض شخصية، ولعبت السياسة على مر التاريخ الإسلامي دوراً كبيراً في بروز الاتجاهات الفكرية والفقهية أو ضموها، وهذه المسألة واضحة لكل باحث في التاريخ الإسلامي، والجانب الكبير من تفشي هذه النعرات المفرقة يعود إلى جهل المسلمين، فعامة الناس كانوا ولا يزالون وقود التراعات الطائفية وأداة بيد المغرضين يستغلون تعصبهم الأعمى إلى هذه الجهة أو تلك، فيثيرون المعارك والاشتباكات، فلكي نخطو للأمام لا بد أن تزول هذه النعرات الطائفية بين المسلمين<sup>(١)</sup>.

إن ما يشاهد اليوم من سعي قوى التفرق والانفصال في الخارج والداخل إلى تعميق روح المناطقية والعصبية بين أبناء البلاد الإسلامية الواحدة شمالها وجنوبها وشرقها وغربها، وإثارة النعرات المذهبية والإقليمية والطائفية والقبلية والتحزبية، وإثبات أن أبناء هذه الفئة يريدون إلغاء الوجود البارز لأبناء

١ - أسباب التمزق وعقبات الوحدة نقلاً عن موقع: <http://annabaa.org/nba45/wahdaislamya.htm>، بتصرف.

الفئة الأخرى، وأنهم يعاملونهم كمواطنين من الدرجة الثانية أو الثالثة، مع اتخاذ الواقع المتردي وظلم بعض الحكومات -الذي لا ينكره إلا أعمى أو جاهل- أو غفلتها أو تساهلها أو عجزها مظلة من أجل كسب تعاطف الناس معهم<sup>(١)</sup>، هو أحد الأسباب الرئيسية التي أدت إلى توتر الأوضاع على الساحات واشتعال فتيل الفتن مما تسبب في إفساد القلوب وتغيير النفوس، وهذا لا بد من الحذر منه والتنبيه له؛ لأن أبناء الإسلام في كل بقاع الأرض وكل أقطار البلاد شمالها وجنوبها وشرقها وغربها من أي طائفة أو قبيلة أو عرق أو تربة سواء في اليمن أو السودان أو الصومال أو العراق أو أفغانستان أو باكستان أو أي دولة في أسقاع الأرض قلوبهم واحدة وصفهم واحد وهم شعب واحد، وليست المشكلة بين أبناء البلد الواحد إنما هي في الأطراف الفاسدة المفسدة سواء كانت من جهة الحكومات أو غيرها، كما في بعض الدول ذات الحكومات الفاسدة المفسدة التي نهبت الخيرات والثروات وظلمت وتسلطت وسطت على حقوق الناس فنهبوا وشجعهم على ذلك غياب العدالة وضعف القضاء وفساد السلطات، وكل ذلك لأن أكثر هؤلاء المتسلطين من المسؤولين فضاعت الحقوق، أو حتى من الأطراف الأخرى الداعية إلى أمثال هذه الفتن والاضطرابات لسبب أو لآخر، وربما كان عن تأويل أو بدفع من الغير أو تهويل.

إن ما يحصل في بعض البلدان ذات الحكومات الفاسدة من نهب وسلب للأراضي وحقوق الآخرين موجود في جميع أرجاء البلاد، إذاً فلماذا العصبية والمناطية البغيضة التي رأينا بالدليل من الكتاب والسنة حرمتها، فكيف نسير وراءها ونخدع بها؟!، ومن المستفيد من إشعالها؟!، ولا يعني هذا السكوت عن الظلم والرضوخ للظالم، بل نطالب برقع الظلم، وإعادة المظالم إلى أهلها، وإلا فإقصاء الظلمة- لا بخروج مسلح ولا بقتل ونهب وسلب- مع المحافظة على الأخوة والوحدة وصفاء القلوب، دون التعرض لموضوع وحدة البلاد وتماسكها في جسد واحد؛ إذ ليست حقاً لأحد ولا حِكراً عليه إنما الوحدة وحدة الأمة، وليست المطالبة برفع الظلم ورد المظالم والحقوق إلى أهلها ونصرة المظلوم والوقوف معه حتى يسترد حقه ليس ذلك من العصبية الممقوتة؛ لما رواه أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **"انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟! قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره"**<sup>(٢)</sup>، وعن سراقه بن مالك بن جعشم المدلجي رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: **"خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يأثم"**<sup>(٣)</sup>، قال الإمام المناوي: **"خيركم المدافع عن عشيرته"** فيرد عنهم من ظلمهم في مال أو عرض وبدن **"ما لم يأثم"** ما لم يظلم المدافع في

١- مجلة البيان ٧٩/٧١.

٢- رواه البخاري ٦/٢٥٥٠ برقم: ٦٥٥٢.

٣- رواه أبو داود ٢/٧٥٣ برقم: ٥١٢٠، قال أبو داود: «أيوب بن سويد ضعيف».



دفعه بأن تعدى الحد الواجب في الدفع»<sup>(١)</sup>، وقال «**خيركم المدافع عن عشيرته**» في المهمات في حضورهم وغيبتهم ويرد عنهم من ظلمهم في مال أو عرض أو بدن ويكون الدفع بالأخف فالأخف **"ما لم يَأْثَم"** أي: ما لم يظلم المدافع في دفعه بأن تعدى الحد الواجب في الدفع كأن يتحامل على المدفوع لنحو عصبية أو ضغينة، قال في الإتحاف: الخيرية هنا باعتبار إضافي وما ذاك إلا أن من المدافعين من يدافع عن نفسه، ومن يدافع عن أصدقائه، ومن يدافع عن عشيرته، وخير هؤلاء المدافع عن عشيرته، وقوله: **"ما لم يَأْثَم"** زجر عن المبالغة في المدافعة حتى ينتهي المدافع إلى الإثم، ونص عليه وإن كان معلوماً؛ ليكون مستحضراً في الذهن إذ الحمية قد تذهل عنه»<sup>(٢)</sup>.

وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله أمن العصبية أن يحب الرجل قومه؟ قال: **"لا ولكن من العصبية أن ينصر الرجل قومه على الظلم"**<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام القاري: «أي: على ظلمهم، أو مع ظلمهم، أو على وجه الظلم»<sup>(٤)</sup>.

١- التيسير بشرح الجامع الصغير ٥٣٤/١.

٢- فيض القدير ٤٩٨/٣.

٣- رواه أحمد ١٠٧/٤ برقم: ١٧٠٣٠، قال الهيثمي: «رواه أحمد وفيه عباد بن كثير الشامي وثقه ابن معين وغيره وضعفه النسائي وغيره»، مجمع الزوائد ٦/٣٦٥ برقم: ١٠٤٥٩.

٤- مرقاة المفاتيح ١٣٠/٩.

## ● أضرار ومخاطر العصبية

هذا ومن أضرارها في العاجل  
كذلك التنازع المؤدي  
فساد ذات البين وهي الحالقة  
فلا اجتماع سبب أي سبب  
وخذ على ذاك مثالا العرب  
فحققوا بقوة الإيمان  
فتحاً عظيماً لم يكن معهودا  
كذلك من أضرارها جعل الولا  
وذاك من لازمه تقديم ما  
فإن تكن للنفع قد واليته  
فاعلم بأن النفع والضرر معا  
فإن يردك الله خيرا لن يُرد  
إشاعة الخلاف والتخاذل  
لفشل وضعفنا عن ضد  
للدين نصا قد أتى فحققه  
في نصر من قد طبقوه والغلب  
إذ جمعوا على النبي المنتخب  
ووحدة الإسلام لا الأوطان  
ثم على العدل بنوا بنودا  
لمن يعادي الله جل وعلا  
ليس بأولى نعمة وأقدما  
أو خشية للضرر إن عاديته  
في يد بارئ الخلائق أجمعا  
أو غيره مارده عنك أحد<sup>(١)</sup>

قال الإمام الشوكاني: «واعلم أنه كما يتسبب عن التعصب محق بركة العلم وذهاب رونقه وزوال ما يترتب عليه من الثواب، كذلك يترتب عليه من الفتن المفضية إلى سفك الدماء وهتك الحرم وتمزيق الأعراس واستحلال ما هو في عصمة الشرع ما لا يخفى على عاقل، وقد لا يخلو عصر من العصور ولا قطر من الأقطار من وقوع ذلك لا سيما إذا اجتمع في المدينة والقرية مذهبان أو أكثر، وقد يقع من ذلك ما يفضي إلى إحراق الديار وقتل النساء والصبيان كمثل ما كان يقع بين السنية والشيعة ببغداد فإنهم كانوا يفعلون في كل عام فتناً ويهرقون الدماء ويستحلون من بعضهم البعض ما لا يستحلونه من أهل الذمة بل قد لا يستحلونه من الكفار الذين لا ذمة لهم ولا عهد»<sup>(٢)</sup>.

١- إشاعة الخلاف والتنازع والشقاق، الذي حرص الإسلام على سلامة أمته وحفظ كيانها منها، فهو لذلك يطفئ بقوة بواذر الخلاف والتنازع والشقاق، ويهيب بالأفراد كافة أن يتكاتفوا على إخراج الأمة من ورطات الشقاق، بينما يحرص أعداء الإسلام على وقوع ذلك في أمة الإسلام، ويودون أن يضعوا أيديهم ولو على شخص واحد ليكون طرفاً ناتماً يستمسكون به، ويجذبون الأمة كلها عن طريقه<sup>(٣)</sup>.

١- أبيات من رسالة الشيخ أحمد بن يحيى النحوي نقلاً عن موقع: <http://www.sahab.net/forums/showthread>.

٢- أدب الطلب ٩٢/١.

٣- موسوعة نضرة النعيم ٤٢٦٧/٩، بتصرف.

٢- وقوع التخاذل - ترك الإعانة والنصرة - والتحاسد والتدابير والتقاطع والاحتقار المنهي عنها والتي تفكك عرى المجتمع وتهدم بنيانه، وبها يترك نصرة الحق، والأخذ على يد الظالم ونصرة المظلوم، فإذا استعان به في دفع ظالم ونحوه يجعله التعصب يتقاعس عن إعانته مع كونه واجباً عليه إذا أمكنه ولم يكن له عذر شرعي<sup>(١)</sup>. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه"<sup>(٢)</sup>.

٣- فساد ذات البين وهي الحالقة كما في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى، قال: صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة"<sup>(٣)</sup>، قال الإمام الترمذي: «ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم: "هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين"»<sup>(٤)</sup>.

قال الإمام المناوي: «أي: الخصلة التي شأنها أن تحلق أي: تهلك وتستأصل الدين كما يستأصل موسى الشعر، أو المراد المزيل لمن وقع فيها لما يترتب عليه من الفساد والضغائن، وذلك لما فيه [يريد إصلاح ذات البين] من عموم المنافع الدينية والدنيوية من التعاون والتناصر والألفة والاجتماع على الخير حتى أبيح فيه الكذب وكثرة ما يندفع من المضرة في الدنيا والدين بتشتت القلوب ووهن الأديان من العداوات وتسلط الأعداء وشماتة الحساد فلذلك صارت أفضل الصدقات»<sup>(٥)</sup>.

وقال الإمام القاري: «أي: الماحية والمزيله للمثوبات والخيرات»<sup>(٦)</sup>، وقيل: هي قطيعة الرحم والتظلم<sup>(٧)</sup>.

١- انظر: لسان العرب، ١١/ ٢٠٢، وشرح النووي على صحيح مسلم، ١٦/ ١٢٠، وموسوعة نضرة النعيم ٩/ ٤١٤٤، بتصرف.

٢- رواه مسلم، ٤/ ١٩٨٦، برقم: ٢٥٦٤.

٣- أخرجه الترمذي ٤/ ٦٦٣ برقم: ٢٥٠٩، وأبو داود ٢/ ٦٩٧ برقم: ٤٩١٩، وأحمد ٦/ ٤٤٤ برقم: ٢٧٥٤٨، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٤٤/٣) برقم: ٢٨١٤، و(٤٨/٣) برقم: ٢٨٢٧.

٤- سنن الترمذي ٤/ ٦٦٣، وانظر: صحيح الترغيب والترهيب (٤٤/٣) برقم: ٢٨١٤، و(٤٨/٣) برقم: ٢٨٢٧.

٥- فيض القدير ٣/ ١٠٦، وانظر: شرح الزرقاني ٤/ ٣٢١.

٦- مرقاة المفاتيح ٩/ ٢٤١.

٧- النهاية في غريب الأثر ١/ ٤٢٨، وتحفة الأحوذى ٧/ ١٧٩.

٤- جعل الولاء والبراء لغير الله وسوله والمؤمنين، بل لما يتعصب له، والله تعالى يقول:  
﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ  
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ  
حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

٥- التعاون على الإثم والعدوان الذي يقلب نظام المجتمع ويساعد على فساد الذمم، ويفتح أبواب  
الشر ويطمس معالم الحق ليرتفع الباطل، ويساعد على الطغيان والظلم، ويسبب خراب المجتمع، وتضيع  
الحقوق، وتصل لغير أهلها ومستحقيها<sup>(١)</sup>.

٦- الظلم، فالمتعصب يظلم نفسه، ويظلم من يتعصب له أو عليه.

٧- محق البركة.

٨- وقوع الفتن والتمزق.

٩- الضعف والفشل.

١٠- سفك الدماء وهتك الحرمات.

١١- تسلط الأعداء.

<sup>١</sup> - انظر: موسوعة نضرة النعيم ٩/ ٤٢٠٧، بتصرف.

## ● أسباب التعصب

من الأسباب التي تدفع في اتجاه التعصب الآتي:

- ١- تغلب سلطان النفس على سلطان الشريعة.
- ٢- الجهل إذ إن الشخص أو الجماعة أو القبيلة أو الحزب حين يجهل حقيقة ما عليه الآخرون فإنه يقع بسهولة فريسة لأحاديث المجالس غير الموثوقة والمتحاملة، كما يقع فريسة للدعاية المضادة، وتدل بعض الدراسات على أن الناس كلما عرفوا أكثر وأكثر عن بعضهم خفت حدة التعصب لديهم، وذلك لأن تلك المعرفة تظهر لهم زيف الشائعات المغرضة التي يتداولونها عن بعضهم من غير أي تثبت؛ وفي هذا الإطار نفهم حكمة العديد من التشريعات والعبادات الإسلامية ذات الصبغة الاجتماعية، مثل: الحج وصلاة العيدين والجمعة والجماعة، والحث على التزاور وعيادة المريض، وصلة الأرحام، والتعاون على البر والتقوى والتعارف والتواصل...
- ٣- تشتت حدة التعصب في المجتمعات التي فيها قوانين غير منصفة، وذلك كأن تنال طبقة أو فئة أو مجموعة امتيازات خاصة، دون بقية الناس؛ فهذه القوانين تعمل على توليد ثقافة التعصب من أجل إيجاد منطلق لإقناع المحظوظين باستحقاقهم للامتياز، وإقناع المظلومين بأن ما يجري لهم هو شيء طبيعي، ومن هنا فإن الشريعة شددت كثيراً على مسألة العدل ومقاومة الظلم، والحقيقة أن الفئة التي تنال ما ليس لها تُصاب بنوع من التشوه في أرواحها وعقولها وأخلاقها.
- ٤- أحياناً تتعصب جماعة أو قبيلة ضد أخرى من أجل تقوية نسيجها وتقوية صفوفها، في حين أن اللجوء إلى التعصب يدل على انحطاط أخلاقي، وفساد في الأسس التي قام عليها الكيان.
- ٥- النشوء في بلد ومدينة تتمذهب بمذهب معين وهو أكثرها وقوعاً وأشدّها بلاء، وهذا الداء قد كثر في بلاد الإسلام وعم في أكثر أهلها ولم يخرج عنه إلا أفراد قد يوجد الواحد منهم في المدينة الكبيرة وقد لا يوجد؛ لأن هؤلاء الذين ألفوا هذه الجماعات والطوائف والمذاهب قد صاروا يعتقدون أنها هي الشريعة وأن ما خرج عنها خارج عن الدين مباين لسبيل المؤمنين والسبب أنهم نشأوا فوجدوا آباءهم وسائر قراباتهم على ذلك وورثة الخلف عن السلف والآخر عن الأول وانضم إلى ذلك قصورهم عن إدراك الحقائق بسبب التغيير الذي ورد عليهم من وجدوه قبلهم.
- ٦- حب الشرف والمال مع أنهما أعدى على الإنسان من ذئبين ضارين، فإن هذا هو السبب الذي بقى به من بقى على الكفر من العرب وغيرهم بعد قيام الحجة عليهم وظهور الحق لهم، وبه نافق من نافق، وقد وضع جماعة مناقب لقوم وآخرون مثالب لآخرين.
- ٧- الجدال والمراء وحب الانتصار والظهور، فإن الرجل قد يكون له بصيرة وحسن إدراك ومعرفة بالحق ورغوب إليه فيخطئ في المناظرة ويحمله الهوى ومحبة الغلب وطلب الظهور على التصميم على

مقاله وتصحيح خطاه وتقوم معوجه بالجدال والمراء، وهذه الذريعة الإبلسية والدسيسة الشيطانية قد وقع بها من وقع في مهاوي من التعصبات ومزالق من التعسفات عظيمة الخطر مخوفة العاقبة.

٨- انتشار الذرية وتنوع الانتماء القبلي من الأمور التي قد تبعث على الفرقة والتناحر والتعصب، لكن القرآن الكريم يذكرنا بثلاثة أمور أساسية:

أ - الناس مهما اختلفوا وتباعدوا، فإن عليهم أن يتذكروا أنهم جميعاً من أب واحد وأم واحدة، فهناك دائماً شيء مشترك.

ب- هذا التنوع قد يُستغل للعداء والتجافي، لكن الله -تعالى- يريد من عباده أن يتخذوا منه أداة للتواصل والتآلف والتعارف على قاعدة (نختلف لناألف).

ج- لا ينبغي لهذا التنوع أن يُتخذ طريقاً للكبر وهضم الحقوق والشقاق، فالإنسان يكون أفضل من غيره بشيء من واحد هو (التقوى)، ومن التقوى رحمة العباد والرفق بهم وجلب النفع لهم.

٩- كثرة المجالسة والمؤالفة والمعاملة، كتلميذ في مقتبل العمر عند شيخه، يسمع منه فيرى في هذا الشيخ الفضل والنبيل والعلم، والوقوف عند الكتاب وعند السنة والعمل بهما والدعوة إليهما، وأنه لا يتكلم إلا بالحجة، وإلا بالدليل، فيترتب على ذلك ثقة مطلقة، فإذا سمع منه قولاً أو سمع عنه قولاً، لم يحمله إلا على أحسن محمل، وهذا حق لا شك في ذلك، ولكن قد يترتب على ذلك أن يتعصب له ويوالي فيه ويعادي وينصر فيه، والبعض قد يتعصب حتى لمشايخ ماتوا، وقد يوجد من يلقي باللائمة على آخرين، وينسى أنه قد يكون واقعاً في ما لأمه عليهم، من حيث لا يدري ولا يشعر.

١٠- المنافسة على طلب الرزق تذكى نار التعصب، فحين يجد السكان الأصليون أن الوافدين إلى بلادهم صاروا يزاحمونهم على الأعمال والوظائف، فإنهم يسعون إلى إيجاد آلية لكسر حدة منافستهم، ويجدون في التعصب وسيلة جيدة لذلك، والمفروض لحل مثل هذه المشكلات النظر بعين الإنصاف للإيجابيات والسلبيات التي تترتب على وجود أولئك المنافسين، والسعي إلى إيجاد نظم وقوانين عادلة ومريحة تحكم وتنظم العلاقات بين الجميع.

١١- الأعداء والعملاء والعنصريون والأنانيون ومحدودو الأفق الذين يجعلون من التباين الفكري والثقافي والعرقي... مرتعاً خصباً لإنعاش التعصب وزيادة حدة الاختلاف.

١٢- انعدام النقد الذاتي الذي يخفف من حدة التعصب، ويقلل من إمكانية استغلال العواطف المتاجرة بها، واشتغال مفكري ومدرسي كل طائفة ومذهب باستمرار بيان فضائل مذاهبهم وطوائفهم والدفاع عن أصولها وفروعها دون ممارسة شيء ذي قيمة من النقد والمراجعة والتمحيص، ووقع في مثل هذا جماعات وأحزاب وتيارات عديدة<sup>(١)</sup>.

١- انظر: أدب الطلب للشوكاني ٤٠/١ - ٥٩، والتعصب د. عبد الكريم بكار ١٤٢٧/٥/٥، نقلاً عن موسوعة البحوث والمقالات العلمية، ودروس للشيخ سلمان العودة ٢٦/٢٣٣ من الشاملة الإصدار الثالث.

## • من لوازم التعصب

- ١- الجُمود إذ أن المتعصب يلزم الأفكار الموروثة حول ما يتعصب له، فإذا كان يتعصب لبلده، فإنه يحفظ كل ما قيل في فضائله بقطع النظر عن صحته، ولا يفتح عقله للتعامل مع المقولات الجديدة حول ذلك البلد؛ فهو بلد الصدق والأمانة والشهامة والكرم... وإن كان الناس من حوله يلاحظون أن وجود هذه الفضائل نسبي، وأن بين أبناء بلده من ليس صادقاً ولا أميناً ولا كريماً.
- ٢- التفكير غير المنطقي إذ تنطمس الأسباب عند الحديث عن المشكلات، ويختل الربط بين المقدمات والنتائج، فإذا حدثت محنة عظيمة لجماعة المتعصب فإن تلك المحنة ليست بسبب سوء تقديرها للأمور، أو بسبب أخطاء تربوية أو تنظيمية أو بسبب أخطاء إستراتيجية.
- إن كل هذه الأخطاء لا يستطيع المتعصب رؤيتها، ولهذا فالحنة التي وقعت هي بسبب مؤامرة كبرى تعرضت لها الجماعة أو بسبب وشاية من جماعة منافسة، أو بسبب عدم التزام بعض أبنائها بالتعليمات.. وحين يُنبّه المتعصب إلى أن السلوك الفلاني سيؤدي إلى كذا وكذا، فإن المتعصب يفسر ذلك بالحسد والحقد والجهل؛ وذلك لأن في سلسلة المعقولات لديه حلقات مفقودة، لهذا فإنه لا يستطيع رؤية التداعيات المنطقية بين الأشياء.
- ٣- داء التعميم المفرط فأى فضيلة تثبت لواحد من أفراد قبيلته أو جماعته يعممها على باقي أبناء القبيلة أو الجماعة، وإن أي رذيلة تثبت عن قبيلة منافسة يقوم بتعميمها على جميع أبناء كل تلك القبيلة، وفي هذا من الظلم ما لا يخفى.
- ٤- المحاباة والتحامل وهما صفتان أساسيتان لدى الإنسان المتعصب، وهاتان الصفتان توجدان خللاً كبيراً في الشخصية، ولهذا فإن المتعصب يكون في الغالب محروماً من التوازن العقلي والانفعالي الذي يتمتع به الأسوياء.
- ٥- التأثير البالغ في الشخصية إذا طال أمده، إذ يصبح عبارة عن مصنع للنظارات التي يرى المتعصب الأشياء من خلالها، فهو في كل موقف يتعلق بمن يوجه التعصب ضدهم يفكر ويفهم ويدرك ويعي ويشعر ويسلك ويتصرف ويحكم وفقاً للصورة الذهنية التي شكلها عنهم؛ وعلى سبيل المثال فإن المتعصب حين يعتقد أن القبيلة الفلانية أو الجماعة قبيلة أو جماعة منحطة في نسبها أو سجلها التاريخي أو مكانتها الاجتماعية الحاضرة، فإن نظرتة إلى تصرفات أفرادها وأحكامه عليهم ومشاعره نحوهم، تتجسد في النظرة الدونية، فهم غير جديرين بالتفوق الظاهر، وإذا نال أحدهم منصباً كبيراً نظر إليه على أنه أصغر من أن ينال ذلك المنصب، وإذا طالب بحق ثابت له، رأى أنه يبالغ في طلب ذلك الحق، وإذا حدثت سرقة أو جنابة أو وقعت فعلة شنيعة ولم يُعرف مرتكبها فإن المتعصب يتهم واحداً من أبناء تلك القبيلة - لا على التعيين - بفعل ذلك، ويعد التهمة عن أبناء القبائل الشريفة والرفيعة، وحين يقع ظلم على رجل ينتمي إلى قبيلة وضيفة فإن المتعصب لا يجد في نفسه الحماسة

للدفاع عنه ومناصرته، ربما لأنه يعتقد أنه لا يُعقل أن يكون مظلوماً، أو يعتقد أن من المؤكد أنه هو الذي تسبب في إيقاع الظلم على نفسه، ويحاول المتعصب الابتعاد في معاملاته وعلاقاته الاجتماعية عن أفراد القبيلة المنحطة وذلك خوفاً من العار أو الأذى أو الخيانة، وينظر إلى ابن القبيلة المنحطة على أنه غير موثوق في كلامه، ويفسر الغامض منه تفسيراً سيئاً، كل ذلك يتم من خلال الرؤية الإجمالية، ومن غير أدلة وبراهين يمكن الاعتماد عليها، وهذا يشكل في الحقيقة نوعاً من التمييز الشبيه بالتمييز العنصري، فالتعصب يقسم أبناء الملة الواحدة إلى طبقتين متميزتين: طبقة القبائل النبيلة ذات الحسب والنسب والتفوق والشرف، وطبقة القبائل الدنيئة الوضيعة التي لا تمت إلى المكرمات بأي صلة! وهذا من الحيف والظلم والبخس الذي تمقته الشريعة الغراء، وللأسف أصبح هذا حال مجموعة من الجماعات العاملة في حقل الدعوة تجاه الجماعات الأخرى<sup>(١)</sup>.

إن المتعصب لشيء أو ضده يتسم بالعاطفة الشديدة والميل القوي، فهو في حالة التعصب لقومه أو منطقته أو جماعته أو وطنه أو أفكاره.. لا يرى فيما يتعصب له إلا الإيجابيات والمحسن، وفي حالة التعصب ضد أي شيء فإنه لا يرى إلا المعايب والسلبيات، وهذا يعني أن المتعصب مصاب بعمى عن الحقيقة، وهو إنسان غارق في أهوائه وعواطفه، على مقدار ضعفه في استخدام عقله، ولا يعني ذلك أنه لا يفكر، إنه يفكر، ولكن الأفكار التي تتمخض عن تشغيل عقله يتم إنتاجها في إطار العواطف الجارحة التي لديه، وتكون مهمتها الأساسية ليس ترسيخ الاعتدال والإنصاف، وإنما التسويغ للميول والعواطف العمياء التي تغلي في صدر الإنسان المتعصب!

والإنسان المتعصب بعد هذا وذاك إنسان عجول، يُصدر الأحكام على الناس من غير فحص للأدلة والبراهين والأسس التي تقوم عليها تلك الأحكام، إنه مع قومه فيما يحبون ويكرهون، ومع جماعته فيما تقدم عليه، وفيما تحجم عنه، وهم في كل ذلك على صواب، ولا يحتاج ذلك إلى أدلة<sup>(٢)</sup>.

---

١- التعصب للدكتور عبد الكريم بكار، نقلاً عن موسوعة البحوث والمقالات العلمية، وانظر: مقالات وبحوث الدكتور عبد الكريم بكار للشهود ١/١٩٠.

٢- المصدر نفسه ١/١٨٩، ١٩٠.



## • علاج التعصب

١- التعصب ليس شيئاً وراثياً، لكنه يُكتسب، ويُتعلّم من البيئة المحيطة، وهذا يعني أن الإنسان كما يتعلّم التعصب، يمكنه أن يتعلّم التساهل والتسامح، وقد دلت الكثير من البحوث والدراسات على أن الشعوب والجماعات تتغير اتجاهاتها عبر الأجيال، كما تتغير أنماط التفكير لديها، فالإنسان كائن يتعلّم باستمرار، لكن الخلاص من العيوب لا يتم عن طريق المصادفة، وإنما عن طريق القصد والتخطيط والمجاهدة.

٢- للتخلص من أي ظاهرة نحتاج إلى تركيز الضوء عليها، بل نحتاج في الحقيقة إلى تشريحها، وظاهرة التعصب من الظواهر الشديدة التعقيد؛ لأنها تقوم على عقائد وأفكار ومفاهيم راسخة ومترابطة، وذات مسحة منطقية أو نصف منطقية، ومن الواضح أن التعصب يشكل نوعاً من حب الذات، ويشتمل على درجة كبيرة من الأنانية والتمحور حول النفس، وذلك لأن المرء يحب الذين يشبهونه، وينفر من الذين يتبين له أنهم مغايرون له، وهذا ينم عن غفلة شديدة أو وعي زائف، أو نفس مريضة!

٣- العودة إلى المعيار الإسلامي في التفاضل، وهو الاستقامة والنفع العام والتفوق في الأداء، ونشر هذا المعنى على أوسع نطاق.

٤- تقوية الوازع الديني، والذي يدعو إلى التوقي من ظلم الناس، وإلى تدعيم التفكير الموضوعي والمحكمة العقلية العادلة لدى الناشئة، وهذا من مسؤوليات الأسر في البيوت، ومن مسؤوليات المدارس والجامعات وكل المرافق التربوية ووسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية.

٥- تحقيق الوسائل التي تساعد على الاتصال الفعال ومنها:

أ- الحوار وتبادل الأفكار، ومناقشة القضايا والمشكلات التي تثير التعصب، والحوار وإن كان أشبه بفتح جرح التأم على فساد، وفتح الجرح مؤلم، ولكن حتى نطهره لا بد من تحمل الألم.

ب- تبادل الأنشطة ويتم اختيار الأكفأ للتمثيل بقطع النظر عن لونه وعرقه.

ج- التعليم الذي له دور أساسي في التخفيف من مشاعر التعصب عن طريق الاتصال الفعال، وقد قامت بعض الدول التي تعاني من العنصرية باتباع سياسات تعليمية بناءة في هذا المجال، وعلى سبيل المثال فقد كُلف الطلاب بإجراء بحوث متنوعة على أن يقوم بعض الطلاب السود بكتابة جزء من البحث، ويقوم الطلاب البيض بإكماله أي لا يكتمل البحث إلا من خلال تبادل المعلومات والتحدث حول منهج البحث بين الطرفين.

د- عدالة القوانين؛ لأن التمييز الأحمق يأتي من وراء القوانين الظالمة التي تمنح فئة أو فئات من الشعب امتيازات دون غيرهم، فتحقيق العدل يدفع في اتجاه الإخاء، والظلم يدفع في اتجاه التعصب والتناوب والعدوان، وهذه حقيقة راسخة يجب أخذها بعين الاعتبار.

٦- تسليط وعي الناس على التناقضات الأخلاقية التي سببها لهم التعصب؛ إذ أن كثيراً من الذين يتعصبون ضد غيرهم يؤمنون بالعدل والمساواة وكرامة الإنسان، ويحفظون الآيات والأحاديث والأقوال التي تدل على ذلك، لكن الكثير منهم لا يستفيدون منها شيئاً، وهم من وجه آخر يحبون من غيرهم أن يعاملهم على أنهم بشر أسوياء محترمون، لكنهم لا يفعلون ذلك مع الآخرين، فتوعية الناس بهذه المعاني على نحو مستمر، قد تساعد فعلاً في تخفيف حدة التعصب.

٧- نشر الروح الإيجابية والتفكير الإيجابي، إذ أن على المسلم أن يركز على رؤية الإيجابيات، وعلى ما لدى الناس من فضل وخير، ويتعلم غض الطرف عن النقائص والمفوات، فذلك أسلم لقلبه وأفضل لدينه، وأعون له على مواجهة مشاق الحياة.

إن التعصب مرض عضال مزمن، عانت منه البشرية على امتداد تاريخها الطويل، وما زالت تعاني، وستظل تعاني، ولهذا فإن طلب استئصال شأفته قد يكون من الصعوبة بمكان، ولذا كان من اللازم العمل على التخفيف من لأوائه، وهذا يحتاج إلى علاجات مركبة وعلى النفس الطويل<sup>(١)</sup>.

---

<sup>١</sup> - التعصب للدكتور عبد الكريم بكار، انظر: موسوعة البحوث والمقالات العلمية، و مقالات وبحوث الدكتور عبد الكريم بكار ١/١٩٢، ١٩٣.

## ● التعصب والعمل الإسلامي

من أخطر الأمراض التي تهدد الدعوة الإسلامية وتعوق مسيرتها: مرض التعصب، الذي يسبب في الأخير تأخير امتداد صحوة الإسلام، وتزهيد الناس في الالتزام، فيكون بذلك الحالقة التي تخلق العلاقات والأواصر بين المسلمين العاملين في هذا السبيل المبارك، وربما تخلق الدين، وهذا يستوجب وقفة متأنية أمام هذا المرض الخطير لرصد مظاهره، وبيان آثاره وأسبابه، ورسم الطريق لعلاج.

### أولاً: مظاهر التعصب في العمل الإسلامي

للتعصب الممقوت الذي ابتلي به بعض العاملين في ساحة العمل الإسلامي مظاهر متعددة منها:

١- أن الذي يعمل في دعوة أو مع حزب أو جماعة يرى أنه هو الذي على الحق، وأن غيره على الباطل، مهما كان بينهم من كثرة في نقاط الاتفاق، ومهما كان بينهم من قلة في نقاط الاختلاف قال الإمام ابن القيم في قوله تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ **فَرِحُونَ**﴾ [المؤمنون: ٥٣]: «جعلوا التعصب للمذاهب ديانتهم التي بها يدينون، ورؤوس أموالهم التي بها يتاجرون»<sup>(١)</sup>.

٢- أن الذي يسلك سبيل الدعوة الفردية مع آحاد المسلمين يفاجئه أصحاب اتجاهات أخرى يخطفون منه هذا المدعو، ويتقاتلون عليه بحجة أن الطرف الآخر سوف يضلّه ويغويه بما عليه هو من غواية وضلال، وتكون النتيجة أن يترك المدعو هذا الميدان تماماً؛ لما يراه من فرقة واختلاف بين هؤلاء الدعاة.

٣- تحويل المساجد -بيوت الله- التي بنيت للتوحيد والعبادة وذكر الله تعالى والتجمع والتصافي والتوحد بين المسلمين إلى ساحات شجار وتراشق بسبب قضايا فرعية خلافية، لم ينته الخلاف فيها سابقاً، ولن ينتهي الخلاف فيها لاحقاً، والله تعالى يقول: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ **أَحَدًا**﴾ [الجن: ١٨] فأضاف سبحانه وتعالى المساجد إلى ذاته إضافة تشريف وتكريم، وذلك يلزم الاختصاص، ثم أكد ذلك الاختصاص بقوله: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ **أَحَدًا**﴾<sup>(٢)</sup>.

٤- أن ينتصر المسلم لجماعته أو حزبه أو دعوته أو مذهبه أو مدرسته بالحق والباطل؛ فهي الحق على طول الخط حتى لو فعلت المنكرات البينات، وينتصر من غيرها دائماً حتى لو نصرت المحكمات الواضحات.

٥- أن بعض المسلمين يرى مدرسته التي ينتمي إليها مقدسة، ورجالها ملائكة معصومين، وتاريخها كله خالياً من الأخطاء مبرراً من العيوب، ولا يذكر لها إلا الحسنات والميزات حتى لو أتت أفعالاً

١- إعلام الموقعين ٧/١.

٢- انظر: التفسير الكبير ٤/ ١١، وأضواء البيان ٨/ ٣٢١، وأحكام القرآن لابن العربي ٤/ ٣٢٠، وتفسير القرطبي ١٩/ ٢٠.

تسببت في تأخر الإسلام وصحته حيناً من الدهر، في حين يرى غيرها من المدارس والجماعات مدخول العقيدة، سبب المنهج، مُجرَّح الرجال، أسود التاريخ، ضيق الأفق، مضمحل الفهم، متحلل الفكر، ولا يذكر لها إلا السيئات والعيوب حتى لو كان لها في انتشار الإسلام أيادٍ بيضاء، وما أحسن ما قاله الإمام الشوكاني في تفسيره عن المتعصب: «والمتعصب وإن كان بصره صحيحاً فبصيرته عمياء، وأذنه عن سماع الحق صماء، يدفع الحق وهو يظن أنه ما دفع غير الباطل، ويحسب أن ما نشأ عليه هو الحق؛ غفلةً منه وجهلاً بما أوجبه الله عليه من النظر الصحيح، وتلقّي ما جاء به الكتاب والسنة بالإذعان والتسليم، وما أقل المنصفين بعد ظهور هذه المذاهب في الأصول والفروع؛ فإنه صار بما باب الحق مرتجاً، وطريق الإنصاف مستوعرة، والأمر لله سبحانه والهداية منه.

يأبى الفتى إلا اتباع المهوى ومنهج الحق له واضح»<sup>(١)</sup>

٦- أن هذا الفريق لا يعجبه علماء الفريق الآخر حتى لو صدع بالحق؛ بينما إذا تبين خطأ علمائه هو التمس لهم العذر وهون من ضلالتهم في القول والفتوى؛ فعلماءه مبرؤون حتى لو ضلوا وأضلوا، وعلماء غيره مدانون حتى لو كان لهم الفضل في رفع كلمة الإسلام زمناً ما، ونسي هؤلاء وأولئك هيبة العلماء، وأن القضايا العلمية الكبيرة لا شأن للصغار بها، وأن لحوم العلماء مسمومة، وهذا المظهر للأسف ربما وجدناه عند بعض العلماء أصحاب الاتجاهات والانتماءات المختلفة.

٧- ربما تعاون أبناء فصيل معين من الدعاة وتحالفوا مع عدو خارجي من أعداء الإسلام لضرب فصيل آخر مسلم عامل في الساحة، ليعملوا سوياً على إذهاب ريحه، وإنهاء وجوده؛ حتى يخلو لهم الجو، وتفرغ لهم الساحة؛ ليمارسوا دعوتهم في جو آمن من التراشق والمضايقات، حال من التنافس والمشاحنات.

## ثانياً: أثر التعصب على العمل الإسلامي

من البديهي أن يكون لهذه المظاهر آثار مدمرة على كل المستويات سواء على مستوى الدعوة الخاص، أو مستوى الإسلام العام، ومن أبرز هذه الآثار ما يلي:

١- تأخر وتخلّف الحركات بهذا التعصب؛ لأنه -وقد رأها أصحابها معصومة فوق النقد والمراجعة- سوف يقفز الزمان عليها ويتخطاها بأزمان ليرتاد آفاقاً غيرها بما مات فيها من نقد ذاتي يحمي الحركات والدعوات، ويقوي ضعفها ويشد على أيديها.

٢- الكراهية والتدابير والتحاسد والتباغض الذي سيسري بين أبناء الدعوة الإسلامية من جراء هذه المراسقات، ونتيجة تلك الاختلافات الفرعية، وهو أمر يوقع في مخالفة نصوص متفق عليها مثل حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"إياكم والظن فإن الظن**

<sup>١</sup> - فتح القدير ٢/٢٤٣.

أكذب الحديث، ولا تحسبوا، ولا تجسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخواناً"<sup>(١)</sup> وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث أيام"<sup>(٢)</sup>.

٣- إيقاع الوهن والتفكك في جسد الدعوة الإسلامية، وربما تعدى ذلك إلى عموم المسلمين، وهو ما يوقع أيضاً في مخالفة نصوص صريحة متفق عليها أبرزها حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"<sup>(٣)</sup>، وما رواه جابر رضي الله عنه عندما قال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "ما بال دعوى أهل الجاهلية؟ ثم قال: ما شأنهم؟ فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري، قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: دعوها فإنها خبيثة"<sup>(٤)</sup>.

٤- تهديد الناس في الالتزام بالإسلام، أو الالتزام مع هذه المدارس والمذاهب للعمل للإسلام؛ لما يرونه من تراشق وتشاحن، هذا يحارب ذاك وينشر عنه الافتراءات والأكاذيب ويكيد له، وذاك يتهم هذا ويتنسى له الخطأ ويُسمّع به، فيقف الجمهور المسلم في حيرة: أيهم على صواب، وأيهم على خطأ، ولماذا كل هذا، وفي صالح من هذا؟ وربما تعدى هذا التهديد إلى الإسلام ذاته فيتشكك الناس في الإسلام؛ فهل منهج الإسلام السمع وشريعته الغراء وتشريع الواسطي يفرّخ هذا التعادي والتحاقد، ويولّد هذا التنافر والتباغض؟

٥- الانكفاء على قضايا الداخل الذاتية الصغرى، وإهمال القضايا المصيرية الكبرى التي تتعلق بواقع الأمة ومستقبلها؛ لأن جميع الفصائل مشغولة بكيفية انتصار بعضها على بعض، ناسين أو متناسين الأخطار المحدقة بالأمة التي توجب عليهم أن يتكاتفوا ليتصروا عليها وما أكثرها.

٦- طمع الأمم في أمة الإسلام؛ لأنها أصبحت أمة ضعيفة الجسد مترهلة البنيان ليست جسداً قوياً، ولا بنياناً مرصوباً، ومن ثم فالدائرة تدور عليها؛ لأن السنن الإلهية الجارية لا تحابي أحداً، فالأمة القوية التي تأخذ بأسباب القوة والنصر والوحدة ينصرها الله ولو كانت كافرة فاجرة، والأمة الضعيفة التي تهمل أسباب القوة والنصر يخذلها الله ولو كانت مؤمنة تقية.

١- أخرجه البخاري ٢٢٥٣/٥ برقم: ٥٧١٧، ومسلم ١٩٨٥/٤ برقم: ٢٥٦٣.

٢- أخرجه البخاري ٢٢٥٣/٥ برقم: ٥٧١٨، ومسلم ١٩٨٢/٤ برقم: ٢٥٥٨.

٣- رواه مسلم ١٩٩٩/٤ برقم: ٢٥٨٦، عن النعمان بن بشير.

٤- رواه البخار ٣/ ١٢٩٦ برقم: ٣٣٣٠، ومسلم ١٩٩٨/٤ برقم: ٢٥٨٤.

٧- ومن الآثار الخطيرة التي تدخل على آخرة المسلم بالخراب والبوار هو كسب السيئات التي يجنيها المسلم من وقوعه في عرض أخيه الذي ينتمي إلى غير مذهبه وجماعته بالهمز واللمز، والغيبة والنميمة، والسخرية والاستهزاء، وأكله للحوم العلماء في الطوائف الأخرى، وغير ذلك من أبواب السيئات.

٨- معاداة من لا ينتمي إلى نفس التوجه والتكتل، فيعادون من لم يكن في تكتلهم وفي منهجهم ولو كان أحياناً مسلماً صالحاً، فهم يعادونه لأنه لم ينضم لهذا التكتل.

٩- الهيمنة الفكرية وعدم إعطاء الحرية للأفراد: إذ يفرض على كل فرد من الأفراد أن يتبنوا أي رأي تتبناه الحركات مهما كان هذا الرأي، وإذا لم يقتنع ذلك الفرد بذلك الرأي فهو بين تهميش وتحذير منه وإقصاء وطرده ولعن وغضب.

### ثالثاً: أسباب التعصب في العمل الإسلامي

لا شك أن خلف كل دخان ناراً، ولكل داء دواء؛ فإذا تم تشخيص الداء والوقوف على أسبابه سهل علينا وصف الدواء، فوضع اليد على الأسباب هو نصف طريق العلاج كما يقولون، ومن أهم أسباب هذا التعصب الممقوت ما يلي:

١- اتباع الهوى والإعجاب بالرأي: وهو من أسباب التعصب القوية؛ فمن لم يتبع الكتاب والسنة، وأعجب برأيه فلن يتبع الحق مهما ظهر بدليله؛ لأن طبيعة متبع هواه والمعجب برأيه إذا علم أن رأيه خطأ ألا يتنازل عنه ولا يعترف بالحق بل يتمسك بخطئه، ويزداد عناداً وإصراراً عليه، وإذا علم أن رأيه غيره صواب فلا يعترف به حتى لو كان واضحاً وضوح الصبح لذي عينين.

٢- تحقيق مآرب شخصية ومصالح دنيوية، وهذا السبب يقتصر على الذين يلتحقون بالحركات العاملة لتحقيق مآرب شخصية، ومصالح نفعية، وأهداف دنيوية، كالطبيب الذي يريد أن يوسع دائرة مرضاه، والمحامي الذي يريد أن يكسب ثقة الناس حتى يتشاكوا إليه، والعالم الذي يريد أن يوسع دائرة شهرته ليجد لإنتاجه وكتبه وخطبه مريدين وقراءً ومستمعين وهكذا... فهذا الشخص لن ينظر إلى الحق والباطل، ولا إلى الخطأ والصواب، إنما هو ينصر الاتجاه الذي انتمى إليه ويتعصب له من أجل تحقيق مآربه ومصالحه بصرف النظر عن قضية الحق والباطل، وبعيداً عن تصحيح المسار والنقد الذاتي والتقويم النفسي؛ لأن هذا ليس هو أكبر همه، وربما أبدى اهتمامه بذلك أحياناً ليبين مدى تفانيه في العمل، وإرادته الخير لما انتمى إليه من مذهب، ولكن هذا كله لا يلبث أن يظهر مع العقبات، وسرعان ما يزول مع الابتلاءات التي يمتحن بها أهل الدعوات: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

٣ - الجهل بمذاهب الفقهاء، وهذا سبب من أكبر أسباب التعصب الممقوت، وهو سبب رئيس من أسباب التناحر والتباغض والتنافر والتدابير بين أبناء الدعوة الإسلامية؛ إذ أن عدم الاطلاع على مذاهب الفقهاء وآرائهم في مسألة ما يؤدي إلى التعصب لمذهب بعينه؛ لأنه لا يعلم سواه، ومن ثم ينظر لمن يخالفه على أنه جاهل لا علم له، وعلى أنه مخالف للسنة والهدي النبوي، في حين أنه لو اطلع على المذاهب الأخرى لعلم أنها قضية خلافية يسعهم فيها ما وسع الأئمة الكبار من قبلهم، ولعل هذا النوع من الجهل هو أهم أسباب المشاحنات والمشادات في المساجد التي تمتلئ عند المسلمين بالاختلاف نتيجة الجهل المطبق بالأحكام الفقهية الفرعية العملية، والحل لهذا هو الاطلاع الفقهي الواسع على مثل ذلك، مع الرد في المختلف فيه إلى الكتاب والسنة والإجماع الثابت، والإنكار يكون فيها بإبراز الحجج العلمية، والالتزام بأدب الخلاف، مع مراعاة الحال والواقع..

٤ - اتباع الأشخاص والهيئات، وعدم الإذعان للحق بدليله؛ فمن يتبع شخصاً أو حزباً أو جماعة أو دعوة أو مؤسسة ويرى أنها لا تخطئ في العمل أو تضل في الرأي يتعصب لها تعصباً شديداً، ويحمل حملة لا هوادة فيها على من يحاول نقدها أو تصحيح وتقويم مسارها حتى لو كان من أبنائها، وكذلك إذا وثق في علم عالم، ورجاحة عقله وفقهه للنص الشرعي وإدراكه للواقع العملي فإنه يرى أنه لا ينطق عن الهوى ولا يفتي إلا بالحق ولا يقول إلا الصدق ولا يقع منه زلل في القول أو العمل ولا يصدر عنه خطأ في الفتوى أو الحكم ولا يُظن به خطأ في الرأي أو التصور، ومن ثم لا يجري عليه ما يجري على البشر، في حين أنه لم توجد -على امتداد التاريخ- هيئة أو مؤسسة أو جماعة إلا ولها أخطاؤها وإخفاقاتها، ولم ولن يوجد عالم إلا وله زلاته وكبواته، ويأبى الله إلا أن تكون العصمة له ولكتابه ورسوله، ولهذا وصف الإمام ابن القيم أهل العلم والعدل والقسط بكونهم: «زاهدين في التعصب للرجال، واقفين مع الحجة والاستدلال، يسرون مع الحق أين سارت ركائبه، ويستقلون مع الصواب حيث استقلت مضاربه، إذا بدا لهم الدليل بأخذته طاروا إليه زرافاتٍ ووحداناً، وإذا دعاهم الرسول إلى أمر انتدبوا إخراج المتعصب عن زمرة العلماء إليه ولا يسألونه عما قال برهاناً»<sup>(١)</sup>.

### رابعاً: علاج التعصب في العمل الإسلامي

لم يُعد خافياً على كل ذي نظر عميق وفهم دقيق، ملامح العلاج وأهم معالمه؛ فبالإضافة إلى تلافي الأسباب يكون العلاج بالآتي:

١ - الفهم السليم لطبيعة العمل في فضائل الدعوة الإسلامية، وهو أن كل الفصائل والحركات - التي يجوز العمل من خلالها - مكملة لبعضها، ومتعاونة ومتضافرة فيما بينها، وليست متنافرة ولا مختلفة، الكل يبغى نصرة الإسلام، وإعلاء كلمته ورفع رايته، ومن ثم فلا يضير أن تقوم دعوة من

<sup>١</sup> - إعلام الموقعين ١/ ٦، ٧.

الدعوات أو حركة من الحركات تهتم بالعمل الخيري، وأخرى تهتم بجمع الناس في المساجد وحشدتهم لفعل الخير، وأخرى تهتم بالعمل العام، وأخرى تُذكر بقضايا الأمة الكبرى، وأخرى تهتم بالعمل الاقتصادي أو السياسي، وهكذا... فلا تنكر هذه على تلك، ولا تنقم تلك من هذه؛ لأنهم فهموا أنهم متعاونون على نصرته الإسلام وجمع كلمة المسلمين، فلن يعيب بعضهم على بعض التقصير في جانب دون جانب.

إن الفهم نعمة عظيمة بما تُحل كثير من المشكلات، وتزال العديد من العقبات، فلا غرو أن امتن الله بما على سليمان حين قال: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]، وكان من وصية عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري -رضي الله عنهما-: «ثم الفهم الفهم فيما أدلي إليك مما ليس في قرآن ولا سنة»<sup>(١)</sup>.

### • الفهم الصحيح نعمة

قال الإمام ابن القيم في شرحه لوصيه عمر لأبي موسى رضي الله عنهما: «وَقَوْلُهُ: (فَفَهَّمْ إِذَا أَدَلَى إِلَيْكَ) صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده، بل ما أُعطي عبد عطاء بعد الإسلام أفضل ولا أجل منهما، بل هما ساقا الإسلام، وقيامه عليهما، وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم، وطريق الضالين الذين فسدت فهمهم، ويصير من المنعم عليهم الذين حسنت أفهامهم وقصودهم، وهم أهل الصراط المستقيم الذين أُمِرْنَا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم في كل صلاة، وصحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد، يميز به بين الصحيح والفاقد، والحق والباطل، والهدى والضلال، والغى والرشاد، وبمده حسن القصد وتحري الحق وتقوى الرب في السر والعلانية، ويقطع مادته اتباع الهوى، وإيثار الدنيا، وطلب محمدة الخلق، وترك التقوى»<sup>(٢)</sup>.

٢- الخضوع التام لأحكام الشرع الحكيم، والتسليم المطلق له في كل ما يقرره.

٣- التزام جميع أبناء الجماعات والحركات بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وجعلهما الدستور والإمام والقائد والمرشد والهادي في جميع شؤون الحياة قولاً وعملاً، وتربية الأفراد عليهما.

٤- أن يكون الجميع مع الدليل في جميع موارد ومصادره لا يثني عنه شيء ولا يحول بينهم وبينه حائل.

٥- التزام منهج السلف الصالح من الصحابة الكرام والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين والسير عليه.

<sup>١</sup> - أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١٠/١٥٠ برقم: ٢٠٣٢٤.

<sup>٢</sup> - إعلام الموقعين ١/٨٧.



٦- الرد في الخلاف الفروعى إلى الله تعالى -أي: إلى كتابه- وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم أي: إلى سنته؛ لأن الله تعالى لم يتبعنا باتباع أحد من البشر وإنما تعبدنا باتباع كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فإذا ما تعارضت أقوال البشر وأفعالهم مع الشرع رُفضت مهما كان قائلها، وإذا ساغ فيها الاجتهاد بأن كان الخلاف قوياً غير ضعيف ولا شاذ ولا زلل فيه ولم يخالف نصاً واضحاً أو إجماعاً ثابتاً فلا إنكار بالقول الغليظ والحشن ولا باليد لما يراه كل واحد خلاف المترجح عنده بل يبقى الإنكار بالحجج العلمية وإقامة الأدلة والبراهين، مع احترام الاجتهاد الآخر.

٧- التزام الجميع بأصول الإسلام وفرائضه، والتفريق بين الأصول والفروع، والفرائض والنوافل، وفقه النسب بينها، واتفاقهم على معنى ومفهوم ذلك كله.

٨- التجرد في الوصول إلى الحق والعمل به، وإخلاص النية وضبطها ما أمكن، وهو ما سوف يقطع الطريق على الشيطان وأهواء النفس أن تضل أو أن تطغى، ما دام بغيتها الوصول إلى الحق بدليله، والانغماس في العمل بعيداً عن النقاشات الحادة والجدال الذي لا يأتي بخير.

وما دام العاملون يتميزون بالإخلاص والتجرد في طلب الحق فلن يتردد أحدهم في اتباعه متى ظهر حتى لو كان على لسان غيره من الاتجاهات أو الحركات.

٩- الحذر من الاستبداد بالرأي وإتاحة الحرية للاجتهاد والتفكير، فقد كان الأئمة رحمهم الله يبذلون أقصى جهودهم للوصول إلى الحق في المسائل الاجتهادية ومع هذا لم يكونوا يقطعون بأن اجتهادهم هو مسك الختام والأمر الذي لا يجوز خلافه قطعاً، بل كانوا يحتاطون احتياطاً لازماً عند إبداء آرائهم في المسائل، ويخافون في ذلك مخالفة النصوص الصريحة من الكتاب والسنة، ولأجل هذا نصوا على الرجوع إلى السنة عند ظهور مخالفتهم إياها، وأوصوا تلاميذهم وأصحابهم بترك أقوالهم المخالفة لها وهي مستفيضة في مكائدها، وكذلك لا يتصور أن إماماً من الأئمة الأعلام مهما بلغ من العلم والحفظ والضبط والإتقان والفضل والوجاهة يستقل بالحكم على الشيء ويستبد برأيه ويفرضه على الآخرين فرضاً، والله عز وجل يقول: ﴿تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦] وقال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

لقد كان الأئمة أبعد من أن يتصفوا بصفة الاستبداد بالرأي وفرضه على الآخرين، وكانوا يدورون حيث دار الحق بكل أمانة وإخلاص، فالحق ليس محصوراً في رأي أحد قطعاً إلا النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم، وما أحسن ما ورد عن الإمام أبي حنيفة من قوله عند الإفتاء: هذا رأي النعمان بن ثابت -يعني نفسه- وهو أحسن ما قدرت عليه فمن جاء بأحسن منه فهو أولى بالصواب، ونقل عن الإمام الشافعي أنه قال: ما ناظرت أحداً إلا قلت: اللهم أجر الحق على قلبه ولسانه فإن كان الحق معي اتبعني وإن كان الحق معه اتبعته، وانطلاقاً من هذا المبدأ العادل من حرية التفكير وتقدير

رأي الآخرين اختلف الأئمة فيما بينهم، واختلف أصحابهم معهم أيضاً، فقد اختلف أبو يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني مع شيخهما الإمام أبي حنيفة حتى في الأصول-أصول المذهب-، قال السبكي: فإنهما يخالفان أصول صاحبهما، وقال ابن خلكان في ترجمة أبي يوسف: كان الغالب عليه مذهب أبي حنيفة وخالفه في مواضع كثيرة، وقال إمام الحرمين الجويني: استنكف محمد بن الحسن وأبو يوسف عن متابعتهم في ثلثي مذهبه ووافقا الشافعي رحمهم الله في أكثر المسائل، وقال السيوطي: وكذلك ابن وهب وابن الماجشون والمغيرة بن أبي حازم ومطرف بن كنانة لم يقلدوا شيخهم مالكا في كل ما قال بل خالفوه في مواضع واختاروا غير قوله، وكذلك القول في المزني وأبي عبيد بن حنبل وابن خزيمة وابن سريج فإن كلاً منهم خالف إمامه الشافعي في أشياء واختار فيها غير قوله، وهكذا أصحاب الإمام أحمد رحم الله الجميع.

قال الإمام محمد بن إسماعيل المعروف بالأمير الصنعاني بعد أن ذكر الكلام السابق في هذه الفقرة: «يتضح من هذا أن اجتهاد المجتهد ورأيه لا يمكن أن يكون بمثابة حكم الله عز وجل؛ ولو كان كذلك لما ساغ لأصحاب الأئمة أن يخالفوا آراء شيوخهم، وهكذا كان الفقه الإسلامي في القرون المشهود لها بالخير في ازدهار مستمر ونمو متواصل وتقدم دائم، وكانت اجتهادات الأئمة بين الأخذ والعطاء والرد والقبول حتى في أوساط أصحابهم، إلى أن فشا التقليد في نصف القرن الرابع وبدأ التعصب المذهبي يبيض ويفرخ، ويصور الحكيم ولي الله الدهلوي ما حدث في الناس بعد المائة الرابعة قائلاً: ولم يأت قرن بعد ذلك إلا وهو أكثر فتنة وأوفر تقليداً وأشد انتزاعاً للأمانة من صدور الرجال، حتى اطمأنوا بترك الخوض في أمر الدين وبأن يقولوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣] وإلى الله المشتكى وهو المستعان وبه الثقة وعليه التكلان»<sup>(١)</sup>.

وكان عبد الله بن أحمد بن حنبل يحكي عن أبيه أنه قال: «قال لنا الشافعي: أنتم أعلم بالحديث والرجال مني، فإذا كان الحديث صحيحاً فأعلموني كوفياً كان أو بصرياً أو شامياً؛ حتى أذهب إليه إذا كان صحيحاً»<sup>(٢)</sup>.

١٠- ضرورة الاطلاع على الخلاف الفقهي، وهي واحدة من أهم معالم طريق العلاج لهذه الآفة الخطيرة؛ فما أكثر المصارعات التي تحدث وسببها أن أحد الأطراف أو أغلبها لا يكون عالماً بأن القضية اجتهادية، وإنما كان الاطلاع على الخلاف الفقهي ضرورة؛ لأنه بدون هذا الاطلاع لن يكون هناك كبير اتفاق بين أبناء الدعوة، وسيظل العراك مشتعلًا، والشجار محتدماً، ووجه الصواب خافياً ما لم يتفقه العاملون في دينهم، ويتعمقوا في مصادر الشريعة ومواردها، وما لم يطلعوا على الخلاف الفقهي من مصادره المعتمدة بحججه وبراهينه، مثل كتب الفقه المقارن وكتب الأصول والقواعد، ولا

<sup>١</sup> - إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد لمحمد بن إسماعيل الصنعاني، ١/١٣-١٦.

<sup>٢</sup> - تاريخ مدينة دمشق ٣٨٥/٥١.

يعني هذا أن الخلاف حجة في نفسه، إذ ليس وجود الخلاف في المسألة دليلاً على الجواز والمنع في حكم المسألة كما هو شأن البعض إذا ذكرت له حكم المسألة قال هي خلافية، وإنما يفيد عدم التعصب للرأي في المسألة؛ لأن وجود الخلاف فيها يُجري احتمال مرجوحية ما ذهب إليه، وهذا ما جعل ابن القيم يقول: «ومن له قدم راسخ في الشريعة ومعرفة بمصادرها ومواردها، وكان الإنصاف أحب إليه من التعصب والهوى، والعلم والحجة آثر عنده من التقليد لم يكذب يخفى عليه وجه الصواب»<sup>(١)</sup>.

١١- الاحترام المتبادل ومراعاة أدب الخلاف، وهو مَعْلَم ينبثق عن سابقه مباشرة، ويترتب عليه؛ فإذا تم الاطلاع على الخلاف الفقهي وجب الاطلاع على أدب الخلاف، وسيرة الفقهاء القدماء والمعاصرين الذين اختلفوا في الرأي مع بعضهم، وسيرة السلف الصالح، بل سيرة الصحابة أنفسهم، ولم يكن ذلك أبداً سبباً في إضعاف الحب بينهم، أو النيل من تقدير بعضهم لبعض، ولعلنا نحفظ العبارة التي رويت عن الأئمة: «رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأيي غيري خطأ يحتمل الصواب»، ومعنى «رأيي صواب»: أي لذلك قلت به وإلا فلا، ما دام يغلب عليه الظن بالصواب، ومعنى «ورأيي غيري خطأ»، أي وإلا لقلت به ما دام يغلب عليه الظن بالخطأ؛ لأنه ليس هناك قطع بأفضلية أحد على أحد، وكل أحد يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولا أحد في الإسلام يجيب المسلمين كلهم بجواب عام أن فلاناً أفضل من فلان فيقبل منه هذا الجواب؛ لأنه من المعلوم أن كل طائفة ترجح متبوعها، فلا تقبل جواب من يجيب بما يخالفها فيه، كما أن من يرجح قولاً أو عملاً لا يقبل قول من يفتي بخلاف ذلك، لكن إن كان الرجل مقلداً فليكن مقلداً لمن يترجح عنده أنه أولى بالحق، وإن كان مجتهداً اجتهد واتبع ما يترجح عنده أنه الحق، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وقد قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، لكن عليه أن لا يتبع هواه، ولا يتكلم بغير علم، قال تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ [آل عمران: ٦٦]، وقال تعالى: ﴿يَجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ [الأنفال: ٦]، وما من إمام إلا له مسائل يترجح فيها قوله على قول غيره، ولا يعرف هذا التفاضل إلا من خاض في تفاصيل العلم»<sup>(٢)</sup>. فانظر كيف كان عند كل واحد منهم احتمال وجود الخطأ في رأيه، وصواب رأي غيره، وهذا فيه من رحابة الصدر وسعة الأفق ما يمحو التعصب، ويهيئ المسلم لاتباع الحق والانصياع له متى ظهر بدليله، وهو من عظيم أخلاق العلماء وطلاب العلم، فضلاً عن العاملين في ساحة العمل الإسلامي.

١- إعلام الموقعين ٤/٣٢.

٢- الفتاوى الكبرى ج ١/ص ٤٨٢، ٤٨٣.

١٢- أن يقوم على هذه التكتلات الدعوية مجموعة من العلماء العارفين العاملين المخلصين؛ لأن مشكلة الكثير من التكتلات الدعوية في العالم الإسلامي هي إما فقدانها للعلماء الكثيرين إذ لا يكفي واحد أو اثنان أو ثلاثة أو خمسة أو عشرة، وإما تهميشهم وإضعاف دورهم وكلمتهم.

١٣- إعطاء الحرية العلمية للأفراد: فينبغي على أي تكتل إسلامي صحيح أن يعطي للأفراد حريتهم العلمية.

١٤- أن يفهم أفراد كل التكتلات الإسلام فهماً صحيحاً في كل فروع وأصوله ويربون أنفسهم على ذلك.

١٥- الاهتمام الأكبر بالنوع لا بالعدد، فمن عيوب بعض التكتلات الدعوية الاهتمام الأكبر بالعدد لا بالنوع، فتجمع الغث والسمين، صحيح أن الجماعات الدعوة ليست حكراً على أحد، لكن لا بد أن يكون حملة هذه الرسالة ومن ينبري إلى ذلك على حظ وافر من الدين والخلق بحيث يكون سلوكه وعمله وهيبته نموذجاً يُقتدى به فيكون الشخص بذلك عضواً فعالاً ومؤثراً ومصلحاً؛ لأن البعض ربما أفسد أكثر مما يصلح.

١٦- الحذر من الابتداع في الدين.

١٧- الموازنة في الله والمعاداة فيه.

١٨- التعامل الإيجابي مع تراثنا الإسلامي - على اختلافه وتنوعه - بأن ننظر إليه نظرة شمولية متوازنة نافعة، بلا إقصاء ولا إغماط، وبلا تقزيم ولا مبالغة، وبلا تعصب أعمى، فنستفيد من إيجابياته فنأخذ بها، ونعتبر بسلبياته فنتعلم منها ونتجنبها، بلا مخاصمات ولا مزایدات.

١٩- الحرص و السعي الجاد لإيجاد إرادة تغيير لدى السياسيين والعلماء والجماهير الإسلامية لتقبل مشروع مقاومة التعصب الدعوي، على مستوى الأفكار والمشاعر والأفعال، ويتم ذلك بناء على اتفاق مُسبق بين كل الأطراف المعنية.

٢٠- سؤال أهل العلم المنصفين عن دواء ما أصابه من التعصب فإنه سيجد عندهم من الأدوية ما هو أسرع كشفاً وأقرب نفعاً وأنجع براً مما يجده العليل عند الأطباء.

٢١- تذكر البشرية وأن كل إنسان يخطئ ويصيب، ولا عصمة لأحد من البشر كائناً من كان، حتى العلماء والدعاة والقادة والأمراء؛ لأن كثيراً من الأتباع يعتقدون أن ما يقوله أميرهم وقائدهم وحزبهم وجماعتهم هو الحق الذي يجب اتباعه ولا يجوز الخروج عنه، ولو تيقنوا أن هذا القائد والأمير والعالم بشر يخطئ ويصيب لما سفه أحد غيره، وعظم صاحبه وحقر غيره، فهؤلاء الأئمة الأربعة أئمة الهدى ومصابيح الدجى أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد قد أرشدوا إلى اتباع الكتاب والسنة ورد ما وجد من أقوالهم يخالفهما مع تتبعهم الكبير للدليل وحرصهم على موافقته، ولم يأمرؤا بالتعصب لها؛ لعلمهم أن كل بشر يؤخذ من قوله ويرد إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم.

قال الإمام محمد سعيد صفر المدني المحدث الحنفي في نظمه (رسالة الهدى):

وقول أعلام الهدى لا يعمل	بقولنا بدون نص يقبل
فيه دليل الأخذ بالحديث	وذاك في القديم والحديث
قال أبو حنيفة الإمام	لا ينبغي لمن له إسلام
أخذ بأقوالي حتى تُعرضا	على الكتاب والحديث المرتضى
ومالك إمام دار الهجرة	قال وقد أشار نحو الحجرة
كل كلام منه ذو قبول	ومنه مردود سوى الرسول
والشافعي قال إن رأيتم	قولي مخالفاً لم رويتم
من الحديث فاضربوا الجدارا	بقولي المخالف الأبحارا
وأحمد قال لهم لا تكتبوا	ما قلته بل أصل ذلك فاطلبوا
فاسمع مقالات الهداة الأربعة	واعمل بها فإن فيها منفعة
لقمعهما لكل ذي تعصب	والمنصفون يكتفون بالنبي

إلى أن قال:

وقال بعض لو أتتني مائة	من الأحاديث رواها الثقة
وجائني قول عن الإمام	قدمته يا قبح ذا الكلام
من استخف عامدا بنص ما	عن النبي جا كفرته العلماء
فليحذر المغرور بالتعصب	من فتنة برده قول النبي <sup>(١)</sup>

فالعجب كل العجب ممن يغالون في أثمتهم ويعتقدون عصمتهم وهم بشر ينتخمون ويتعرقون ويخرج منهم الغائط الذي تأنف النفوس منه، ولقد أنكر الله تعالى على النصارى الغلو في عيسى بن مريم وأمه فقال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥] فقوله: ﴿يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ كناية عن وقضاء الحاجة؛ لأن من يأكل الطعام يحتاج إلى التغوط، ومن كان كذلك فكيف يُجعل إله يعبد، فانظر إلى إنكار الله تعالى عليهم الغلو في البشر وتألّيهم، وإنما عصم الأنبياء لا لعملهم الغيب وإنما لتسديد الوحي لهم، وأما هؤلاء الأئمة من البشر فلا عصمة لأحد منهم لأن الوحي قد انقطع ومن ادعى أن أماماً معصوماً فقد أعظم على الله الفرية وأتى بإفك عظيم.

<sup>١</sup> - انظر: الإعلام بالكتب المؤلفة في أحاديث الأحكام ١/٧٦، وجامع المقدمات العلمية لمهمات الكتب والمصنفات الشرعية ٣/٨٣.

٢٢- سعة القلوب والعقول وتقدير اجتهادات الآخرين، وأن يشغل كل منا بعبوبه وسلبياته، وتحسين الظن بالآخرين؛ وإجابة الدعوات والإكثار من الزيارات، واللقاءات الدورية، والندوات المشتركة، والاجتماعات التي تقرب من وجهات النظر، والتثبت من أي كلام يسمع، وما صح من المنقول إلينا علينا أن نحمله على أحسن وجه، والعفو والصفح عن الزلات، والحذر من الغيبة، ومنع الأتباع من نقل الأخبار عن الغير، وكل ذلك سيق بيانه في علاج التفرق.

أخيراً: فإن التغلب على التعصب الممقوت وآثاره هو مسؤولية الجميع داخل وخارج تيارات أبناء الدعوة الإسلامية؛ فإن العلماء والفقهاء والدعاة المنتمين لهذه التيارات وغير المنتمين لها مدعوون لتفعيل القيم الإسلامية سالفه الذكر لحماية الدعوة وتحقيق أهدافها، إضافة إلى قيم الشورى والعمل الجماعي، وأن يقتنعوا بأن تضمينها في المناهج التربوية يعد من الوسائل الناجعة في مغالبة التخلف والجمود والظلم لأمتنا، وأن يحثوا الأمة على ذلك، وتصدر الإشارة إلى أن هناك الكثير من أبناء الدعوة الإسلامية في مختلف فصائلها يدركون أبعاد العمل الإسلامي ومرامييه، ويفقهون القضايا الخلافية مطلعين على آراء الفقهاء، فاهمين طبيعة العمل ضمن فصائل الدعوة المتعددة، متخلقين بأخلاق الإسلام من آداب الخلاف، واحترام لآراء الغير، واستعداد لقبول الرأي الآخر متى كان حقاً<sup>(١)</sup>، لكن العمل والعمل والتنفيذ والتنفيذ، والحذر من الطرف الآخر لهذه التيارات.

فلا بد من نبذ التعصب بكل أنواعه وطرقه ووسائله، والتمسك بأخوة الدين وحبل الله المتين، والحمد لله رب العالمين.

---

١- انظر للموضوع: التعصب الممقوت وآثاره على العمل الإسلامي لوصفي عاشور أبو زيد مجلة البيان ٢٢٣ / ٨، والتعصب المذهبي في التاريخ ٢٧٤/١، ٢٧٥ نقلاً عن سلسلة الهدى والنور للألباني ٣٢٢/١، ٣٢٠، وأدب الطلب ٩١/١.

## المبحث الخامس: الخروج والإعراض

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:

وفيه السبب السابع وهو الخروج بالسلاح

المطلب الثاني:

وفيه السبب الثامن وهو الإعراض عن شكر النعمة

## المطلب الأول: وفيه السبب السابع وهو الخروج بالسلاح

لقد شدد الرسول صلى الله عليه وسلم في عدم الخروج بالسلاح؛ لأن الخروج بالسلاح يشعل ويشير فتيل الفتنة والضرر المترتب على الفتنة كبير جداً وذو مفسدة عظيمة، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"من حمل علينا السلاح فليس منا"**<sup>(١)</sup>، وفي رواية لأبي موسى: **"من شهر علينا السلاح فليس منا"**<sup>(٢)</sup>، وفي رواية: **"من سل علينا السلاح فليس منا"**<sup>(٣)</sup> وعن أبي بكره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"إذا المسلمان حمل أحدهما على أخيه السلاح فهما على جرف جهنم فإذا قتل أحدهما صاحبه دخلاها جميعاً"**<sup>(٤)</sup>، وعن الأحنف بن قيس قال: ذهبت لأنصر هذا الرجل -علي بن أبي طالب رضي الله عنه- فلقيني أبو بكره فقال: أين تريد؟ قلت: أنصر هذا الرجل، قال: ارجع فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **"إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، قلت: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصاً على قتل صاحبه"**<sup>(٥)</sup>، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح فإنه لا يدري لعل الشيطان يترغ في يده فيقع في حفرة من النار"**<sup>(٦)</sup>، وفي رواية: **"لا يمشين أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدري أحدكم لعل الشيطان يترغ في يده فيقع في حفرة من نار"**<sup>(٧)</sup>، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: **"من أشار إلى أخيه بحديدته فإن الملائكة تلعنه حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه"**<sup>(٨)</sup>.

وقال ابن الزبير: **"من رفع السلاح ثم وضعه فدمه هدر"**<sup>(٩)</sup>، قال الإمام المناوي: **"أي: من أخرجه من غمده للقتال وأراد بوضعه ضرب به ذكره الديلمي وابن الأثير"**<sup>(١٠)</sup>، وقال الفيروزآبادي: **"أي: قاتل في الفتنة، وليس معنى قوله: (ثم وضعه) أنه وضعه من يده"**<sup>(١١)</sup>، وتأوله الفضل بن موسى على وضعه إياه في الذي شهره عليه وصححه الطحاوي<sup>(١٢)</sup>.

١- رواه البخاري ٢٥٢٠/٦ برقم: ٦٤٨٠، ومسلم ٩٨/١ برقم: ٩٨.

٢- رواه ابن ماجه ٨٦٠/٢ برقم: ٢٥٧٧، صححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ٨٥/٢ برقم: ٢٠٩٠.

٣- رواه الدارمي ٣١٥/٢ برقم: ٢٥٢٠، قال حسين سليم أسد: «إسناده صحيح».

٤- رواه مسلم ٢٢١٣/٤ برقم: ٢٨٨٨.

٥- رواه البخاري ٢٥٢٠/٦ برقم: ٦٤٨١، ومسلم ٢٢١٣/٤ برقم: ٢٨٨٨.

٦- رواه البخاري ٢٥٩٢/٦ برقم: ٦٦٦١، ومسلم ٢٠٢٠/٤ برقم: ٢٦١٧.

٧- رواه أحمد ٣١٧/٢ برقم: ٨١٩٧، قال شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

٨- رواه مسلم ٢٠٢٠/٤ برقم: ٢٦١٦.

٩- رواه النسائي ١١٧/٧ برقم: ٤٠٩٩، قال الشيخ الألباني: «صحيح موقوف».

١٠- فيض القدير ١٦٠/٦.

١١- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١/ ١٥٧٩.

١٢- شرح مشكل الآثار ٣/٣٢٦.



فهذه الأحاديث تنهى عن حمل السلاح على المسلمين لقتالهم به بغير حق كالقتال للعصبية والقبيلة والمناطية ونحو ذلك من أمور الدنيا؛ لما في ذلك من تخويفهم وإدخال الرعب عليهم ونزع الشيطان بينهم، وكأنه كنى بالحمل عن المقاتلة أو القتل للملازمة الغالبة.

قال ابن دقيق العيد: «يحتمل أن يراد بالحمل ما يضاد الوضع ويكون كناية عن القتال به، ويحتمل أن يراد بالحمل حمله لإرادة القتال به لقرينه قوله: "علينا"، ويحتمل أن يكون المراد حمله للضرب به، وعلى كل حال ففيه دلالة على تحريم قتال المسلمين والتشديد فيه»<sup>(١)</sup>؛ لأن من حق المسلم على المسلم أن ينصره ويقاوم دونه لا أن يربعه بحمل السلاح عليه لإرادة قتاله أو قتله.

قال ابن حجر: «وقد أخرج البزار في حديث القاتل والمقتول في النار زيادة تبين المراد وهي: "إذا اقتتلتم على الدنيا فالقاتل والمقتول في النار" ويؤيده ما أخرجه مسلم بلفظ: "لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس زمان لا يدري القاتل فيم قُتل ولا المقتول فيم قُتل، فقليل كيف يكون ذلك؟ قال: المخرج القاتل والمقتول في النار"<sup>(٢)</sup>.

قال القرطبي: «فبين هذا الحديث أن القتال إذا كان على جهل من طلب الدنيا أو اتباع هوى فهو الذي أريد بقوله: "القاتل والمقتول في النار"<sup>(٣)</sup>.

إلا أنه صلى الله عليه وسلم لم يأمر الناس أن يستنيموا للظلم الواقع عليهم ويتركوا مجاهدة الظلم والظلمة والفساق بوسائل أخرى غير الخروج بالسلاح<sup>(٤)</sup>، فقد قال صلى الله عليه وسلم: "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه"<sup>(٥)</sup>.

إن مسألة الخروج بالسلاح من الفقه السياسي، وهي من المسائل الشائكة إلى حد كبير، فقد كان لها دورها الخطير في انقسام الأمة الإسلامية وجماعتها ونشأة الفرق والأحزاب، وهي في هذه الأيام بالذات أشد خطراً؛ لأن الأوضاع في أكثر الدول الإسلامية لا تحكمها الشريعة حكماً كاملاً، سواء أكان ذلك في طريقة تولي الإمامة، أم في الدستور الذي تحكم به، وبيان حكم الشرع في فرع يكون أصله الأساسي غير شرعي هو ترقيع، أو على الأقل لا يكون له أثر عملي في تغيير الواقع، ذلك أن القوانين المستمدة من دستور وضعي ترى ما يخالفها خروجاً على نظام الدولة، وفيه إخلال بالأمن أو خيانة للوطن، والعقوبة قد تكون الإعدام<sup>(٦)</sup>.

١- فتح الباري ٢٤/١٣، وشرح النووي على صحيح مسلم ١١/١٧٤.

٢- رواه مسلم ٢٢٣١/٤ برقم: ٢٩٠٨.

٣- فتح الباري ٣٤/١٣.

٤- قضية التنوير ٢٤/١.

٥- رواه الترمذي ٤/٤٦٧ برقم: ٢١٦٨، صحيحه الألباني في السلسلة الصحيحة ٤/ ٨٨ برقم: ١٥٦٤.

٦- الشيخ صقر عطية، انظر: فتاوى الأزهر ١٠/١٨٧.

## ● إفراط وتفريط

إن النظرات السياسية قديماً وحديثاً كان لها أثرها البارز في تأويل النصوص، وحملها على ما يؤيدها، بل كان لها أثرها أيضاً في وضع أحاديث وافترائها على النبي صلى الله عليه وسلم، وبالأولى إلصاق أقوال وآراء بأئمة هم براء منها، وكذلك أنكر المختلفون أحاديث صحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنها تعارض رأيهم السياسي، وقبلوا أحاديث تؤيد مذاهبهم بغض النظر عن صدق نسبتها إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، فالناس في معاملة الحكام الظلمة على طريفي نقيض:

**الطرف الأول:** يوافقهم على بعض ظلمهم ويعاونهم على الإثم والعدوان ويداهنهم في ظلمهم، بل ربما عملوا على تزيين ذلك لهم، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

قال الإمام الرازي في هذه الآية: «قال المحققون: الركون المنهي عنه هو الرضا بما عليه الظلمة من الظلم، وتحسين تلك الطريقة وتزيينها عندهم وعند غيرهم، ومشاركتهم في شيء من تلك الأبواب، فأما مداخلتهم لدفع ضرر أو اجتلاب منفعة عاجلة فغير داخل في الركون... واعلم أن الله تعالى حكم بأن من ركن إلى الظلمة لا بد وأن تمسه النار، وإذا كان كذلك فكيف يكون حال الظالم في نفسه»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام البيضاوي: «ولا تميلوا إليهم أدنى ميل، فإن الركون هو الميل اليسير كالتزبي بزيهم، وتعظيم ذكرهم واستدامته... فما ظنك بالركون إلى الظالمين أي: الموسومين بالظلم، ثم بالميل إليهم كل الميل، ثم بالظلم نفسه والاهتمام فيه»<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام الجصاص: «والركون إلى الشيء هو السكون إليه بالأنس والمحبة، فاقتضى ذلك النهي عن مجالسة الظالمين ومؤانستهم والإنصات إليهم»<sup>(٣)</sup>.

**الطرف الثاني:** يقابلون ظلمهم بظلم آخر، فيخرجون عليهم ويقاتلونهم بالسلاح وهو قتال الفتنة. **أهل الحق:**

وإنما الحق في أن لا يُوافق المبطل على باطل أصلاً، ولا يُدفع باطله بباطل أصلاً، فيلزم المؤمن الحق وهو ما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا يخرج عنه إلى باطل يخالفه، لا موافقة لمن قاله، ولا معارضة بالباطل لمن قال باطلاً، وكلا الأمرين يستلزم معارضة نصوص الكتاب والسنة بما يناقض

١- التفسير الكبير ٥٨/١٨.

٢- تفسير البيضاوي ٢٦٦/٣.

٣- أحكام القرآن للحصاص ٣٧٩/٤.

ذلك، وإن كان لا يظهر ذلك في بادئ الرأي<sup>(١)</sup>، ولهذا كان المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف وإن كان فيهم ظلم كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة، فيدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما، ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته، والله تعالى لم يأمر بقتال كل ظالم وكل باغ كيفما كان، ولا أمر بقتال الباغي ابتداء بل قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]، فلم يأمر بقتال الباغية ابتداء فكيف يأمر بقتال ولاة الأمر ابتداء!<sup>(٢)</sup>، وفي حديث أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ستكون أمراء فتعرفون وتكفرون فمن عرف برئ، ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع، قالوا أفلا نقاتلهم؟ قال: لا ما صلوا"<sup>(٣)</sup>، وفي حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم، قالوا: قلنا يا رسول الله أفلا نناذبهم عند ذلك؟ قال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة، لا ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا يترعن يداً من طاعة"<sup>(٤)</sup>، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتالهم والمناظرة لهم -العزل وطرح العهد والمخاربة لهم ونزغ البيعة- مع إخباره أنهم يأتون أموراً منكراً، فدل على أنه لا يجوز الإنكار عليهم بالسيف كما يراه من يقاتل ولاة الأمر من الخوارج والزيدية والمعتزلة وطائفة من الفقهاء وغيرهم<sup>(٥)</sup>.

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية"<sup>(٦)</sup>، والمراد بالميتة الجاهلية حالة الموت كموت أهل الجاهلية على ضلال وليس له إمام مطاع؛ لأنهم كانوا لا يعرفون ذلك، وليس المراد أنه يموت كافراً بل يموت عاصياً، ويحتمل أن يكون التشبيه على ظاهره ومعناه أنه

١- فتاوى الأزهر ١٨٧/١٠، ودرء التعارض بين العقل والنقل ٢٩٢/٧، ومفهوم أهل السنة والجماعة بين شيخ الإسلام ابن تيمية وأهل الإفراط والتفريط ٣٧٨/١.

٢- منهاج السنة النبوية ٣٩١/٣.

٣- رواه مسلم ١٤٨٠/٣ برقم: ١٨٥٤.

٤- رواه مسلم ١٤٨١/٣ برقم: ١٨٥٥.

٥- منهاج السنة النبوية ٣٩٢/٣، وفتاوى الأزهر ١٨٧/١٠، ومرقاة المفاتيح ٢٣٠/٧، وآل رسول الله وأوليائه ١٢٧/١.

٦- رواه البخاري ٢٥٨٨/٦ برقم: ٦٦٤٦، ومسلم ١٤٧٧/٣ برقم: ١٨٤٩.

يموت مثل موت الجاهلي وإن لم يكن هو جاهلياً، أو أن ذلك ورد مورد الزجر والتنفير وظاهره غير مراد<sup>(١)</sup>.

وعن حذيفة بن اليمان قلت يا رسول الله إنا كنا بشر فجاء الله بخير فنحن فيه فهل من وراء هذا الخير شر؟ قال: "نعم، قلت: هل من وراء ذلك الشر خير؟ قال: نعم، قلت: فهل من وراء ذلك الخير شر؟ قال: نعم، قلت كيف؟ قال: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس، قال: قلت كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع للأمر وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع"<sup>(٢)</sup>.

إن هذا الحديث نص واضح في وجوب لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، ولا سيما وقت ظهور دعاة الفتن، فإن في الالتزام بذلك نجاة من هؤلاء الدعاة، حتى لو كان الأئمة عندهم نقص في التمسك بالدين وجور على عباد الله المؤمنين، وفيه أيضاً رد على من يزعم أن مفارقة جماعة المسلمين والخروج بالسلاح وقت الفتن وسيلة لإصلاح الأمة، وهذا فهم معكوس بعيد كل البعد عن مراد الله ورسوله من الحرص على جماعة المسلمين<sup>(٣)</sup>.

وعن عرفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن الأمير بعد أن ذكر هذا الحديث وغيره من الأحاديث التي تنهى عن تفريق أمر هذه الأمة: «دلت هذه الألفاظ على أن من خرج على إمام قد اجتمعت عليه كلمة المسلمين - والمراد أهل قطر كما قلناه- فإنه قد استحق القتل لإدخاله الضرر على العباد، وظاهره سواء كان جائراً أو عادلاً، وقد جاء في أحاديث تقييد ذلك بما أقاموا الصلاة»<sup>(٥)</sup>.

وعنه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إنه ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان"<sup>(٦)</sup>.

قال الإمام النووي: «قوله صلى الله عليه وسلم: "ستكون هنات وهنات" الهنات جمع هنة وتطلق على كل شيء والمراد بها هنا الفتن والأمور الحادثة، قوله صلى الله عليه وسلم: "فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان" فيه الأمر بقتال من خرج على الإمام أو

١- فتح الباري ٧/١٣.

٢- رواه مسلم ٣/١٤٧٥ برقم: ١٨٤٧.

٣- الإمام بمنهج السلف في التعامل مع الحكام ٣١/١. بتصرف.

٤- رواه مسلم ٣/١٤٧٩ برقم: ١٨٥٢.

٥- سبل السلام ٣/٢٦١.

٦- أخرجه مسلم ٣/١٤٧٩ برقم: ١٨٥٢.

أراد تفريق كلمة المسلمين ونحو ذلك وينهى عن ذلك فإن لم ينته قوتل وإن لم يندفع شره إلا بقتله فقتل كان هدراً فقله صلى الله عليه وسلم: **"فاضربوه بالسيف"** وفي الرواية الأخرى: **"فاقتلوه"**<sup>(١)</sup> معناه إذا لم يندفع إلا بذلك وقله صلى الله عليه وسلم: **"يريد أن يشق عصاكم"** معناه يفرق جماعتكم كما تفرق العصاة المشقوقة وهو عبارة عن اختلاف الكلمة وتنافر النفوس»<sup>(٢)</sup>.  
وعنه رضي الله عنه قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر يخطب الناس فقال: **"إنه سيكون بعدي هنات وهنات فمن رأيتموه فارق الجماعة أو يريد يفرق أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم كائناً من كان فاقتلوه فإن يد الله على الجماعة فإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض"**<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام المناوي: **"تكون بعدي هنات وهنات"** شدائد وعظائم وأشياء قبيحة منكورة وخصالات سوء جمع هنة وهي كناية عما لا يراد التصريح به لشناعته، **"فمن رأيتموه فارق الجماعة"** الصحابة ومن بعدهم من السلف، **"أو يريد أن يفرق أمر أمة محمد كائناً من كان"** أي: سواء كان من أقاربي أو غيرهم، قال الطيبي: وهذا فيه معنى الشرط **"فاقتلوه"** [و] في رواية: **"فاضربوه بالسيف"** **"فإن يد الله مع الجماعة وإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض"** فإن الله تعالى جمع المؤمنين على معرفة واحدة وشريعة واحدة ألا تراه يقول: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾** [الحجرات: ١٠] فمن فارقهم خالف أمر الرحمن فلزم الشيطان، قال أبو شامة: حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه وإن كان المتمسك به قليلاً والمخالف كثيراً أي: الحق هو ما كان عليه الصحابة الأول من الصحب ولا نظر لكثرة أهل الباطل بعدهم، قال البيهقي إذا فسدت الجماعة فعليكم بما كانوا عليه من قبل وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة حينئذ»<sup>(٤)</sup>.

١- حديث عرفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه"** أخرجه مسلم ١٤٧٩/٣ برقم: ١٨٥٢.

٢- شرح صحيح مسلم ٢٤١/١٢، ٢٤٢.

٣- رواه النسائي ٩٢/٧ برقم: ٤٠٢٠، صحيح الألباني إسناده، انظر حديث رقم: ٣٦٢١ في صحيح الجامع.

٤- فيض القدير ٩٩/٤.

## • الخروج المشروع

إن النصوص السابق ذكرها تدل على منع الخروج بالسلاح على الحاكم ولو كان الحاكم مرتكباً لما لا يجوز إلا إذا ارتكب الكفر الصريح الذي قام البرهان الشرعي من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم على أنه كفر بواح أي: ظاهر صريح بين بادٍ لا لبس فيه ولا يقبل التأويل<sup>(١)</sup>، فعن جنادة بن أبي أمية قال: دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض، قلنا أصلحك الله، حدث بحديث ينفعك الله به سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم قال: دعانا النبي صلى الله عليه وسلم فبايعناه فقال فيما أخذ علينا **أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان**<sup>(٢)</sup>.

لقد استنتج العلماء من هذا الحديث أنه لا تجوز المناظرة إلا عند ظهور الكفر الواضح - في القول أو الفعل أو الاعتقاد - الذي ليس له فيه شبهة مع قيام الحجة، كإنكار الألوهية أو الطعن في أن القرآن من عند الله، أو أنه غير صالح للحكم، أو اعتقاد حل ما أجمع على تحريمه كالزنا وشرب الخمر، فهو بهذا الاعتقاد يكون كافراً، أما ارتكاب المحرمات بغير اعتقاد حلها فهو عصيان لا يخرج به إلى الكفر، بل يكون فاسقاً، فالمرر للخروج عليه هو الكفر لا العصيان المجرد، واستنتجوا من حديث أم سلمة: **"قالوا أفلا نقاتلهم؟ قال: لا ما صلوا"** وحديث عوف بن مالك: **"أفلا نناذبهم عند ذلك؟ قال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة لا ما أقاموا فيكم الصلاة"** بأنه لا يجوز مناظرة الأئمة والخروج عليهم ما داموا يقيمون الصلاة، وليس المراد أنهم يصلون بالناس كما كان أئمة السلف، بل المراد أنهم يسمحون بإقامتها، ولا يضعون العراقيل في سبيلها<sup>(٣)</sup>، ويفهم منه أنهم إن لم يصلوا قوتلوا؛ لأن قوله: **"لا ما صلوا"** أي: لا تقاتلوهم مدة كونهم يصلون، فما مصدرية ظرفية مع أنه صلى الله عليه وسلم قال في حديث عبادة: **"إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان"**، فحديث أم سلمة وحديث عوف بن مالك يدلان على قتال من لم يصل، وبضم حديث عبادة بن الصامت إلى ذلك يظهر الدليل على الكفر بترك الصلاة<sup>(٤)</sup>.

قال الإمام النووي: «قال القاضي عياض: أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر وعلى أنه لو طرأ عليه الكفر انزل، قال: وكذا لو ترك إقامة الصلوات والدعاء إليها، قال: وكذلك عند جمهورهم البدعة، قال: وقال بعض البصريين تنعقد له وتستدام له؛ لأنه متأول، قال القاضي: فلو طرأ عليه كفر وتغيير للشرع أو بدعة خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته ووجب على المسلمين القيام

١- أضواء البيان ٢٩/١، ٣٠، ومروحة المفاتيح ٢٢٧/٧.

٢- رواه البخاري ٦/٢٥٨٨ برقم: ٦٦٤٧، ومسلم ٣/١٤٦٩ برقم: ١٧٠٩.

٣- الشيخ عطية صقر، انظر: فتاوى الأزهر ١٠/١٨٧.

٤- أضواء البيان ٣/٤٥٠.

عليه وخلعه ونصب أمام عادل إن أمكنهم ذلك، فإن لم يقع ذلك إلا لطائفة وجب عليهم القيام بخلع الكافر، ولا يجب في المبتدع إلا إذا ظنوا القدرة عليه، فإن تحققوا العجز لم يجب القيام، وليهاجر المسلم عن أرضه إلى غيرها ويفر بدينه، قال: ولا تتعقد لفاسق ابتداء فلو طراً على الخليفة فسق قال بعضهم: يجب خلعه إلا أن تترتب عليه فتنة وحرب، وقال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين: لا ينعزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق، ولا يخلع، ولا يجوز الخروج عليه بذلك، بل يجب وعظه وتخفيفه للأحاديث الواردة في ذلك»<sup>(١)</sup>.

إن ارتباط الخروج بالكفر يجب فيه الدقة في الحكم بالكفر على المسلم؛ لأن تكفير المسلم خطير؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه: **"إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما"**<sup>(٢)</sup>، وفي رواية: **"أيما امرئ قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال وإلا رجعت عليه"**<sup>(٣)</sup>، فليس كل تصرف منه يبرر الحكم عليه بالكفر، فقد دعا المأمون والمعتصم والواثق إلى بدعة القول بخلق القرآن وعاقبوا العلماء من أجلها بالقتل والضرب والحبس وأنواع الإهانة ولم يقل أحد بوجوب الخروج عليهم بسبب ذلك، ودام الأمر بضع عشرة سنة حتى ولي المتوكل الخلافة فأبطل الخنة وأمر بإظهار السنة<sup>(٤)</sup>.

قد يعترض بأن النووي قال: «المراد بالكفر هنا المعصية»<sup>(٥)</sup>، وقال غيره: المراد بالإثم في بعض الروايات ما يشمل المعصية والكفر، قال ابن حجر: «والذي يظهر حمل رواية الكفر على ما إذا كانت المنازعة في الولاية فلا ينازعه بما يقدح في الولاية إلا إذا ارتكب الكفر، وحمل رواية المعصية على ما إذا كانت المنازعة فيما عدا الولاية فإذا لم يقدح في الولاية نازعه في المعصية بأن ينكر عليه برفق ويتوصل إلى تثبيت الحق له بغير عنف ومحل ذلك إذا كان قادراً»<sup>(٦)</sup>، وعلى ضوء ما قاله ابن حجر إن فسق الإمام ولم يكفر وجب نصحه بالأسلوب الذي يُرجى منه الخير ولا يؤدي إلى فتنة، كما قال تعالى: **﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾** [النحل: ١٢٥]، ولتوضيح كلام النووي نسوق النص بتمامه، قال رحمه الله تعالى: **«إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان»** هكذا هو لمعظم الرواة وفي معظم النسخ بواحاً بالواو وفي بعضها براحاً والباء مفتوحة فيهما ومعناها كفراً ظاهراً، والمراد بالكفر هنا المعاصي، ومعنى:

١- شرح صحيح مسلم ٢٢٩/١٢.

٢- رواه البخاري ٥/ ٢٢٦٣ برقم: ٥٧٥٢.

٣- رواه مسلم ١/ ٧٩ برقم: ٦٠.

٤- أضواء البيان ٣٠/١.

٥- شرح صحيح مسلم ٢٢٩/١٢.

٦- فتح الباري ٨/١٣.

**"عندكم من الله فيه برهان"** أي: تعلمونه من دين الله تعالى، ومعنى الحديث: لا تنازعوا ولاية الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكراً محققاً تعلمونه من قواعد الإسلام، فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم وقولوا بالحق حيث ما كنتم، وأما الخروج عليهم وقتلهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته، وأجمع أهل السنة أنه لا ينزل السلطان بالفسق، وأما الوجه المذكور في كتب الفقه لبعض أصحابنا أنه ينزل وحكي عن المعتزلة أيضاً فغلط من قائله مخالف للإجماع<sup>(١)</sup>.

قال العلماء: وسبب عدم انزاله وتحريم الخروج عليه ما يترتب على ذلك من الفتن، وإراقة الدماء، وفساد ذات البين، فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقاءه<sup>(٢)</sup>.

اعترض بخروج عبد الله بن الزبير والحسن بن علي رضي الله عنهم جميعاً وأهل المدينة وغيرهم من صالح السلف على بني أمية، وقامت جماعة عظيمة من التابعين والصدر الأول على الحجاج مع ابن الأشعث، وتأول هذا القائل قوله: **"أن لا ننازع الأمر أهله"** في أئمة العدل.

رد الجمهور بالآتي:

**أولاً:** بأن قيامهم على الحجاج ليس بمجرد الفسق بل لما غير من الشرع وظاهر من الكفر.

**ثانياً:** بأن هذا الخلاف كان أولاً ثم حصل الإجماع على منع الخروج عليهم<sup>(٣)</sup>.

**ثالثاً:** الحجة فيما قاله الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وأما ما انفرد به بعض أهل العلم والفضل من الصحابة أو غيرهم لا يقبل منهم؛ لأن كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم مقدم على كل قول، والصحابة أو غيرهم ليسوا بمعصومين من الخطأ.

**رابعاً:** أن الصحابة وأئمة التابعين أنكروا على من خرج من إخوانهم، ولم يقرؤهم على ذلك لا في عصرهم ولا في العصور التالية لهم.

**خامساً:** ذكر العلماء أن من خرج من أهل الفضل فإن الاجتهاد الخاطي هو الذي دفعه إلى ذلك، وذكروا بأنه لا يجوز متابعة المجتهد المخطئ إذا تبين خطؤه<sup>(٤)</sup>.

لقد استدلل القائلون بوجوب الخروج على الظلمة ومناذتهم السيف ومكافحتهم بالقتال بعمومات من الكتاب والسنة في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا شك ولا ريب أن الأحاديث التي سبق ذكرها أخص من تلك العمومات مطلقاً، وهي متواترة متوافرة المعنى كما يعرف ذلك من له خبرة بالسنة، ولكنه لا ينبغي لمسلم أن يحط من قدر من خرج من السلف الصالح على غيرهم من

١- شرح صحيح مسلم ١٢/ ٢٢٨، ٢٢٩.

٢- المصدر نفسه ١٢/ ٢٢٩.

٣- المصدر نفسه ١٢/ ٢٢٩.

٤- وصيبي للإخوان في منهج أهل السنة في نصيحة السلطان ١٥/ ١٦، لبدر بن علي بن طامي العتيبي.



أئمة الجور فإنهم فعلوا ذلك باجتهاد منهم، وهم أتقى لله تعالى وأطوع لسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من جماعة ممن جاء بعدهم من أهل العلم<sup>(١)</sup>.

إن نظرة العلماء في الخروج على الإمام الجائر، مع اعتمادها على النصوص، مبنية على اعتبار الظروف وواقع المسلمين في عهود بعض الفقهاء، وعلى كل حال فنظرهم ترشدنا إلى أن نكون على بصيرة عند إصدارنا للأحكام الخطيرة بالذات، وإلى العمل على إصلاح النفوس وتغييرها من الداخل فإن الله تعالى لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

لقد كان للسابقين أسلوب في الإنكار يتناسب مع الظروف القائمة آن ذاك، مع مراعاة أن روح التدبير كانت موجودة بقوة في الحاكمين والمحكومين، وهو ما أطمع بعض المعارضين في القسوة أحياناً عند النصيح، وما جعل الحكام يصغون إلى ما يقولون، فهم نواب الشعوب ومفاتيح السيطرة عليها، ومن الحكمة قبول ما يوجهونهم به وإليه وإن كان في بعض الأساليب عنف فسببه شدة الغيرة على الحق. إن من الأساليب السليمة اليوم في توجيه الحاكم والتي تقرها القوانين الوضعية الحالية: الخطابة والصحافة وإثارة الموضوع في مجالس النيابة والتنظيمات المشروعة، والخير مرجو إذا كان ذوو اللسان والقلم مخلصين لوجه الله تعالى، وكان الذين يمثلون الأمة يختارون على أساس ديني سليم وكانوا مؤدبين لأمانتهم على الوجه المطلوب.

إن الخروج بالسلاح لتغيير المنكر غير مجد في أكثر الدول الإسلامية التي تضع مهمة التغيير والإصلاح على عاتق ممثلي الأمة، والتي تحرم حمل السلاح، وتمنع التظاهر، وتضع له أقسى العقوبات، لا يجدي هذا الخروج بالسلاح بوجه خاص إذا كان التسليح غير كاف وقوى المواجهة غير متكافئة، فإن القضاء على الثائرين بغير حكمة سهل والنتيجة أخطر مما كانوا يتوقعون.

ولو تحققت المنعة وتوافر السلاح المتكافئ بالطريق السليم هو التفاوض والحوار حيث يكون حواراً فيه تكافؤ قد يؤدي إلى الحل المعقول، وذلك كله من أجل منع الفتنة ووقوع الحرب الأهلية من جراء المواجهة بالسلاح وإراقة الدماء، وقد يذهب ضحيتها أبرياء، فشرط تغيير المنكر - كما قال العلماء - ألا يؤدي إلى منكر أشد.

فإن لم يتوصل إلى حل بالحوار والنصح فإن الأحاديث لا تجيز المواجهة المسلحة، وليكن الواجب هو الإنكار باللسان ما أمكن، وإلا فالإنكار بالقلب، والاجتهاد في تربية النفوس وإصلاحها وتوجه الناس وإرشادهم لاختيار ممثلين صالحين يتولون دستورياً تغيير المنكر.

إن من الواجب العمل على تقدير الظروف المحيطة بنا الآن، وأن العدو المتربص بنا لا يترك فرصة ثورية إلا انتهزها لنفسه، وإلى أن ارتباط بعض الحكام ببعض الدول الكبرى يسهل القضاء على مثل هذه الحركات بسهولة؛ لأن صحة الدين تضرهم، وبخاصة دين الإسلام، فالواجب أن تكون جميع الخطط لإصلاح الأوضاع وتغييرها مدروسة دراسة وافية؛ لتكون حركات التغيير مرجوة النجاح بأقل تضحيات<sup>(١)</sup>.

### ● طاعة في غير معصية

اعلم أنه قد أجمع جميع المسلمين على أنه لا طاعة لإمام ولا غيره في معصية الله تعالى، وقد جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة الصريحة التي لا لبس فيها ولا مطعن، كحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة"**<sup>(٢)</sup>، وحديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في السرية الذين أمرهم أميرهم أن يدخلوا في النار: **"لو دخلوها ما خرجوا منها أبدا إنما الطاعة في المعروف"**<sup>(٣)</sup>، وفي الكتاب العزيز: **﴿وَلَا يَعْصِيكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾** [المتحنة: ١٢].

قال الشنقيطي - رحمه الله تعالى - في قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾** [النساء: ٥٩]: «والتحقيق في معنى الآية الكريمة أن المراد بأولي الأمر ما يشمل الأمراء والعلماء؛ لأن العلماء مبلغون عن الله وعن رسوله، والأمراء منفذون، ولا تجوز طاعة أحد منهم إلا فيما أذن الله فيه؛ لأن ما أمر به أولو الأمر لا يخلو من أحد أمرين: أحدهما: أن يكون طاعة لله ولرسوله من غير نزاع، وطاعة أولي الأمر في مثل هذا من طاعة الله ورسوله.

والثاني: أن يحصل فيه نزاع هل هو من طاعة الله ورسوله أو لا، وفي هذه الحالة لا تجوز الطاعة العمياء لأولي الأمر ولا التقليد الأعمى كما صرح الله تعالى بذلك في نفس الآية؛ لأنه تعالى لما قال: **﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾** أتبع ذلك: **﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾**، فالآية صريحة في رد

١- فتاوى الأزهر فتوى للمفتي عطية صقر في مايو ١٩٩٧م، ١٠/١٨٧. بتصرف.

٢- رواه البخاري ٦ / ٢٦١٢ برقم: ٦٧٢٥، ومسلم ٣ / ١٤٦٩ برقم: ١٨٣٩.

٣- رواه البخاري ٦ / ٢٦١٢ برقم: ٦٧٢٦، ومسلم ٣ / ١٤٦٩ برقم: ١٨٤٠.

كل نزاع إلى الله ورسوله، والرد إلى الله هو الرد إلى كتابه والرد إلى رسوله صلى الله عليه وسلم هو الرد إليه في حياته والرد إلى سنته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم»<sup>(١)</sup>.

### اعتراض

بعض الأحاديث التي وردت في الطاعة عامة، بل في حديث حذيفة بن اليمان قلت يا رسول الله إنا كنا بشر فجاء الله بخير فنحن فيه فهل من وراء هذا الخير شر؟ قال: "نعم، قلت: هل من وراء ذلك الشر خير؟ قال: نعم، قلت: فهل من وراء ذلك الخير شر؟ قال: نعم، قلت كيف؟ قال: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس، قال: قلت كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع للأمر وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع"<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام الشوكاني: «قوله: "وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع" فيه دليل على وجوب طاعة الأمراء وإن بلغوا في العسف والجور إلى ضرب الرعية وأخذ أموالهم فيكون هذا مخصصاً لعموم قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤] وقوله: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]»<sup>(٣)</sup>.

نوقش هذا بأن الأمر ليس كما قال الإمام الشوكاني إذ كيف جاز أن تقام الإمامة لأجل ردع الظالم، والأخذ للمظلوم، وإقامة الحدود وما إلى ذلك ثم نجيز للقائم بذلك الذي هو الإمام أن يكون ظالماً فاسقاً؟؟!!<sup>(٤)</sup>.

لقد أوضح الإمام ابن حزم هشاشة هذا المنطلق فبعد أن ذكر الأحاديث الدالة على السمع والطاعة للأمير وإن كان جائراً قال: «كل هذا لا حجة لهم فيه لما قد تقصيناها غاية التقصي خبراً خبراً بأسانيدها ومعانيها في كتابنا الموسوم (بالاتصال إلى فهم معرفة الخصال) ونذكر منه إن شاء الله هاهنا جملاً كافية وبالله تعالى نتأيد، أما أمره صلى الله عليه وسلم بالصبر على أخذ المال وضرب الظهر فإنما ذلك بلا شك إذا تولى الإمام ذلك بحق وهذا ما لا شك فيه أنه فرض علينا الصبر له وإن امتنع من ذلك بل من ضرب رقبتة إن وجب عليه فهو فاسق عاص لله تعالى، وأما إن كان ذلك بباطل فمعاذ الله أن يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر على ذلك، برهان هذا قول الله عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، وقد علمنا أن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخالف كلام ربه تعالى قال الله عز وجل: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ

١- أضواء البيان ٣٢٩/٧.

٢- رواه مسلم ٣/ ١٤٧٥ برقم: ١٨٤٧.

٣- نيل الأوطار ٣٦٠/٧.

٤- انظر: الطغيان السياسي وسبل تغييره من المنظور القرآني ص ٣١٤.

\* **إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** [النجم: ٣-٤] وقال تعالى: **﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾** [النساء: ٨٢]، فصح أن كل ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو وحي من عند الله عز وجل ولا اختلاف فيه ولا تعارض ولا تناقض، فإذا كان هذا كذلك فيقين لا شك فيه يدري كل مسلم أن أخذ مال مسلم أو ذمي بغير حق وضرب ظهره بغير حق إثم وعدوان وحرام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إِنْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضُكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ"**<sup>(١)</sup>، فإذا لا شك في هذا ولا اختلاف من أحد من المسلمين، فالمسلم ماله للآخذ ظلماً وظهره للضرب ظلماً وهو يقدر على الامتناع من ذلك بأي وجه أمكنه معاون لظالمه على الإثم والعدوان وهذا حرام بنص القرآن<sup>(٢)</sup>.

إن المتضح أن المقصود من أمثال هذه الأحاديث ترغيب المسلمين على الاجتماع على أمير واحد، وذم ورفض من يدعي الإمارة لنفسه وينافس بها الأمير الأعظم كما في الحديث لا طاعتهم في الظلم والخور أو السكوت عليهم إذا ما زاغوا عن الطريق؛ لأنه قد علم أنه لا طاعة في معصية، والظلم من كبائر المعاصي والسكوت عنه ظلم ومعصية.

لقد أنكر الله تعالى في كتابه الكريم على أقوام طاعتهم المطلقة لآسيادهم وحكامهم وتبعيتهم لهم من دون تبصر - وفي ذلك عبرة للمسلمين حتى لا يقعوا فيما وقعت فيه تلك الأقوام - قال سبحانه وتعالى: **﴿يَوْمَ ثَقُلَتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾** \* وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا [الأحزاب: ٦٦-٦٧]، وقال سبحانه: **﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾** \* إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ \* وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرَّرْنَا فَتَنَ رَبَّنَا مِنَّا كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ [البقرة: ١٦٥-١٦٧]، وقال سبحانه وتعالى موجهاً لقوم فرعون وملته: **﴿فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾** [هود: ٩٧]، وقال سبحانه في قوم هود: **﴿وَاتَّبِعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾** [هود: ٥٩]، بل جاء النهي الصريح عن طاعة المفسدين في الأرض قال سبحانه: **﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾** \* الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ [الشعراء: ١٥١-١٥٢]، وقال سبحانه: **﴿وَلَا تُطِيعُوا مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾** [الكهف: ٢٨].

بهذا يتبين أن الأحاديث التي يستشهد بها بعض الناس في وجوب السمع والطاعة للأمراء إنما هي في الأمور التي لا تخرج عن دائرة المعروف كما ورد ذلك في الأحاديث السابقة، أما إذا خرج عن

١- أخرجه البخاري ٦١٩ / ٢ برقم: ١٦٥٢، ومسلم، ٣ / ١٣٠٥ برقم: ١٦٧٩.

٢- الفصل في الملل ١٣٣/٤.

دائرة المعروف فلا سمع ولا طاعة، وقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم هذا الأمر لذا جاء هذا الأمر في خطبة الصديق رضي الله عنه بوضوح<sup>(١)</sup> حيث قال: «أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم»<sup>(٢)</sup>.

### اعتراض:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء:

٥٩] ألا تدل على في وجوب الطاعة المطلقة للأمراء بمجرد أن يكونوا منا.

**الجواب: أولاً:** سبق ذكر كلام الشنقيطي - رحمه الله تعالى - في الآية بأن ما أمر به أولو الأمر إما أن يكون طاعة لله ولرسوله من غير نزاع، وطاعة أولي الأمر في مثل هذا من طاعة الله ورسوله، وإما أن يحصل فيه نزاع هل هو من طاعة الله ورسوله أو لا، وفي هذه الحالة لا تجوز الطاعة العمياء لأولي الأمر ولا التقليد الأعمى كما صرح الله تعالى بذلك في نفس الآية؛ لأنه تعالى لما قال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ أتبع ذلك بقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، فالآية صريحة في رد كل نزاع إلى الله ورسوله، أي: إلى كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup>.

**ثانياً:** إن الناظر إلى سياق الآية الكريمة يتبين له أن قوله تعالى: ﴿مِنْكُمْ﴾ وحده لا يكفي لوجوب الطاعة؛ لأن هذه الآية سبقت بعد قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ [النساء: ٥٨] فلا بد أن يلتزم الحاكم أولاً بأداء الأمانات على اختلافها، ثم يحكم بعد ذلك بالعدل، ومع ذلك لا بد من موافقته للكتاب والسنة حتى يستحق، فأما إذا خان الحاكم تلك الأمانات وأولها أمانة وكالته ونيابته عن الأمة، وكان الظلم والطغيان سياسة له، عندها لا يجوز طاعته ولو كان مناه<sup>(٤)</sup>، قال الإمام البيضاوي: «أمر الناس بطاعتهم بعدما أمرهم بالعدل تنبيهاً على أن وجوب طاعتهم ما داموا على الحق»<sup>(٥)</sup>، وقال الزمخشري: «لما أمر الولاة بأداء الأمانات إلى أهلها وأن يحكموا بالعدل أمر الناس بأن يطيعوهم ويتزلوا على قضايهم، والمراد بـ ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾؛ أمراء الحق؛ لأن أمراء الجور الله ورسوله بريثان منهم فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم، وإنما يجمع بين الله ورسوله والأمراء الموافقين لهما في إثارة العدل واختيار الحق والأمر بهما والنهي عن أضدادهما كالحلفاء

١- انظر: الطغيان السياسي وسبل تغييره من المنظور القرآني ص ٣١٤، ٣١٩-٣٢١.

٢- أخرجه عبد الرزاق في المصنف ١١/ ٣٣٦ برقم: ٢٠٧٠٢.

٣- أضواء البيان ٧/ ٣٢٩.

٤- انظر: الطغيان السياسي وسبل تغييره من المنظور القرآني ص ٣٢١.

٥- تفسير البيضاوي، ٢/ ٢٠٦.

الراشدين ومن تبعهم بإحسان... وكيف تلزم طاعة أمراء الجور وقد جنح الله الأمر بطاعة أولي الأمر بما لا يبقى معه شك، وهو أن أمرهم أولاً بأداء الأمانات وبالعدل في الحكم، وأمرهم أخيراً بالرجوع إلى الكتاب والسنة فيما أشكل، وأمراء الجور لا يؤدون أمانة ولا يحكمون بعدل، ولا يردون شيئاً إلى كتاب ولا إلى سنة، إنما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم، فهم منسلخون عن صفات الذين هم أولو الأمر عند الله ورسوله، وأحق أسمائهم: اللصوص المتغلبة»<sup>(١)</sup>.

يقول محمد رشيد رضا: «والأصل المجمع عليه أن الطاعة الواجبة في الشرع هي لأولي الأمر من الأئمة (الخلفاء)، ونوابهم من السلاطين وأمراء الجيوش والولاة وكلها مقيدة بالمعروف من الواجب والمباح دون المحذور، وأما طاعة المتغلبين فهي للضرورة وتقدر بقدرها بحسب المصلحة، ويجب إزالتها عند الإمكان من غير فتنة ترجح مفسدتها على المصلحة، وقد قال الصحابة لأمرهم الذي أمرهم باقتحام النار: ما آمنا بالله، واتبعنا رسوله إلا لننجو من النار، فصوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلهم، وقال: **"لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"**<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup>.

إن الإسلام جاء ليخرج الناس من ظلم العباد إلى عدل الشريعة ورحمتها لا ليخرج الناس من ظلم الكفر ويدخلهم في ظلم الحكام المسلمين الظلمة، ولذا فهل من الممكن أن نقول لغير المسلم أو نقنعه بأننا نريد أن نخرجه من ظلم أمرائه وحكامه لندخله في ظلم الأمراء المسلمين وجورهم والمتمثل في غصب الأموال، وضرب الأبخار، وتناول النفوس المحرمة، وتضييع الحقوق، وتعطيل الحدود، فأين عدل الإسلام الذي نريد أن نقنع به الآخرين إذا ما أجزنا لحكام المسلمين ممارسة الظلم والطغيان؟!

إن نصوص القرآن الكريم صريحة في ذم الظلم والظالمين الطغاة، وقد وردت مادة الظلم في معرض الذم في القرآن الكريم في أكثر من ثلاثمائة موضع -وكذلك في الأحاديث النبوية- وليس هناك موضع واحد في القرآن يفيد جواز طاعة الظالم الطاغية أو حتى مجرد الميل إليه، لذا وجب تأويل أمثال هذه الأحاديث التي تشير إلى طاعة الحاكم الجائر بما يتماشى مع ظواهر نصوص القرآن الصريحة؛ لأن هذه الأحاديث إن لم تقول فإنها تصادم المقاصد الشرعية المعروفة بالضرورات الخمس فإن الإسلام جاء لحفظها، ولذا فالأمير الذي يعتدي عليها لا يستحق الإمارة ناهيك عن السمع والطاعة، ورغم أن

١- الكشف، ٥٥٦/١، ٥٥٧.

٢- عن علي رضي الله عنه قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية وأمر عليهم رجالاً من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه، فغضب عليهم وقال: أليس قد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن تطيعوني؟ قالوا: بلى، قال: قد عزمتم عليكم لما جمعتم حطباً وأوقدتم ناراً ثم دخلتم فيها، فجمعوا حطباً فأوقدوا فلما هموا بالدخول فقام ينظر بعضهم إلى بعض قال بعضهم: إنما تبعنا النبي صلى الله عليه وسلم فراراً من النار أفندخلها؟ فبينما هم كذلك إذ حمدت النار وسكن غضبه فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: **"لو دخلوها ما خرجوا منها؛ أبداً إنما الطاعة في المعروف"**، أخرجه البخاري، ٦ / ٢٦١٢ برقم: ٦٧٢٦.

٣- خلاصة القول في طاعة الملوك والخروج عليهم وعزهم، انظر: الطغيان السياسي وسبل تغييره من المنظور القرآني ص ٣٢٣، نقلاً عن مجلة المنار، مصر، مج ٣٤، ج ٣٠، شعبان، ١٣٥٣هـ، ٧، ١٢، ١٩٣٤م، ص ٤٣٨.

بعض العلماء قد قالوا بنسخ الأخبار الآمرة بطاعة أمراء الجور لمحيئها على الأصل المعهود في بداية الإسلام<sup>(١)</sup>، إلا أنه من الممكن تأويل تلك الأحاديث على حالات الضرورة القصوى التي لا يجد فيها المسلم ملجأ سوى السكوت إلى أن تحين فرصة للتغيير، أو على الترغيب في الطاعة حفاظاً على وحدة الصف ولسد الأبواب أمام مثيري المشاكل والفتن في الدولة الإسلامية تحت غطاء تقويم الحاكم ولأتفه الأسباب، أو بأن المقصود منها هو الطاعة لهم في المسائل الاجتهادية وإن رأى المطيع في ذلك مخالفة لرأيه، أو تحمل على أن المراد الأشياء التي يكرهونها أو يشق عليهم ويعجزهم القيام بها، أما إنزال تلك الأحاديث على جميع الأوضاع واتخاذها ذريعة لتبرير ظلم الظالمين واعتداء المعتدين فهذا ما لا يتفق مع القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم الصريحة التي جاء فيها النهي عن طاعة الأمراء الظلمة أو تأييدهم كحديث كعب بن عجرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أعاذك الله من إمارة السفهاء، قال: وما إمارة السفهاء؟ قال: أمراء يكونون بعدي، لا يقتدون بهدي، ولا يستنون بسنتي، فمن صدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فأولئك ليسوا مني ولست منهم، ولا يردوا على حوضي، ومن لم يصدقهم بكذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم، فأولئك مني وأنا منهم، وسيردوا على حوضي"<sup>(٢)</sup>، وبهذا يظهر أن أمثال هذه الأحاديث هي الموافقة لنصوص القرآن الصريحة الواضحة ولروح التشريع ومقاصد الشريعة وقواعدها الكلية.

قال عروة بن الزبير: «أتيت عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقلت له: يا أبا عبد الرحمن إنا نجلس إلى أئمتنا هؤلاء فيتكلمون بالكلام نحن نعلم أن الحق غيره فنصدقهم ويقضون بالجور فنقويهم ونحسنه لهم فكيف ترى في؟ فقال: يا ابن أخي كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نعد هذا النفاق فلا أدري كيف هو عندكم»<sup>(٣)</sup>.

### س/ كيف يمكن تربية الأجيال على رفض الطاعة في غير المعروف ؟

ج/ يمكن ذلك من خلال إعادة بناء العلاقات داخل الأسرة الصغيرة (البيت)، إذ لا بد أن يتنازل الأب في البيت عن بعض صلاحياته التسلطية لصالح التشاور وأخذ رأي الآخرين داخل الأسرة، وأن يؤمن هو أولاً أن رأيه ليس هو القرار الأول والأخير في البيت، وأن الأسرة يجب أن تقام على أساس المشاركة والمعاونة (الشورى)، وأن يربى أعضاء الأسرة الآخرين على إبداء الرأي وعدم السكوت على الخطأ، فإذا استطعنا تكوين أسرة إسلامية قائمة على الشورى لا على الخوف والتسلط والسمع والطاعة في كل شيء حتى غير المعروف، عندها بإمكاننا أن نكون أسرة أكبر -مجتمعاً ودولة- على

١- الفصل في الملل لابن حزم ١٣٣/٤.

٢- رواه أحمد ٣٢١/٣ برقم: ١٤٤٨١، قال الألباني: «صحيح لغيره» انظر: صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٦٨ برقم: ٢٢٤٢.

٣- أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، ٨ / ١٦٥ برقم: ١٦٤٤٧.



ذلك المنوال، وعندها يمكن أن يُطالب الفرد في المجتمع بممارسة دوره الإيجابي في منع السلطة الكبرى من الخروج على الحدود وتجاوزها.

وفي جانب الأخلاق لابد من إحداث تغيير جذري في نفسية وأخلاق الأفراد، والتي تراكمت عليها آثار الطغيان؛ لأن لنفسية وأخلاق الرعية دوراً كبيراً في بروز الطغيان وكذا في القضاء عليه، فلا بد من الاستعداد النفسي أولاً، ومن ثم لابد من القضاء على الأخلاق والعادات السيئة ثانياً<sup>(١)</sup>.

### • الصدع بالحق ليس من الخروج

بعد ما سبق ذكره أو الإشارة إليه من الأحاديث والتي فيها النهي عن الخروج على الحكام، فإن البعض جمد في فهمها وظن أن الصدع بالحق في وجوه الظلمة والطواغيت والنهي عن المنكر من الخروج عليهم وهذا الفهم من أعجب العجيب، وقد سمعنا من يقول بذلك، بل وينشره في الناس من باب النصح، وهذا خطأ من قائله؛ لأن الصدع بالحق في وجوه الظلمة والطواغيت وإنكار المنكر ليس من الخروج عليهم، ويدل لذلك ما جاء في بعض روايات حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: "بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم -أو نقول- بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم"<sup>(٢)</sup>.

فانظر إلى الحديث كيف جمع بين النهي عن الخروج عليهم، والقيام أو القول بالحق على كل حال وفي كل مكان، مع ترك الخوف الذي يمنع من الصدع بالحق ويسبب المداينة والسكوت على الباطل، ومن الذين يخاف من الصدع بالحق في وجوههم إلا الحكام وأصحاب النفوذ والأمر، فكيف يعد الصدع بالحق وإنكار الباطل والظلم والفساد من الخروج!!؟

إنه من الخروج عن طاعة الله تعالى القائل: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، والقائل: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾ [هود: ١١٣]، ومن الخروج عن طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم القائل: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"<sup>(٣)</sup>، والقائل: "مروا بالمعروف وانكروا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم"<sup>(٤)</sup> وليس الصدع بالحق وإنكار المنكر خروجاً على الظلمة والمفسدين.

١- انظر: الطغيان السياسي وسبل تغييره من المنظور القرآني ص ٣٢١-٣٣٠، بتصرف.

٢- رواه البخاري ٦/ ٢٦٣٣ برقم: ٦٧٧٤، ومسلم ٣/ ١٤٦٩ برقم: ١٧٠٩.

٣- رواه مسلم ١/ ٦٩ برقم: ٤٩.

٤- رواه ابن ماجه ٢/ ١٣٢٧ برقم: ٤٠٠٤، حسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٣٦٧ برقم: ٣٢٣٥.



قال الإمام النووي: «معناه تأمر بالمعروف ونهى عن المنكر في كل زمان ومكان، الكبار والصغار، لا ندهن فيه أحداً، ولا نخافه هو، ولا نلتفت إلى الأئمة، ففيه القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأجمع العلماء على أنه فرض كفاية»<sup>(١)</sup>.

إن الصدع بالحق وردع الظالم وإيقافه عند حده واجب على الأمة جمعاء، تأثم بتركه، وتعرض بسببه للهلاك، ففي حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **"إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه"**<sup>(٢)</sup>، وفي رواية: **"إن الناس إذا رأوا المنكر لا يغيرونه أوشك أن يعمهم الله بعقابه"**<sup>(٣)</sup>، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **"إذا رأيتم أمتي تماب الظالم، أن تقول له إنك أنت ظالم فقد تودع منهم"**<sup>(٤)</sup>.

ويدل لذلك أيضاً حديث: **"سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله"**<sup>(٥)</sup>، وحديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً"**<sup>(٦)</sup>، وفي رواية: **"مثل القائم على حدود الله تعالى والمدن فيها كمثل قوم استهموا على سفينة..."**<sup>(٧)</sup>.

قوله: **"مثل القائم على حدود الله"** أي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الصادع بالحق، وقوله: **"والمدن فيها"** أي: من يرأى ويضيع الحقوق ولا يغير المنكر، والمدن والمداهن واحد. قوله: **"وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً"** المعنى: بأن الناس إن منعوا الفاسق عن الفسق، والظالم عن الظلم، والطاغية عن الطغيان، ونهوه عن ذلك، نجا ونجوا من عذاب الله تعالى، وإن تركوه على فعل المعصية، والظلم والطغيان والفساد، ولم ينصحوه ومنعوه من ذلك، ويرشدوه إلى إعادة

١- شرح النووي على صحيح مسلم ٢٣٠/١٢.

٢- رواه الترمذي ٤/٤٦٧ برقم: ٢١٦٨، صحيحه الألباني في السلسلة الصحيحة ٤/٨٨ برقم: ١٥٦٤.

٣- رواه ابن ماجه ٢/١٣٢٧ برقم: ٤٠٠٥، صحيحه الألباني في صحيح ابن ماجه ٢/٣٦٧ برقم: ٣٢٣٦.

٤- رواه أحمد ٢/١٦٣ برقم: ٦٥٢١، قال الهيثمي: «رواه أحمد وأحمد والبخاري بإسنادين ورجال أحد إسنادي البخاري رجال الصحيح وكذلك رجال أحمد إلا أنه وقع فيه في الأصل غلط فلهذا لم أذكره» مجمع الزوائد ٧/٥١٨ برقم: ١٢١١٠.

٥- رواه الحاكم في المستدرک ٣/٢١٥ برقم: ٤٨٨٤، والطبراني في الأوسط، ٤/٢٣٨، قال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وانظر السلسلة الصحيحة للألباني، ١/٧١٦ برقم: ٣٧٤.

٦- رواه البخاري ٢/٨٨٢ برقم: ٢٣٦١.

٧- رواه أحمد، ٤/٢٦٨ برقم: ١٨٣٨٧، قال شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

الحقوق، وإقامة الحدود، ومنع المنكرات، حل بهم العذاب وهلكوا بشؤمه، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥] أي: بل تصيبكم عامة بسبب مدهانتكم، والمداينة المنهية في الشريعة أن يرى منكراً ويقدر على دفعه ولم يدفعه؛ حفظاً للجانب مرتكبه أو جانب غيره لخوف أو طمع أو لاستحياء منه أو قلة مبالاة في الدين<sup>(١)</sup>.

### • حق الأمة في مراقبة الحاكم

إن من حق الشعوب أن تراقب الحكام لمعرفة استقامتهم على الجادة أو انحرافهم عنها وهذا هو ما يسمى بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاحتساب<sup>(٢)</sup>، فقد خطب أبو بكر الصديق فقال: «يا أيها الناس أي قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن ضعفت فقوموني، وإن أحسنت فأعينوني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، الضعيف فيكم القوي عندي حتى أزيح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم الضعيف عندي حتى آخذ منه الحق إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالفقر، ولا ظهرت -أو قال شاعت- الفاحشة في قوم إلا عمهم البلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله»<sup>(٣)</sup>، وفي رواية: «فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني»<sup>(٤)</sup>.

فهذا إقرار منه رضي الله عنه بحق الأمة وأفرادها في الرقابة على أعماله ومحاسبته عليها ومقاومته لمنع كل منكر يرتكبه وإلزامه السير في الطريق الصحيح والسلوك الشرعي، وإخبار بأن كل حاكم معرض للخطأ وهذا بدوره يتحتم جعله عرضه للمحاسبة ليكون حريصاً على تتبع الصواب والحذر من تعمد ممارسة الخطأ والضرر من جهة، ومن جهة أخرى لسد النقص البشري وتصويب الأعمال وتوجيهها إذا انخرفت ولو بغير قصد، وفيه بيان أنه لا يستمد سلطته من أي امتياز شخصي يجعل له أفضلية على غيره؛ لأن عهد الرسالات والرسول المعصومين قد انتهى بموت آخر رسول كان يتلقى الوحي وانتقاله إلى جوار ربه جل وعلا<sup>(٥)</sup>.

### • إن الأمة تستمد حقها في مراقبة الحاكم ومحاسبته من جملة أمور:

**الأمر الأول:** أنه وكيل عنها، ويستمد سلطته منها، ويمارسها نيابة عنها، والأصيل يملك على الوكيل حق الإشراف والتوجيه والعزل إن هو خرج عن حدود وكالته.

١- تحفة الأحوذى ٣٢٨/٦، ٣٢٩. بتصرف.

٢- مناهج الدعوة دروس مناهج التغيير للشيخ عبد المجيد الزنداني ص ٣٠.

٣- أخرجه عبد الرزاق في المصنف، ١١/ ٣٣٦ برقم: ٢٠٧٠٢.

٤- ذكره ابن كثير من رواية محمد بن اسحاق في البداية والنهاية ٢٤٨/٥، ثم قال: «وهذا إسناد صحيح».

٥- أبو بكر الصديق رضي الله عنه شخصيته وعصره ٣ / ١٤٣.

**الأمر الثاني:** أن الأمة هي المخاطبة أصلاً بتنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية -أي: القانون الإسلامي- وهي القوامة على هذا التنفيذ كما دل على ذلك كثير من خطابات القرآن الكريم، وقد اختارت الأمة الحاكم أداة ووسيلة للتنفيذ، فإذا تحول الحاكم عقبة أمام تنفيذ الشرع حق للأمة المحاسبة والتغيير للقيام بواجبها الأصلي في تنفيذ الشرع.

**الأمر الثالث:** ما أوجبه الشرع لها من حق الشورى التي تتضمن بذل الرأي والنصح، وهذا يستلزم مراقبته على الدوام.

**الأمر الرابع:** أن الأمة مسؤولة عن أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر؛ لأن الأمة كلها مطالبة بأن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر في كل مجال من المجالات وبما فيها مجال الحكم ومحاسبة الحكام في سلطاتهم، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلمه، وذلك أضعف الإيمان"<sup>(١)</sup>، وقال صلى الله عليه وسلم "أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر أو أمير جائر"<sup>(٢)</sup>، وفي رواية: "كلمة حق عند سلطان جائر"<sup>(٣)</sup>.

**الأمر الخامس:** أن الأمة مخاطبة بمناصحة ولادة أمرها فعن تميم الداري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم"<sup>(٤)</sup>، وقد استقر في مفهوم الصحابة أن بقاء الأمة على الاستقامة رهن باستقامة ولائها ولذلك كان من واجبات الرعاية تجاه حكامهم نصحتهم وتقويمهم.

**الأمر السادس:** أن الحاكم في النظام الإسلامي فرد كبقية الأفراد لا يكسبه الحكم الفضل والمزية على غيره، فكما يحاسب غيره ويسأل فهو يُسأل، فنصوص الشريعة لا تفرق بين الرؤساء والمرؤوسين في خضوعهم للحساب والعقاب، وأساس التفاضل في الشريعة التقوى فلا فضل ولا مزية بسبب الحكم أو المنصب.

١- أخرجه مسلم ١ / ٦٩ برقم: ٤٩.

٢- أخرجه أبو داود ٢ / ٥٢٧ برقم: ٤٣٤٤، والترمذي ٤ / ٤٧١ برقم: ٢١٧٤، وابن ماجه ٢ / ١٣٢٩ برقم: ٤٠١١، صححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ٢ / ٣٦٩ برقم: ٣٢٤٠.

٣- أخرجه النسائي ٧ / ١٦١ برقم: ٤٢٠٩، وأحمد ٤ / ٣١٥ برقم: ١٨٨٥٠، قال الألباني: «صحيح لغيره» صحيح الترغيب والترهيب ٢ / ٢٨٤ برقم: ٢٣٠٦.

٤- أخرجه مسلم ١ / ٧٤ برقم: ٥٥.

**الأمر السابع:** أن تصرفات الراعي على الرعية منوطة بالمصلحة، ونفاذ تصرفاته عليهم ولزومها مترتبة على وجود المنفعة والثمرة في ضمنها وإلا رد تصرفه؛ لأنه ناظر وتصرفه في غير مصلحة يكون حينئذٍ متردد بين الضرر والعبث وكلاهما ليس من النظر في شيء.

**الأمر الثامن:** أنه مأمور من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم أن يحوط رعيته بالنصح ومتوعد من قبله على ترك ذلك بأعظم وعيد، فعن معقل بن يسار قال سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة"**<sup>(١)</sup>، وفي رواية: **"ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة"**<sup>(٢)</sup>، وقد نص الشافعي على أن منزلة الإمام من الرعية منزلة الولي من اليتيم<sup>(٣)</sup>.

**الأمر التاسع:** مراقبة الأئمة أصل شرع في الإسلام حتى في العبادات مثل الصلاة، فيحق للمأموم أن يذكر الإمام بخطئه ويصححه، وهذا في الإمامة الصغرى فكيف بالإمامة الكبرى<sup>(٤)</sup>.

### ● إعانة وتقويم

إن دور الرعية أو الأمة-الشعوب- ومشاركتها في الأمر العام يتمثل في أمرين هما: **الإعانة والتقويم**، أي إعانة وتأييد السياسات الصائبة الصادرة من السلطة، وفي مقابل ذلك الاعتراض ورفض السياسات الخاطئة، وتقويم الاعوجاج والخلل والخطأ إذا ما بدر منها وهو ما صرح به الصديق رضي الله عنه عندما قال: **«فإن ضعفت فقوموني، وإن أحسنت فأعينوني»**، أو: **«فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني»**.

إن على الأمة أن تكون حية واعية لها القدرة على المناصرة والمناصرة والمتابعة والتقويم، فالواجب على الرعية نُصرة الإمام الحاكم بما أنزل الله ومعاضدته ومناصرته في أمور الدين والجهاد، ولقد أخذت الدولة الحديثة تلك السياسة الرائدة للصديق وترجمت ذلك إلى لجان متخصصة ومجالس شوروية تمد الحاكم بالخطط وتزوده بالمعلومات وتشير عليه بما يحسن أن يقرره، والشيء الحزن أن كثيراً من الدول الإسلامية تعرض عن هذا النظام الحكيم، فعظم مصيبتها في تسلط الحكام وجبروتهم، وما التخلف الذي يعم معظم ديار المسلمين ما هو إلا نتيجة لتسلط بغيض ودكتاتورية خبيث، أماتت في الأمة روح التناصح والشجاعة، وبذرت فيها وزرعت بها الجبن والفرع إلا من رحم ربي، وأما

١- أخرجه البخاري ٦/ ٢٦١٤ برقم: ٦٧٣١.

٢- أخرجه مسلم ١/ ١٢٥ برقم: ١٤٢.

٣- أشباه ونظائر السيوطي ١/ ١٢١، وشرح القواعد للزرقا، ١/ ٣٠٩، وقواعد الفقه للبركتي ١/ ٧٠، والمنثور للزركشي ١/ ٣٠٩.

٤- انظر: الطغيان السياسي وسبل تغييره من المنظور القرآني ص ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٠٤، ومناهج الدعوة دروس مناهج التغيير ص ٣٠.

الأمة التي تقوم بدورها في مراقبة الحاكم ومناصحته فتأخذ بأسباب القوة والتمكين في الأرض، فتنتقل إلى آفاق الدنيا تبلغ دعوة الله<sup>(١)</sup>.

## ● النصيحة والعزل

إن رقابة الأمم والشعوب للحكام المتمثلة في محوري الإعانة والتقويم تأخذ عدة خطوات، تبدأ بالنصيحة وتنتهي بالمقاضاة والعزل.

أما النصيحة للحكام وولاة الأمور فقد بينها الرسول صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة منها حديث تميم الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم"**<sup>(٢)</sup>، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويسخط لكم ثلاثاً، يرضى لكم: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويسخط لكم: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال"**<sup>(٣)</sup>، وحديث جابر بن مُطعم: **"ثلاث لا يُغَلُّ<sup>(٤)</sup> عليهن قلب مؤمن: إخلاص العمل لله، والنصيحة لولاة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم"**<sup>(٥)</sup><sup>(٦)</sup>.

قال الإمام النووي: «وأما النصيحة لأئمة المسلمين: فمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم، وتألف قلوب الناس لطاعتهم، قال الخطابي رحمه الله: ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم، والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة، وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يدعى لهم بالصلاح، وهذا كله على أن المراد بأئمة المسلمين الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمور المسلمين من أصحاب الولايات»<sup>(٧)</sup>.

١- أبو بكر الصديق رضي الله عنه شخصيته وعصره، ٣ / ١٤٤، بتصرف.

٢- أخرجه مسلم، ١ / ٧٤ برقم: ٥٥.

٣- أخرجه أحمد، ٢ / ٣٦٧ برقم: ٨٧٨٥، وابن حبان في صحيح، ٨ / ١٨٢ برقم: ٣٣٨٨، قال الشيخ الألباني: «صحيح» انظر: حديث رقم: ١٨٩٥ في صحيح الجامع، وانظر: الجامع الصغير وزيادته، ١ / ٢٧٨ برقم: ٢٧٧٦.

٤- قال الإمام القاري: «**"لا يُغَلُّ"** بفتح الياء وضمها وبكسر الغين، فالأول من الغل: الحقد، والثاني من الإغلال: الخيانة، **"عليهن"** أي: على تلك الخصال، **"قلب مسلم"** أي: كامل، والمعنى أن المؤمن لا يخون في هذه الثلاثة الأشياء ولا يدخله ضغن يزيله عن الحق حين يفعل شيئاً من ذلك قاله التوربشتي، وقال الزمخشري- في الفائق-: إن هذه الخلال يستصلح بها القلوب فمن تمسك بها طهر قلبه من الغل والفساد»، مرقاة المفاتيح ١ / ٤٤١، ٤٤٢، وانظر: شرح سنن ابن ماجه ١ / ٢١٩.

٥- قال الإمام القاري: «**"فإن دعوتهم تحيط"** أي: تدور... والمعنى أن دعوة المسلمين قد أحاطت بهم فنحرسهم عن كيد الشيطان وعن الضلالة»، مرقاة المفاتيح ١ / ٤٤٢.

٦- أخرجه ابن ماجه، ٢ / ١٠١٥ برقم: ٣٠٥٦، صححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ٢ / ١٨٢ برقم: ٢٤٨٠.

٧- شرح صحيح مسلم، ٢ / ٣٨.

قال ابن حجر: «**لائمة المسلمين**» إعانتهم على ما حملوا القيام به، وتنبيههم عند الغفلة، وسد خللتهم عند الهفوة، وجمع الكلمة عليهم، ورد القلوب النافرة إليهم، ومن أعظم نصيحتهم دفعهم عن الظلم بالتي هي أحسن»<sup>(١)</sup>.

قال ابن عبد البر: «وأما قوله: **"تناصحوا من ولاه الله أمركم"** ففيه إيجاب النصيحة على العامة لولاية الأمر وهم الأئمة والخلفاء وكذلك سائر الأمراء»<sup>(٢)</sup>.

إن النصيحة لب الدين وجوهر الإيمان، ودليل حب الخير للآخرين، وبغض الشر لهم، وفيها صلاح المجتمع؛ إذ تشاع فيه الفضيلة، وتستتر فيه الرذيلة، وتحل فيه الرحمة والوداد مكان القسوة والشقاق، من قام بها على وجهها يستحق الإكرام لا اللوم والتقريع، وفي القيام بها والمحافظة عليها ما يكفل حياة مستقرة للمجتمع الإسلامي، وإن تبين خطأ المخطئ في الأمور وإن كرهه من النصيحة الواجبة لا من الغيبة المحرمة<sup>(٣)</sup>، ويجب أن توجه النصيحة إلى الحاكم ولا سيما في المراحل الأولى بأسلوب غير مباشر حتى لا تثير في نفسيته أية حساسية تمنعه من الامتثال للحق، أو تقدم له على شكل استفسار لتذكيره ما فاتته من الحق؛ فقد يقدم الحاكم على فعل الخطأ ظناً منه أنه الحق، وإن كان فيه إهدار لحقوق الآخرين في المجتمع، وتذكيره قد يثوب إلى الصواب والحق<sup>(٤)</sup>.

وأما مقاضاة الحاكم ومحاكمته فلأنه فرد من أفراد الدولة الإسلامية، وليس هناك شخص في الأمة الإسلامية فوق الشريعة سواء كان حاكماً أو محكوماً؛ فالجميع مطالب بالخضوع للقضاء في أي منازعة بينه وبين أي فرد من أفراد الأمة أو أي جماعة من أبنائها<sup>(٥)</sup>، فكيف بالمنازعة لجميع أبناء الشعب، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وأما العزل فإن من حق الأمة عزل الحاكم المسيء؛ لأنه بإساءته لا يكون مؤهلاً لحمل الأمانة، وقد أمر الله تعالى بأداء الأمانات إلى أهلها، ومن فقد الأهلية تترع منه الولاية، إلا أن ذلك مقيد بعدم تسبب ذلك في الفتنة وإراقة الدماء<sup>(٦)</sup>.

١- فتح الباري، ١/ ١٣٨.

٢- التمهيد، ٢١/ ٢٨٤.

٣- انظر: نظرة النعيم ٨/ ٣٥٠٧.

٤- الطغيان السياسي وسبل تغييره من المنظور القرآني ص ٣٠٢.

٥- مناهج الدعوة دروس مناهج التغيير ص ٣١.

٦- المصدر نفسه ص ٣٢.

## المطلب الثاني: وفيه السبب الثامن وهو الإعراض عن شكر النعمة

لقد أدر الله تعالى على سبأ -قبيلة معروفة في أدنى اليمن- في محلهم الذي يسكنون فيه -بلدة مأرب- من النعم وصرف عنهم من النقم ما يقتضي ذلك منهم أن يعبدوا الله ويشكروه، حيث كان لهم واد عظيم تأتية سيول كثيرة وكانوا قد بنوا سداً محكماً يكون مجمعاً للماء، فكانت السيول تأتية فيجتمع هناك ماء عظيم فيفرقونه على بساتينهم التي عن يمين ذلك الوادي وشماله، وتُغَلِّ لهم تلك الجنتان العظيمنتان من الثمار ما يكفيهم ويحصل لهم الغبطة والسرور، فأمرهم الله بشكر نعمه التي أدرها عليهم من وجوه كثيرة منها: أن الله جعل بلدهم بلدة طيبة؛ لحسن هوائها وقلة وحماها وحصول الرزق الرغد فيها، ومنها أن الله تعالى وعدهم إن شكروه أن يغفر لهم ويرحمهم، ومنها أن الله لما علم احتياجهم في تجارتهم ومكاسبهم إلى الأرض المباركة - قيل إنها قرى صنعاء كما قاله غير واحد من السلف، وقيل إنها الشام- هياً لهم من الأسباب ما به يتيسر وصولهم إليها بغاية السهولة من الأمن وعدم الخوف، وتواصل القرى بينهم وبينها بحيث لا يكون عليهم مشقة بحمل الزاد والمزاد، يسير مقدر يعرفونه ويحكمون عليه بحيث لا يتيهون عنه ليسيروا فيها ليالي وأياماً آمنين مطمئنين في السير غير خائفين، وهذا من تمام نعمة الله عليهم أن أمنهم من الخوف، فأعرضوا عن المنعم وعن عبادته وبطروا النعمة وملوها حتى أنهم طلبوا وتمنوا أن تتباعد أسفارهم بين تلك القرى التي كان السير فيها متيسراً، وظلموا أنفسهم بكفرهم بالله وبنعمته، فعاقبهم الله تعالى بهذه النعمة التي أطعتهم فأبأها عليهم، فأرسل عليها سيل العرم المتوعر الذي خرب سدهم وأتلف جناحهم وخرب بساتينهم، فتبدلت تلك الجنتات ذات الحدايق العجيبة والأشجار المثمرة وصار بدلها أشجار لا نفع فيها، وبدلهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل أي: شيء قليل من الأكل الذي لا يقع منهم موقعاً، وخطط وأتلف وشيء من سدر قليل وهذا كله شجر معروف وهذا من جنس عملهم، فكما بدلوا الشكر الحسن بالكفر القبيح بدلت تلك النعمة بما ذكر مجازاة على كفرهم بالله وبطر النعمة، فلما أصابهم ما أصابهم تفرقوا وتمزقوا بعدما كانوا مجتمعين، وجعلهم الله أحاديث يُتحدث بهم وأسماراً للناس وكان يضرب بهم المثل فيقال: تفرقوا أيدي سبأ، فكل أحد يتحدث بما جرى لهم ولكن لا ينتفع بالعبرة فيهم إلا كل صبار على المكاره والشدائد يتحملها لوجه الله ولا يتسخطها بل يصبر عليها، شكور لنعمة الله تعالى يقر بها ويعترف ويثني على من أولأها ويصرفها في طاعته، فهذا إذا سمع بقصتهم وما جرى منهم وعليهم عرف بذلك أن تلك العقوبة جزاء لكفرهم نعمة الله وأن من فعل مثلهم فعل به كما فعل بهم، وأن شكر الله تعالى حافظ للنعمة دافع للنقمة، وأن رسل الله صادقون فيما أخبروا به، وأن الجزاء حق كما رأى أمودجه في دار الدنيا<sup>(١)</sup>، قال تعالى حاكياً لنا هذه الواقعة: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ

١- انظر: تفسير السعدي، ص ٦٧٧، ٦٧٨.

جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةً طَيِّبَةً رَبُّ غُفُورٌ \* فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ \* ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ \* وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمُ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ \* فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَرَفْنَاهُمْ كُلَّ مُمْرَقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿سبأ: ١٥-١٩﴾.

إن توحيد الصف وجمع الكلمة والشتات وتأليف القلوب ولم الشمل لمن أجل النعم وأعظمها ولهذا امتن الله تعالى على عباده بتأليف القلوب وجمع الشتات ورفع الفرقة والتزاع فقال جل من قائل سبحانه: ﴿وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣].

وهذه النعمة من شأنها كما هو الحال في سائر النعم أن يقوم العباد بشكرها والثناء على المنعم والمتفضل بها سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١] فهذه الآية تشمل النعم الدينية والدنيوية أي: اثن على الله بها وانشر ما أنعم الله عليك بالشكر والثناء والتحدث بنعم الله والاعتراف بها لله تعالى، ومن شكر كل نعمة ألا يعصى الله بعد تلك النعمة، ومن شكرها معرفة المنعم وأن لا تعرف لنفسك في النعمة حظاً بل تراها من الله عز وجل<sup>(١)</sup> قال الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نُّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

والشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح، أما بالقلب فهو أن يقصد الخير ويضمّره للخلق كافة، وأما باللسان فهو إظهار الشكر لله بالتحميد وإظهار الرضا عن الله تعالى، وأما الجوارح فهو استعمال نعم الله في طاعته والتوقّي من الاستعانة بها على معصيته<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم في الشكر: «وهو ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبةً، وعلى جوارحه انقياداً وطاعةً، والشكر مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحب له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها، وأن لا يستعملها فيما يكره، فهذه الخمس هي أساس الشكر وبنائوه عليها، فمتى عدم منها واحدة اختل من قواعد الشكر قاعدة»<sup>(٣)</sup>.

إن شكر نعمة الوحدة يكون بالقلب بأن يقصد منها حب الخير ويضمّر للخلق كافة، ويقصد منها العمل على تأليف قلوب الناس والسعي للوحدة العظمى للمسلمين، ويقصد منها السعي لجمع الشتات وتقوية الشعوب، ودحر مخططات اليهود والنصارى وأعوانهم العملاء، ويقصد منها التيسير

١- تفسير السعدي ص ٩٢٩، و تفسير القرطبي ١٠٢/٢٠، و تفسير البغوي ٥٠٠/٤، والجواهر الحسان في تفسير القرآن، ١٩٥/١.

٢- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٦ / ٢٤١٨، ٢٤١٩.

٣- مدارج السالكين ٢/٢٤٤.



والتسهيل على الناس بترع الحدود الاستعمارية المصطنعة التي باعدتهم وعرفلت من سيرهم في الأرض، وضيق عليهم، وأما باللسان فيكون بإظهار الشكر لله بالحمد والثناء والاعتراف بالفضل لله تعالى في جميع وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية، وفي الخطابات والكتابات، فهو سبحانه وتعالى الذي هياً أسبابها وسهل طريقها فالفضل منه وإليه.

قال أبو تمام:

وَمِنَ الرِّزِيَّةِ أَنَّ شَكْرِي صَامَتْ عَمَّا فَعَلْتَ وَأَنَّ بَرَكَ نَاطِقُ  
وَأَخْفُ مَا جَشَمَ امْرُؤٌ وَسَعَى لَهُ يَوْمًا لِذِي التُّعْمَى الثَّنَاءُ الصَّادِقُ  
أَأْرَى الصَّنِيعَةَ مِنْكَ ثُمَّ أَسْرَهَا إِنْ إِذَا لَيْدِ الْكِرَامِ لَسَارِقُ<sup>(١)</sup>

وأنشد علي بن محمد:

علامة شكر المرء إعلان حمده فمن كتم المعروف منهم فما شكر<sup>(٢)</sup>  
وأما بالجوارح -وهذا هو الجانب العملي التطبيقي- فباستعمال هذه الوحدة في طاعته تعالى والانقياد له وإخضاع من دخل في هذه النعمة للشرعية الغراء والحكم العادل الذي أمر الله تعالى به، والعمل على استثمار خيرات البلاد وإرجاع العائدات على العباد، والسعي في تطوير البلاد ورفع الفاقة والفقر عن الناس وتحسين مستواهم المعيشي وتوفير الحياة الكريمة لهم، وإعداد العدة الحربية القوية التي تحفظ لهذه البلاد المتحدة هيبتها ومكانتها أمام دول العالم، ويدخل في ذلك التسليح النووي الدفاعي، والعمل على إعادة الحقوق إلى أهلها ورفع المظالم وتحرير القضاء من الخضوع والخنوع، والعمل على إيجاد كل ما من شأنه تحقيق المصالح العامة لجميع أفراد البلاد الواحدة، والحذر من الاستعانة بهذه النعمة على معصيته تعالى أو السعي وراء تحقيق الأغراض والمصالح الشخصية أو تنفيذ مخططات الغرب من ظلم المحكومين والجور عليهم وكل ما من شأنه أن يزعزع أركان هذه النعمة العظيمة.

قال الإمام الغزالي: «اعلم أنه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة إلا الجهل والغفلة، فإنهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم، ولا يتصور شكر النعمة إلا بعد معرفتها، ثم إنهم إن عرفوا نعمة ظنوا أن الشكر عليها أن يقول بلسانه: الحمد لله الشكر لله، ولم يعرفوا أن معنى الشكر أن يستعمل النعمة في إتمام الحكمة التي أريدت بها وهي طاعة الله عز وجل، فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين المعرفتين إلا غلبة الشهوة واستيلاء الشيطان»<sup>(٣)</sup>، فلا بد من اجتماع جميع أنواع الشكر.

١- ديوان أبو تمام ١/٦٥٨، ٦٥٩.

٢- روضة العقلاء ١/٢٦٧.

٣- إحياء علوم الدين ٤/١٢٣.

قال الجنيد بن محمد: «حقيقة الشكر ألا يستعان بشيء من نعمه على معاصيه»<sup>(١)</sup>.

إن نسبة هذه النعمة إلى غير الله تعالى يتنافى مع شكرها، بل هو من الإعراض عن شكرها الذي هو صنف من الإعراض عن الحق، وقد عد الإمام ابن حجر الهيتمي الإعراض من الكبائر، وهي من كبائر الباطن التي يذم العبد عليها أعظم مما يذم على السرقة والزنا ونحوها من كبائر البدن؛ وذلك لعظم مفسدتها، وسوء أثرها ودوامه، والإنسان من طبعه الإعراض قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: ٥١].

إن الله تعالى قد جمع كلمة الأوس والخزرج بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومع هذا ذكر الله تعالى أن هذا التأليف إنما هو منه سبحانه وتعالى، وهذا النبي صلى الله عليه وسلم يعيد الفضل في جمع الأنصار وتوحيدهم إلى الله تعالى وحده فعن عبد الله بن زيد بن عاصم قال: لما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئاً فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس فخطبهم فقال: "يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فآلفكم الله بي، وكنتم عالة فأغناكم الله بي كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أمن"<sup>(٢)</sup>، ودخل صلى الله عليه وسلم مكة ركباً على ناقته القصواء مردفاً أسامة بن زيد بكرة<sup>(٣)</sup> يوم الجمعة واضعاً رأسه الشريف على رحله تواضعاً لله تعالى حين رأى ما رأى من فتح الله تعالى مكة وكثرة المسلمين<sup>(٤)</sup>.

قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إن النعمة موصولة بالشكر، والشكر يتعلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد»<sup>(٥)</sup>.  
إن مما يعرض الوحدة للخطر أن تربط بالأشخاص أو الأنظمة؛ لأن الناس متى كرهوا هؤلاء الأشخاص أو تلك الأنظمة وكرهوا ولايتهم؛ لظلمهم وجورهم كرهوا هذه الوحدة، فمتى يُتفطن لهذا؟!؟

هذا لا يعني أن لا يشكر الناس؛ لأنه "لا يشكر الله من لا يشكر الناس"<sup>(٦)</sup> لكن المقصود العدل وإعطاء كل ذي حق حقه، فهل من حق هذه النعمة أن نجردها لغير الله تعالى؟!؟

١- حلية الأولياء ٢٦٨/١٠.

٢- رواه البخاري ١٥٧٤/٤ برقم: ٤٠٧٥ ومسلم، ٧٣٨/٢ برقم: ١٠٦١.

٣- البكرة: بفتح الباء الفتية من الإبل الصغيرة كالجارية، شرح النووي على صحيح مسلم (١٨٤/٩)، (٣٧/١١).

٤- السيرة الحلبية ٢٧/٣، والسيرة النبوية ٦٣/٥.

٥- عدة الصابرين ٩٨/١.

٦- أخرجه أبو داود ٦٧١/٢ برقم: ٤٨١١، والترمذي ٣٣٩/٤ برقم: ١٩٥٤، صحيحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب

٢٣٥/١ برقم: ٩٧٣، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ تُصَرَّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٨].

قال الإمام السعدي: «أي: ننوعها ونبينها ونضرب فيها الأمثال ونسوقها لقوم يشكرون الله بالاعتراف بنعمه والإقرار بها وصرفها في مرضاة الله، فهم الذين ينتفعون بما فصل الله في كتابه من الأحكام والمطالب الإلهية؛ لأنهم يرونها من أكبر النعم الواصلة إليهم من ربهم، فيتلقونها مفتقرين إليها، فرحين بها، فيتدبرونها، ويتأملونها، فيبين لهم من معانيها بحسب استعدادهم، وهذا مثال للقلوب حين يتزل عليها الوحي الذي هو مادة الحياة كما أن الغيث مادة الحياة، فإن القلوب الطيبة حين يجيئها الوحي تقبله وتعلمه وتنبت بحسب طيب أصلها وحسن عنصرها، وأما القلوب الخبيثة التي لا خير فيها فإذا جاءها الوحي لم يجد محلاً قابلاً بل يجدها غافلة معرضة أو معارضة فيكون كالطر الذي يمر على السباح<sup>(١)</sup> والرمال والصخور فلا يؤثر فيها شيئاً»<sup>(٢)</sup>.

### ● الشاكر يسابق في أمر دينه ويقنع بأمر دنياه:

عن عمرو بن شعيب عن جده عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكراً صابراً، ومن لم تكونا فيه لم يكتبه الله شاكراً ولا صابراً، من نظر في دينه إلى من هو فوقه فافتدى به، ونظر في دنياه إلى من هو دونه فحمد الله على ما فضله به عليه كتبه الله شاكراً صابراً، ومن نظر في دينه إلى من هو دونه ونظر في دنياه إلى من هو فوقه فأسف على ما فاتته منه لم يكتبه الله شاكراً ولا صابراً"<sup>(٣)</sup>.

هذا الحديث ينص على أن ينظر الإنسان في أمور الدين إلى من هو فوقه؛ حتى يعلم أنه مقصر فتشتد همته للطاعة، أما في أمور الدنيا فينظر إلى من هو دونه حتى لا يزدري نعمة الله عليه، ولهذا جاء الأمر بذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "انظروا إلى من أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله"<sup>(٤)</sup>.

إن هذا الحديث يشير إلى أمر يجمع القلوب ويوحد الصفوف ويرفع باب فتنة يقود إلى التمزق والتفرق؛ لأن الإنسان إذا نظر في أمور الدين إلى من هو أسفل منه ضيع وفرط، وإذا نظر في أمور الدنيا إلى من هو أعلى منه تنقص النعمة وربما قاده ذلك إلى اللجوء إلى السبل الغير مشروعة للحصول

١- التي لا تُنبِت من الأرض، فهي لا تنتفع بالماء، ولا تمسكه لينتفع بها غيرها، شرح النووي على صحيح مسلم ٤٨/١٥.

٢- تفسير السعدي ص ٢٩٢.

٣- أخرجه الترمذي ٤/ ٦٦٥ برقم: ٢٥١٢، ضعفه الألباني في ضعيف الترمذي ٢٨٨/١ برقم: ٤٥١، ويشهد له حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه" [أخرجه البخاري ٥/ ٢٣٨٠ برقم: ٦١٢٥، ومسلم ٤/ ٢٢٧٥ برقم: ٢٩٦٣].

٤- أخرجه مسلم ٤/ ٢٢٧٥ برقم: ٢٩٦٣.

على المال من غش وسلب ونهب فيتشاحن الناس وتتنافر القلوب ويتفرق المجتمع، خصوصاً إذا كان من المتنفذين ومن ييدهم القوة والسلطة، فيستخدمها لتحقيق أغراضه ومصالحه الشخصية، دون التفات أو نظر إلى الناس، فيقع الظلم بسلب الأموال والاستيلاء على حقوق الآخرين، ومخالفة أحكام الشريعة، وتركب المعاصي، وكل هذه أسباب وطرق لوقوع الفرقة والتمزق عافانا الله وجميع المسلمين. إن هذا الأمر هو المشاهد والملموس في الواقع من المتنفذين في كثير من البلاد حيث أعرضوا عن شكر النعمة فجعل أحدهم ينظر في أمور دينه إلى من هو أدنى منه بل ربما إلى من لا يحمل من الدين إلا التثر اليسير فلماذا نجد التضييع والمخالفة الظاهرة لأحكام الشريعة حتى وصل الأمر بالبعض إلى إعلان الحرب على الشريعة وحملتها بحجة التطرف والغلو، وينظر في أمور الدنيا إلى من هو أعلى وأغنى فيجد أن ما معه يعتبر قليلاً ويسيراً بمقابلته مع من فوقه، وهكذا من فوقه ينظر إلى من هو أعلى منه، وهكذا بعض الوزراء والأمراء ينظر كل واحد إلى من هو أعلى منه حتى ينظر بعضهم إلى الحاكم، وبعض الحكام ينظر بعضهم إلى حال بعض فيجد أحدهم نفسه بجوار الآخر من المعدمين، فيُسخر هؤلاء -المتنفذون والمسؤولون والوجهاء والأمراء والوزراء والرؤساء والملوك- طاقاتهم وجهودهم في العمل على زيادة الأرصدة حتى بالممنوع مما يلجئهم ذلك إلى النهب والسلب والسطو على الممتلكات العامة للدول والخاصة للشعوب في سبيل تحقيق شرف المليونيرية أو المليارديرية، فشاع الفساد والظلم في ظل هذا الوضع من جهة وفي ظل الوضع الاقتصادي الرديء المصطنع من أعداء هذه الأمة من جهة أخرى مما تسبب في انتشار الفقر الفاحش والبطالة إلى حد كبير، فعندما تنظر الشعوب تجد أن المتنفذين عليها هم أصحاب الثراء الفاحش ولها الفقر المتقع، فتضج الشعوب وتهيج وتضطرب خصوصاً عندما يشعر الفرد من أبناء هذه الشعوب أنه أصبح مذلاً مهاناً محتقراً فيسهل على أي قوى داخلية أو خارجية العمل على تهيجها ضد هؤلاء المتنفذين، ويزداد الأمر خطراً عندما يصير أصحاب الأمر على مواقفهم وسياساتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تزيد الطين بله والأمر عله، والخروج من مثل هذا المأزق بالإقبال على شكر النعمة والنظر إلى حال الفقراء والمعدمين ليعرف المرء نعمة الله عليه، والرجوع إلى الشريعة الإسلامية والتمسك بها والنظر إلى أهل الهمم العالية ليرى المرء تقصيره وتفريطه، والحذر من خطوات الشيطان وجنوده من يهود ونصارى ومن سار على شاكلتهم.

### • من فوائد الشكر

الشكر للنعم ومنهما نعمة الوحدة ورد الفضل فيها إلى الله تعالى من كمال الإيمان وحسن الإسلام إذ أنه نصف الدين والنصف الآخر الصبر، وفيه اعتراف بالمنعم والنعمة، وهو سبب من أسباب حفظ النعمة بل المزيد من الأمن والاستقرار والرخاء والألفة والأخوة والوحدة والبعد عن التفرق والتمزق

والفتن والبلاء، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

أنشد الكريزي:

أحق الناس منك بحسن عون      لمن سلفت لكم نعم عليه  
وأشكرهم أحقهم جميعاً      بحسن صنعة منكم إليه<sup>(١)</sup>

وبالشكر يؤدي الإنسان حق النعم، ويكسب العبد رضا الرب ومحبته، والإنسان الشكور قريب من الناس حبيب إليهم، وفيه دليل على سمو النفس ووفور العقل، والرغبة الصادقة في الإصلاح، والشكور قريب العين، يحب الخير للآخرين ولا يحسد من كان في نعمة<sup>(٢)</sup>، وهو طريق الوقاية من الفتن والقلق والاضطرابات في الدنيا والنجاة من العذاب في الآخرة قال الله تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧].

أما الإعراض عن الشكر فدليل نقص الإيمان وسفاهة الأحلام، والبعد عن الناس وعن الله العزيز العلام، ودليل على الكبر فهو الدافع إليه في العادة، ويوقع في الضلال، والمعرض عن الحق والشكر ينساه الله في العذاب كما نسي ذكر الله وشكره، وهو طريق يوصل إلى النار وغضب الجبار<sup>(٣)</sup>.

١- روضة العقلاء ١/ ٢٦٤.

٢- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٦ / ٢٤١٩.

٣- المصدر نفسه ٩ / ٣٩٢٦.

## المبحث السادس: وفيه السبب التاسع وهو التآمر الخارجي

لقد سبق وأن أشرت في المقدمة إلى أن جمع الكلمة ووحدة الصف وتأليف القلوب وتوحيد المسلمين من أسمى المطالب وأجلها وأعلاها وأشرفها وأثمنها؛ لما ينتج عن ذلك من قوة ضاربة للمجتمع المسلم بحيث لا يجرؤ أعداؤه من التسلط عليه، وأشرت إلى أن حبيبنا محمداً عليه أفضل الصلاة والسلام قد أدرك هذا الأمر وأهميته فبادر في أول تأسيسه للدولة الإسلامية إلى المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وجمع كلمتهم وتوحيد صفهم وإزالة الفخر بالأنساب والعشائر والعصبة، فجمعت هذه الأخوة في صدرها الرحب والواسع بين علي القرشي وبلال الحبشي وسلمان الفارسي وصهيب الرومي، فتكون مجتمع واحد صفه واحد فقويت بذلك شوكتهم واستعصوا على عدوهم فما استطاع مد أقوى وأعظم امبراطوريتين -فارس والروم- من الوقوف أمام زحفهم لنشر نور الحق والهداية لجميع الخلائق بل سقطت تلك الامبراطوريتان أمام هذا المجتمع الموحد القوي، وأشرت إلى أن الأعداء نظروا إلى مصدر قوة الدولة الإسلامية، فوجدوا أن وحدتها وجمع كلمتها وصفها هو السبب الرئيس لذلك، فجعلوا يكيّدون المؤامرات لتفريقهم وتمزيقهم، ونجحوا عندما أسقطوا الخلافة العثمانية، ومزقوا دولة الإسلام إلى دويلات صغيرة لكل دولة حدودها التي تفصلها عن غيرها، ومن ثم وردوا لنا كل سبل وطرق الفتنة والشتات والخلاف والتمزق تحت مسميات مرموقة كالديمقراطية المكذوبة بدليل أن الغلبة إذا كانت في كفة الصالحين تكالب عليهم العالم بأسره من أقصاه إلى أقصاه كما حدث في فلسطين، وإن كانت الغلبة للعملاء والظالمين المستبدين بآرك العالم هذه العملية الديمقراطية المأثومة، ولا زالوا يمارسون الضغط على الحكومات العربية لتنفيذ كل الطرق والسبل والوسائل التي تمزق هذه الممزقات، ولا يزالون كلما وجدوا سبباً للفرقة والفتنة والتمزق صدروه لنا، وجعلوا له شعاراً منمقاً وأوجدوا لهم عملاء يروجون لذلك تحت شعارات ومسميات زائفة خداعة.

إن اليهود والنصارى وأعوانهم وعملاءهم في العالم يدركون ما الذي تعنيه وحدة أبناء هذه الممزقات الإسلامية، ولهذا كلما وجدوا باباً يجمع هذه الأمة كسروه وأزالوه، وساعدتهم على تسهيل ذلك عمالة مجموعة من حكام وأبناء هذه الممزقات، وإلا فلماذا لم تطبق فكرة إنشاء سوق إسلامية!!! ولماذا لم تطبق فكرة إنشاء محكمة عدل إسلامية تنظر في القضايا الدولية المقدمة ضد الدول الإسلامية وأفرادها!!! الجواب هو أن قيام السوق الإسلامية يمهد لقيام اتحاد إسلامي، وهذا الاتحاد يعني أن دول الاتحاد تدخل في اتفاقية تنص على أن أي اعتداء على أي دولة من دول هذا الاتحاد يعني اعتداء على كل دول الاتحاد وبالتالي لا بد أن يتخذ الاتحاد قراراً حازماً حيال هذا الاعتداء، وهذا ما لا يريده أعداء الإسلام، ولهذا لما طرحت أمثال هذه المقترحات أعقبتها ضغط خارجي على الحكام لإفشال تنفيذ هذه الأفكار التي تنهض بهذه الأمة وتعيد لها مكانتها بين أمم

العالم، ولهذا لما رأوا أن تحقيق الوحدة اليمنية أوجد الأمل في توحيد جميع الممزقات الإسلامية، بادروا الآن إلى بذل جهود قوية مادية ومعنوية لإثارة الفتن فيهم وإشعال فتيل التمزيق والانفصال بالتأثير في الناس بطرق مباشرة وغير مباشرة، وأشعلوا في قلوبهم العصبية والمناطقية، ووجد ممثلوهم تأييداً شعبياً قوياً؛ لأنهم استغلوا وتعلقوا في تحقيق هذا الهدف الخسيس بالواقع والظروف السيئة والمتردة التي يعيشها هؤلاء بل تعيشها البلاد برمتها من ظلم وسلب ونهب للثروات والممتلكات العامة والخاصة من قبل المتنفذين، وزاد الطين بلة والأمر علة عدم استقلالية القضاء؛ نظراً لتسلط هؤلاء المتنفذين عليه، ومما زاد الأمر سوءاً الحالة الاقتصادية المتردية والمتدهورة والمنهارة التي تنذر بمزيد من التدهور، وفشو وانتشار الوساطة والمحسوبية والرشوة مما أدى إلى ضياع الحقوق وانتشار الفساد والظلم وزيادة البطالة وانتشار الفقر، كل ذلك هياً بيئة خصبة للدعوة إلى تمزيق وتشطير البلاد وسهل انتشار هذه الدعوى والتفاف الكثير من حولها رجاء التخلص من هذا الواقع الأليم والمرير الذي أصبح الفرد يرى نفسه فيه مهاناً، فتكون حراك يدعو إلى الانفصال، أفراد من أبنا هذا البلد نواياهم ومقاصدهم حسنة، إلا أنهم لا يدركون تماماً أن ما قاموا إليه ويقومون به وراءه قوى خارجية تسعى من وراء تأييده أودعته إلى تشطير البلاد وتمزيقها؛ لتضعيفها - ليسهل بعد ذلك الانقضاض على كل فريسة على حدة - لا لإزالة الظلم الواقع عليهم، وإلا فلماذا لا تصرخ هذه القوى الخارجية في وجه الحكومة وتدعوها صراحة أمام كل العالم إلى إصلاح وضع البلاد ورفع الظلم والفساد؟! لماذا تدعم هذه القوى الحراك ليقوم ضد الحكومة وفي نفس الوقت تدعم الحكومة لتطویر فسادها وتبرم معها الصفقات الغير قانونية التي تسلب وتنهب فيها أموال وثروات هذا الشعب؟! لماذا لا يتركون التعاون مع هذا النظام الفاسد ويقاطعونه ويقفون عن إبرام الصفقات معه حتى يسوي من وضعة؟!!

وكذلك السودان نجد فيه سعي من القوى الخارجية وسيلان لعابها لقضية دار فور والعمل على تهيج سكان الإقليم ضد الحكومة واستثارة قادة الإقليم، وحملة إعلامية منظمة ومدرسة تصور وضعاً رهيباً مريعاً مربعاً في الإقليم لتشكيل رأي عام عالمي يدعوا إلى النهوض على الحكومة وإسقاطها وشن الحرب عليها، والسبب في الظاهر تخلص أهل الإقليم من الظلم والفساد والمجاعة، وفي الباطن الانقضاض على الثروة النفطية للإقليم كما حصل تماماً في العراق غير أن أكذوبة العراق كانت أسلحة الدمار الشامل وأما دار فور فأكذوبتها قلوبهم التي تحمل في ظاهرها الرحمة وفي باطنها الخبث والكيد والمكر والحقد...

ونجد أكذوبة أخرى من طراز آخر فريد هي أكذوبة مكافحة القرصنة في الصومال والتي يهدفون من ورائها إلى الانقضاض على الصومال لما يمتلكه من موقع استراتيجي كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى.

إذاً وبكل بساطة نقول: إن هذه القوى لا تهدف إلى رفع الظلم عن هؤلاء المظلومين بل تريد تمزيق وحدة هذه الشعوب والتي جعلت من هذه البلاد قوة ليس من السهل تفكيكها، ومن ثم الانقضاض على ثرواتها، فلا بد من التنبيه والحذر من السير في طريق الهبوط والمشاركة في تمزيق الصف، والحذر من أن نجعل الحماسة والغضب يعميان عن الأخذ بالحق، ولا يعني هذا الخنوع للظلم بل نطالب الحكومات بإصلاح الأوضاع، ورفع الظلم والفساد مطالبة ليس معها قتل وسلب وحرق للممتلكات العامة والخاصة، ولو وقف أبناء هذه البلدان وجميع بلدان الإسلام يدعون إلى رفع الظلم وإعادة الحقوق، لوجدت الدول نفسها مضطرة للخضوع للمطالب، وعلى الدول أن تحذر من السير وراء مخططات الأعداء لتمزيق اقتصاد البلدان تحت مسمى الإصلاحات الاقتصادية، فهي إفسادات اقتصادية تحطم الاقتصاد وتقضي عليه تنفيذاً للمخطط الرأسمالي الساعي إلى نزع الأموال من الشعوب وجعلها في يد فئة قليلة من الناس لا تزيد عن ٢٠% هي الـ ١% الرأسمالية؛ يهدفون من وراء ذلك إلى إذلال الشعوب وإهانتها وعولمتها لتكون لهم السيادة والكلمة وشعارهم في ذلك جوع كلبك يتبعك، ومن لا يملك قوته لا يملك قراره، وقد انجرت كثير من الحكومات وراء هذه المخططات وأبرمت الاتفاقيات على ذلك مع ما يسمى بالبنك الدولي تحت شعار ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب وهو شعار النهوض بالاقتصاد وتطويره والسعي لتحقيق الإصلاحات الاقتصادية والرقى بالبلدان كما حصل في اليمن بعد عام تسعين، هذه هي الأكذوبة التي لعب فيها البنك الدولي وأسياده على كثير من الحكومات ومنها الحكومة اليمنية بعد عام تسعين لتمزيق وحدتها بنفس بارد من خلال تحطيم اقتصادها، والمؤسف أن الدولة أهملت نداء أهل الخبرة والاختصاص وأصحاب النظر الثاقب من العلماء والمختصين آن ذاك عندما نهضوا ووقفوا في وجه هذه الإفسادات الاقتصادية التي خدع بها الكثير وبنوا حقيقتها بكل وضوح لكبار مسئولى الدولة، وها هي النتيجة الحقيقية لهذه الاتفاقيات الخبيثة تظهر في الواقع، وما سياسات التجريح والتجويع والإهانة والإذلال لهذه الشعوب وأوهام السياسات الاقتصادية التي الدول ماضية في تطبيقها إلا لتنفيذ هذه المؤامرة والمكيدة اللعينة على أبناء هذه البلدان للقضاء على وحدتها، وما ارتفاع المحروقات من بترول وغاز إلا لتحقيق ذلك؛ إذ بارتفاعها خصوصاً الديزل يكثر الفقر وتنتشر البطالة وترتفع السلع وتقل الزراعة الداخلية وتتحجم وتكاد تختفي ويصبح قوت الشعوب المسلمة يأتيها من الغرب فإذا ما رفضت هذه الشعوب أن تستجيب للمقررات الرأسمالية العالمية فرض عليها الحضر الاقتصادي الذي يركعها ويذلها، والحزن في هذا الأمر كما أشرت سابقاً أن الحكام والمسؤولين يدركون هذا تماماً ويعلمون يقيناً أن هذه الجرعات تهلك البلاد والعباد وتنفذ مخططات اليهود والنصارى، فإلى متى يا مسؤولي البلاد؟! ولماذا



تسمون المكر والخديعة والأكاذيب الفظيعة سياسات حكيمة؟! فالحذر الحذر من الاغترار بالإمهال **"فإن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته"**<sup>(١)</sup>، وكفاكم سيراً وراء مخططات اليهود والنصارى والأمم المتحدة والبنك الدولي المتن برباه الذي يضغط عليكم لممارسة الفساد الاقتصادي ورفع الأسعار؛ ليزيد من إشعال فتيل الفتنة، فالحذر الحذر من مكرهم وكيدهم بكم وبشعوبكم فإنهم يكيّدون بالجميع ويستعملونكم أداة لتحقيق أغراضهم وأهدافهم، فإذا ما حققوها تخلصوا منكم إن لم تقض عليكم هذه الأغراض التي استخدمتم فيها، أما لكم في القادة والحكومات التي قدمت كل الولاء لليهود والنصارى ثم تركوا ولم تتشرف أي دولة منهم أن تعطي أحدهم حتى اللجوء السياسي، فالحذر الحذر من أعداء الإسلام فإن من عادتهم منذ بزغ فجر الرسالة التآمر على أهل الإسلام والكيد والمكر للإسلام والمسلمين، وإثارة الفتن بينهم، والحرص كل الحرص على تمزيق كلمتهم وتشتيت صفهم؛ ليصبحوا لقمة سائغة لهم، فقد أخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن زيد بن أسلم قال: «مر شاس بن قيس اليهودي -وكان شيخاً قد عسا<sup>(٢)</sup> في الجاهلية عظيم الكفر شديد الطعن في المسلمين شديد الحسد لهم- على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه، فغاضه ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم في الإسلام بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة فقال: لقد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد لا والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا بها من قرار، فأمر شاباً من اليهود كان معه -وأمثاله عملاء اليهود اليوم- قال: اعمد إليهم فاجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعث وما كان قبله وأنشدتهم بعض ما كانوا تقولوا فيه من الأشعار، وكان بعث يوماً اقتتل فيه الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج، ففعل فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى تواتب رجلان من الحيين على الركب: أوس بن قبطي أحد بني حارثة من الأوس، وحيان بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم رددتها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعاً وقالوا: قد جعلنا السلاح موعدكم الظاهرة وهي حرة وخرجوا إليها وانضمت الأوس والخزرج بعضها على بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال: **"يا معشر المسلمين أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم ترجعون إلى ما كنتم إليه كفاراً الله الله"** فعرف القوم أنها نزع من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا وعانق بعضهم بعضاً ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين،

١- رواه البخاري ١٧٢٦/٤ برقم: ٤٤٠٩، ومسلم ١٩٩٧/٤ برقم: ٢٥٨٣.

٢- عسا أو عشا: بالسين كبير وأسن من عسا القضيبي إذا ييس، وبالشين قل بصره وضعف، انظر: لسان العرب ١٥/٥٤.

وأُنزل الله في شاس بن قيس وما صنع: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ٩٩]»<sup>(١)</sup>، والأحاديث في مكر اليهود والنصارى بالنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين والتآمر عليهم لا تكاد تحصر منها حديث الإفك، وحديث زينب بنت الحارث التي سمت النبي صلى الله عليه وسلم، ومحاوله قتله عندما ذهب لإحضار دية الرجلين وغير هذا الكثير، فكل ما يظهر فيه جمع كلمة المسلمين فإنه يغيب الشيطان وإخوانه وأعدائه من اليهود والنصارى والمنافقين ولهذا جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين"**<sup>(٢)</sup>، لما في إفشاء السلام من حصول المحبة والألفة والأنس وصفاء القلوب والدلالة على اجتماع الكلمة، ولما في التأمين من موافقة تأمين الملائكة وغفران الذنوب بذلك، وصدورها من المصلين بصوت واحد تهمز قلوب السامعين وتشعر هذه القوة في الصوت الظاهرة -لوحدهم في نطق هذه الكلمة- بأن القوة في الصف تحصل بتحقيق الأخوة والوحدة كما حصلت قوة الكلمة بها، وتظهر قوة هذه الأبدان والقلوب والنفوس إذا اجتمعت في صف وخذق واحد، وهكذا كل ما من شأنه جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفهم.

إن النصارى والأوروبيين لا ينسون صليبيتهم التي جعلتهم يتعاقبون على بلاد الشام ومصر على مدى مائتي سنة من القرون التي يصفونها بالوسطى فيما سمي بالحروب الصليبية، كما أنهم فيما بعد استأصلوا الوجود الإسلامي العربي في الأندلس الذي استمر ثمانية قرون، ثم في القرنين الماضيين تدفقوا على العالم الإسلامي فيما سمي بالاستعمار وكذلك الاستيطان كما في قازاقستان وأوزبكستان وقرغيزستان والجزائر وفلسطين وماليزيا وسنغافورة، ثم أعادوا تدفقهم في هذه السنوات فيما سمي بالحرب على الإرهاب، وشنوا حروب إبادة على الشيشان والبوسنة والهرسك وفلسطين والعراق وأفغانستان، وصنعوا الفوضى الخلاقة التي تخلق لهم فرص التآمر في معظم العالم الإسلامي<sup>(٣)</sup>.

١- تخريج الأحاديث والآثار ٢٠٩/١ برقم: ٢١٩، والجواهر الحسان في تفسير القرآن للنعالي، ١٥٨/٣، وفتح القدير ٣٦٧/١.

٢- رواه ابن ماجة ٢٧٨/١ برقم: ٨٥٦، صحيحه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة، ١٤٢/١ برقم: ٦٩٧.

٣- نقلاً عن مقال للشيخ محمد الصادق رئيس قسم التزكية في جامعة الإيمان نقلته عنه صحيفة صوت الإيمان العدد: ٢٠٤ / محرم/ ١٤٣١هـ - يناير/ ٢٠١٠، ص ١٠.

## مجالات التآمر الخارجي

إن التآمر الخارجي على الدول الإسلامية لم يقف عند مجال معين ويقتصر عليه بل امتد ليشمل جميع نواحي الحياة وكافة المجالات، ولن يتوقف هذا التآمر عند حد حتى يروا كفرنا بالله مثلهم كما قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنَّ آتِبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

إن على الأمة الإسلامية وحكامهما الانصياع لأمر الله تعالى الذي بين فيه لرسوله الكريم عليه الصلاة والسلام بأن اليهود والنصارى لم ولن يرضوا عنه وعن أمته حتى يتبعوا ملتهم بالموافقة لهم فيما هم عليه فبين بذلك شدة عداوتهم للرسول ولأمته ما تمسكوا بدينهم وحافظوا عليه، وأنهم لا ولن يرضوا عن أهل الإسلام مهما قدموا ويقدمون من التنازلات حتى يرتدوا عن دين الله.

قال الإمام ابن كثير في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنَّ آتِبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾: «فيه تهديد ووعيد شديد للأمة عن اتباع طرائق اليهود والنصارى بعد ما علموا من القرآن والسنة - عياذا بالله من ذلك - فإن الخطاب مع الرسول والأمر لأمرته»<sup>(١)</sup>،

فلتحذر الأمة من الركون إلى شيء مما يميله الغرب عليها، قال الإمام السمرقندي: «فأخبره الله تعالى أنهم لن يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم فنهاه الله عن الركون إلى شيء مما يدعون إليه»<sup>(٢)</sup>، وقال الإمام الطبري: «فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق فإن الذي تدعوهم إليه من ذلك هو السبيل إلى الاجتماع فيه معك على الألفة والدين القيم»<sup>(٣)</sup>، قال الإمام البيضاوي في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾: «إخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وأنهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل»<sup>(٤)</sup>، وقال الإمام ابن كثير: «قد كانوا يفتنون المسلم في دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه فذلك أكبر عند الله من القتل»<sup>(٥)</sup> ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ أي: ثم هم مقيمون على أبحاث ذلك وأعظمه غير تائبين ولا نازعين»<sup>(٥)</sup>، فمهما وجدوا من سبيل في أي مجال من المجالات سارعوا إليه.

١- تفسير ابن كثير ١/١٦٤.

٢- تفسير السمرقندي ١/١١٦.

٣- تفسير الطبري ١/٥١٧.

٤- تفسير البيضاوي ١/٥٠٢.

٥- تفسير ابن كثير ١/٢٥٥.

وإلى صور من مجالات هذا التأمر على هذه الأمة:

## ● التأمر على هذه الأمة في المجال العسكري

### أولاً: موقف الأمم المتحدة<sup>(١)</sup> من المسألة الاستعمارية

لم تتطرق مواد ميثاق الأمم المتحدة إلى الحديث عن الاستعمار إلا في تسع عشرة مادة من إجمالي مواد الميثاق البالغة مائة وإحدى عشرة مادة بالرغم من أن الحركة الاستعمارية كانت لا تزال طاغية في وقت صدور هذا الميثاق، مما يدل دلالة واضحة على أن تلك المنظمة الدولية لم تتخذ موقفاً جاداً تجاه المسألة الاستعمارية منذ البداية، والواقع يدل على أن دور عصبة الأمم<sup>(٢)</sup> بل عصبة الأمم الملحدة لم يختلف عن دور وريثتها هيئة الأمم في موقفيهما من الاستعمار على الأقل في الفترة التي سبقت احتدام الحرب الباردة<sup>(٣)</sup>، فعصبة الأمم كانت قد ابتدعت نظام الانتداب؛ لمعالجة الأوضاع القانونية للمستعمرات التي كانت خاضعة للدول المهزومة في الحرب العالمية الأولى خاصة تركيا وما كان يتبعها من بلاد الإسلام، ثم أدخلت الأمم المتحدة بعض التعديلات على نظام الانتداب وأسمته نظام الوصاية، وقررت أن يسري هذا النظام على المستعمرات التي كانت خاضعة للدول المهزومة في الحرب العالمية الثانية، ورجح ميثاقها كفة المصالح الاستعمارية على كفة الشعوب المستعمرة، وتمثل ذلك عملياً في تمكين القوى الاستعمارية من استغلال الفرصة كاملة في تثبيت أقدامها وضمان

١- أنشئت هيئة الأمم المتحدة في ٢٤ أكتوبر ١٩٤٥م، بعد الحرب العالمية الثانية بفترة وجيزة، فبينما كانت الحرب تقترب من نهايتها، قررت الدول التي وقفت ضد ألمانيا، وإيطاليا، واليابان ألا يتكرر حدوث مثل تلك الحرب مرة أخرى، فاجتمع ممثلو تلك الدول في سان فرانسيسكو - كاليفورنيا - الولايات المتحدة في إبريل ١٩٤٥م، وتوصلوا إلى خطة لإنشاء منظمة تساعد على حفظ السلام في العالم، ثم أدرجت تلك الخطة في وثيقة سُميت ميثاق الأمم المتحدة قامت بالتوقيع عليه ٥٠ دولة في يونيو ١٩٤٥م، فصارت من أوائل الأعضاء في هيئة الأمم المتحدة، ومنذ ذلك التاريخ انضمت أكثر من ١٠٠ دولة أخرى كان معظمها لا يزال مستعمرات عند إنشاء هيئة الأمم المتحدة، وباستثناء دول صغيرة جداً فإن الدولة المستقلة الوحيدة التي لم تنضم للأمم المتحدة هي سويسرا، وتؤكد وثائق الأمم المتحدة أن لها هدفين رئيسيين هما السلام والكرامة الإنسانية، ومن أهداف الأمم المتحدة الأساسية تحديد أسباب الحرب لإيجاد الوسائل الكفيلة بإزالتها، وإن نجحت هذه الهيئة في حل بعض المشكلات، إلا أنها فشلت فشلاً ذريعاً في حل قضايا العالم العربي والإسلامي وعلى رأسها قضية فلسطين والعراق وأفغانستان، انظر: الموسوعة العربية العالمية، ومجلة البيان ٨٧/١١١.

٢- عُصبة الأمم: رابطة دولية أنشئت للحفاظ على السلام بين أمم العالم، صاغت الدول المنتصرة في الحرب العالمية الأولى -وتضم فرنسا وإنجلترا وإيطاليا واليابان والولايات المتحدة- ميثاق (دستور) العصبة في عام ١٩١٩م، وتأسست العصبة في يناير عام ١٩٢٠م، واتخذت من جنيف بسويسرا مقراً لها، كان ودرو ولسون رئيس الولايات المتحدة المخطط الرئيسي للعصبة، ولكنه لم يتمكن من إقناع الولايات المتحدة بالانضمام إليها، انحلت العصبة في أبريل عام ١٩٤٦م، وحلت محلها الأمم المتحدة، انظر: الموسوعة العربية العالمية.

٣- الحرب الباردة كانت بعد فترة قصيرة من نهاية الحرب العالمية الثانية حيث أصبحت أوروبا مركزاً للصراع بين المعسكرين الشيوعي والرأسمالي، كانوا الشيوعيون بزعامة الاتحاد السوفييتي سابقاً، والرأسماليون بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، ولقد عرف هذا الصراع الذي بلغ أوجهه في الخمسينيات وأوائل الستينيات من القرن العشرين بالحرب الباردة، وبدأت الحرب الباردة ١٩٤١م وانتهت ١٩٦٠م، الموسوعة العربية العالمية.

مصالحها في المناطق المستعمرة تحت زعم تهيئة الشعوب وإعدادها لتكون قادرة على حكم نفسها بنفسها، وكانت هذه فرصة ذهبية للدول الاستعمارية، استغلتها أبشع الاستغلال حيث أثبت الواقع بعد ذلك أن تلك الدول لم تغادر تلك المناطق إلا بعساكرها تاركة الشعوب المستعمرة في حالة من التبعية الذليلة، أو الفوضى المستمرة التي تسمح بالتدخل كلما لاحت فرصة، وساعد على هذا الموقف أن بريطانيا زعيمة الاستعمار القديم كانت لا تزال قوية، بل كانت شريكة للولايات المتحدة وروسيا في تحقيق انتصار الحلفاء الذي توج بإنشاء الأمم المتحدة، وقد أدت عوامل كثيرة بعد ذلك -ليس منها ميثاق المنظمة- إلى تحول في شكل الاستعمار ومضمونه، ذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية عازمت على وراثة وتحديث الاستعمار القديم الذي كانت تقوم عليه دول عدة كالمجلترا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال وبلجيكا وجنوب أفريقيا، ونجحت أمريكا في إلهاب المشاعر ضد الاستعمار القديم، وعمل الاتحاد السوفييتي في المجال نفسه، وسار على الضرب ذاته كجزء من استراتيجيته لإضعاف المعسكر الأوروبي الغربي وتفتيته وحرمانه من عمقه الاستراتيجي والاقتصادي، وكذلك أراد أن يخطب ود الشعوب المستعمرة على أمل أن تصبح جسراً لبناء النفوذ خارج منطقة حلف وارسو ثم ألقت كلا القوتين -الاتحاد السوفييتي وأمريكا- بثقلهما في الأمم المتحدة لتشجيع حركة التحرر من الاستعمار القديم؛ لتقسم القوتان بعد ذلك العالم كله وتقسمه إلى معسكرين متقابلين: المعسكر الشيوعي الشرقي، والمعسكر الرأسمالي الغربي، فرد الله كيدهم في نحورهم فما مضى إلا زمن على هذا المخطط حتى سقط أحد المعسكرين الحداثيين، وتفردت الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة العالم عند قيادتها للأمم المتحدة والأمم غير المتحدة، وها هي الآن بطريقها إلى الانهيار كسابقاتها، نسأل الله تعالى أن يعجل بذلك آمين.

### ثانياً: موقف الأمم المتحدة من مسألة التسليح:

اهتمت الفقرات التي تناولت الحديث عن نزع السلاح في ميثاق الأمم المتحدة بالكلام عن تنظيم التسليح بين الدول الكبرى؛ لأن للدول المبرمة للميثاق أوثق الصلات بالسلاح وبقوة السلاح وجاء في المادة الحادية عشر للميثاق: (إن للجمعية العامة أن تنظر في التعاون لحفظ السلم والأمن الدوليين فيما يتعلق بترع السلاح وتنظيم التسليح)، وبعد التوقيع بالأحرف الأولى على هذا الميثاق، وبعد أقل من شهرين على إبرامه قامت الولايات المتحدة الأمريكية بإلقاء قنبلتين ذريتين: إحداهما على مدينة هيروشيما اليابانية في ٦ أغسطس ١٩٤٥م، والثانية على مدينة نجازاكي في ٩ أغسطس ١٩٤٥م، ويبدو أن الولايات المتحدة أرادت بذلك أن تطبق عملياً ما فهمته من دعوى الأمم المتحدة إلى نشر السلم والأمن الدوليين! وبعد عام -أي سنة ١٩٤٦م- شكلت الجمعية العامة للأمم المتحدة لجنة تابعة لها أطلقت عليها لجنة الطاقة النووية تدعو إلى ضمان استخدام الطاقة النووية في الأغراض السلمية، ولكن بعد دخول بقية الدول الكبرى النادي النووي لم تطبق دعوة الأمم المتحدة بحزم إلا

على الدول غير الكبرى وبخاصة الدول الإسلامية، بل إن العديد من الدول غير الكبرى سمح لها بتملك السلاح النووي؛ لأنها غير إسلامية مثل الهند وجنوب إفريقيا وإسرائيل!.

إن سبب السماح لهؤلاء بتملك السلاح النووي في الوقت الذي لا يسمح فيه أبداً للدول المسلمة هو الإصرار الدولي تحت مظلة الأمم المتحدة على إبقاء المسلمين بمجموعهم رهن الإذلال النووي في قارات العالم؛ ليتنقل المسلمون من تهديد اليهود إلى تهديد النصارى إلى الوثنيين وهكذا، والويل ثم الويل لمن أقدم أو أعلن أو نوى السعي إلى تملك هذا السلاح من القادة المسلمين أو حتى المنتسبين منهم إلى المسلمين؛ لأن الأمم المتحدة ستكون له بالمرصاد، بينما التهديدات اليهودية والنصرانية النووية التي تنمو وتترعرع تحت سمع وبصر ما يسمى الشرعية الدولية، فهذه إسرائيل وفرنسا في زمن متقارب في أوائل الخمسينات توحدان مساعيهما نحو برنامج للتسلح النووي، هذه بالتجسس وسرقة الأسرار، وتلك بالتقنية ورصد الأموال، وبلغ التعاون بينهما ذروته قبل حرب السويس عام ١٩٥٦م، ولما حدثت الحرب واحتل اليهود أجزاء من سيناء، أرادت الأمم المتحدة التدخل بإرسال قوات تشرف على الانسحاب بعد وقف القتال، فاشتراط رئيس وزراء إسرائيل أن يسمح لإسرائيل ببناء مفاعل نووي في أراضيها، وبالفعل استمر التعاون بين فرنسا وإسرائيل بعلم الولايات المتحدة، ومن ثم بإقرار ضمني من الأمم المتحدة، ثم جاءت الثمرة بمفاعل نووي إسرائيلي في ديمونة بمنطقة النقب هو كالتوأم للمفاعل النووي الفرنسي، ثم انتقل بعد ذلك التعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية حتى طلبوا منها أن تمد مظلتها النووية فوق إسرائيل، ولم يأت عام ٧٣ - الذي حدث فيه حرب أكتوبر - إلا والمفاعل النووي الإسرائيلي قد أنتج أكثر من عشرين قنبلة نووية، ومن المعروف أن هذه الحرب لم تنته إلا بعد تهديد إسرائيلي باستخدام القنابل النووية موجهة الإنذار إلى العرب وأمريكا إذا لم تسارع بإقامة جسر جوي لإمداد إسرائيل بالأسلحة والذخائر التي تحتاج إليها لخوض حرب شاملة طويلة المدى، وعندما استخدم صدام حسين صواريخ سكود ضد إسرائيل في مظاهرة دعائية نصبت إسرائيل على الفور منصات صواريخ متحركة مزودة بأسلحة نووية ومصوبة نحو العراق ظناً منها بأن صواريخ صدام قد تكون مزودة بأسلحة كيميائية سامة وأعطى شامير أوامره حسب ما ذكر سيمور هرش في كتابه (الخيار شمشون) باستخدام السلاح النووي إذا دعت الضرورة، ولما انتهت الحرب ووضعت أوزارها في مدريد لم ينس شامير أن يصطحب في جعبته ورقة التهديد النووي ضد العرب.

إن اليهود لا يزالون يواصلون أبحاثهم المكثفة لإنتاج أجيال جديدة من القنابل النووية التي تعمل بأشعة الليزر، والتي تمثل قفزة نوعية أخرى في مجال الإرهاب الرسمي على مستوى الدول، فهل لا تزال

الأمم المتحدة لا تعرف شيئاً عن ترسانة اليهود النووية والكيميائية التي لم تشر إليها في جمعيتها أو مجلسها أو محكمتها ولو بقرار شجب أو إدانة أو حتى مشاعر قلق<sup>(١)</sup>.

### ● من مظاهر التآمر العسكري في الواقع

ولنرصد من الواقع مجموعة من مظاهر التآمر العسكري في عدة بقاع من أمتنا العربية والإسلامية: **فلسطين:** وقصة التآمر عليها قديمة ومريرة ومعروفة للقاصي والداني حيث سعت القوى الاستعمارية إلى جعلها نقطة ارتكاز للمشروع الصهيوني الغربي ليشق الكيان الإسلامي والعربي فلا يلتئم له شمل ولا تقوم له قائمة، وقد ظهر التآمر الخارجي والدولي على هذه القضية واضحاً جلياً في أحداث معركة الفرقان في غزة، وللأسف التآمر الخارجي العربي الذي نبرأ إلى الله تعالى منه ومن كل من أقدم عليه.

**العراق:** الذي وقع فريسة لقوى الاستكبار العالمي، وعلى رأسها أمريكا وتابعتها بريطانيا وباقي العملاء بمبررات باطلة ودعاوى كاذبة صرح بها الخسيس بوش أذله الله إذ أعلن أسفه لفشل استخباراته العسكرية في العراق عن وجود أكذوبة أسلحة الدمار الشامل التي وضعوها، وعلى فرض أن العراق كان يمتلكها أفلا يحق للعراق أن يمتلك سلاح نووي كما يحق ذلك لإسرائيل؟! وليت العراق كان يمتلكه ليدافع عن نفسه، ولو كان يمتلكه لما تجرؤ أن يقتربوا منه كما هو الحال مع كوريا الشمالية وإيران، لقد أبادوا أبنائه ودمروا مقوماته ونهبوا خيراته ومزقوا كيانه ونشروا الفوضى في أرجاءه ثم يقول خطأً استخباراتي كذب قبحه الله ولعنه وأذله وإنه ليعلم ذلك من أول الأمر حين وضع هو وخنازيره هذه الأكذوبة؛ ليصلوا من خلالها إلى منابع الثروة في العالم وتقاريرهم تقول بأن بغداد تسبح فوق بحيرة من النفط، وتشير التقارير إلى أن العراق تمتلك أكبر مخزون نفطي في العالم، مع ما في كتب اليهود المحرفة من زعم بأن دولتهم لن تقوم حتى يذل أهل بابل - أي العراق -، فالحرب حرب عقيدة من جهة، وحرب ثروة من جهة أخرى، فأمريكا نفسها التي احتلت العراق وسفكت فيه الدماء وهتكت فيه الأعراض بحجة سلاح الدمار الشامل هي نفسها التي ترسل لإسرائيل على مرأى ومسمع من العالم كله هذا السلاح لقتل إخواننا المسلمين في أرض فلسطين عموماً وأرض غزة خصوصاً، بل إنها قتلت أبناء العراق بسلاح دمار شامل محرم دولياً، فمن الأولى بالاحتلال وإسقاط نظامه العراق أم أمريكا وإسرائيل؟! فمتى يستيقظ حكام أمة الإسلام؟! بل متى تستيقظ أمة الإسلام؟! **أفغانستان:** الذي صُب فوق رأسه الحميم، ويعاني ويلات الجحيم من قوى شيطانية، لا ترحم طفلاً، ولا امرأة ولا شيخاً ولا مريضاً؛ لأنها منطقة غنية بالثروة المعدنية، ولأن ثلة مؤمنة قامت فيها تريد أن تحكم بشرع الله، وتسعى للحصول على القوة لمواجهة عدو الله.

<sup>١</sup> - انظر: مجلة البيان ٩٦ / ٤٨.

**لبنان:** حيث تجري محاولات انتزاعه من هويته الإسلامية والعربية، وتخضيد<sup>(١)</sup> شوكة المقاومة لديه في مواجهة الكيان الصهيوني، خاصةً بعد أن مُني بالفشل الذريع والهزيمة المريرة من المقاومة الباسلة لحزب الله.

**السودان:** حيث تحاول القوى الانتهازية الخارجية استغلال التراع المحلي في دارفور؛ لاستجلاب القوات الدولية لتمزيقه، ونهب ثرواته، وتهديد العمق الإستراتيجي للأمن القومي المصري.

**اليمن:** حيث تحاول القوى الانتهازية الخارجية استغلال الفتنة المحلية التي سعوا لإشعالها؛ لاستجلاب القوات الدولية لتمزيقه ونهب ثرواته، فها هي الأساطيل الأمريكية على السواحل بحجة مكافحة القرصنة وقد كشرت أنيابها للانقضاض على البلاد وهم بانتظار تقسيمها وتشطيرها لينقضوا على الساحل الكبير الممتد الذي يحوي ثروة سمكية ليست بالقليلة، وللاستيلاء على أماكن وحقول النفط، ومضيق باب المندب الواقع في الجنوب الغربي لليمن في الطرف الجنوبي للبحر الأحمر ويؤدي إلى خليج عدن والذي بدوره يؤدي إلى المحيط الهندي، تقسمه جزيرة ميون اليمنية إلى قسمين وتتحكم في مداخله، ولهذا وضعوا مخططاً لتمزيق اليمن إلى أربعة أقسام؛ ليسهل الاستيلاء على الثروة والقضاء على القوة.



إن إسرائيل لا زالت تسير في طريق الاهتمام الاستراتيجي بمنطقة مضيق باب المندب والذي يشكل أهمية حيوية لوصول السفن الإسرائيلية من ميناء إيلات وخليج العقبة عبر البحر الأحمر إلى نصف الكرة الجنوبي في أفريقيا وجنوب آسيا؛ حتى لا يتكرر ما حدث في حرب رمضان أكتوبر ١٩٧٣م عندما نجحت البوارج والمدمرات المصرية من إغلاق مضيق باب المندب

أمام السفن التجارية والعسكرية الإسرائيلية، بل يزيد على ذلك أن ينقلب الحال فتصبح إسرائيل هي المسيطرة على ذلك المضيق لتضع الأمن القومي لمصر والدول العربية المطلة على البحر الأحمر وهي مصر والسودان والأردن والسعودية واليمن تحت تهديدها.

من أجل هذا الأمر أراد اليهود أن يجعلوا البحر الأحمر بحيرة يهودية، فأقاموا قواعدهم في بعض الجزر القريبة من مضيق باب المندب عن طريق التعاون بينهم وبين أثيوبيا ثم أرتيريا.

**الصومال:** حيث تقع على رأس القرن الإفريقي في منطقة استراتيجية تشرف على شرق القارة الإفريقية، وتطل على شبه الجزيرة العربية حيث مهبط الرسالة ومنابع النفط، ولهذا تتسابق الدول الاستعمارية على هذه المنطقة ويزداد تنافسها، فإن من الأسباب الغير المعلنة للتدخل الأمريكي

١- الخضد نزع الشوك عن الشجر، قال الله عز وجل: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٨] أي: نزع شوكة، وخضدت العود فانخضد أي انكسر من غير بينونة، انظر: العين ١٧٥/٤، ولسان العرب ١٦٣/٣.



السيطرة على البوابة الجنوبية للبحر الأحمر، كما أن قربه من المنطقة الإسلامية تساعده على تنفيذ مخططاته تجاه الأمة، وما اجتياح القوات الإثيوبية بدعمٍ من آلة البطش الأمريكية، وأعمال القرصنة التي لا يستبعد أنها من الأعيب ومكر الشياطين إذ بسببها بثوا ونشروا قواهم في السواحل ووضعوا فيها القواعد العسكرية تمهيداً وتسهيلاً لأي غزو بحجة القضاء على القرصنة.

لقد عمدت إسرائيل منذ عقود طويلة إلى تدعيم علاقاتها وتعزيز تواجدتها في دول القرن الإفريقي والمطللة على مضيق باب المندب من خلال تقديم المساعدات العسكرية والاقتصادية لإثيوبيا وإريتريا وكينيا وجيبوتي، وتطمع إسرائيل في الوصول إلى بسط نفوذها في الصومال، وقد نجحت نجاحاً ملحوظاً في الحضور الدائم والتأثير الفاعل في كل دول القرن الإفريقي باستثناء الصومال لذلك فقد أصبحت الصومال هي الحلقة المفقودة الباقية لإسرائيل لتحكم قبضتها على منطقة القرن الإفريقي بالكامل وتحقيق مخططاتها فيها إلى نهايتها، والرؤية الاستراتيجية لإسرائيل في ذلك الأمر أن تخرق الصومال من خلال دعم نفوذ تلك الدول الحليفة لها وخاصة إثيوبيا وكينيا في تقرير المصير الصومالي بشكل مكثف ومتزايد<sup>(١)</sup>.

## ● المجال السياسي

ويجري التآمر فيه تارة بالتدخل السافر المباشر من قِبَل القوى الخارجية الاستعمارية لتنصيب أنظمة تابعة لسياساتها وخاضعة لإدارتها، ومنفذة لأوامرها، وخادمة لمصالحها، ومحقة لأهدافها، أو لدعم أنظمة أخرى فاسدة مستبدة، وإطلاق يدها لمواجهة القوى الداخلية الشريفة بكل إجراءات القمع والبطش من ملاحقة وتضييق وتشويه وتلفيق وسجن واعتقال وترويع وتعذيب وتكثيم للأفواه ومصادرة للأموال.

وتارةً بإلقاء بذور الفرقة وإشعال نار الفتنة بين فصائل المجتمع الواحد ومكوناته؛ استغلالاً للخلافات الطائفية أو المذهبية أو العرقية، واتباعاً لسياسة (فرق تسد) التي بها يسيطرون على ضحاياهم، ويصلون إلى مآربهم.

وتارةً بتسخير المؤسسات الدولية لخدمة مشروعاتهم ومؤامراتهم، وذلك باستصدار القرارات منها، وفق أهوائهم مرةً لإدانة خصومهم، وثانيةً لفتح الأبواب أمام قواهم، وثالثةً لدعم حلفائهم، أو

---

١- انظر: التآمر على الأمة (مظاهره، ومواجهته) موقع: إخوان أولانين: [www.ikhwanonline.com](http://www.ikhwanonline.com)، والسلام في المشروع الصهيوني مصر نموذجاً، ١/ ٢٢٤، وقضايا وهموم الأمة الإسلامية دارفور- السودان - الصومال، ١/ ٨٧، ٨٨، والتبيين لمخاطر التطبيع على المسلمين، ١/ ٢٣، ومجلة البحوث الإسلامية، ٨١/ ١٠٦، ٤٠٠، ومجلة البيان، ٥٩ / ٦٠، ٧٠، والاستراتيجية الإسرائيلية إزاء شبه الجزيرة العربية ص ٣٢-٤٦، والاختراق الإسرائيلي للعالم العربي ٢٠-٢٥.

باستخدام حق النقض الفيتو؛ للحيلولة دون مجرد الإدانة للكيان الصهيوني الغاصب مهما بلغ إجرامه وعربدته، والاحتلال الأمريكي الغاشم مهما بلغ بطشه وطيشه.

### ● المجال الثقافي

والتآمر هنا يهدف إلى طمس هوية الأمة، ومسح شخصيتها، وتشويه حضارتها، وتعطيل رسالتها، والقضاء على مقوماتها؛ حتى تصبح كياناً مهلهلاً، وكماً مهمللاً، وهم يسعون سعياً حثيثاً لتحقيق هدفهم بشتى الحيل والوسائل، ومنها:

العبث في مناهج التربية والتعليم بقصد إعادة تشكيل عقول أبناء الأمة، وصياغة نفوسها، وتوجيه سلوكها، بما يتماشى مع تصورات أعدائنا وأفكارهم، ويمتد هذا العبث إلى أخص خصوصياتنا، إلى ديننا وعقيدتنا وشريعتنا.

إطلاق الآلة الإعلامية الجبارة في صورها المختلفة وقوابلها المتنوعة من: فضائيات، وشبكة معلومات، وصحف، ومجلات، وراديو وغيرها؛ حيث يختلط فيها الحابل بالنابل والسم بالعسل؛ للغواية بالفن المبذل الرخيص، الذي يشجع على الإباحية، والانسلاخ من صبغتنا الروحية، والتحلل من قيمنا الخلقية والأخلاقية، وتشويه صورته الإسلام والمسلمين.

### ● المجال الاقتصادي

وتتنوع أساليب التآمر فيه كذلك: فمرة بمحاولة السيطرة على منابع الثروة النفطية والمعدنية وغيرها في منطقتنا العربية والإسلامية وذلك بالحيلة والدهاء أو بالحرب والاعتداء. ومرة بدعاوى العولمة الاقتصادية؛ حيث يتم إنشاء الشركات العملاقة متعددة الجنسيات وعابرة القارات، ويفسحون المجال أمامها بالمؤتمرات والاتفاقيات مثل الجات<sup>(١)</sup> ومنظمة التجارة العالمية وصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي وغيرها؛ حتى تتمكن من التنافس المباشر مع الكيانات الاقتصادية الهزيلة في بلادنا - للأسف - فتشل حركتها ثم تبتلعها.

<sup>١</sup> - الجات هي الاختصار الشائع للعبارة الإنجليزية (GATT) التي تعني الاتفاقية العامة للتعريفات الجمركية والتجارة، ومن الجانب الاقتصادي هي معاهدة دولية تنظم المبادلات التجارية بين الدول التي تنضم إليها، النظام الاقتصادي العالمي الجديد ١٣٧/١. في عام ١٩٤٧م أسست أمريكا مع ٢٣ دولة صناعية اتفاقية (الجات) وهي الاتفاقية العامة على الرسوم الجمركية والتجارة، وتهدف إلى تحرير تجارة السلع الزراعية والصناعية والمنسوجات والخدمات وتحرير التبادلات التجارية والتدفقات المالية الناتجة عن العقود الحكومية الضخمة، ولما أخفقت (الجات) في تحقيق ما أراده أمريكا من إنشائها لأن الاتفاقيات والتوصيات غير ملزمة للأعضاء استعاضت عنها بـ(منظمة التجارة العالمية) التي رأت النور في مراكش عام ١٩٩٤م، وبدأ العمل بها ١٩٩٥م.

إن صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، ومنظمة التجارة العالمية هذا الثلاث هو السلاح الفتاك بيد أمريكا للتفرد بالعالم، مجلة البيان ١٢٣/١٥٩.

ومرةً بفرض الحصار الاقتصادي الظالم على الدول التي تعتبرها قوى الاستكبار والاستعمار متمردة على سياستها أو خارجة عن طاعتها، كما حدث للعراق وليبيا والسودان سابقاً، وكما يحدث لغزة فلسطين حالياً؛ عقوبة لشعبها على اختياره التزيه لحماس.

ومرةً بالضغط على العملاء لإدخال البلدان في صفقات وقروض ومعاهدات اقتصادية تدمر اقتصادها؛ لينتشر فيها الفقر والفساد.

### ● أعوان الداخل على تأمر الخارج

رغم خطورة هذا التأمر الخارجي المذكور إلا أنه ما كان له أن يحقق أهدافه أو يجني ثماره إلا من خلال أعوان له بيننا، يتكلمون بألسنتنا، ويتسمون بأسمائنا، ويُحسبون علينا، ومع هذا فقد آثروا أن يربطوا مصيرهم بمصير المتآمرين علينا، ومصالحهم بمصالحهم، ولو على حساب دينهم وبلادهم وإخوانهم!! وهؤلاء قد سقطت عنهم أفعنتهم، فمنهم بعض الحكام المفسدين المستبدين والطغاة الظالمين، ومنهم - أيضاً - بعض المحسوبين على النخب المثقفة من العلمانيين والليبراليين الذين تغذوا على زاد الغرب وأصبحوا مبهورين به منادين باتباعه في جده وهزله وخيره وشره، ومنهم - أخيراً - العملاء المأجورون والجواسيس الخائنون الذين باعوا دينهم ووطنهم وأهلهم بلعاعة<sup>(١)</sup> من الدنيا رخيصة.

إن الغزاة بعد أن فشلوا في فرض سيطرتهم المباشرة على العالم الإسلامي وضعوا خطة شاملة للسيطرة غير المباشرة على هذه الأمة شملت الجوانب السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية للمسلمين، والذي ينهض بهذا الدور هو أعوانهم في عالمنا الإسلامي، فبعد أن تمزق العالم الإسلامي إلى دويلات متفرقة هنا وهناك اهتم الغزاة بتربية أفراد من هذه الأمة ليخلفوهم في تنفيذ مخطط التبعية<sup>(٢)</sup>، ليدخلوا في حرب عالمية باردة ضد الإسلام والمسلمين.

---

١ - اللعاعة واحدة اللعاع ومنه: (إنما الدنيا ساعة ومتاعها لعاعة) أي: قليلة البقاء كالنبت الأخضر قليل البقاء، والبقية اليسيرة من كل شيء، قال أبو عمرو: «واللعاعة الكلاء الخفيف رعي أو لم يرع»، واللعاعة ما بقي في السقاء، وفي الإناء لعاعة أي: جرعة من الشراب، ولعاعة الإناء صفوته، وقال اللحياني: «بقي في الإناء لعاعة أي: قليل»، ولعاع الشمس السراب. انظر: لسان العرب ٣٢٠/٨، والمعجم الوسيط ٨٢٨/٢.

٢ - أسباب التمزق وعقبات الوحدة نقلاً عن موقع: <http://annabaa.org/nba45/wahdaislamya.htm>، بتصرف.

## سبب التآمر الخارجي

إن السبب في التآمر الخارجي على المسلمين وبلادهم يرجع إلى جانبين: الجانب الديني، والجانب الجغرافي.

**أما الجانب الديني** فمن المعلوم أن أهل الكفر والباطل منذ بزغ فجر الرسالة وهم يصارعون الحق ويكيدون له ولأهله ويتربصون بهم وينصبون لهم الشباك والفخ؛ لصدهم عن دينهم وطمس الهدى والنور من قلوبهم وبلادهم، ليحل مكانه ظلام الكفر والشرك، فلن يكلوا أو يملوا أو يرضوا حتى يرتد المسلمون عن دينهم، قال ربنا جل في علاه: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، قال الإمام السمرقندي: «فأخبره الله تعالى أنهم لن يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم فنهاه الله عن الركون إلى شيء مما يدعون إليه»<sup>(١)</sup>.

إنهم يعتقدون الرايات والألوية والمؤتمرات والتحالفات لقتال الإسلام والمسلمين، ويجمعون كلمتهم ويلملون صفوفهم على ما بينهم من فرقة وشقاق ليوالي بعضهم بعضاً ضد الإسلام والمسلمين كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، قال أبو السعود: «متفقون على كلمة واحدة في كل ما يأتون وما يذرون، ومن ضرورته إجماع الكل على مضادتك ومضارتك بحيث يسومونكم السوء ويغنونكم الغوائل فكيف يتصور بينكم وبينهم موالاة»<sup>(٢)</sup>، وقال الإمام السعدي: «يتناصرون فيما بينهم، ويكونون يداً على من سواهم، فأنتم لا تتخذوهم أولياء؛ فإنهم هم الأعداء على الحقيقة، ولا يبالون بضركم، بل لا يدخرون من مجهودهم شيئاً على إضلالكم، فلا يتولاهم إلا من هو مثلهم»<sup>(٣)</sup>.

لقد انطلق الله تعالى قائد الحملة الصليبية ضد الإسلام والمسلمين في هذا القرن مجرم حرب العراق وأفغانستان (بوش) بحقيقة حملتهم الحربية التي يهدفون من ورائها إلى استئصال الإسلام من جذوره إذا قال: إنها حرب صليبية ضد الإرهاب، يريد الإسلام والمسلمين وكنى عنهم بالإرهاب لما يحمله بين أضلاعه الخبيثة من حقد على الإسلام والمسلمين لينتقم بهذا النعت، والواقع خير شاهد فأكثر من مليوني عراقي قتل في حملته على العراق، ولا يدري كم قتلى أفغانستان إلا الله تعالى.

إن هذه الحروب الإبادية ضد المسلمين يدفعهم إليها معتقداً الباطلة وأديانهم المحرفة المكذوبة على الله، وقد صرح الجرم الأكبر حامل لواء الحملة الصليبية بأن الرب هو الذي أمره، وكذب

١- تفسير السمرقندي ١/١١٦.

٢- تفسير أبي السعود ٣/٤٨.

٣- تفسير السعدي ص ٢٣٥.

مسيلمة الكفر بل إن الذي أمره أسياده الحاخامات واللوبي الحاقد على الإسلام والمسلمين، لأنهم يجدون في كتبهم المحرفة بأن دولتهم المزعومة على ثرى الأرض المباركة لن تقوم مع عز أهل بابل - العراق - فهي حرب إبادية للمسلمين لتحقيق الأمن لإسرائيل، حرب عقيدة وضعية فاسدة محرفة ضد عقيدة صحيحة سماوية ربانية، فلا بد من التفطن لهذا فمهما قدم المسلمون من ولاءات وتنازلات فلن يكف الأعداء عنهم وعن بلادهم حتى يدخلوا في دينهم.

إن هناك وثائق تظهر الأساليب والجهات التي كانوا يركزون جهودهم عليها، ومن جملتها المحاضرة التي ألقاها المستر (كيردتر) في مؤتمر رجال الكنيسة العاملين في البلدان الإسلامية، وذلك في مطلع القرن الماضي عام ١٩٠٩م في أدنبرة ببريطانيا، وهذه الوثيقة وإن كانت قديمة نسبياً إلا أنها تضع أمامنا صورة واضحة عن الأساليب التي يستعملها أعداؤنا للسيطرة على العالم الإسلامي، وتنبهنا إلى مواطن الضعف والثغرات التي ينفذ من خلالها أعداء الله إلى مجتمعاتنا الإسلامية.

والذي يطالع على هذه الوثيقة يجد فيها الأمور التالية:

- ١- أن فكرة تنصير العالم الإسلامي وإدخاله في متاهات الحضارة المادية شيء مفروغ منه عند أرباب التبشير.
- ٢- أن التعليم والتنقيف هو الأساس الذي يبنى عليه الفكر التنصيري كل آماله لبسط نفوذه في أوساط المسلمين.
- ٣- أن الهدف الذي رسمه أرباب التنصير هو السيطرة على العالم الإسلامي مهما كلفهم ذلك من ثمن.
- ٤- أن أعداءنا لا يألون جهداً في استعمال كل الأساليب التي توصلهم إلى أهدافهم.
- ٥- أنهم في نشاط وتخطيط مستمر لإيجاد أساليب جديدة تحفظ لهم التفوق الدائم على المسلمين في كل عصر وفي كل مكان.
- ٦- أن أرباب التبشير يرصدون التحرك الإسلامي بدقة متناهية، ويحرصون دائماً على خنق أي فكرة تمدد للإسلام حتى لو كان ذلك بين المسلمين.
- ٧- أنهم يتصرفون على الأرض وكأنهم أصحابها الأصليون، وباقي الناس أو أهل الإسلام بالخصوص هم ميدان نشاطهم التبشيري.
- ٨- أنهم يعتبرون أن الإسلام هو دين وثني وهم أصحاب الدين الإلهي الذي يجب أن ييسطوه على كل أنحاء العالم الإسلامي.
- ٩- أن الإسلام عندهم مشكلة مزمنة وفعلية تضغط على أعصابهم دائماً ويتحركون لحلها انطلاقاً من كون خطرهم محدقاً بهم حالياً وبالفعل.

١٠- أنهم يعتمدون في أعمالهم على كشف الواقع والتخطيط المبرمج لتنفيذ مخططاتهم المرسومة، ومتابعة كل ذلك بشكل مستمر.

١١- أن الحرية التي تصبو إليها الشعوب الإسلامية هي إحدى منطلقاتهم للتحلل من الدين، والتي تجد لها رواجاً كبيراً بين الشباب ومختلف الطبقات.

١٢- أن الصحافة هي إحدى أعمدة النشاط التبشيري في العالم الإسلامي.

١٣- الاستفادة من عامل الثأر الذي يعمل في نفوس المسيحيين الذين جرت حروب بينهم وبين المسلمين كالأرمن مثلاً.

١٤- الاحتلال العسكري هو أحد أساليب بسط الفكر التنصيري في أراضي المسلمين.

١٥- من جملة الأساليب التي يستعملها أعداؤنا الأمور التالية:

• زيادة المبعوثين إلى البلدان الإسلامية.

• المحاورات بينهم وبين شخصيات إسلامية.

• توزيع النشرات والأناجيل.

• البعثات الطبية.

• مدارس البنات والبنين.

• المناداة بالمساواة بين الأديان.

• المناداة بالمساواة بين المرأة والرجل.

١٦- العمل على زيادة النشاط التبشيري في أي مكان ينشط فيه العمل الإسلامي لمواجهة.

١٧- إعطاء المنح الدراسية في الجامعات هو أحد توصيات هذه الوثيقة التي تعتبره ضرورياً للعمل التبشيري.

١٨- التركيز الزائد من قبل المبشرين على الشخصيات الإسلامية المؤثرة، ويركزون على محاربتهم وتطويق أعمالهم بقوة.

١٩- الجامعات ودور العلم وهي من أهم الوسائل التي ينفذ من خلالها التبشير إلى أوساط الشباب والمجتمعات الإسلامية.

وبعد ذكر هذه النقاط التي تحتويها الوثيقة فهذا نصها ليقف كل مسلم غيور على دينه ليرى بعين البصيرة كيد الأعداء منذ أكثر من قرن -وكيف به الآن- وما فتئت جهودهم لإذلال الشعوب الإسلامية والسيطرة عليها والاستمرار بامتصاص دماها، والوثيقة تحمل عنوان: (التغيرات الطارئة على العمل التبشيري في الأراضي المحمدية):

يقول كيردتر: «حضرات السادة: الرئيس، الآباء والإخوان القساوسة السؤال المطروح هذا اليوم لا يتمثل في أين نجد الدليل على الحركة التحديشية في بلاد المسلمين، بل أين لا نجد مثل هذا الدليل ؟

نحن لا شك على علم تام بالحركة التحديثية الناشطة في الوسط الإسلامي في كل من تركيا ومصر وبلاد فارس والهند، فجميع هذه الدول قد تأثرت بالأفكار الأوروبية، وقد تشكلت فيها منظمات فكرية وسياسية، وأثرت هذه المنظمات بشكل مباشر أو غير مباشر على العقائد الدينية، غير أن هذه الدول ليست هي الوحيدة من دول الإسلام المتأثرة بأفكار الغرب، ففي روسيا ونتيجة لإطلاق الحريات الدينية في ١٧ نيسان عام ١٩٠٥م، وكما أعلمتني سيدة روسية قامت بدراسة خاصة أن ما يزيد على ٥٠٠٠٠ من أتباع الكنيسة اليونانية عادوا إلى اعتناق الإسلام، وقد تبعهم آخرون اعتنقوا هذا الدين لأول مرة، لاشك في أن مثل هذا الحدث سوف يحفز المحمديين في روسيا الأوروبية، في الفولغا في أواسط آسيا وحتى سيبيريا حيث الأفكار تسري بسرعة مثل التيار الكهربائي، وخاصة عندما تكون وسيلة النقل الجديدة: السكة الحديدية، فالقطار عبر قروين سوف يتجه نحو روسيا وتركمانستان ثم الصين التركية وسوف ينقل الأفكار الإسلامية، وهكذا تعود الخطوط التجارية التاريخية عبر وسط آسيا نحو الصين لتصبح العصب المنظم والجهاز العضوي الأكثر فاعلية مما كان عليه قبلاً.

إذاً فدورنا الآن يجب أن يتركز في الصين، وإذا كانت هناك دولة واحدة في العالم المحمدي ممن لا يتأثر بالعالم الخارجي فهي الصين، والنموذج الصيني المسلم ليس من النوع الذكي، ومع ذلك فقد سمعنا بانتقال بعثة تركية مسلمة إلى الصين لتقوم بدور التبليغ لأول مرة، وأكثر ما يثير العجب أن يقوم ثلاثون طالباً صينياً من الذين يدرسون الآراء الغربية في جامعة اليابان بتحرير مجلة فصلية باسم: (أيها المسلمون استيقظوا) وتوزع هذه المجلة في عموم بلاد الصين، وعندما تنتقل إلى ماليزيا حيث السفينة التجارية تقوم بمساعدة الأعداد المتزايدة من أهالي جاوة وسومطرة وجزر الهند الشرقية في التوجه نحو مكة لأداء فريضة الحج، وحيث يتعاضم بذلك تثبيت جذور الإسلام في هذه الدول، ومن ثم يصعب القضاء عليه، ونتجه بعد ذلك نحو الجزيرة العربية نفسها حيث هناك قبر النبي في المدينة، وحيث تتردد صفارات القاطرات.

ومن الجزيرة العربية وبشكل غير مباشر جاءت أعظم حركة للسنوسيين إن لم تكن أحدثها، والتي يمكننا أن نلمس آثارها بسهولة في السودان وفي بحيرة تشاد وأقصى أطراف حوض الكونغو.

ومن جانب آخر فإن الحركة الإسلامية الممتدة بشكل مرعب في إفريقيا أساساً هي رد فعل لما قامت به الحكومات الأوروبية (الاستعمارية) التي وضعت مؤسسات حكومية من النيل وحتى زامبيا، وأضعفت بذلك الروابط القبلية، وهيات مئات الأقنية لتوغل الإسلام بشكل هادئ، وسنجد بعد قليل أن الإسلام هو هدية السماء لوحدة إفريقيا، والمعبر الحقيقي عن الجنس الأفريقي، وسوف يحصد المسلمون الجهود التي بذلها نصارى الحبشة.

إن هذه النظرة السريعة تؤكد لنا -حتى من وجهة نظر الحركات التحديثية- مشكلة الوجود المحمدي الممتد في كامل العالم الإسلامي، وسوف أقدم في هذا المؤتمر العظيم ملاحظة أولية: إن

مشكلة الإسلام هذه لا يمكن تجاوزها حتى في الظروف الاضطرارية التي لا يمكن وصفها، والتي تواجهها في الشرق الأقصى، والسبب أن الإسلام الآن يقف على أعتاب دورنا من أقصى الساحل المغربي حيث يلامس حدود أوروبا وحتى أعمدة هرقل ومدينته القسطنطينية.

إن هذه المشكلة هي مشكلتنا المركزية، لنفكر بهذه الكتلة العظيمة من دول منطقة البحر المتوسط من شمال إفريقيا غرباً وحتى أواسط آسيا شرقاً سنجدتها جداراً لا يمكن زحزحته، يمنع الغرب المسيحي من الوصول إلى قلب الشرق الوثني.

أيها الآباء والإخوة: تذكروا حتى عندما تُحل مشاكلنا مع اليابان أو الكوريين أو المنشوريين أو الصينيين أو الهنود فإن الأزمات الحالية يمكن تجاوزها، وعندما يلتقي نصارى الشرق الأقصى مع الكنيسة الكاثوليكية فإن الكتلة الضخمة المعادية سوف تشطر دولة الغرب النصراني إلى شطرين، وتفصل بين التوأمين، وتعزل أحدهما عن الآخر، ولن تقيم خطأً عازلاً ممتداً بين الرب والإنسان فحسب، بل سوف تسبب شرخاً في بنية الكنيسة الكاثوليكية العظيمة الحالية من الشروخ، والذي يتمثل بوجود المسلمين هناك، ويمكن كسبه إلى جانب المسيح، وعليه لا يمكننا تأخير حل مشكلة الإسلام.

إنها مشكلة كل يوم كما ترون فلنجعل هذا اليوم نفسه يوماً للحل والانعقاد.

إن واجبي أن أوضح لأتباع الكنيسة القادمين من جميع أنحاء العالم الأوضاع العامة في ضوء الحركات التحديثية داخل بلاد المسلمين.

إن هدفنا الموحد هو: اتخاذ الإجراءات إلى أقصى حد في ضوء المصادر المتوفرة لدينا حيث يمكن بذلك فهم الواقع لتحقيق أهدافنا.

إن المصادر المتوفرة لدينا يمكن تفسيرها بوجهين، وعلينا أن نحفظ في أذهاننا بهذين التفسيرين، ففي المعنى الضيق، هذه المصادر غير كافية لمعالجة الواقع، غير أنها من دون شك موزعة بشكل حكيم واقتصادي ومستغلة بشكل جيد، ومن جانب آخر في متناول أيدينا مصادر الإله الحي، وهذه الفكرة تجعلنا نتذكر دائماً أثناء هذا المؤتمر الدرس الأساس وهو الفهم الجديد (للإله الحي) الذي سوف يساعدنا في انجاز هذا العمل العملاق، ليس لدينا الوقت الكافي لأن نوضح أين تتركز الأزمة اليوم، شعارنا اليوم: (العمل بحكمة)، وفي هذه القاعة وحول هذا الموضوع أؤكد على هذا الشعار: (العمل بحكمة)، لنبدأ من الامبراطورية العثمانية حيث نجد هناك حركة يمكن وصفها بشكل كبير بالتوجه نحو الحرية، الحرية السياسية والحرية الثقافية.

إن حركة مزدوجة من هذا النوع سوف تؤثر بالتأكيد على الدين وإن كان بشكل بطيء، فالتوجه الداخلي للجيل التركي الجديد نحو التسامح الديني يسير بشكل جيد، الحقيقة الوحيدة هنا: أن المسيحية والمسيح إلى حد بعيد متوغل في عمق حركتهم، وسوف تأتي بنتائج مهمة، وها هي



حرية الصحافة في معظم أنحاء الامبراطورية العثمانية وخاصة سوريا قد حققت نتائج جيدة، وها هم قادة الفكر الإسلامي يقعون في الحيرة بعد أن وجد بعضهم في القرآن الكثير من تعاليم المسيح. أليست هذه الحقيقة جديدة بأن تجعلنا نناشد الجمعيات العاملة في الامبراطورية لكي تكون نشطة ومستعدة لجني الثمار واستغلال الموقف إلى أقصى حد؟ هل سيأتي ذلك اليوم الذي يثار فيه الأرمن الذين تحملوا وصبروا، لشهادتهم؟ يجب أن يأتي ذلك اليوم بالتأكيد مادام هناك إله في السماء! ولذلك فإن الخطوات التالية تبدو ضرورية:

١- تقوية العمل الناجح والرائع الذي تمارسه الكنائس الشرقية في الامبراطورية العثمانية.  
٢- احتلال المناطق التي لا توجد فيها الجمعيات التبشيرية كما هو موضح في تقرير بعثة التبشير رقم (١).

٣- تعزيز الأعمال الأدبية بشكل قوي ومؤكد.  
٤- الضغط المنظم والمستمر على الحكومة العثمانية لإعطاء المساواة الدينية الكاملة والحرية في الامبراطورية العثمانية.

٥- العمل بحكمة وحذر واستمرارية في أوساط المسلمين.  
وفي مؤتمر كنسي عام عقد مؤخراً في بيروت وحضرته بنفسه استمعنا إلى تقارير بعثات التبشير الواحد بعد الآخر حول الأعمال المنجزة، وقد عبر المؤتمر في نهاية المؤتمر عن وجهة نظرهم بالشكل التالي:  
١- العمل التبشيري المستمر منذ عدة عقود سواء في سوريا أو فلسطين هو اليوم ممكن أكثر من أي وقت مضى سواء عن طريق الزيارات، المحاورات، توزيع النشرات التبشيرية والأناجيل، البعثات الطبية ومدارس البنين والبنات.

٢- إن إعلان الدستور وخاصة في أوساط المتنورين قد سهل عمل التبشير المباشر، وعموجب مبادئ الدستور حول المساواة بين الأديان سوف يزداد سهولة، ومن جانب آخر نحن نقف اليوم وجهاً لوجه مع الإحياء الثقافي والديني الحمدي مما يستوجب زيادة العمل التبشيري.

٣- من الضروري وضع خطة حكيمة وسريعة تطبق بدقة للنشاط في الوسط الإسلامي في سوريا وفلسطين.

إن واجب جميع المنظمات الكنيسية أن تبدأ الخطوة الأولى في هذا الاتجاه.  
أيها الآباء والقساوسة: شعارنا (العمل بحكمة)، والآن نصل إلى مصر حيث هناك حرية دينية واسعة تجعل العمل الإسلامي المباشر غير محدد، أصبحت القاهرة اليوم مركزاً للنشاط الفكري للإسلام، وهي هكذا منذ سقوط بغداد والحكم العباسي، عند هذه النقطة يجب التأكيد على ضرورة زيادة النشاط التبشيري دون تأخير، وأعني الزيادة في الكمية والنوعية عن طريق إعطاء المنح الدراسية للعاملين في العالم الإسلامي وخاصة في مناطق التنوير (الجامعات).

يجب أن تركز هذه الدراسة على خطين رئيسيين حيث يمثل مسلمو القاهرة هذين الخطين:

الأول: هو المركز الديني التقليدي والفلسفي الذي تمثله جامعة الأزهر.

والثاني: هو الحركة التحديثية التي تؤثر قليلاً أو كثيراً بكل الشباب المسلم الذي - كما ذكرت يحاول أن يتجاوز الإنجاز الإسلامي التاريخي ويفكر بسياسة جديدة ومفهوم ديني وفلسفي جديد للقرآن، ولا يهتم بأي تراث مهما كان! هذه الحركة واضحة جداً في الهند ولها موقع ثابت في القاهرة حيث الشيخ محمد عبده يعمل ويجمع حوله الطلبة المؤيدين له.

أحد طلابه محرر جريدة المنار يحاول أن يؤسس في اسطنبول جامعة دينية سوف يذهب طلابها بعد التخرج للتبشير بالإسلام في أقاصي المشرق، وهكذا ترون أن الأهداف الجديدة للإسلام هي الانتشار والتبليغ، وكلا الخطين يتطلبان قوة في التبشير وسط طلاب الجامعات وبعدد أكبر ومستويات جامعية أعلى مما هي عليه الآن، وإذا كانت الدراسة الإسلامية التقليدية قد اضمحلت - وهذا احتمال ينتظر البرهان - فلا نقاش هناك في أن تدهور وضع الأزهر وتأثيره خارج مصر ليس إلا ظلاً لما كان في السابق، ومع ذلك فإن الدراسة التقليدية الإسلامية هي السائدة وسط الجماهير (المحمدية) الواسعة في العالم، وتبقى هذه الجماهير ذات استعدادات ضخمة! وعليه فالدراسة التقليدية بحاجة إلى طلبة بشكل مستمر ومتزايد، وهؤلاء يجب أن يضيفوا إلى برامجهم مهمة المراقبة والدراسة والالتقاء مع الإسلام الجديد ومع تناقضاته المتعددة! ولا أدري أين يجب أن تتم مثل هذه الدراسة في العالم العربي فيما عدا القاهرة! من الضروري إذاً تأسيس جامعة عربية تكون في خدمة التبشير في جميع أنحاء العالم الإسلامي، أقول ذلك دون تحامل على الجامعات الاستشرافية والدورات التعليمية في بلادنا، فهذه ولا شك مشاريع لها أهميتها غير أن مهمتها تكميلية ومساعدة لما أريد الإشارة إليه، وعليه يجب أن تؤسس هذه الجامعة في القاهرة وعليكم التفكير بذلك حالاً<sup>(١)</sup>.

قال الشاعر:

اقرأ التاريخ إذ فيه العبر      ضل قوم ليس يدرون الخبر  
وتأمل كيف أفنى ملكهم      من على الملك تولّى وقهر<sup>(٢)</sup>

١- التآمر الصليبي على بلاد المسلمين للشيخ عباس الكوراني نقلاً عن مجلة الطاهرة، العدد ٤١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، انظر: موسوعة البحوث والمقالات العلمية.

٢- موسوعة الشعر الإسلامي ٢٤ / ١.

## ● السبب الثاني في التآمر على بلاد الإسلام: الجانب الجغرافي

إن البلاد الإسلامية تحتل موقعاً جغرافياً هاماً جداً فهي أمة وسط، وتتحكم في كثير من المنافذ إلى العالم، وهي مع ذلك أرض غنية بالثروات.

إن مساحة الدول المكونة للعالم الإسلامي تمثل أكثر من ربع مساحة اليابسة وتقدر بـ ١٤٨,٣٥٤,٠٠٠ كيلو متراً مربعاً، ويزيد في قيمة تلك المساحة الشاسعة اتصال بعضها مع بعض، وتوسطها دول العالم، وتكاملها من ناحية المناخ والتضاريس وطبيعة الأرض، وتعدد ثرواتها، وتنوع مصادر المياه فيها، ويطل العالم الإسلامي على مسطحات مائية عديدة تخترقها أهم خطوط المواصلات البحرية في العالم، وله موانئ هامة على كل من: المحيط الأطلسي، والمحيط الهندي، والمحيط الهادي، وكل من: البحر الأحمر، والبحر الأبيض، والبحر الأسود، وبحر قزوين، والعالم الإسلامي غني بالثروة الزراعية، والثروة الحيوانية، ومصادر الطاقة، والثروة المعدنية<sup>(١)</sup>، مع هذا فإن جزيرة العرب هي أرض المروج والأنهار في المستقبل كما تثبت ذلك الدراسات العلمية، وكل هذا جعل لعاب الأعداء يسيل على بلاد الإسلام، فهي بلاد الثروات في الحاضر، والثروات والعيش الرغيد في المستقبل.

### عودة بلاد العرب مروجاً وأنهاراً

جاء في السنة النبوية المطهرة في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً"**<sup>(٢)</sup>.

الحديث في شقه الثاني يدل على أمرين:

الأول: أن بلاد وجزيرة العرب كانت مروجاً وأنهاراً في الماضي.

الثاني: أن بلاد وجزيرة العرب ستعود كما كانت مروجاً وأنهاراً في المستقبل.

فالحديث فيه إخبار عن غيب الماضي والمستقبل، وللحديث ثلاثة تفاسير:

**التفسير الأول:** أن العرب يتركونها ويعرضون عنها فتبقى مهملة لا تزرع ولا تسقى من مياهها وذلك لقلّة الرجال وكثرة الحروب وتراكم الفتن وقرب الساعة وقلّة الآمال وعدم الفراغ لذلك والاهتمام به حتى تصبح مجرى للأنهار التي تنبت فيها المروج<sup>(٣)</sup>.

١- سبل التقدم العلمي والتقني في البلاد الإسلامية نقلاً عن مجلة البيان ١٤/٢٣٧.

٢- أخرجه مسلم ٧٠٠/٢ برقم: ١٥٧.

٣- شرح النووي على صحيح مسلم ٩٧/٧.

**التفسير الثاني:** أن تنصرف دواعي العرب عن مقتضى عادتهم من انتجاع الغيث والارتحال عن المواطن للحروب والغارات ومن عزة النفوس العربية الكريمة الأبية إلى أن يتقاعدوا عن ذلك فيشتغلوا بغراسة الأرض وعمارها وإجراء مياهها كما قد شوهد في كثير من بلادهم وأحوالهم<sup>(١)</sup>.

**التفسير الثالث:** أن هذا سيحدث كنتيجة لتغير شامل في مناخ الكرة الأرضية، ينتج عنه تغير مناطق المطر بحيث تدخل صحراء شبه الجزيرة العربية فيها، مما يؤدي إلى جريان الأنهار في أوديتها الجافة، فهو يتنبأ بتغير مناخي يُصيب الأرض يرجع فيه الحزام الصحراوي الذي يشمل شبه الجزيرة العربية إلى سابق عهده من وفرة الأمطار وكثرة الأنهار وازدهار الرياض والمزارع والمراعي، وهذا ما أيدته الأبحاث العلمية في عصرنا الحاضر عن طريق البعثات الجيولوجية، والتصوير الفضائي، والمكتشفات الأثرية في شبه الجزيرة العربية، ولا يُتصور أن تصدر تلك النبوءة مجازفةً بالتخمين في صحراء جزيرة العرب التي تخلو حتى اليوم من نهر واحد ويسود أغلبها الجفاف ويمتد جنوبها الربع الخالي<sup>(٢)</sup> القاحل متاهةً للعابر ومهلكاً لمن لم يتزود بالزاد والماء، وذلك قبل أن يتحدث أحد اليوم عن تغير مناخي وشيك يصيب الأرض وقبل أن يكتشف البترول في جزيرة العرب وعلى أطرافها ليشهد محمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة الخاتمة لأنه بقايا لمواد عضوية مطمورة ومخلفات غابات قديمة متحللة، وقبل أن يُعثر على أشجار متحجرة في مناطق قاحلة، وقبل أن يُكتشف باستخدام الرادار حديثاً نظام الأنهار القديم في جزيرة العرب، وقبل أن تُعرف خريطة بطليموس التي رسمها في القرن الثاني قبل الميلاد وتظهر فيها بوضوح أنهار عديدة تصب في البحر الأحمر غرباً والمحيط الهندي جنوباً والخليج العربي شرقاً<sup>(٣)</sup>.

### كيف كانت جزيرة العرب مروجاً وأنهاراً وكيف ستعود

لقد أجرى الشيخ عبد الحميد الزنداني مقابلة مع البروفسيور ألفريد كرونر -من أشهر علماء الجيولوجيا في العالم- الذي حضر مؤتمراً جيولوجياً في كلية علوم الأرض في جامعة الملك عبد العزيز حول عودة الجزيرة العربية مروجاً وأنهاراً، وهذا عرض لها:

**الشيخ:** هل عندكم حقائق أن أرض العرب كانت بساتين وأنهاراً - هذه الصحراء التي ترونها كانت قبل ذلك بساتين وحدائق؟

١- الديباج على مسلم ٨٤/٣.

٢- الربع: بفتح الراء وهو المكان الذي كان مأهولاً بالسكان ثم صار خالياً.

٣- الاستفادة من الأبحاث في القرآن والسنة في كل النواحي بحث للشيخ عبد الكريم الفهدي على موقع جامعة الإيمان، ص: ١-٣، وتميز السنة النبوية في النقل الشفهي عن النقل الشفهي للأسفار قبل الإسلام أرشيف للدكتور محمد دودح نقلاً عن إرشيف ملتقى أهل الحديث ٥ / ٢٥٩، مصدره الشاملة الإصدار الثالث.

**البرفسور:** نعم هذه مسألة معروفة عندنا وحقيقة من الحقائق العلمية وعلماء الجيولوجيا يعرفونها؛ لأنك إذا حفرت في أي منطقة تجد الآثار التي تدلك على أن هذه الأرض كانت مروجاً وأنهاراً، والأدلة كثيرة، فقط لعلمكم منها قرية الفاو التي اكتشفت تحت رمال الربع الخالي، وهناك أدلة كثيرة في هذا.

**الشيخ:** وهل عندك دليل على أن بلاد العرب ستعود مروجاً وأنهاراً؟

**البرفسور:** هذه مسألة حقيقية ثابتة نعرفها نحن الجيولوجيون ونقيسها ونحسبها، ونستطيع أن نقول بالتقريب حتى يكون ذلك وهي مسألة ليست عنكم بعيدة وهي قرية .

**الشيخ:** لماذا؟

**البرفسور:** لأننا درسنا تاريخ الأرض في الماضي فوجدنا أنها تمر بأحقاب متعددة من ضمن هذه الأحقاب المتعددة حقبة تسمى العصور الجليدية.

**الشيخ:** وما معنى العصر الجليدي؟

**البرفسور:** معناه أن كمية من ماء البحر تتحول إلى ثلج وتتجمع في القطب المتجمد الشمالي ثم ترحف نحو الجنوب وعندما ترحف نحو الجنوب تغطي ما تحتها وتغير الطقس في الأرض، ومن ضمن تغيير الطقس تغيير يحدث في بلاد العرب، فيكون الطقس بارداً، وتكون بلاد العرب من أكثر بلاد العالم أمطاراً وأنهاراً.

**الشيخ:** وكنت أربط بين السيول والأمطار في منطقة أبها وبين تلك التي تحدث في شمال أوروبا وأنا أتأمل فيما يقول قلت له: تأكد لنا من هذا!

**البرفسور:** نعم هذه حقيقة لا مفر منها!

**الشيخ:** من أخبر محمداً صلى الله عليه وسلم بذلك هذا كله مذكور في حديث: **"لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً"** من قال لمحمد صلى الله عليه وسلم إن أرض العرب كانت مروجاً وأنهاراً؟!

**البرفسور:** فكر وقال: الرومان.

**الشيخ:** ومن أخبره بأن أرض العرب ستعود مروجاً وأنهاراً؟!

**البرفسور:** فكر وفكر وقال: فيه فوق!! -أي: أن الخبر من مصدر علوي-.

**الشيخ:** اكتب، فكتب بخطه: لقد أدهشتني الحقائق العلمية التي رأيتها في القرآن والسنة ولم تتمكن من التدليل عليها إلا في الآونة الأخيرة بالطرق العلمية الحديثة، وهذا يدل على أن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم لم يصل إلى هذا العلم إلا بوحى علوي<sup>(١)</sup>.

١ - إنه الحق للشيخ عبد المجيد عزيز الزنداني: ١٥، ١٦، وسنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ١٤/١.

ويتوقع (هال ماكلور) عودة البحيرات إلى صحراء شبه الجزيرة العربية، فقد لاحظ في تموز (يوليو) ١٩٧٧م سقوط أمطار شبه موسمية على امتداد ثلاثة أسابيع في شمال الربع الخالي، ولم ينتج عن ذلك تشكل بحيرات جديدة، ولكن على حد قوله: إذا تكرر هذا الأمر وبقوة كافية لتكوين بحيرات فقد يكون ذلك مؤشراً على عودة الأمطار الموسمية إلى الربع الخالي ومعها انقلاب في المناخ<sup>(١)</sup>.

## • طمع في الثروة والأرض

**أما الثروة** فإن الغرب يدركون تماماً أن بلاد العرب كانت في الماضي مروجاً وأثماراً وهذا يعني أن العالم الإسلامي مخزون نفطي كبير؛ لأن آثار تلك المروج والأثمار المندثرة تتحلل إلى مواد نفطية، ولذا فإن العالم الإسلامي يحوي أكثر من ٧٠% من المخزون النفطي في العالم وهم يدركون هذا تمام الإدراك، وهذا هو السر في غزو أمريكا للعراق التي تملك أغنى مخزون نفطي في العالم، وليس هذا بغريب على أرض ذات حضارة عرقية كالعراق، وهذا هو السر الذي يجعل أمريكا تحشر أنفها في قضية السودان لتظهر تقطع أكبادها على مأساة دارفور وفي الحقيقة تطمع في نفطها؛ ولما وجدوا حكومة أبيّة ترفض العمالة لفقوا لها التهم، وحركوا العالم ضدها لتتحرك محكمة الجنايات الدولية وتصدر أمرها باعتقال الرئيس السوداني عمر البشير مباشرة بعد الحرب الإبادة التي شنتها إسرائيل على قطاع غزة بأسلحة دمار شامل محرمة الاستخدام دولياً في حرب لم ترع حقاً أو حرمة لأحد ولم تفرق بين المنازل والمساجد والمدارس ولا حتى المستشفيات والطواقم الطبية وكل ما يدب على وجه الأرض على مرأى ومسمع من العالم بأسره، وهذا هو السر الذي جعل أمريكا تُقبِل بحاملات الطائرات والبوارج والباخرات لترسوا على مشارف السواحل اليمنية بحجة مكافحة القرصنة، فهو تأمر يهدف إلى السيطرة على منابع الثروة النفطية.

إضافة إلى تنوع مصادر المياه في العالم الإسلامي، وثروته الزراعية، والحيوانية، ومصادر الطاقة، والثروة التعدينية.

**وأما الأرض والموقع:** فإن الغرب يدركون أن بلاد العرب ستعود في المستقبل مروجاً وأثماراً وهذا يعني أن العلم الإسلامي هو المكان المناسب للحياة في المستقبل؛ لأن بلاد الغرب ستتضرر بالعصر الجليدي الجديد، إضافة إلى ما يحتله العالم الإسلامي من موقع هام يتحكم في المضائق والطرق والممرات، والمساحة الممتلئة لأكثر من ربع مساحة اليابسة، والمناخ والتضاريس وطبيعة الأرض، والإطالة على أهم خطوط المواصلات البحرية في العالم، وكل هذا يجعل الأعداء يفكرون في غزو بلادنا والسيطرة عليها لاستيطانها بدلاً عنا، وهذا يوجب على القيادات السياسية التنبه في أخذ

١ - آفاق علمية، عدد (٢٤)، ص: (١٥)، وللإطلاع على التفاصيل انظر بحث المهندس جمال عبد المنعم الكومي بعنوان عودة جزيرة العرب مروجاً وأثماراً على موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة على هذا الرابط،

[http://www.nooran.org/O/6/6O\(5\).htm](http://www.nooran.org/O/6/6O(5).htm)

الترتيبات اللازمة لحماية البلاد من هذه الأخطار حيث يوجد حوادث مشابهة<sup>(١)</sup>، ومن ذلك الاستيلاء على أرض الهنود الحمر -الأمريكيين حالياً- إذ اكتشفت القارة الأمريكية بواسطة الرحالة كولومبس وبعد الاكتشاف أتى المستعمرون لاحتلال هذه الأرض وإخراج سكانها الأصليين منها بشق السبل، وهذا قانون الدول العظمى التي لا تحتكم إلى شرع أو دين، وهذا توضيح عن هذه القارة المكتشفة وعن سكانها الأصليين.

### ● الهنود الحمر والأمريكان

وصل الهنود الأوائل إلى القارة المجهولة المغطاة بطبقات كثيفة من الثلج فعاشوا فيها بأمان إلى أن بدأت حرب الاستيطان الأوروبي ابتداءً من سواحلها الشرقية باتجاه عمقها الغربي فنشأت القلاع المزودة بسلاح متطور توطئة إلى احتلال كامل للقارة الجديدة.

عقدت المعاهدات القسرية بين الطرفين بعد أن استقلت المستعمرات الأمريكية عن التاج البريطاني، وتعهدت القبائل الهندية بالحفاظ على السلم مع المهاجرين والاعتراف بالتشريعات التي تصدرها الحكومة وتنازلت كل قبيلة عن الكثير من أراضيها وفي المقابل تعهدت الحكومة الفيدرالية بدفع المال إلى الهنود وحمايتهم.

اخترقت هذه المعاهدات واستولى المهاجرون على أراض الهنود والتي تبنت حمايتها من قبل الدستور مما أدى إلى نشوب حرب شرسة بينهما وفي عام ١٨٣٠م، أصدرت الحكومة قانوناً بإزاحة الهنود إلى غربي الولايات وإعطاء أراضيهم إلى المهاجرين الجدد.

وخلال عشر سنوات قامت الحكومة الأمريكية بالتهجير القسري لأكثر من ٧٠,٠٠٠ هندي عبر نهر ميسوري فمات الكثير منهم عبر الطريق الطويل نحو الغرب، وعرفت برحلة الدموع وبعدها قام المستعمرون بالاستيلاء على أراضي الهنود حتى وصلوا المحيط الهادي.

في سنة ١٨٤٨م اكتشف الذهب في كاليفورنيا مما شجع الكثير من المغامرين إلى الرحيل إليها وعند وصولهم راحوا يجمعون في قتل الهنود الحمر، وقاتل الهنود بشجاعة وهزموا في النهاية وحجزوا في أماكن حجز مفردة، فكانوا فقراء معدمين في حالة صحية سيئة، واضمحل عددهم وانخفض من مليون نسمة إلى ٣٥٠,٠٠٠ نسمة.

وإذا أردت أن تتصور حالة الإرهاب الأمريكي على حقيقته فلتقرأ كتاب (العماق) الذي صدر في سنة ١٦٦٤م وكتبه (بورد جاك) الذي تضمن نصائح إلى القيادات الأنجلوساكسونية التي تزعمت المهاجرين البروتستانت إلى القارة الأمريكية وجاء فيه:

١- بأن إبادة الهنود الحمر أرخص من تنصيرهم أو تمدينهم لأنهم همج برابرة عراة.

<sup>١</sup> - الاستفادة من الأبحاث في القرآن والسنة في كل النواحي بحث للشيخ عبد الكريم الفهدي على موقع جامعة الإيمان، ص ٥.

٢- بأن الانتصار عليهم سهل ووسائل تحقيق النصر القوة والمفاجأة والتجويع بحرق المحاصيل بتدمير القوارب والبيوت، بتمزيق شباك الصيد وبالمطاردة بالجياذ السريعة والكلاب المدربة التي تنهش أجسادهم العارية.

في عام ١٧٣٠م أصدرت الجمعية التشريعية -البرلمان البروتستنتي- تقديم المكافآت الآتية:

- ٤٠ جنيهاً مقابل كل فروة مسلوخة من رأس هندي أحمر.
- ٤٠ جنيهاً مقابل أسر هندي أحمر.
- بعد خمسة عشر سنة ارتفعت المكافأة إلى ١٠٠ جنيه وتلت صدور القرارات الخاصة بتسعير قتل الهنود الحمر.

في عام ١٧٦٣م أمر القائد الأمريكي البريطاني الأصل (جفري أهرست) برمي البطانيات المستخدمة في مصحات علاج الجدري في أماكن تجمع الهنود الحمر لنقل المرض إليهم ونشر الوباء بينهم وبعد عقود قليلة تم فناؤهم وعزل ما تبقى منهم في مجتمعات نائية<sup>(١)</sup>. هذا مثال فلنحذر ولنعد العدة ولنكن أقوىاء حتى نحمي أنفسنا وبلادنا من كيد المعتدين.

---

<sup>١</sup>- الاستفادة من الأبحاث في القرآن والسنة في كل النواحي بحث للشيخ عبد الكريم الفهدي على موقع جامعة الإيمان نقلاً عن: موقع الجمعية السورية على الرابط: <http://fahmyhoweidy.blogspot.com/>، وانظر: جرائم أمريكا عبر التاريخ نقلاً عن موقع: [http://www.sprasy.com/website/index.php?more=4192&category\\_id=89](http://www.sprasy.com/website/index.php?more=4192&category_id=89)، ومقال للدكتور فهمي هويدي على هذا الرابط: <http://www.almuflehi.net/vb/showthread.php?p=4312>



## كيفية مواجهة التآمر

إن الواجب على أمة الإسلام تجاه هذا التآمر بأشكاله وألوانه اليقظة والتنبه والحذر من أن يفت هذا التآمر بكل أشكاله في عضدها، أو يوهن من عزمها، أو أن تشعر حياله بالعجز أو باليأس، فأمامها الكثير من وسائل المواجهة الناجعة وأسلحتها القاطعة والتي منها:

**نصرة الله تعالى:** بالقيام بدينه واتباع شرعه وامتنال أمره واجتناب نهيه ونصرة رسوله صلى الله عليه وسلم وأتباعه ونصرة دينه والدعوة إليه وجهاد أعدائه وقهرهم حتى تكون كلمته جل وعلا هي العليا وكلمة أعدائه هي السفلى، وأن يُقصد بذلك وجه الله، مع المحافظة على إقامة شعائر الدين من صلاة وصيام وحج وإيتاء زكاة وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، فالذين يمكن الله لهم في الأرض ويجعل لهم فيها الكلمة والسلطان ومع ذلك لا يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر فليس لهم وعد من الله بالنصر؛ لأنهم ليسوا من حزبه ولا من أوليائه الذين وعدهم بالنصر بل هم حزب الشيطان وأولياؤه فلو طلبوا النصر من الله بناء على أنه وعدهم إياه فمثلهم كمثل الأجير الذي يمتنع من عمل ما أجر عليه ثم يطلب الأجرة ومن هذا شأنه فلا عقل له، فإذا نصرنا الله تعالى نصرنا وثبت أقدامنا بأن يربط على قلوبنا بالصبر والطمأنينة والثبات ويصير أحسادنا على ذلك ويعيننا على أعدائنا قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وقال: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠] فهذا وعد من كريم صادق الوعد أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه ويسر له أسباب النصر من الثبات وغيره<sup>(١)</sup>، فإذا استحققنا النصر سلمنا من كل تآمر خارجي وداخلي، ومن شر كل شياطين الأنس والجن.

**أخذ الأهبة والحذر وإعداد العدة، والعمل على تصنيع السلاح بكافة أشكاله.**

**استعادة الوعي:** فلا يمكن أن يمر هذا التآمر إلا من خلال ثقب الجهل والغفلة، ومن ثم ينبغي إعادة الوعي إلى أبناء أمتنا والحرص على إبقائه دائماً يقظاً متقدماً.

**الاعتزاز بهويتنا الإسلامية:** فالإسلام أساس انتمائنا الأول وولائنا الأكبر، وهو مرجعيتنا العليا لعقيدتنا وقيمنا وأخلاقنا وسلوكنا، وهو الذي يحفظ كيان المجتمع ويرسم ملامح شخصيته، ويحقق تماسكه وقوته فيأبى من الذوبان في غيره أو التبعية لهذا الغير.

**الحرص على الترابط والوحدة:** فالتنازع والاختلاف سبب الخيبة والفشل، واجتماع الأمم وتوحيد الصف أساس الغلبة والاستعلاء، ولنتعاون جميعاً لتحقيق الترابط على كل المستويات، فترباط مكونات المجتمع الواحد مهما اختلفت الطوائف والمذاهب والأعراق ويسود التفاهم والتعاون بين

١- انظر: أضواء البيان ٢٦٥/٥، ٢٦٦، وتفسير السعدي ٧٨٥/١.

الأنظمة والشعوب، ثم تتواصل الدول فيما بينها وتتكامل في مختلف الميادين الثقافية والسياسية والاقتصادية والعسكرية.

**إصلاح المناهج التربوية:** حتى تُخرج أجيالاً سليمة العقيدة، صحيحة العبادة، متينة الخلق، مثقفة الفكر، معتزةً بدينها، محبةً لأوطانها، مواكبةً لعصرها محافظة على دينها.

**الاهتمام بالعلم والأبحاث العلمية، وتوفير الإمكانيات والسبل أمام الباحثين والمختصين.**

**الجهاد الإعلامي:** فلا شك أن الإعلام يُعتبر وسيلةً قويةً ومؤثرةً من وسائل الجهاد في عصرنا هذا، فبه نذبُّ عن ديننا شبهاتِ المغرضين وافتراءاتِ المبطلين، ونبيِّنُ للدنيا كلها بهاءه، ونرسل إليها ضياءه، ونغد إليها رواءه، وذلك عبر القنوات والإذاعات والكتابات، وينبغي أن نعمل جاهدين على إعداد الكتائب المطلوبة لهذا الجهاد العصري من الدعاة والإعلاميين الأكفاء المدربين والأمناء المقتردين.

**دعم الجهاد:** الذي يواجه الأعداء في ميدان الصراع مباشرة، وهذا حق للمجاهدين-وهم من يسمون بلغة العصر المقاومين- على الأمة كبيرٌ لدعمهم معنوياً ومادياً بإظهار الإكبار والتقدير لهم ولرجلهم والإشادة ببطولاتهم، وبالسعي لتنقية صفوفهم من المتأمرين والمتربصين، وبإخلاص الدعاء لهم في الأوقات الشريفة التي تُرجى فيها الإجابة، وبالجهاد المالي معهم، وبمقاطعة كل ما يمتُّ للأعداء بصلة، وبكشف المرجفين والمبطلين من دعاة الانبطاح والاستسلام.

**دعم المقاومة النفسية:** وهذا النوع من المقاومة مطلوب من أبناء الأمة كلهم؛ بقصد أن يروؤوا من ثقافة الجبن والهلع التي تدفع بصاحبها إلى اليأس والاستسلام، وأن تسود فيهم ثقافة المقاومة التي تجرُّهم على المواجهة والصمود، وأن تشتعل في نفوسهم من جديد حمية العزة والكرامة التي تأبى على صاحبها الركون إلى الذلِّ أو الرضى بالهوان، إنها حميةُ الصحابي الجليل التي دفعته إلى قتل ذلك اليهودي الخبيث الذي احتال لكشف سوءة مسلمة، وهي -أيضاً- الحمية التي دفعت المعتصم لتجريد جيش جرار لنجدة مسلمة أخرى وقعت عليها مظلمة في أقاصي البلاد، فاستغاثت استغاثتها الشهيرة وٱٱٱٱ معتصماً<sup>(١)</sup>

١- انظر: التأمر على الأمة (مظاهره، ومواجهته) رسالة من الأستاذ محمد مهدي عاكف المرشد العام للإخوان المسلمين، انظر موقع: [www.ikhwanonline.com](http://www.ikhwanonline.com) إخوان أولايين.

## وسائل عملية في وجه التآمر الخارجي

إن من الوسائل التي تعمل على دحر التآمر الخارجي على الإسلام والمسلمين ما يلي:

### ١- تنفيذ فكرة إنشاء محكمة العدل الإسلامية

على الحكام السعي الجاد لتنفيذ فكرة إنشاء محكمة العدل الإسلامية ووضعها موضع التطبيق وتطويرها، وعلى الشعوب القيام بمطالبة الحكومات بذلك والضغط عليها للمبادرة إلى ذلك، وهي فكرة بدأت باقتراح قدمه وفد الكويت في القمة الإسلامية الثالثة بمكة المكرمة عام ١٩٨١م، وحدد الاقتراح أهمية إنشاء المحكمة حتى يستكمل بها هياكل منظمة المؤتمر الإسلامي، ولكي تكون فيصلاً وقاضياً وحكماً فيما ينشأ من خلافات ومنازعات بين الدول الإسلامية، وللمساعدة في تنقية وتطوير العلاقات فيما بينها في كافة المجالات بعد ما لوحظ ما انتهت إليه الإنسانية المعاصرة -رغم مظاهر التقدم المادي واتساع المكاسب العلمية والتقنية- من الفقر الروحي ومن الانحلال في العقائد والأخلاق، وبعد ملاحظة ما اعتري المجتمعات الإسلامية من الوهن في الذاتية والضعف في الفاعلية الحضارية وخضوع العديد منها للهيمنة الأجنبية وتعرضها لشتى وجوه الظلم والعدوان رغم ما تهيأ لها من مقومات الوحدة، وعوامل التقدم والنهضة، ودواعي العزة والرفاهية.

وفكرة إنشاء هذه المحكمة أمر تم إقراره خلال القمة الخامسة في الكويت عام ١٩٨٧م، وأكد النظام في مادته الأولى: أن محكمة العدل الإسلامية الدولية هي الجهاز القضائي الرئيس لمنظمة المؤتمر الإسلامي، تقوم على أساس الشريعة الإسلامية، وتعمل بصفة مستقلة وفقاً لأحكام ميثاق منظمة المؤتمر الإسلامي وأحكام هذا النظام، وهذه المحكمة ستمثل إحدى وسائل الوحدة بين الدول الإسلامية في مجال هام وهو مجال القضاء والتحكيم<sup>(١)</sup>.

ويمكن توسيع عملها ليشمل النظر في كل القضايا والدعاوى ضد الحكومات والبلدان الإسلامية أو أي فرد من أفرادها بما فيها قضية تسليم المطلوبين المسلمين للدول غير المسلمة، وهي بهذا تعمل

---

١- تشكل هيئة محكمة العدل الإسلامية من سبعة قضاة ينتخبون من قبل المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية لمدة أربع سنوات، قابلة للتجديد مرة واحدة، ويشترط لانتخاب عضو في المحكمة: أن يكون مسلماً، عدلاً، من ذوي الصفات الخلقية العالية، ومن رعايا إحدى الدول الأعضاء في المنظمة، على ألا يقل عمره عن أربعين عاماً، وأن يكون من فقهاء الشريعة المشهود لهم، وله خبرة في القانون الدولي، ومؤهلاً للتعيين في أرفع مناصب الإفتاء أو القضاء في بلاده، ولها ثلاثة اختصاصات: قضائي: يجعل لها ولاية الفصل بحكم قطعي غير قابل للطعن، وإفنائي فلها أن تفتي في مسألة قانونية غير متعلقة بتزاع مطروح أمامها، واختصاص بالوساطة والتوفيق والتحكيم عن طريق لجنة من الشخصيات المرموقة، أو كبار المسؤولين في جهازها، والشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي الذي تستند إليه المحكمة في أحكامها، وتسترشد المحكمة بالقانون الدولي، والاتفاقات الدولية الثنائية، أو متعددة الأطراف، أو العرف الدولي المعمول به، أو المبادئ العامة للقانون، أو الأحكام الصادرة عن المحاكم الدولية، أو مذاهب كبار فقهاء القانون الدولي في مختلف الدول، واللغة العربية لغة المحكمة الأولى، وهي مع الإنجليزية والفرنسية اللغات الرسمية المعتمدة، انظر: التحكيم في الفقه الإسلامي للدكتور محمد جبر الألفي، نقلاً عن مجلة مجمع الفقه الإسلامي، العدد التاسع ١٩٨٢/٢-١٩٨٤، وتسليم المطلوبين بين الدول لزايد المشيخي ص ٣٧١، ٢٧٢.

على الحد من التآمر على الإسلام والمسلمين؛ لأن الأعداء قد اشتد مكرهم وكيدهم وتآمرهم ووصل إلى ابتكار الأكاذيب والتهم وتوجيهها إلى الدول الإسلامية أو حكوماتها التي يراد التخلص منها أو غزوها واحتلالها وتمزيقها.

إن مشروع محكمة العدل الإسلامية يتفق في مجمله مع المبادئ التي نص عليها النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية، وأهدافها قريبة من أهدافها، كما أن نظام ميثاق الأمم المتحدة يشجع مثل هذه الهيئات الإقليمية للتغلب على المشاكل التي تقوم بين دول المنطقة، وهي من قبل ومن بعد تتفق مع أحكام الشريعة الإسلامية الغراء<sup>(١)</sup>.

إن إقرار النظام الأساسي لمحكمة العدل الإسلامي يعتبر بكل المعايير إنجازاً هاماً وقراراً تاريخياً وطريقاً مستقيماً يصل الدول الإسلامية بتراتها الخالد، ويجنبها استجداء العدالة ممن يجهلون شريعتها، أو يحتقرون تقاليدها، أو يتربصون بأهلها، وسوف يتحقق هذا المعنى حين يكون قضاة المحكمة على قدر من فقه النفس، يؤهلهم لتطبيق روح الإسلام وسياسته الشرعية، ويبعد بهم عن أن يكونوا مضغة في الأفواه، وسوف يتأكد هذا المعنى حين يكون الجهاز التنفيذي للمحكمة مؤثراً فعلاً يفرض على الجميع -ودون استثناء- احترام الحق والعدل، والخضوع لإرادة المجتمع الإسلامي، وسوف يستقر هذا المعنى حين تتكون لدى المسلمين إرادة سياسية جماعية، واقتناع بالقيم الأخلاقية والروحية، وإيمان بقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]<sup>(٢)</sup>.

٢- وضع فكرة التكافل الاقتصادي الإسلامي -السوق الإسلامية المشتركة- موضع التنفيذ باعتبارها الأساس الصالح لإقامة وحدة الأمة، وتجميع وحسن استخدام ثرواتها وقوتها الاقتصادية، وسرعة بناء القاعدة التكنولوجية الإسلامية، وسوف يؤدي التأخير في إقامة هذه السوق إلى نقل كل مشكلات النظام الغربي إلى بلادنا التي تكاد تتحول الآن إلى مجرد أسواق لمنتجاتهم.

يقول الدكتور علي محيي الدين القره داغي: «فإن الحاجة ملحة جداً لأن تخطو الدول الإسلامية خطوة جادة أخرى لإيجاد سوق ثانوية لتغطية رؤوس أموالها، لها أدواتها المشروعة وآلياتها الفعالة تكون بمثابة رئتها التي تنفس فيها شهيقاً وزفيراً، وذلك لأن البنوك الإسلامية اليوم كأنها تسير على رجل واحدة تمثل في السوق الأولوية، أما رجلها الثانية المتمثلة في السوق الثانوية -البورصة- فلا تزال لم تكتمل على الرغم من أهميتها القصوى وحاجتنا الماسة إليها وذلك لأنها الوعاء المتكامل

١- قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]، يقول ابن العربي: «هذه الآية هي الأصل في قتال المسلمين والعمدة في حرب المتأولين وعليها عول الصحابة وإليها لجأ الأعيان من أهل الملة وإياها عني النبي بقوله: "يقتل عمراً الفتنه الباغية"<sup>(١)</sup> [أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٣٦٣/٢٣ برقم: ٨٥٥]، وقوله في شأن الخوارج: "يجرجون على خير فرقة من الناس"<sup>(٢)</sup> [أخرجه النسائي في السنن الكبرى ١٥٩/٥ برقم: ٨٥٦٠]، أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٤٩، ١٥٠، وانظر: مبدأ التحكيم في الفقه الإسلامي للدكتور عبد الله محمد عبد الله نقلاً عن مجلة مجمع الفقه الإسلامي العدد التاسع ٢ / ١٩١٤٧.

٢- التحكيم في الفقه الإسلامي للدكتور محمد جبر الألفي، نقلاً عن مجلة مجمع الفقه الإسلامي، العدد التاسع ٢/ ١٩١٨٤.

للفائض من سيولة البنوك الإسلامية وامتصاص حاجتها، فالبنوك الإسلامية إذا لم تحقق لنفسها سوقاً إسلامية ثانوية ستظل أسيرة النظام المالي العالمي المتحكم في تدوير أموال الشعب.

لذلك سيكون من أولى الواجبات البحث عن هذه السوق المالية الإسلامية وعن مجموعة كبيرة من آلياتها المشروعة وأدواتها المباحة شرعاً.

إضافة إلى أن عالمنا الإسلامي قد حباه الله تعالى بوفرة موارده وثرواته ومعادنه ومواده الخام وكثرة السيولة النقدية حتى أن الاستثمارات العربية الخليجية في الغرب تقدر بأكثر من سبعمائة مليار دولار، ومن هنا فإعادة توطين هذه الأموال المهاجرة إلى خارج البلاد تتطلب تعاون الدول الإسلامية لإيجاد سوق إسلامية لرأس المال الإسلامي وتسييله وتدويره لخدمة الأهداف التنموية وتحقيق التكافل والتوازن والتكامل، وفي حالة عدم قيام الدول الإسلامية بهذا الواجب فإن على البنوك الإسلامية والمجامع والهيئات الفقهية أن تبذل كل جهودها للوصول إلى هذا الهدف ولا تألو بأي جهد فكري أو مالي لتحقيق هذا الغرض الملح<sup>(١)</sup>.

يقول الدكتور صالح الرقب: «وفي المجال الاقتصادي يمكن للعالم الإسلامي أن يواجه خطر العولمة<sup>(٢)</sup> بتحقيق السوق الإسلامية المشتركة، وتقوية المؤسسات العربية المنبثقة عن الجامعة العربية، ومؤتمر القمة الإسلامي، لأنه يمتلك مخزوناً جباراً من رؤوس الأموال ومن الثروات الحيوية والمعدنية، بالإضافة إلى التلاحم الجغرافي، والتكامل في الموارد، ولهذا لو قامت تجارة فعلية بين العالم الإسلامي لأمكننا الاستغناء عن العالم الخارجي-على الأقل- في الاحتياجات الاستراتيجية»<sup>(٣)</sup>.

وقد ناشد المؤتمر الإسلامي العالمي لمناقشة الأوضاع الحاضرة في الخليج الحكومات والهيئات والشعوب الإسلامية بذل الجهود لتحقيق وحدة المسلمين بإقامة سوق إسلامية وتكامل اقتصادي فيما بينها ومعاهدة دفاع مشترك<sup>(٤)</sup>.

<sup>١</sup> - التطبيقات الشرعية لإقامة السوق الإسلامية للدكتور علي محيي الدين القره داغي، نقلاً عن مجلة مجمع الفقه الإسلامي، العدد الثامن ١٦٣٩٧/٢ - ١٦٣٩٨/٢.

<sup>٢</sup> - العولمة يطلق هذا المصطلح الذي انتشر في التسعينيات من القرن العشرين على عملية التداخل الثقافي بين أنحاء العالم المختلفة، وما ينتج عن ذلك من تأثير ثقافي وسياسي واقتصادي، والعولمة ترجمة لمصطلح إنجليزي، وقد اشتقت بالعربية من توحيد العالم بتوحد المؤثرات الثقافية أو الحضارية، انظر: الموسوعة العربية العالمية، وبكل بساطة فإن العولمة هي السيطرة على العالم والتحكم به في شتى المجالات ثقافياً واقتصادياً وإعلامياً وسياسياً وعسكرياً...

<sup>٣</sup> - العولمة ٨١/١.

<sup>٤</sup> - قرارات وتوصيات المؤتمر الإسلامي العالمي لمناقشة الأوضاع الحاضرة في الخليج المنعقد بمكة المكرمة في الفترة من ٢١ - ٢٣/٢/١٤١١هـ، نقلاً عن مجلة البحوث الإسلامية ٢٧١/٣٠.

## ● فوائد تجني من السوق الإسلامية المشتركة:

أولاً: الاقتراب من الاكتفاء الذاتي العربي والإسلامي، وخفض نسبة الاعتماد على العالم الخارجي، في استيراد السلع اللازمة للسوق المحلية بكافة مجالات نشاطاتها، الغذائية والدوائية والصناعية الخفيفة والثقيلة، وخاصة في مجال الأمن والدفاع العسكري.

ثانياً: الاستفادة من إنتاجات الدول المشاركة، وبالتالي إقامة الصناعات التخصصية بين الدول الأعضاء، التي تؤدي إلى تحسين الإنتاج كمّاً ونوعاً، وتوفيره في الأسواق بأفضل المواصفات.

ثالثاً: دعم مواقف الدول الإسلامية في وجه المنافسة الدولية في مجال التجارة العالمية لتتمكن من إثبات وجودها على الساحة الدولية.

رابعاً: توسيع مجالات الإنتاج، وتعدد طرقه، ليلي حاجة السوق في الدول الأعضاء، ويعمل على إيجاد فرص عمل للشباب العربي والمسلم.

خامساً: تغطية حاجة السوق في الدول الأعضاء والصديقة، ثم تصدير الفائض إلى الخارج، بنظام المبادلة التجارية مع الأسواق العالمية، وذلك بمبدأ التعاون المشترك القائم على العدل والاحترام المتبادل بين الأطراف المعنية.

والدول الإسلامية تمتلك كثيراً من مقومات إنشاء السوق المشتركة؛ فهي تشكل ٢٠% من العالم من حيث عدد السكان وحوالي ٣٣% من حيث مساحة المعمورة، وتحتوي أراضيها ثروات أساسية تضع الدول الإسلامية في مكان الصدارة في نسب إنتاج السلع في التجارة الدولية. وهناك عوامل كثيرة تدفع المسلمين إلى التفكير الجدي في إقامة سوق إسلامية مشتركة بينهم وتسهل في الوقت نفسه من إقامتها<sup>(١)</sup>.

٣- إنشاء إتحاد إسلامي يجمع الدول الإسلامية، ويبقي كل دولة مستقلة في السيادة والحكم، ولكنه يجمعهم حول القضايا الأساسية التي تعنيهم جميعاً، كما هو الحال في الاتحاد الأوروبي، وهذا الاتحاد سيمنح الدول الإسلامية قوة في شتى المجالات، ويدفع عنها خطر التآمر الخارجي.

يقول الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ: «إننا ندعوكم إلى إقامة اتحاد إسلامي عالمي قوي أساسه توحيد الله عز وجل، ومنهاجه شريعة رسوله صلى الله عليه وسلم، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨] ﴿إِنَّهُمْ لَنُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [الجاثية: ١٩]، مرجعنا كتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم، فمنها الحكم وإليها التحاكم ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥].

<sup>١</sup> - السوق الإسلامية المشتركة من يعلق الجرس، السيد أبو داود، نقلاً عن موقع نوافذ.

نعم أيها القادة والولاة وصناع القرار نريده اتحاداً إسلامياً في السياسة والاقتصاد والأمن، أثبتوا للعالم كيف تصلح الدنيا إذا سبست بالدين، كيف ينمو الاقتصاد ويزدهر إذا وافق شرع رب العالمين، كيف ينعم الناس بالأمن إذا طبقوا أحكام الشريعة.

أيها القادة ولئن كان هذا المطلب ملحاً في وقت مضى فإنه اليوم أشد إلحاحاً وأكثر ضرورة، اليوم وقد أحاط أعداؤكم بدياركم، اليوم وقد هوجتم في عقر داركم، اليوم وقد جاهرُوا بعداء دينكم، اليوم وقد سلبت خيراتكم، اليوم وقد تداعت عليكم أمم الأرض حقداً وحسداً وطمعاً، فماذا تنتظرون؟! إنكم لن تواجهوا عدوكم وأنتم متفرقون، ولن تقدرُوا عليهم وأنتم متناحرون، فلا بالوسائل الشرعية عملتم ولا بالأسباب الكونية أخذتم، فاتقوا ربكم»<sup>(١)</sup>.

ويقول الشيخ عبد المجيد الزنداني: «أما قوة الوحدة فأنا أطلب من كل غيور على هذه الأمة أن يطالب الحكومات بالسير نحو اتحاد إسلامي على غرار الاتحاد الأوروبي، والذي يُبقي لكل دولة خصوصيتها، ولكل زعيم شعبه، ولكنه يجمعهم في اتحاد حول القضايا الأساسية التي تعنيهم جميعاً، وهذا الأمر إذا تحقق يصبح لنا كيان يتناسب مع حجم أمتنا، ومع تعاليم ديننا، ومع طبيعة عصرنا الذي نعيشه، ويجب أن يواجه الحكام بأن سياستكم هذه الانفصالية الانطوائية المحدودة الضعيفة لا تنفعكم في الدفاع عن وجودكم، ولا عن أنفسكم ولا عن شعوبكم، ماذا تملك دولة مقوماتها تعجز عن أن تدفع العدو أو تدفع حصار العدو؟ وما قيمة هذا الكيان؟ يجب أن يفهم الناس أننا أمام مصير أن نكون أو لا نكون، وأن نحفظ أنفسنا أو أن نضيع؛ فلا بد من فكرة وحدوية إسلامية، تدفع في هذا الاتجاه، وتحقق ما يمكن عمله، مع إرضاء كل دولة بخصوصيتها، وكل زعيم بزعامته.

وأما قوة العدة فهي نتيجة حتمية، عندما تكون أمة لها اتحاد قوي، فسوف يبحث هذا الاتحاد عن وسائل الدفاع عن نفسه أمام العدوان، وأن تكون الإمكانيات هائلة والقدرات قوية واسعة؛ فنحن لدينا دولة إسلامية لديها السلاح الذري، وربما نسمع عن دول أخرى تملك السلاح الذري، ونحن شعوب كبيرة وجيوش كثيرة، ودول تصنع كافة أنواع الأسلحة، وهذا يحتاج إلى توجه جماعي قوي، وعندئذ سيحترمنا الناس والأعداء، والناس عموماً يحترمون القوي.

فالخلاصة: الطريق الأمثل قوة في دين، وقوة في وحدة، وقوة في أسباب الدنيا»<sup>(٢)</sup>.

إن الدعوة إلى إنشاء اتحاد إسلامي ليس أمراً من ضروب الخيال ولا المستحيلة المنال، فمن الممكن تحقيق ذلك وقيام هذا الاتحاد، فقد اجتمعت أوروبا في اتحاد مع عدم وجود روابط بينها، أما نحن فتربطنا أهم رابطة تضمن تحقيق هذا الاتحاد وهي رابطة العقيدة والدين، ولكن هذا الأمر يحتاج إلى

١- خطبة يوم عرفة للشيخ عبد العزيز آل الشيخ، لحج عام ١٤٢٤ هـ، نقلاً عن مجلة البحوث الإسلامية ٢٢/٧١، ٢٣.

٢- نريد أن نجتمع على طريق صحيح مضمون حوار مع البيان للشيخ عبد المجيد الزنداني، حاوره في صنعاء: عبد الله بن محمد العسكر، مجلة البيان ١٢/٢١٢.

عزيمة صادقة، وإرادة قوية، وشعور بالمسؤولية، وبالخطر المحدق بالامة، فمشكلتنا عدم الشعور بالمسؤولية والاستخفاف في الحكم والشعوب وعدم العناية بالشرعية والتيقظ للأخطار المحدقة.

يقول الأستاذ الدكتور حسن بن محمد مقبولي الأهدل: «إن هناك عدم شعور بالمسؤولية، واستخفافاً من القادة والزعماء العرب والمسلمين والناس بعدم الاهتمام بالقضايا الشرعية والثوابت الأساسية للامة، ولذلك فنحن نشد على أيدي قادة وزعماء الامة الإسلامية أن تعيد حسابات توحدها، فنحن أمة متفككة وليست متوحدة في مواقفها وفي كيانها خاصة في هذا الوقت الذي يشهد فيه العالم الكثير من التكتلات الكبيرة لدول كانت على مدى التاريخ مجزأة، ومختلفة المبادئ واللغات والديانات والثقافات وغيرها، لأنها فهمت أن الكيانات الضعيفة الممزقة والمشتتة لا يمكن أن يكون لها تأثير أو وجود، فيما نحن كأمة عربية وإسلامية نشهد تفرقاً وشتاتاً رغم ما يجمعنا من عوامل التوحد من دين ولغة وثقافة وغيرها من الصفات، الأمر الذي سيزيد من هجمات أعدائنا وسيسهل على الغرب احتلال بلاد الإسلام من جديد»<sup>(١)</sup>.

٤- إنشاء قوة إسلامية برية وبحرية وجوية تغنيها عن استدعاء وقود قوات أجنبية للمرابطة في أرض الإسلام ومياهاها الإقليمية، وتسهم هذه القوة الإسلامية في حفظ الأمن والسلام بين الدول الإسلامية، وعلى أراضيها ومياهاها الإقليمية، وتكون نواة لتوحيد القوات المسلحة في بلادنا... بوصول المسلمين إلى مرحلة الوحدة السياسية بإذن الله<sup>(٢)</sup>.

وقد ناشد المؤتمر الإسلامي العالمي لمناقشة الأوضاع الحاضرة في الخليج الدول الإسلامية بتكوين قوة إسلامية دائمة تحت إشراف منظمة المؤتمر الإسلامي عند حدوث التزاعات بينها<sup>(٣)</sup>.

٥- إنشاء حلف إسلامي يكون للدول الإسلامية ذراعها العسكري لتأديب من يعتدي على نظمها وخصوصياتها أو يريد احتلال أراضيها، وتعمل الدول الأعضاء في الحلف جنباً إلى جنب لتجتمع جهودها الموحدة وجهادها الموحد في مواجهة الخطر الخارجي، والعمل معاً للتصدي للتهديدات القادمة من أي مصادر جديدة أو جهات جديدة<sup>(٤)</sup>.

٦- إنشاء مركز إسلامي للبحوث والمعلومات وإدارة الأزمات، يجمع المعلومات ويحللها، ويقوم بالبحوث ذات الطبيعة الاستراتيجية في كل المجالات -سياسية، واقتصادية، وعسكرية...، ويقوم

---

١- نقلاً عن مقال للأستاذ الدكتور حسن محمد الأهدل أستاذ كلية الشريعة في جامعة صنعاء والإيمان وعميدها سابقاً في جامعة صنعاء نقلته عنه صحيفة صوت الإيمان العدد: ٢٠٤ / محرم / ١٤٣١هـ - يناير / ٢٠١٠، ص ٩.

٢- قراءة في فكر علماء الاستراتيجية ١/ ١٨٩.

٣- قرارات وتوصيات المؤتمر الإسلامي العالمي لمناقشة الأوضاع الحاضرة في الخليج المنعقد بمكة المكرمة في الفترة من ٢١ - ٢٣/٢/١٤١١هـ، نقلاً عن مجلة البحوث الإسلامية ٣٠/ ٢٧٠.

٤- موسوعة الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ١٢/ ٢٤٣، ومجلة البيان ٣٢/ ٦٥.



بدراسات مستقبلية لتوقع الأزمات، ويضع الحلول والبدائل أمام الدول الإسلامية، فيسهل اتخاذ القرار الجماعي الإسلامي<sup>(١)</sup>.

٧- تنظيم اجتماعات سنوية لرؤساء الدول الإسلامية، وفي حالات الأزمات التي تهدد الأمن الإسلامي، أو أمن أي مجتمع من المجتمعات الإسلامية في بلاد الإسلام أو خارجها ينعقد مجلسهم خلال ٤٨ ساعة، وتخرج هذه الاجتماعات بقرارات عملية ملزمة، دن الرضوخ والميل لأي مؤثر خارجي، ويمكن أن يستعان فيها بالخبراء، مع فرض عقوبات تأديبية على أي متخلف لغير عذر قاهر.

٨- القيام بنهضة ثقافية شاملة: تتناول التعليم، والبحث العلمي، فما وصل الغرب إلى ما وصل إليه من التقدم الصناعي إلا بالعلم والبحث العلمي، فنجد أن الدول الكبرى في العالم تهتم بالعلم وتعطيه اهتماماً كبيراً، وتسخر جزء كبيراً من ميزانية الدولة في خدمة العلم والأبحاث العلمية، بينما الدول العربية والإسلامية قد جعلت من العلم والبحث العلمي أمراً هامشياً، حتى أن إحدى الدول الإسلامية لا تكاد تبلغ ميزانية وزارة التعليم العالي فيها لأحد الأعوام قيمة سيارة من السيارات.

٩- الاهتمام بالعقول والأدمغة وتشجيعها لا محاربتها وتهميشها، فلقد أصبحت دول الغرب مهجراً وملجئاً تهاجر إليه العقول والأدمغة الإسلامية؛ لأن هذه الدول تشجعهم وتتيح الفرصة أمامهم للابتكار والاختراع، وتعطيهم الصدارة والمكافئات والامتيازات والمنح العلمية النافعة، وتسخر لهم كل الوسائل التي يحتاجون إليها، أما بلاد الإسلام فإذا ما برز أحد هؤلاء المبدعين فإنه يجد نفسه غريباً بل محارباً، فلا يجد أمامه حلاً إلا الفرار، فأمريكا قبل أن تغزوا العراق أو ما فعلت هو المطالبة بعلماء الذرة لإدراكها أن بقاء أمثال هؤلاء يشكل خطراً عليها، ويسبب فشل مخططاتها تجاه بلاد الإسلام.

١٠- تنظيف جميع وسائل الإعلام -المرئية والمقروءة والمسموعة- وتطهيرها من الخبائث والنجاسات والعمالات، وتوجيهها الوجه الصحيحة التي تتفق مع مبادئ الإسلام وقيمه وأخلاقه؛ لتكون معول بناء لا هدم، ووسيلة لنهضة الشعوب وصحوتها لا إخمادها وإغراقها في بحور الأهواء والشهوات والخيالات والمناهات والسفاهات والترهات، ولتكون وسيلة تربية وتعليم وتوجيه وإرشاد وإصلاح للمجتمعات لا وسيلة لإفساد ومحق للقيم الأخلاقية والتربوية.

فعلى جميع وسائل الإعلام الاهتمام ببيان حقيقة التآمر الخارجي على الأمة، وأن تستضيف العلماء والخبراء والمختصين في جميع المجالات لبيان الحلول العملية حتى تكون الأمة بأسرها مدركة للخطر وطرق التعامل معه لتكون على أهبة الاستعداد في كل وقت ولحظة من اللحظات.

١١- الحفاظ على مربع الأمن الإسلامي ودعمه وتحريره، ويتركز أمن الأمة الإسلامية من الناحية الاستراتيجية في مربع التوازن الجيوستراتيجي الذي يحده تركيا، وإيران، وأفغانستان، وباكستان،

١- قراءة في فكر علماء الإستراتيجية ١٨٩/١.

والصومال، والسودان، ومصر، ويعتبر المساس بوحدة وتماسك أي دولة من الدول الواقعة بداخل هذا المربع من مصادر الخطر الكبير على كل الأمن الإسلامي، فالتواجد الأجنبي حول أو بداخل هذا المربع يهدد أمن الأمة الإسلامية<sup>(١)</sup>.

١٢- اغتنام فرصة الانهيار العالمي الاقتصادي، وانشغال الغرب بنفسه، لإحداث التوازن، فالكسالى والقاعدين لا يستحقون نصر الله عز وجل، إلا إذا خطوا الخطوة الأولى باتجاه منزلة الباطل، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

١٣- نصره المسلمين فالمسلمون حيثما كانوا أمة واحدة جمعهم عقيدة التوحيد، وربطتهم الشريعة والقبلة الواحدة، وهم كالجسد الواحد إذا اشتكى بعضه اشتكى كله، كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، لذا فإن النصر واجب في كل مكان إذا اعتدى عليهم، أو انتهكت أرضهم، أو نزلت بهم نازلة قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]، وقال صلى الله عليه وسلم: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة"<sup>(٢)</sup>.

والنصرة إنما تكون بالنفس والمال والتأييد المعنوي والسياسي ونحوه، بما يتناسب والإمكانات والأحوال والظروف المتغيرة، فعلى الدول العربية والإسلامية مناصرة المسلمين الذين يتعرضون للاضطهاد في شتى بقاع الأرض، ودعم قضايهم، ودرء العدوان عنهم بشتى الوسائل المتاحة، وهذا من دوره إن يحد وبشكل كبير من التآمر الخارجي على الأمة الإسلامية والعربية؛ لأن العدو حين يرى ويدرك ويتيقن أن الأمة الإسلامية والعربية حين الاعتداء على أي جزء منها ستقوم ببذل كل الجهود لنصرة المسلمين ودفع العدو عنهم بالنفس والمال وكل الوسائل المادية والمعنوية سيتراجع وينكمش ويكف عن بطشه وعربدته.

١٤- الحرص على بيان سماحة الإسلام وأنه جاء لخير الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة، ورد الشبهات التي أثارها أعداء الإسلام بطرق علمية سليمة رصينة، وبحيث يكون ذلك على المستوى العالمي وباللغات الحية جميعها، والحرص على إبلاغ ذلك لجميع العالم بالاستفادة الفاعلة والمدرسة من الأساليب المعاصرة في الإعلام الذي يمكن من إيصال كلمة الحق والخير إلى جميع أنحاء الدنيا ودون إهمال لكل وسيلة متاحة، لتصحيح الفكر الغربي تجاه الإسلام والمسلمين، وطمس الصورة المشوهة عن الإسلام في أذهان الغرب نتيجة التعبئة الإعلامية الحاقدة، وكل هذا من شأنه تخفيف حدة التآمر

<sup>١</sup> - قراءة في فكر علماء الاستراتيجية ١/١٩٠، ١٨٩.

<sup>٢</sup> - رواه البخاري ٢/ ٨٦٢ برقم: ٢٣١٠، ومسلم ٤/ ١٩٩٦ برقم: ٢٥٨٠.

الأجنبي؛ لأن الشعوب ستعمل كورقة ضغط على حكوماتها تجاه أي تدخل في الشؤون الإسلامية والعربية، وبذلك يفقد قادة التآمر الخارجي التأييد الشعبي لأعمالهم الإجرامية ضد الإسلام والمسلمين.

### • دروس وعبر من الاحتلال الأجنبي لبلاد الإسلام

إن العدو المتربص لا يجد فرصة لبسط النفوذ والسيطرة على أي قطر من أقطار العالم الإسلامي إلا بادر إليه، وكثير من بلاد الإسلام إن لم تكن جميعها قد تعرضت للاحتلال الأجنبي، والذريعة إلى ذلك خطط تفرضها قوى الاستكبار العالمي تحت ستار الأنظمة كنظام الانتداب الذي كان تابعاً لعصبة الأمم، وعندما تم إنشاء منظمة الأمم المتحدة قامت بتطوير نظام الانتداب إلى نظام الوصاية، ومهما تغيرت الأسماء فإن مسمياتها واحدة، وهدفها واحد، فالعدو لا يزال سائراً في سياساته الاستعمارية، ولذا كان من النافع للحكومات الإسلامية والعربية النظر في البلاد الإسلامية التي تم إخضاعها للاحتلال الأجنبي وأخذ الدروس والعبر من ذلك، ولو نظرنا بعين البصر والبصيرة للاحتلال الأجنبي للعراق وأفغانستان وفلسطين والبوسنة والهرسك والشيستان مثلاً ومن قبلها ما حصل من استعمار للكثير من بلاد الإسلام فيمكن أن نخرج بدروس كثيرة نستفيد منها لتلاشي هذا الخطر، ومنها:

**الدرس الأول:** أعداء الأمة الإسلامية لم ولن يفتروا عن محاربتها والكيد لها، ومحاولة تفريق شملها، وبث التنازع داخل صفوفها، وإيجاد الثغرات التي يتمكنون من الولوج من خلالها، واحتلال أراضيها ونهب ثرواتها.

**الدرس الثاني:** أن على الدول الإسلامية أن لا تأمن كيد عدوها لها، ومكره بها، بل تقدر أسوأ الاحتمالات نتيجة لهذا الكيد والمكر، ولو كان احتلال أراضيها؛ امثالاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا تُبَاتٍ أَوْ انْفِرُوا جَمِيعاً﴾ [النساء: ٧١] وتعمل على إعداد العدة الرادعة للعدو من أسلحة متنوعة متعددة المصادر لردعه إذا ما فكر في احتلال أراضيها؛ امثالاً لقوله تعالى: لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

قال الإمام الرازي: «والمراد أن تكثير آلات الجهاد وأدواتها كما يهرب الأعداء الذين نعلم كونهم أعداء كذلك يهرب الأعداء الذين لا نعلم أنهم أعداء»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام البغوي: «الإعداد اتخاذ الشيء لوقت الحاجة ﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾ أي: من الآلات التي تكون لكم قوة عليهم من الخيل والسلاح»<sup>(٢)</sup>.

١- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ١٥/١٤٩.

٢- تفسير البغوي ٢/٢٥٨.

وقال الإمام السعد: «**وَأَعِدُّوا**» لأعدائكم الكفار الساعين في هلاككم وإبطال دينكم **﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾** أي: كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة ونحو ذلك مما يعين على قتالهم، فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع والرشاشات والبنادق والطائرات الجوية والمراكب البرية والبحرية والقلاع والخنادق وآلات الدفاع والرأي والسياسة التي بها يتقدم المسلمون ويندفع عنهم به شر أعدائهم، وتعلم الرمي والشجاعة والتدبير، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: **"أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ"**<sup>(١)</sup>، ومن ذلك الاستعداد بالمراكب المحتاج إليها عند القتال ولهذا قال تعالى: **﴿مِنْ رَبَّاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾** وهذه العلة موجودة فيها في ذلك الزمان وهي إرهاب الأعداء، والحكم يدور مع علته فإذا كان شيء موجوداً أكثر إرهاباً منها كالسيارات البرية والهوائية المعدة للقتال التي تكون النكاية فيها أشد كانت مأموراً بالاستعداد بها والسعي لتحصيلها حتى إنها إذا لم توجد إلا بتعلم الصناعة وجب ذلك؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»<sup>(٢)</sup>، ويدخل في ذلك التسليح النووي؛ لأن العالم الآن يتعامل بمنطق القوة لا بقوة المنطق وبقرار القوة لا بقوة القرار.

**الدرس الثالث:** أن تحذر الدول الإسلامية من جواسيس أعدائها الذين يقدمون إليها على هيئات مختلفة إما خبراء أو سياح أو باحثين... وهم إنما يرصدون أحوالها تمهيداً لما ينوون التخطيط له تجاهها؛ إما غزواً ثقافياً أو عسكرياً.

**الدرس الرابع:** الحذر من هجرة الأجانب - غير المسلمين - إليها ممن يُكونون أرضية مهيأة لتدخل الأعداء، ولتتخذ الاحتياطات اللازمة حال الحاجة لبعضهم لتجنب ضرورهم؛ كالتفريق بينهم ومراقبتهم، بل الحذر حتى ممن دخل إليها من الأجانب مسلماً دون أن يعرف فرمما أظهر بعضهم الإسلام تصنعاً ليؤمن جانبه ويسهل عليه القيام بالمهمة الموكلة إليه.

**الدرس الخامس:** الحذر من الشخصيات المشبوهة التي تحل أرضي الدول الإسلامية - سواءً ممن يدعون الإسلام أم من غيرهم - ويكون لها نشاط مريب في بث الأفكار المنحرفة بين شباب البلاد؛ مما يكون عاقبته شراً؛ فإن معظم النار من مستصغر الشرر

وَلَا تَحْتَقِرْ كَيْدَ الضَّعِيفِ فَرَبَّمَا تَمُوتُ الْأَفَاعِي مِنْ سُمُومِ الْعَقَارِبِ  
وَقَدْ هَدَّ قِدَمًا عَرْشَ بَلْقَيْسَ هُدْهُدٌ وَخَرَّبَ حَقْرُ الْفَارِ سَدَّ مَأْرَبِ<sup>(٣)</sup>

<sup>١</sup> - أخرجه مسلم ١٥٢٢/٣ برقم: ١٩١٧، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول: **"﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ"**.

<sup>٢</sup> - تفسير السعدي ص ٣٢٤، ٣٢٥.

<sup>٣</sup> - جواهر الأدب ٢ / ٥٠.

**الدرس السادس:** أن الأفكار العنصرية الجاهلية التي يقع فيها بعض المسلمين؛ من تعصب لجنس أو أرض تؤدي إلى تفريق الدول الإسلامية وإضعافها؛ مما يسهل المهمة أمام العدو المتربص بها، فلو لم تكن هناك فجوة عنصرية جاهلية بين الترك والعرب مثلاً لما استطاع الغرب تفتيت العالم الإسلامي، مستغلاً هذا الأمر في إذكاء نار الفرقة بين الطائفتين، فلتأخذ الدول الإسلامية على يد كل من يثير مثل هذه النعرات الجاهلية بين أبنائها؛ ولو كان على سبيل المزاح.

**الدرس السابع:** أن مخالفة أوامر الله بالركون إلى أعدائه من اليهود والنصارى والمنافقين وأهل الأهواء والبدع، وتولييتهم المناصب وتقريبهم يؤدي حتماً بالبلد المسلم إلى الهاوية، وتسليمه للعدو - سياسياً أو فكرياً - بأجنس الأثمن - كما حدث في مصر بجهد اليهود والنصارى الأرمن والمنافقين وغيرهم - والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران: ١١٨] وكم في التاريخ من نماذج وأمثلة للخيانات التي قام بها الكفار والمنافقون وأصحاب الأهواء والمصالح الشخصية لأمة الإسلام، فلتحرص الدول الإسلامية على عدم تقرب هؤلاء من السلطات المؤثرة، واتخاذهم بطانة؛ فإنهم سرعان ما ينقلبون عليها ساعة العسرة.

**قال الإمام السعدي:** «﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ أي: لا يقصرون في حصول الضرر عليكم والمشقة، وعمل الأسباب التي فيها ضرركم، ومساعدة الأعداء عليكم»<sup>(١)</sup>، فلم يبق إلا أهل الإيمان والعقيدة السليمة، وليس ما حصل في العراق عنا ببعيد.

**الدرس الثامن:** أن تبعد الدول الإسلامية عن الإسراف وتبذير الأموال فيما لا ينفع العباد والبلاد؛ مما يؤدي بها إلى الاستدانة من أعدائها بفوائد ربوية تتراكم عليها، تكون نهايتها وقوع البلد في قبضتهم رويداً رويداً، ثم يبدأ الابتزاز والضغط عليها لتنصاع لأهوائهم في شتى المجالات، فخير للبلد المسلم أن يبتعد عن الترف والإسراف قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

و يجب على البلاد الإسلامية ترك التعامل بالربا الذي عاقبته الحق والهلاك وتسلبت الأعداء، قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرَّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ \* فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩].

وإذا اضطرت الدول الإسلامية إلى المال فليكن ذلك عن طريق التعاون مع أبنائها أو الدول المسلمة الأخرى عبر صناديق تعاونية مشتركة تحميها من الربا والاستدانة من أعدائها.

١ - تفسير السعدي ص ١٤٤.

**الدرس التاسع:** أن تنظر الدولة المسلمة في عاقبة أي مشروع ضخم يُقترح عليها أو تقوم به، ومدى مصلحته للبلاد، وتوازن بين مصالحه ومفاسده، وتستشير الخبراء وأهل الاختصاص والخبرة والقدرة والأمناء وأهل النصح والإرشاد والخير، فلا يكفي اختصاص وخبرة بغير أمانة ولا العكس، ولهذا يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

**الدرس العاشر:** المبادرة بالإصلاح الحقيقي النافع القائم على مراعاة مصالح العباد في المعاش والمعاد، القائم على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قبل أن تجد غيرها قد سبقها إلى طرح إصلاح مزعوم لا يرضي الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم، بل يرضي أعداء الإسلام الذين ينفخون فيه وفي أهله لمآرهم.

إصلاح يكون غايته وهدفه الأول تعبيد الناس لرب العالمين وتحقيق التوحيد عن طريق كل ما يساهم في ذلك من وسائل؛ كالاهتمام بأمر العقيدة والدعوة إليها، وإزالة ما يُخالفها.

إصلاح ينشر الفضيلة بين المسلمين، ويدعم أسبابها ومنافذها، ويُحارب الرذيلة ويُضيق على أهلها إصلاح ينشر العدل بين الناس، ويباعد بين الدولة المسلمة وبين ظلم الرعية، فيؤمن احتياجات المسلمين، ويوفر لهم أسباب العيش الكريم دون أن يجوجهم إلى الآخرين عن طريق إقامة المشاريع النافعة التي تتبناها الدولة؛ كإقامة المجمعات السكنية لذوي الدخل المحدود، وتشغيل العاطلين، وإعطاء العاملين والموظفين الرواتب الجزية التي تتناسب مع حال المعيشة...

إصلاح يحقق للمرأة المسلمة بيئة العلم النافع، والعمل الكريم -إذا احتاجت إليه- بعيداً عن كل ما يخالف شرع الله.

إصلاح ينهض بالبلاد دينوياً في مجالات التقنية والصناعة والزراعة... وغيرها عن طريق تشجيع العقول والنوابغ، وتسهيل أمورهم، وإعطائهم الثقة، ووضعهم في المكان المناسب، وتنفيذ مخترعاتهم وأفكارهم التي تعود بالنفع في المعاش والمعاد...

**الدرس الحادي عشر:** أن تعلم الدولة المسلمة أن خير ما ينجيها من مكر الأعداء وفتنهم هو الاعتصام بالكتاب والسنة، والثبات على دين الله، وعدم المساومة أو التنازل عنه ولو بالقليل، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠]، وقال محذراً من مدهانة الأعداء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩].

**الدرس الثاني عشر:** أن تتيقن الدولة المسلمة أن أعداء الإسلام -يهودا ونصارى ومنافقين وغيرهم- سيقفون صفاً واحداً أمامها وقت الفتن والأزمات مهما اختلفوا فيما بينهم، كما هو واضح

من التحالف الغربي على فلسطين والعراق وأفغانستان والصومال والسودان واليمن وسائر بلاد الإسلام.

**الدرس الثالث عشر:** أعداء الإسلام يفتعلون الأحداث، ويستغلون الذرائع -مهما كانت صغيرة- ليتدخلوا في شؤون الدول الإسلامية، ولو أدى ذلك إلى احتلالها.

**الدرس الرابع عشر:** الأعداء يحرصون جداً تجاه الدول الإسلامية التي يريدون الضغط عليها أو التحرش بها أن ينشروا بين أبنائها فكريين خبيثين هما: فكر التهيج والثورة، وفكر العصرية والتميع، وبالفكر الأول تُتاح لهم فرصة التدخل في شؤون الدولة المسلمة واحتلالها بعد شقها لصفها وإضعاف كلمتها، وبالفكر الثاني يضمنوا مسح عقول أبناء المسلمين وترويضهم نفسياً لقبول التغريب، فلا بد من اجتثاث هذين الفكرين الخبيثين قبل تغلغلهم في عقول البعض بالحزم مع من يحمل أياً منهما، وعدم تصديرهم في وسائل الإعلام والتأثير؛ وعدم التهاون الذي قد يُكلف الكثير لاحقاً.

**الدرس الخامس عشر:** الأعداء يفرحون كثيراً بتلقي أبناء المسلمين العلوم عندهم ويحرصون عليه، لاسيما أبناء الذوات ممن هم مهيتون لتولي المناصب المهمة إذا ما عادوا إلى بلادهم؛ لأنها تعلم أنهم سيتأثرون عرضاً أو قصداً بثقافتها، وسيكونون خير ناقل لها إلى بلاد المسلمين، فلتحرص الدولة المسلمة على أن يكون تلقي أبنائها للعلوم داخل أرضها؛ دون حاجة إلى البعثات الدراسية الخارجية إلا في حالة اضطرارية محدودة؛ كما في التخصصات الدنيوية النادرة مثلاً، مع تحصين المبتعث ضد الأفكار الغربية الضارة.

**الدرس السادس عشر:** أن الأعداء لن يعدموا أن يجدوا من المسلمين أفراداً مغفلين أو طامحين يخدمونهم من حيث لا يشعرون، ممن يصدق فيهم قول الشاعر:

إذا لم يكن للمرء في دولة امرؤ نصيب ولا حظٌ تمنى زوالها

ولو كان ذلك على حساب دينهم وبلدهم، ويلجأ الأعداء للاتصال بهم، والاهتمام بقضيتهم، وتشجيعهم على المضي ضد الدولة المسلمة تحت مسمى التغيير وهدفهم من هذا كله ليس حياً في هؤلاء المغيرين إنما ضربهم بالدولة المسلمة، لتفريق أهلها، وزرع الفتن والشقاق بين الراعي والرعية؛ حتى يلجأ كلٌ منهم خاضعاً مطيعاً إلى العدو لحمايته من الآخر!! وقد تقع البلاد بعدها في احتلال أجني بغيض بعد أن استغل هذا النزاع والتفرق، فلتأخذ الدولة المسلمة على أيدي هؤلاء الطامحين أو المغفلين قبل أن يتعاضم شرهم فيوقعوا بلاد الإسلام فيما لا تُحمد عقباه.

وجرمٌ جرّه سففهاء قوم فحل بغير صاحبه العقاب

**الدرس السابع عشر:** أن تعلم الدولة المسلمة أن ما يسمى بـ(الحرية الإعلامية) سواء في الصحافة أم في غيرها- التي تجعل مسائل الشرع كلاً مباحاً لكل أحد، وتسمح بالجرأة على العلماء

ورجال البلاد الأمناء والشرفاء والناصحين -للبناء لا الهدم- هي فكرة مخادعة ضارة بالبلاد؛ لأنها تؤدي إلى بث الاختلافات المتنوعة بين الناس وتغذية النزاعات والخصومات، وشحن النفوس، وتحييجها وتحزيبها، وتمهد لتمزق البلاد فكرياً قبل تمزقه سياسياً، فلتتحد الدولة المسلمة من هذه الحرية المزعومة التي يروج لها الأعداء بُحْبُث؛ لأنهم يعلمون ما يجنونها منها، ولتوجه وسائل إعلامها إلى ما ينفع الناس ويجمعهم على الحق الظاهر<sup>(١)</sup>.

## ● قرار مجمع الفقه الإسلامي بشأن الوحدة الإسلامية

قرار رقم: ٨٩ (١/١) بشأن الوحدة الإسلامية:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه وسلم.  
أما بعد...

فإن مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي في دورة انعقاد مؤتمره الحادي عشر بالمنامة في دولة البحرين من ٢٥-٣٠ رجب ١٤١٩هـ الموافق له ١٤-١٩ نوفمبر ١٩٩٨م، وبعد اطلاعه على الأبحاث المقدمة إلى المجمع بخصوص موضوع: (الوحدة الإسلامية)، وفي ضوء المناقشات التي وجهت الأنظار إلى أن هذا الموضوع من أهم المواضيع التي تحتاج الأمة الإسلامية اليوم إلى بحثها من الناحيتين النظرية والعملية؛ وإن العمل على توحيد الأمة الإسلامية فكرياً وتشريعياً وسياسياً، وشدها إلى عقيدة التوحيد الخالص، من أهم أهداف هذا المجمع الدولي، قرر ما يلي:

أولاً: أن الوحدة الإسلامية واجب أمر الله تعالى به وجعله وصفاً لازماً لهذه الأمة بقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وأكدت ذلك السنة النبوية قولاً وعملاً حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم: "المؤمنون تكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، ويسعى بذمتهم أدناهم"<sup>(٢)</sup>، وحقق عليه الصلاة والسلام هذه الوحدة فعلاً بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وقرر ذلك في أول وثيقة لإقامة الدولة الإسلامية بالمدينة المنورة التي فيها وصف المسلمين بأنهم: (أمة واحدة من دون الناس).

إن هذه النصوص من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وما في معناها، تقتضي أن يجتمع المؤمنون تحت لواء الإسلام، مستمسكين بالكتاب والسنة، وأن ينبذوا الأحقاد التاريخية والتزاعات القبلية والأطماع الشخصية والرايات العنصرية، وحينما قاموا بذلك تحققت القوة لدولة الإسلام في

١- يتصرف من كيف احتل الإنجليز مصر بعنوان دروس وعبر، لسليمان بن صالح الخراشي، ٢٧/١، نقلا عن موقع: <http://www.saaaid.net>.

٢- أخرجه أبو داود، ٢ / ٥٨٨، برقم: ٤٧٣٤، والنسائي، ٨ / ١٩، برقم: ٤٧٣٤، قال الألباني: « قلت: ورجاله ثقات رجال الشيخين»، إرواء الغليل، ٧ / ٢٦٧.



عهد النبوة ثم في الرعيل الأول، وانتشر دين الإسلام ودولته في الشرق والغرب وقادت الأمة الحضارة الإنسانية بحضارة الإسلام التي كانت أعظم حضارة قامت على العبودية لله وحده، فحققت العدل والحرية والمساواة .

**ثانياً:** أن الوحدة الإسلامية تكمن في تحقيق العبودية لله سبحانه اعتقاداً وقولاً وعملاً، على هدي كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والحفاظ على هذا الدين الذي يجمع المسلمين على كلمة سواء في شتى مناحي الحياة من فكرية واقتصادية واجتماعية وسياسية، وما أن ابتعدت الأمة الإسلامية عن مقومات وحدتها حتى نجمت أسباب التفرق التي تعمقت فيما بعد بأسباب كثيرة منها جهود الاستعمار الذي شعاره (فرّق تَسُدْ)، فقسم الأمة الإسلامية إلى أجزاء ربطها بأسس قومية وعرقية، وفصل بين العرب والمسلمين، وانصبت معظم جهود المستشرقين إلى تأصيل التفرق في دراساتهم التي روجوها بين المسلمين.

**ثالثاً:** أن الاختلافات الفقهية التي مبناها على الاجتهاد في فهم النصوص الشرعية ودلالاتها، أمر طبيعي في حد ذاته، وقد أسهمت في إغناء الثروة التشريعية التي تحقق مقاصد الشريعة وخصائصها من التيسير ورفع الحرج.

**رابعاً:** وجوب الالتزام بحفظ مكانة جميع الصحابة رضي الله عنهم، ودعوة العلماء إلى التنويه بمزلتهم وفضلهم في نقل الشريعة إلى الأمة والتعريف بحقهم عليها، ودعوة الحكومات إلى إصدار الأنظمة التي تعاقب من ينتقص من شأنهم في أي صورة من الصور، لما لذلك من رعاية حرمة الصحابة رضي الله عنهم واستئصال سبب من أسباب التفرق.

**خامساً:** وجوب الالتزام بالكتاب والسنة، وهدى سلف الأمة من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ومن تبعهم بإحسان، ونبذ الضلالات، وتجنب ما يثير الفتن في أوساط المسلمين، ويؤدي إلى الفرقة بينهم، والعمل على توظيف الجهود للدعوة إلى الإسلام ونشر مبادئه في أوساط غير المسلمين.

### ● التوصيات

لا يخفي أن عصرنا هو عصر التكتلات التي لها تطبيقاته الفكرية والاجتماعية والاقتصادية تحت شعارات العولمة والعلمانية والحداثة، وبسبب الانفتاح الإعلامي دون أي قيود أو ضوابط، مما يجعل العالم الإسلامي مستهدفاً لإزالة خصوصياته وتذويب مقوماته ومعالم حضارته الروحية والفكرية، ولا تتم حماية أمتنا من هذه الأخطار إلا باتحادها وإزالة أسباب التفرق لاسيما أن أمتنا تملك العديد من مقومات الوحدة التي تشمل الوحدة الاعتقادية والاجتماعية والاقتصادية والتشريعية والثقافية، وعليه يوصي المجمع بما يلي:

أ- تأكيد قرار المجمع رقم: ٤٨ (٥/١٠) بشأن تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية وما تبعه من توصيات في الموضوع ذاته، وقرار المجمع رقم ٦٩ (٧/٧) بشأن الغزو الفكري في التوصية الأولى.

ب- التأكيد على حكومات البلاد الإسلامية بدعم جهود كل من منظمة المؤتمر الإسلامي ومجمع الفقه الإسلامي الدولي باعتبارهما من صور الوحدة بين المسلمين سياسياً وفكرياً.

ج- تجاوز النزاعات التاريخية، فإن إثارتها لا تعود على الأمة إلا بإذكاء الضغائن وتعميق الفرقة.

د- التزام حسن الظن وتبادل الثقة بين المسلمين دولاً وشعوباً بتوجيه وسائل الإعلام إلى تنمية روح التآلف وإشاعة أخلاقيات الحوار واحتمال الآراء الاجتهادية.

هـ- الاستفادة من القضايا المصرية التي توحد الأمة الإسلامية وفي مقدمتها قضية القدس والمسجد الأقصى أولى القبلتين ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم لدرء الأخطار التي تهدد إسلاميتها، والتأكيد على أنها قضية المسلمين جميعاً.

**ويناشد المشاركون في المؤتمر حكومات البلاد الإسلامية مضاعفة اهتمامها بهذه القضية وأمثالها، والمبادرة إلى الإجراءات المناسبة ومنها:**

- التنديد بما تتعرض له الأراضي الفلسطينية وأهلها من سياسات التهجير والاستيطان والتهويد، وما يعانيه الإنسان الفلسطيني من احتلال وظلم، وقمع وحرمان، وقتل وتشريد، وامتهان لكرامة الإنسان وحقوقه الأساسية.

- الدعم المطلق لفلسطين المجاهدة وأرضها المباركة ومسجدها الأقصى أولى القبلتين، في معركتها الاستقلالية والوقوف بجانبها وجانب الشعب الفلسطيني في صموده.

- إدانة الحركة الصهيونية والاحتلال الإسرائيلي فيما يقوم به من ألوان التنكيل وصور العدوان البشع على الشعب الفلسطيني المناضل في سبيل حريته وتحرير مقدساته.

و- الاهتمام بالآليات المطروحة التي لها أولوية في تحقيق الوحدة الإسلامية مرحلياً مثل:

١- إعداد المناهج التعليمية على أسس إسلامية.

٢- وضع الاستراتيجية الإعلامية الإسلامية المشتركة.

٣- إنشاء السوق الإسلامية المشتركة .

٤- إقامة محكمة العدل الإسلامية.

ز- قيام الأمانة العامة لمجمع الفقه الإسلامي بتكوين لجنة من أعضاء المجمع وخبرائه لوضع دراسات عملية قابلة للتطبيق تراعي واقع الأمة الإسلامية، وتشمل الجوانب الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وتضع آليات تحقيق الوحدة في هذه المجالات مع الاستفادة من الجهود القائمة حالياً في إطار المنظمات العربية والإسلامية، والاستعانة بالمختصين في المجالات المختلفة، ولضمان جدية نشاط هذه اللجنة

وتنفيذ نتائج دراستها، نوصي باعتماد تشكيلها ومهامها من منظمة المؤتمر الإسلامي، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم<sup>(١)</sup>.

## ● قرار مجمع الفقه الإسلامي بشأن الغزو الفكري

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه.  
قرار رقم: ٧١ / ٧ / ٧ بشأن الغزو الفكري:

إن مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمره السابع بمكة في المملكة العربية السعودية من ٧ إلى ١٢ ذو القعدة ١٤١٢هـ الموافق ٩-١٤ مايو ١٩٩٢م، بعد إطلاع على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع: (الغزو الفكري)، والتي بينت بداية هذا الغزو وخطورته وأبعاده وما حققه من نتائج في بلاد العرب والمسلمين، واستعرضت صوراً مما أثار من شبه ومطاعن، ونفذ من خطط وممارسات استهدفت زعزعة المجتمع المسلم ووقف انتشار الدعوة الإسلامية، كما بينت هذه البحوث الدور الذي قام به الإسلام في حفظ الأمة وثباتها في وجه هذا الغزو وكيف أحبط كثير من خططه ومؤامراته.

وقد اهتمت هذه البحوث ببيان سبل مواجهة هذا الغزو وحماية الأمة من كل آثاره في جميع المجالات وعلى كل الأصعدة، وبعد استماعه إلى المناقشات التي دارت حول هذه البحوث يوصى بضرورة ما يلي:

- ١- العمل على تطبيق الشريعة الإسلامية واتخاذها منهجاً في رسم علاقاتنا السياسية المحلية منها والعالمية.
- ٢- الحرص على تنقية مناهج التربية والتعليم والنهوض بها بهدف بناء الأجيال على أسس تربوية إسلامية معاصرة وبشكل يعدهم الإعداد المناسب الذي يبصرهم بدينهم ويحصنهم من كل مظاهر الغزو الثقافي.
- ٣- تطوير مناهج إعداد الدعاة من أجل إدراكهم لروح الإسلام ومنهجه في بناء الحياة الإنسانية بالإضافة إلى إطلاعهم على ثقافة العصر ليكون تعاملهم مع المجتمعات المعاصرة عن وعى وبصيرة.
- ٤- إعطاء المسجد دوره التربوي الكامل في حياة المسلمين لمواجهة كل مظاهر الغزو الثقافي وآثاره وتعريف المسلمين بدينهم التعريف السليم الكامل.
- ٥- رد الشبهات التي أثارها أعداء الإسلام بطرق علمية سليمة بثقة المؤمن بكمال هذا الدين دون اللجوء إلى أساليب الدفاع التبريري الضعيف.

<sup>١</sup> - مجلة مجمع الفقه الإسلامي، العدد الحادي عشر، ٢/٢١٩٥٣ - ٢١٩٥٦.

٦- الاهتمام بدراسة الأفكار الوافدة والمبادئ المستوردة والتعريف بمظاهر قصورها ونقصها بأمانة وموضوعية.

٧- الاهتمام بالصحة الإسلامية ودعم المؤسسات العاملة في مجالات الدعوة والعمل الإسلامي لبناء الشخصية الإسلامية السوية التي تقدم للمجتمع الإنساني صورة مشرقة للتطبيق الإسلامي على المستوى الفردي والجماعي وفي كل مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

٨- الاهتمام باللغة العربية والعمل على نشرها ودعم تعليمها في جميع أنحاء العالم باعتبارها لغة القرآن الكريم واتخاذها لغة التعليم في المدارس والمعاهد والجامعات في البلاد العربية الإسلامية.

٩- الحرص على بيان سماحة الإسلام وأنه جاء لخير الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة، وبحيث يكون ذلك على المستوى العالمي وباللغات الحية جميعها.

١٠- الاستفادة الفاعلة والمدرسة من الأساليب المعاصرة في الإعلام مما يمكن من إيصال كلمة الحق والخبر إلى جميع أنحاء الدنيا ودون إهمال لكل وسيلة متاحة.

١١- الاهتمام بمواجهة القضايا المعاصرة بحلول إسلامية والعمل على نقل حلول الإسلام لهذه المشكلات إلى التنفيذ والممارسة لأن التطبيق الناجح هو أفعل طرق الدعوة والبيان.

١٢- العمل على تأكيد مظاهر وحدة المسلمين وتكاملهم على كل الأصعدة وحل خلافاتهم ومنازعتهم فيما بينهم بالطرق السليمة وفق أحكام الشريعة المعروفة إفساداً لمخططات الغزو الثقافي في تفتيت وحدة المسلمين وزرع الخلافات والمنازعات بينهم.

١٣- العمل على بناء قوة المسلمين واكتفائهم الذاتي اقتصادياً وعسكرياً.

١٤- مناشدة الدول العربية والإسلامية مناصرة المسلمين الذين يتعرضون للاضطهاد في شتى بقاع الأرض ودعم قضاياهم ودرء العدوان عنهم بشتى الوسائل المتاحة.

كما يوصى المجلس أيضاً الأمانة العامة للمجمع باستمرار الاهتمام بطرح أهم قضايا هذا الموضوع في لقاءات المجمع وندواته القادمة نظراً لأهمية موضوع الغزو الفكري وضرورة وضع إستراتيجية متكاملة لمجابهة مظاهره ومستجداته ويمكن البدء بقضيتي التنصير والاستشراق في الدورة القادمة، والله ولى التوفيق<sup>(١)</sup>.

<sup>١</sup> - مجلة مجمع الفقه الإسلامي العدد السابع ٢/١٥٥٣٤، ١٥٥٣٥.

## ● نصوص توصيات الدورة الرابعة لمجلس مجمع الفقه الإسلامي

إن مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمره الرابع بجدة في المملكة العربية السعودية من ١٨-٢٣ جمادى الآخر ١٤٠٨ هـ الموافق ٦-١١ شباط (فبراير) ١٩٨٨ م.

أولاً: بعد الاطلاع على البحوث الواردة للمجمع في موضوع كيفية مكافحة المفساد الأخلاقية والتي أوضحت ما يعانيه العالم بأسره من المفساد الأخلاقية التي أخذت تنتشر في عالمنا الإسلامي بصورة لا ترضي الله تعالى ولا تتوافق مع الدور القيادي المنوط بهذه الأمة في قيادة البشرية نحو الطهر العقدي والأخلاقي والسلوكي، وانسجاماً مع خصائص الإسلام المتكاملة، وكون الجانب الأخلاقي من أهم جوانب الدين، ولا تتحقق الثمار الكاملة للانتماء إلى الإسلام إلا بتطبيق الشريعة الإسلامية بجميع مبادئها وأحكامها وفي شتى مرافق الحياة، يوصي بما يلي:

أ- العمل على تصحيح وتقوية الوازع العقدي، عبر القيام بتوعية شاملة، والتحسيس بآثار العقيدة الصحيحة في النفوس.

ب- السعي إلى تطهير الإعلام المقروء والمرئي والمسموع، والإعلانات التجارية في عالمنا الإسلامي من كل ما يشكل معصية لله تعالى وتنقيته تماماً من كل ما يثير الشهوة، أو يسبب الانحراف، ويوقع المفساد الأخلاقية.

ج- وضع الخطط العلمية للمحافظة على الأصالة الإسلامية والتراث الإسلامي، والقضاء على كل محاولات التغريب والتشبه واستلاب الشخصية الإسلامية، والوقوف أمام كل أشكال الغزو الفكري والثقافي الذي يتعارض مع المبادئ والأخلاق الإسلامية.

وأن توجد رقابة إسلامية صارمة على الأنشطة السياحية والابتعاث إلى الخارج حتى لا تتسبب في هدم مقومات الشخصية الإسلامية وأخلاقيها.

د- توجيه التعليم وجهة إسلامية وتدرّس كل العلوم من منطلق إسلامي، وجعل المواد الدينية مواد أساسية، في كل المراحل والتخصصات، مما يقوي العقيدة الإسلامية ويؤصل الأخلاق الإسلامية في النفوس، كما يجب أن تحرص الأمة أن تكون رائدة في مجالات العلم المتعددة.

هـ- بناء الأسرة الإسلامية، بناء صحيحاً، وتيسير الزواج والحث عليه وحث الآباء والأمهات على تنشئة البنين والبنات تنشئة صحيحة، حتى يكونوا جيلاً قوياً يعبد الله على حق، ويتولى المهمة الدائمة لنشر الإسلام والدعوة إليه، وأن تهياً المرأة لتقوم بدورها أمّاً وربة بيت، حسب ما تقضي به الشريعة الإسلامية، والقضاء على ظاهرة انتشار استخدام المربيات الأجنيات، خاصة غير المسلمات.

و- تهئية جميع الوسائل التي تحقق تربية النشء تربية إسلامية بحيث يلتزم بأركان الإسلام وسلوكياته، ويدرك واجباته تجاه ربه وأمته، ويتخلص من الخواء الروحي الذي يتسبب في تعاطي

المخدرات والمسكرات والتفسخ الأخلاقي بأشكاله المتعددة، وإشغال الشباب بمهمات الأمور، وإعطاؤهم المسؤوليات كل أحد حسب قدرته وكفاءته، وإشغال أوقات الفراغ لديهم بما هو مفيد، وإيجاد وسائل الترفيه والرياضات والمسابقات البريئة الطاهرة، وأن توجه وجهة إسلامية كاملة.

**ثانياً: بعد الاطلاع على البحوث الواردة للمجمع في موضوع مجالات الوحدة الإسلامية وسبل الاستفادة منها، وانطلاقاً من أولوية رابطة الإسلام بين شعوب الأمة الإسلامية، وهي رابطة لا انفصام لها، وأساس متين للتضامن المنشود، وقاعدة ثابتة لكل بناء حضاري يرمي إلى توحيد صفوفها وإلى التآليف بين الجهود المبذولة في مجابهة التحديات المعاصرة وتحقيق العزة والتقدم.**

وبما أن في رابطة الإسلام حافزاً قوياً وعاملاً باقياً لأحكام التوجه ولتنسيق سياسات الدول الإسلامية في مختلف ميادين التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ولتوثيق علاقات التناصر والتعاون والمرحمة بين شعوب الأمة في رفع ما يعوق سيرها من ألوان التبعية ويجابهها من التحديات المعاصرة وفي بلوغ ما تسعى لتحقيقه من رقي ومنعة وازدهار، يوصي أيضاً بما يلي:

أ- الذود عن العقيدة الإسلامية، وتمكينها بصورتها النقية من الشوائب، والتحذير من كل ما يؤدي إلى هدمها أو التشكيك في أصولها، ويقسم وحدة المسلمين ويجعلهم مختلفين متنايذين.

ب- تأكيد عناية مجمع الفقه الإسلامي بالأبحاث والدراسات الفقهية التي ترمي إلى مجابهة التحديات الفكرية الناشئة عن مقتضيات المعاصرة، واهتمام الفقه الإسلامي بمشكلات المجتمع، واعتماده كعنصر أساسي في النهضة الفكرية للأمة، وتوسيع دائرة اعتماده فيما تسنه الدول الإسلامية من تشريعات وقوانين، في عامة شؤون المجتمع.

ج- وجوب التناسق الوثيق في ميدان التربية والتعليم مضموناً ومنهجاً على السبل القويمية للحضارة الفكرية التي بناها الإسلام بغية تكوين أجيال من المسلمين متوحدين في المرجع التعبدية، متقاربين في التوجه الفكري، متشاركين في الاعتزاز بالانتساب الحضاري.

د- إعطاء درجة عالية من الأولوية للبحث العلمي في مختلف ميادين المعرفة، وتخصيص نسبة ١٠% من الناتج الإجمالي، لتمويل البرامج البحثية وإنشاء المخابر العلمية على أساس وثيق من التكامل والتعاون بين الجامعات الإسلامية.

هـ- العمل مع الجامعات الإسلامية على ضبط برنامج دراسي يتألف من عدد من المحاور الكبرى تكون غرضاً للبحث الفقهي، وإنشاء لجنة عليا من المفكرين المسلمين لمتابعة هذه الأبحاث وإجازتها، وتخصيص جائزة تفوق لمكافأة أحسنها.

و- أن يكون الإعلام في بلاد المسلمين بكل أنواعه المسموعة والمقروءة والمرئية إعلاماً هادفاً إلى تحقيق العبودية لله في أرضه، وبث الخير ونشر الفضيلة والتحرر من المبادئ الهدامة للفكر والخلق، والملحدة في دين الله، والمنحرفة عن الصراط المستقيم، ودعم جهود توحيده.

ز- إقامة اقتصاد إسلامي لا شرقي ولا غربي بل اقتصاد إسلامي خالص، مع إقامة سوق إسلامية مشتركة، يتعاون فيها المسلمون على الإنتاج وتسويقه، دون الحاجة إلى غيرهم، لأن الاقتصاد ركن مهم من أركان قيام المجتمعات، وتكامله سبيل للوحدة بين شعوب الأمة الإسلامية.

ثالثاً: انطلاقاً من أن إسلامية التعليم في الديار الإسلامية اليوم ضرورة لا مناص منها لبناء الأجيال الإسلامية بناءً سوياً متكاملًا في الفكر والتصور والسلوك والعمل، وذلك يجعل جميع العلوم محكومة بالإسلام في المنطلقات والأهداف، وأن يكون الإسلام بنظمه وضوابطه إطاراً لهذه العلوم، وأن تكون العقيدة الإسلامية قاعدة وأصلاً في بناء المنهج التربوي والتعليمي، وتتلخص أهم معالم المنهج المنشود في إسلامية التعليم فيما يلي:

أ- جعل العقيدة الإسلامية قاعدة التصور الإسلامي الكبير الذي يعطي نظرة كلية شاملة للكون والإنسان والحياة، كما تعرف الإنسان بخالق الحياة وعلاقته بالكون، وعلاقة الإنسان بخالقه، ومجتمعه.

ب- اتخاذ الإسلام محوراً للعلوم الاجتماعية والإنسانية والاقتصادية والسياسية، وإبراز نظرياته الإنسانية وتعلقها بخالق الكون والإنسان والحياة بالتنسيق مع المنظمات الإسلامية العاملة في هذا المجال كالمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية والمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم.

ج- العمل على إظهار فساد ما يخالف العقيدة الإسلامية من علوم مادية وملحدة وأخرى مضللة كالكهانة والسحر والتنجيم والتحذير من العلوم التي ذمها وحرّمها الإسلام وكذلك العلوم التي تقوم على الفسق والفجور.

د- إعادة كتابة تاريخ العلوم والمعارف وبيان تطورها وإسهامات المسلمين في كل منها وتنقيتها مما دس فيها من نظريات استشراقية وتغريبية تحرف المسار التاريخي الحق وإعادة النظر في تصنيف العلوم ومناهج البحث وفق النظرة الإسلامية من خلال أنشطة مراكز ومعاهد البحث العلمي ومراكز الاقتصاد الإسلامي في شتى البلاد الإسلامية.

هـ- إعادة الوشائج بين العلوم التي تبحث في الكون والإنسان والحياة وبين خالقها، فإن العالم الباحث في هذه المجالات يجب أن ينظر فيها على أنها تمثل الإبداع الإلهي، والصنعة الربانية المحكمة.

و- وضع الضوابط والقواعد المستخلصة من الدين الإسلامي أو المنسقة مع أهدافه وغاياته وأن تكون مبادئ لجميع العلوم أو لعلم واحد منها وإبراز عيوب المناهج الغربية التي أقامت فصاماً موهوماً بين الدين والعلم، أو بنت العلوم خاطئاً كعلم التاريخ والاقتصاد والاجتماع.

وينبغي أن يأخذ في الاعتبار أن هناك مشروع يشكل ظهيراً لإسلامية التعليم بل ربما كان من الوسائل الضرورية له وهو مشروع (إسلامية المعرفة) وينهض (المعهد العالمي للفكر الإسلامي) بمطالباته من حيث التخطيط ورسم سبل التنفيذ من خلال مقالات ومؤلفات وعدة ندوات<sup>(١)</sup>.

## وجاء في بيان مجمع الفقه الإسلامي في دورة مؤتمره الثالثة عشرة المنعقدة في الكويت

في ١٤٢٢هـ الموافق ٢٠٠١م بشأن أحداث فلسطين وغيرها:

وإن المجمع يوصي الأمة الإسلامية حكماً وشعوباً بالآتي:

### أولاً: الالتزام بالإسلام عقيدة وشرعية

إن ما حلّ بالأمة الإسلامية داخلياً وخارجياً من مصاعب وأزمات وحروب سببه الابتعاد عن العقيدة والشرعية وهي هدي الله وذكره، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾ [طه: ١٢٤]، وإن طول الأمد باستبعاد الشريعة الإسلامية يزيد من الفجوة بين الحكومات وشعوبها، ويزيد من الاجتهادات الخاطئة، والانحرافات الفردية والجماعية في الفكر والسلوك.

ويؤكد المجمع في توصيته في الدورة السابعة بدعوات الحكومات في البلاد الإسلامية للذود عن العقيدة الإسلامية، وتمكينها بصورتها النقية من الشوائب، والتحذير من كل ما يؤدي إلى هدمها، والتشكيك في أصولها، ويقسم وحدة المسلمين ويجعلهم مختلفين متنازعين، كما يؤكد ما جاء في هذه التوصية بدعوة الحكومات في البلدان الإسلامية إلى العمل على تطبيق الشريعة الإسلامية، واتخاذها منهجاً في رسم علاقاتها السياسية: المحلية والعالمية<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: نصرة المسلمين

المسلمون حيثما كانوا أمة واحدة جمعتهم عقيدة التوحيد، وربطتهم الشريعة والقبلة الواحدة، وهم كالجسد الواحد إذا اشتكى بعضه اشتكى كله، كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم لذا فإن النصرة واجبة في كل مكان إذا اعتدى عليهم، أو انتهكت أرضهم، أو نزلت بهم نازلة قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]، وقال صلى الله عليه وسلم: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة"<sup>(٣)</sup>.

والنصرة إنما تكون بالنفس والمال والتأييد المعنوي والسياسي ونحوه، بما يتناسب والإمكانات والأحوال والظروف المتغيرة، ويؤكد المجمع توصيته في دورته السابعة التي ناشد فيها الدول العربية

<sup>١</sup> - مجلة مجمع الفقه الإسلامي، العدد الرابع، ٢/ ٨٤٥٨ - ٨٤٦١.

<sup>٢</sup> - مجلة مجمع الفقه الإسلامي، العدد الثالث عشر ٢/ ٢٥٨١٢، ٢٥٨١٣، ٢٥٨١٧.

<sup>٣</sup> - رواه البخاري ٢/ ٨٦٢ برقم: ٢٣١٠، ومسلم ٤/ ١٩٩٦ برقم: ٢٥٨٠.



والإسلامية مناصرة المسلمين الذين يتعرضون للاضطهاد في شتى بقاع الأرض، ودعم قضايهم، ودرء العدوان عنهم بشتى الوسائل المتاحة.

### ثالثاً: تحريم العدوان في الإسلام

إن الإسلام يحرم الاعتداء بغير حق، ومن ذلك ترويع قلوب الأبرياء الآمنين ممن عصمت دماؤهم، فأى عدوان من هذا النوع هو إرهاب محرم.

وإن إعداد العدة والقوة لإرهاب العدو مطلوب شرعاً، وهو الذي ورد فيه قول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

ولا ريب أن من يدافع المغتصب لأرضه المحتل لوطنه بكل ما يمكنه من إعداد وقوة عمل مشروع وواجب، وهذا هو حال مقاومة الشعب الفلسطيني للصهيانية المحتلين المنتهكين لكل الحقوق.

وإن من الظلم والمؤسف أن بعض الدول الكبرى تكيل بمكialsين في القضية الفلسطينية، وتعتبر صاحب الحق في الأرض المدافع عن نفسه وعرضه وأرضه إرهابياً، والمعتدي الظالم المنتهك لكل القيم الإنسانية مع ما يستخدمه من أسلحة دمار، وما يستبيحه من دماء، الضارب بعرض الحائط كل الأعراف والقوانين الدولية هو المدافع عن نفسه المغلوب على أمره!!

كما أن من الظلم وأبشع الإرهاب إلباس الإسلام اسم الإرهاب، بل هو دين الاعتدال والوسطية، ومن الظلم أيضاً محاربة عدد من الجمعيات الدعوية والخيرية والمؤسسات المالية الإسلامية باسم الإرهاب دون أن يقوم دليل على ذلك.

### رابعاً: الأخلاق الإسلامية

إن العالم اليوم في أمس الحاجة إلى أخلاق الإسلام في السلم والحرب، ليسود ميزان العدالة الذي قامت عليه السماوات والأرض، ولنبيذ ما يسود العالم اليوم من الظلم والاستكبار والإفساد، فإن سبب الثورات والفتن تقسيم العالم إلى طبقات، واستئثار الدول الغنية بالقوة والثروة، والعلم الذي أوجبه الله تعالى وأرسل به الرسل وأنزل به كتبه ليقوم الناس بالحق والقسط، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

هذا وإن مجمع الفقه الإسلامي يقدر لمعالي الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي كلمته الضافية المهمة التي ألقاها نيابة عنه معالي الأمين العام المساعد للشؤون السياسية والأقليات الإسلامية التي جاء فيها: إن دوركم الموقرة تنعقد في ظروف بالغة الدقة والحساسية، تفاقم فيها التحدي لوجودنا أكثر من أي وقت مضى؛ لأن العدوان الواقع علينا اليوم يهدد أسس مصيرنا، ويضعنا في واقع كالج، مما يحتم علينا الوقوف صفاً واحداً متراساً عاقدين العزم على الذود عن مقدساتنا وتراثنا دولاً وشعوباً.

إنكم ترون مدى الصلف والغرور لدى العدو الصهيوني، واستفحال غريزة العدوان الجنونية لديه، هذا العدو الذي يضع المنطقة كلها على شفير انفجار مدمر مستمر في حرب الإبادة التي يشنها على الشعب الفلسطيني الباسل ظلماً وجوراً، مستنداً في غروره وعريدته إلى ما يتمتع به من دعم أجنبي أعمى غير مشروط عسكرياً واقتصادياً وسياسياً.

وإلى جانب فلسطين دار قتال شرس وحرب ضباية الأهداف على أرض أفغانستان الإسلامية المنكوبة، اكتوى بناورها من لا ناقة له فيها ولا جمل من شيوخ ونساء وأطفال.

وعليه فإن تحصين الذات الإسلامية أمام العوامل الخارجية التي أفرزتها تطورات السياسة الدولية يدخل في صميم عملكم العلمي المتخصص، لما له من دور هام في تشكيل الرأي العام، وتأصيل الفكر وتعميق قوة الانتماء إلى الحضارة الإسلامية الأصيلة التي لا سبيل إلى اقتلاع جذورها مهما عظم عنف الضربات الموجهة إليها، ذلك أن إرشاد الإنسان عقدياً وعلمياً قضية محورية تعلو فوق كل القضايا، لارتباطها بمصير الأمة ارتباطاً وثيقاً، وهي بهذا الاعتبار تعد قضية جديرة بأن تعطى ما تستحقه من عناية، وإبرازها في صورة عمل جدي ومنتج؛ يعتبر إنجازاً حضارياً هاماً ضمن الأسس التي تقوم عليها نهضة المسلمين.

وفي الختام يدعو علماء المجمع الله تبارك وتعالى أن يوفق ولاية أمور المسلمين لما يحبه ويرضاه، وأن ييسر لهم طريق تطبيق شريعته، فهي حبل الله المتين، ونوره المبين، وصراطه المستقيم، لا نجاة ولا عزة لهم إلا بالتمسك به، والله الموفق والمهدي إلى سواء السبيل<sup>(١)</sup>.

---

<sup>١</sup> - مجلة مجمع الفقه الإسلامي العدد الثالث عشر، ٢/٢٥٨١٢-٥٨١٧.

## ● بيان علماء اليمن حول خطر التدخل الأجنبي في اليمن

اجتمع علماء اليمن يوم الخميس ٢٨ / محرم / ١٤٣١ هـ في مسجد المشهد في صنعاء وهو أول مصلى للعيد في اليمن في الإسلام الذي بناه الصحابي الجليل فروة بن مُسيك المرادي رضي الله عنه كما يقول المؤرخون وكتاب السير، وذلك للبيان حول خطر التدخل الأجنبي في اليمن، وذلك إثر إعلان بريطانيا الدعوة إلى مؤتمر في لندن لمناقشة أوضاع اليمن، وقبل البيان ألقى الشيخ عبد المجيد الزنداني كلمة بين فيها خطر التدخل الأجنبي والتأمر على ذلك جاء فيها: «فهذا الوجود العسكري المكثف في خليج عدن منذ أكثر من عام الذي يرر بمطاردة القراصنة، وهو بحجم يفوق الكثير الكثير لهذه المهمة التي يمكن أن تكفي فيها سفينة واحدة مع بعض حاملات الطائرات بل مع طائرات مروحية بهذه السفينة وزوارق سريعة تكفي، لكن أن تحتشد هذه الأساطيل فجميع المراقبين العسكريين والسياسيين يقولون: إن هذه القوات تحتشد لأمر أكبر من ذلك، ثم ما نشرته الصحف الأمريكية وتناقلته الصحف العربية واليمنية عن نصيحة تقدم بها مستشار البنتاجون -وهي وزارة الدفاع الأمريكية- يقول هؤلاء المستشارون لوزارة الدفاع الأمريكية: إن الحكومة اليمنية آيلة إلى الفشل-تسير في طرق الفشل- وإذا فشلت الدولة اليمنية فننصحكم بأن تتحرك قوات الماريتز البحرية، وقوات حلف الأطلسي؛ للسيطرة على منابع النفط في اليمن، والسيطرة على السواحل البحرية الجنوبية والغربية، هم نشروا ذلك، هم نقلوا لنا هذه المعلومة، ونقلتها عنهم الصحف العربية واليمنية، وفوجئ الناس بأن بريطانيا التي كانت تستعمر الجنوب اليمني تعلن عن عقد مؤتمر دولي في لندن تنصبه وصياً على شؤون اليمن، لماذا تجتمعون؟ قالوا: لتتدارس مسألة اليمن، من أنتم؟ من ولاكم؟! من أعطاكم الحق أن تبتوا في قضايا اليمن! قضايا اليمن بيت فيهل أهل اليمن، هم المسؤولون عن بلادهم، هم المسؤولون عن شؤونهم، فكانت هذه الدعوى مفرعة ومقلقة لجميع أبناء اليمن؛ لأنها لا تكون إلا بالتدخل في شؤون اليمن، وفرض نزع من الوصاية عليه، ثم إذا بهذه الجهة نفسها تروج بأن الدولة اليمنية في طريقها إلى الفشل، هناك يقلون إذا فشلت احتلوا منابع النفط وسيطروا على السواحل الجنوبية والغربية، وفي لندن يقولون: اليمن في طريقه إلى الفشل، ماذا يفهم من هذا كله...».

## ● نص البيان

«الحمد لله رب العالمين القائل: ﴿إِنْ يَشْفُقْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة: ٢]، والقائل سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين القائل: "يُوشِكُ الْأَمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ:

وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءَ كُفَّاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ قَالَ حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ<sup>(١)</sup>.

وبعد فقد تابع علماء اليمن ما تمر به بلادنا من أحداث ومستجدات خطيرة، وما يحاك ضدها من كيد ومكر وتآمر وتلويح من القوى الأجنبية بالتدخل في شؤون اليمن أمنياً وعسكرياً وسياسياً، ومحاولة تصوير الوضع في اليمن بأنه يمثل خطراً على الوضع الإقليمي والدولي، وتهويل ذلك لتدويل القضية، والدعوة من بعض القوى الأجنبية لعقد مؤتمر دولي للنيل من أمن اليمن ووحدته واستقراره، وانتهاك سيادته تحت ذرائع واهية ومغلوبة؛ لتكرار ما حصل في العراق وأفغانستان وباكستان الذي أدى إلى احتلال الأرض وانتهاك العرض وتدمير المقدسات ونهب الثروات وقتل وتشريد الملايين وترويع الأمنين وإثارة النعرات وتمزيق البلاد وانفلات أمني فيها لا يأمن أحد على نفسه ومآس لا تخفى على أحد منكم، ووفاء بالعهد والميثاق الذي أخذه الله تعالى على العلماء بقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧] وقياماً منهم بهذا الواجب فإنهم يبينون ما يلي:

أولاً: وجوب الرفض الكامل لأي تدخل خارجي سياسي أو أمني أو عسكري في شؤون اليمن وقضاياها الداخلية، ووجوب المحافظة على سيادته من أي انتهاك يمس ديننا أو استقلالنا أو وحدة أراضينا.

ثانياً: رفض أي وجود أو اتفاقية أو تعاون أمني أو عسكري مع أي طرف خارجي يخالف الشريعة الإسلامية، ويضر بمصلحة وأمن البلاد، ولا بد في حال عدم المخالفة والضرر من مصادقة مجلس النواب أو الشورى، وأهل الحل والعقد من العلماء والمشايخ والوجهاء في هذا البلد.

ثالثاً: الرفض المطلق لإقامة أي قواعد عسكرية في الأراضي اليمنية أو مياهاها الإقليمية.

رابعاً: تحريم الإسلام قتل الأبرياء والمعاهدين والمستأمنين، وكل عدوان ضدهم، ومن ارتكب شيئاً من ذلك يحال إلى القضاء الشرعي.

خامساً: تجريم ما حدث من قتل وسفك لدماء الأبرياء في أبين وشبوة وأرحب، وتجريم أي قتل خارج القضاء الشرعي، ودون محاكمة عادلة.

سادساً: الدعوة إلى تشكيل لجنة من العلماء والقضاة والخبراء والمختصين للنظر في هذه الحوادث وأسبابها وآثارها، والعمل على إيجاد الحلول الشرعية لها.

١- أخرجه أبو داود ١١١/٤، صحيحه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢/ ٦٤٧ برقم: ٩٥٨.

سابعاً: دعوة جميع اليمنيين رئيساً وحكومة وشعباً وكافة القوى المؤثرة والفاعلة إلى الاحتكام إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠] ولقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، والعمل على توحيد الصفوف وجمع الكلمة لتقوية الجبهة الداخلية بتحقيق العدل ورفع المظالم ورد الحقوق إلى أهلها، والاستجابة للمطالب المشروعة من أي طرف كان.

ثامناً: يناشد علماء اليمن أبناء الأمة الإسلامية حكماً ومحكومين، وعلماء وهيئات ومنظمات إسلامية وعلى رأسها منظمة المؤتمر الإسلامي وجامعة الدول العربية ورابطة العالم الإسلامي واتحاد علماء المسلمين لتأييد إخوانهم في اليمن والوقوف معهم صفاً واحداً ضد المؤامرات والتدخلات الخارجية.

وبعد هذا كله فإنه وفي حال إصرار أي جهة خارجية على العدوان وغزو البلاد أو التدخل العسكري أو الأمني فإن الإسلام يوجب على أبنائه جميعاً الجهاد لدفع عدوان المعتدين وذلك حق مكفول في جميع الشرائع.

وختاماً فإن علماء اليمن يدعون أبناء المسلمين عموماً وأبناء الشعب اليمني خصوصاً بالمبادرة بالتوبة والرجوع إلى الله ولزوم طاعته واجتناب معاصيه في كل حال والقيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فما نزل بلاء إلا بذنب وما رفع إلا بتوبة، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، ثم الله تعالى يقول: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢]، كما يندب علماء اليمن الناس للقتول في الصلوات طلباً للفرج من الله وحده كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ تَضَرُّعًا﴾ [بأسنا الأنعام: ٤٣]، كما يهيب العلماء بجميع أبناء الشعب اليمني بأن يلتفتوا حول ما جاء في هذا البيان وبأن يطالبوا بما ورد فيه، وفق الله الجميع لما يحب ويرضى، وحفظ على المسلمين دينهم وأمنهم ووحدتهم واستقرارهم.

وأخيراً وبينما هذا البيان يعد للطبع تناقلت أجهزة الإعلام أخباراً إيجابية تفيد بأن الرئيس الأمريكي وقائد قواته صرحا بأنهم لا يفكرون في احتلال اليمن أو إرسال قوات عسكرية إليها، وبناء عليه فإن لجنة المتابعة لهيئة علماء اليمن لمتابعة القضايا الإسلامية تقدر هذا الموقف وتطالب الإدارة الأمريكية بالالتزام بهذه السياسة على الدوام، وتطلب من الحكومة اليمنية الالتزام بالضوابط التي

أوضحها العلماء في هذا البيان بشأن الاتفاقيات الدولية لضمان استقلال البلاد ومنع أي تدخل أجنبي، كما تطلب من مؤتمر لندن احترام السيادة اليمنية واستقلال البلاد، ومنع التدخل في شؤونه الداخلية أو فرض أي شكل من أشكال الوصاية، فإن أبناء اليمن يعتبرون أي شيء من هذا القبيل هو عدوان عليهم وانتهاك لسيادتهم ومصادرة لحرياتهم واستقلالهم، والله غالب على أمره، والحمد لله رب العالمين».

## يا أمتي وجب الكفاح

يا أمتي وجب الكفاح	فدعي التشدد والصياح
ودعي التقاعس ليس ينصر	من تقاعس واستراح
ما عاد يجدينا البكاء	على الطلول <sup>(١)</sup> ولا النواح
يا قوم إن الأمر جد	قد مضى زمن المزاح
سقط القناع عن الوجوه	وفعلهم بالسرباح
عاد الصليبيون ثانية	وجالوا في البطاح
عادوا وما في الشرق	نور الدين يحكم أو صلاح
عاثوا فساداً في الديار	كأنهم كلاً مباح
لم ينجلو من ذبح شيخ	لو مشى في الريح طاح
أو صبية كالزهر لم يبيت	لهم ريش الجناح
ذبحوا الصبي وأمه	وفتاقا ذات الوشاح
عشوا بأجساد الضحايا	في انتشاء وانشراح
لم يشف حقدهم دم	سفحوه في صلف وقاح
فغدوا على الأعراض لم	يخشوا قصاصاً أو جناح
لم يعزوا بقرار أمن	دانهم أو بـاقتراح
يا أمة الإسلام هبوا	واعملوا فالوقفت راح
الكفر جمّع شمله	فلم التزع والانتطاح
فتجمعوا وتجهزوا	بالمستطاع وبالمتاح
يا ألف مليون وأين هم	إذا دعيت الجراح
هاتوا من المليون ملياراً	صاحاً من صراح
من كل ألف واحد	أغزو بهم في كل ساح
لا بد من صنع الرجال	ومثله صنع السلاح
وصناعة الأبطال علم	قد دراه أولو الصلاح

<sup>١</sup> - الطلل الشاخص من الآثار و الجمع أطلال، انظر: المصباح المنير ٣٧٧/٢، ولسان العرب ٤٠٦/١١.

من أهلكه فقد النجاح	من لم يلقن أصله
في مساجدنا الفساح	لا يصنع الأبطال إلا
ظل الأحاديث الصراح	في روضة القرآن في
مان سكران وصاح	لا يستوي في منطق الإي
همه كأس وراح	من همه التقوى وآخر
ورق تذييله الرياح	شعب بغير عقيدة
يخون حي على الكفاح <sup>(١)</sup>	من خان حي على الصلاة

---

<sup>١</sup> - قصيدة يا أمي وجب الكفاح للشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، موسوعة الشعر الإسلامي ١/٧٦٧.



## يا مسلمون تأهبوا

يا مسلمون تأهبوا فالكافرون تألبوا  
في كل صقع من بلاد المسلمين تسربوا  
دسوا لكم أفكارهم فيها الفسوق المرعب  
يدعونكم أن تفجروا وتفارقوا وتحبوا<sup>(١)</sup>  
كي يفسدوا أخلاقكم وتعربدوا وتجانبوا  
حتى إذا جانبتموا دين الحنيفة أجلبوا<sup>(٢)</sup>  
وأخذتموا بمبادئ تخزيكمو وتعييب  
جروكموا برقابكم مثل النعاج وغسلبوا<sup>(٣)</sup>  
فإذا انتهت أخلاقكم قهروكموا وتغلبوا  
يا مسلمون تيقظوا وتنبهوا وترقبوا  
يا مسلمون هم العداة فشمروا وتأهبوا  
هم شمروا للحرب تعصف بالديار وتخرب  
صبوا عليكم نارهم وتآمروا واستدأبوا  
يا أمة الإسلام هذا ما يقول الأجنب  
الكافرون همو همو إن شرقوا أو غربوا  
من يتخذ منهم ولياً ساء ما يتطلب  
الكفره للإسلام فيهم ملّة تترسب  
لِمَ زودوا إسرائيل بالحُمَم المشعة ترهب  
لِمَ سلطوا الهندوس ضد المسلمين وأحربوا  
لِمَ سوّغوا للروس غزو المسلمين وخبّجوا<sup>(٤)</sup>  
يا مسلمون تذكروا أجدادكم واستنسبوا

١- الحوب: هو الإثم، مشارق الأنوار ٢١٥/١.

٢- أي تجمعوا من أجلبوا عليه إذا تجمعوا وتألبوا، وأجلبه أعانه، وأجلب عليه إذا صاح به واستحثه، لسان العرب ٢٦٩/١.

٣- الغسلة انتزاعك الشيء من يد الإنسان كالمغتصب له، انظر: لسان العرب ٦٤٨/١، وتاج العروس ٤٨٣/٣.

٤- خبج ووخوخ إذا استرخى بطنه، وخبج إذا غدر، وخبج الحر سكن بعض فورته، وخبجوا عنكم من الظهيرة أبردوا، لسان العرب ٣٤٤/١، ومقاييس اللغة ١٥٨/٢.

هم خيرة الدنيا وصحب محمد فتقربوا  
يا ألف مليون تعد خستتموا إن تغلبوا  
كثشاء سليل أنتمو إن تفهروا أو ترسبوا  
يا مسلمون استعبروا مما يُذاع ويكتب  
تخطيطهم أن يحتووا خيراتها ويعسلبوا  
فقفوا دفاعاً عن بلادكم ولا تتهيبوا  
لا تجنوا يا مسلمون وغامروا وتحسبوا<sup>(١)</sup>  
وقهوا للنازلات تؤزكم وتصبوب  
لا تجنحوا عن دينكم فهو الصراط الأرحب  
والنصر في تقوى الإله فقاربوا وتقربوا<sup>(٢)</sup>

وفي الختام أسأل من الله تعالى جل في علاه أن ينفعني وقارئة وأن يجمع كلمة المسلمين ويوحد صفهم ويهدينا إلى الصراط المستقيم، وأن يجنبنا مخالفة الشريعة، والوقوع في الذنوب والمعاصي، وأن يرفع عنا الجهل والظلم والتفرق والتمزق والفتن والحن ما ظهر منها وما بطن، وأن يجنبنا العصبية البغيضة، وأن يعيننا على تحقيق وشكر نعمة الأخوة والوحدة وأن يبصرنا بعيوبنا ويفقهنا في ديننا وأن يدفع عنا كل مكر وكيد وتآمر، وأن يتجاوز عما في هذا البحث من خلل أو قصور.  
إلى هنا أكون قد انتهيت من إتمام العمل في هذا البحث فما كان فيه من توفيق وصواب فهو من الله وحده، وما كان فيه من خطأ أو خلل أو قصور فمن نفسي المقصرة والشيطان، والله ورسوله منه بريئان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.  
وإن تجد عيباً فسد الخلا فجل من لاعيب فيه وعلا<sup>(٣)</sup>

وَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَوَحْدِهِ وَسَلَّمَ  
وَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَوَحْدِهِ وَسَلَّمَ  
وَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَوَحْدِهِ وَسَلَّمَ  
[الصفات: ١٨٠ - ١٨٢]

صبيحة الثاني من شهر ربيع أول/لعام ١٤٣١هـ الموافق له ٢٠١٠/٢/١٦م

١- تحسب توسد وتعرف وتوحي واستخير، القاموس المحيط ٩٥/١، وكأن مراد الشاعر والله أعلم التوحي والخذر.

٢- الشاعر اللواء علي زين العابدين، نقلاً من كي لا يستمر الهوان ٤٨/١، ٤٩.

٣- قاله الإمام الحريري في خاتمة ملحّة الإعراب.

## الفهرس

الصفحة	الموضوع
٢	المقدمة
٤	المبحث الأول: المخالفة والذنوب
٥	المطلب الأول: وفيه السبب الأول وهو مخالفة الشريعة
٧	الأمن والنجاة في ظلال الشريعة
٨	لماذا الشريعة الإسلامية
٨	شريعة سماوية من عند الله
٨	شريعة محفوظة
١٣	شريعة شاملة
١٤	شريعة عامة
١٥	شريعة مثالية وواقعية
١٧	الجزاء في الشريعة الإسلامية
١٩	حراسة الشريعة سبيل النجاة
٢١	قرار مجمع الفقه بشأن تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية
٢٣	المطلب الثاني: وفيه السبب الثاني وهو الذنوب والمعاصي
٢٦	انتشار الذنوب والمعاصي بأنواعها
٢٦	وسائل إعلام أم معاصي وإجرام
٢٨	عقلاء الغرب يرفضون التبرج
٣٠	وسائل معينة على الخلاص من الذنوب والمعاصي
٣٦	المبحث الثاني: وفيه السبب الثالث وهو انتشار الجهل
٣٧	جهل الحاكم والمحكوم أعظم الجهل والتجهيل
٣٨	أعظم الجهل والتجهيل
٣٩	أحوال وعقوبة أهل الجهل في الحال والمآل
٤٠	أنواع الجهال وكيفية التعامل معهم
٤٢	دور العلم في رفع الجهل وتحقيق الوحدة وتثبيتها
٤٤	دور العلماء في رفع الجهل وتحقيق الوحدة وتثبيتها
٥٣	لازموا التركب
٥٥	دور الدعوة والدعاة في رفع الجهل وتحقيق الوحدة وتثبيتها
٦٢	الوسائل العلمية والعملية لوحدة العلماء والدعاة

٦٨	قطب الدين الأعظم
٦٨	الحذر من تضييع الدعوة والتقصير في تغيير المنكر
٧٠	الغاية لا تبرر الوسيلة
٧١	من أضرار ومفاسد ترك تغيير المنكر وتضييع الدعوة
٧٢	الجهل وآفة العجب
٧٦	المبحث الثالث: وفيه السبب الرابع وهو الظلم أنواع الظلم
٧٧	أنواع الظلم
٧٨	دواوين الظلمة يوم القيامة
٧٩	من مضار الظلم
٨٤	ظلم الولاة والسلطين
٨٨	الحذر من الاغترار بالإمهال
٨٩	الحذر الحذر من بطانة السوء
٩٢	خير من تشاورون العالم العامل الورع التقى
٩٤	دواء الداء بالعدل وإعادة الحقوق والمظالم إلى أهلها
٩٧	أقسام العدل
٩٨	أئمة العدل أمان وتوحد واستقرار
٩٩	المساواة
١٠٢	الفرق بين العدالة والمساواة
١٠٢	الحذر من مساواة الخديعة التي لا توافق الشريعة
١٠٤	استقلالية القضاء
١٠٦	قصة المرأة الجريية مع القاضي شريك
١٠٧	القاضي شمس الدين الفناري والسلطان بايزيد العثماني
١٠٨	من وسائل تحقيق القضاء العادل المستقل
١١٣	نص رسالة سيدنا عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما
١١٥	المبحث الرابع: التفرق والعصبية
١١٦	المطلب الأول: وفيه السبب الخامس وهو التنازع وتفرق جماعة المسلمين
١١٦	ذم التفرق والتنازع المفضي إليه
١١٧	الأدلة من القرآن الكريم على النهي عن التفرق في كل صورته
١٢٢	الأدلة من السنة النبوية على النهي عن التفرق في كل صورته
١٣١	التزموا الاجتماع وانبدوا الفرقة

١٣٤	من مضار التنازع والتفرق
١٣٥	دواء الداء بتحقيق الاجتماع والاتحاد والتخلص من الافتراق والتنازع
١٣٥	وسائل تعين الأمة والمجتمعات على تحقيق الاتفاق والوحدة
١٤٢	أكلت يوم أكل الثور الأبيض
١٤٣	المطلب الثاني: وفيه السبب السادس وهو إثارة العصبية
١٥١	النعرات القومية والطائفية
١٥٤	أضرار ومخاطر العصبية
١٥٧	أسباب التعصب
١٥٩	من لوازم التعصب
١٦١	علاج التعصب
١٦٣	التعصب والعمل الإسلامي
١٦٣	مظاهر التعصب في العمل الإسلامي
١٦٤	أثر التعصب على العمل الإسلامي
١٦٦	أسباب التعصب في العمل الإسلامي
١٦٧	علاج التعصب في العمل الإسلامي
١٧٥	المبحث الخامس: الخروج والإعراض
١٧٦	المطلب الأول: وفيه السبب السابع وهو الخروج بالسلاح
١٧٨	إفراط وتفريط
١٨٢	الخروج المشروع
١٨٦	طاعة في غير معصية
١٩١	كيف يمكن تربية الأجيال على رفض الطاعة في غير المعروف
١٩٢	الصدع بالحق ليس من الخروج
١٩٤	حق الأمة في مراقبة الحاكم
١٩٦	إعانة وتقويم
١٩٧	النصيحة والعزل
١٩٩	المطلب الثاني: وفيه السبب الثامن وهو الإعراض عن شكر النعمة
٢٠٣	الشاعر يسابق في أمر دينه ويقنع بأمر دنياه:
٢٠٤	من فوائد الشكر
٢٠٦	المبحث السادس: وفيه السبب التاسع وهو التآمر الخارجي
٢١١	مجالات التآمر الخارجي

٢١٢	التآمر على هذه الأمة في المجال العسكري
٢١٢	موقف الأمم المتحدة من المسألة الاستعمارية
٢١٣	موقف الأمم المتحدة من مسألة التسليح
٢١٥	من مظاهر التآمر العسكري في الواقع
٢١٧	المجال السياسي
٢١٨	المجال الثقافي
٢١٨	المجال الاقتصادي
٢١٩	أعوان الداخل على تآمر الخارج
٢٢٠	سبب التآمر الخارجي
٢٢٠	السبب الأول: الجانب الديني
٢٢٧	السبب الثاني: الجانب الجغرافي
٢٣٠	طمع في الثروة والأرض
٢٣١	الهنود الحمر والأمريكان
٢٣٣	كيفية مواجهة التآمر
٢٣٥	وسائل عملية في وجه التآمر الخارجي
٢٤٣	دروس وعبر من الاحتلال الأجنبي لبلاد الإسلام
٢٤٨	قرار مجمع الفقه الإسلامي بشأن الوحدة الإسلامية
٢٥١	قرار مجمع الفقه الإسلامي بشأن الغزو الفكري
٢٥٣	نصوص توصيات الدورة الرابعة لمجلس مجمع الفقه الإسلامي
٢٥٦	بيان مجمع الفقه الإسلامي في دورة مؤتمره الثالثة عشرة المنعقدة في الكويت
٢٥٩	بيان علماء اليمن حول خطر التدخل الأجنبي في اليمن
٢٦٣	قصيدة يا أمي وجب الكفاح
٢٦٥	قصيدة يا مسلمون تأهبوا
٢٦٧	الفهرس